الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب
عبد القادر مرجاني

إشراف أ. د: مُحَّد مجاود
المشرف المساعد أ. د: صالح بوسليم

اللجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة الحالية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	**أ.د/ دحو فغرور**	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران01	رئيساً
02	**أ.د/ مُحَّد مجاود**	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً ومقرراً
03	**أ.د/صالح بوسَليم**	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفاً مساعداً
04	**أ.د/ ميلود تيزي**	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضواً مناقشاً
05	**د/ ميلود ميسوم**	أستاذ محاضرأ	جامعة الشلف	عضواً مناقشاً
06	**د/ عز الدين زايدي**	أستاذ محاضرأ	جامعة سيدي بلعباس	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب
عبد القادر مرجاني

إشراف أ. د: مُحَّد مجاود
المشرف المساعد أ. د: صالح بوسليم

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

إهـــداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

إلى من أمدَّ لي يد العون وأتاح لي فرصة التعلم ولم يحرمني من أي شيء إلى مصدر عزيمتي الذي أكن له التقدير والاحترام أبي العزيز

إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من لا يكفيها عمري لرد بعض ما تحملت من العناء لأجلي، أمي الحبيبة أمد الله في عمرها

إلى زوجتي الكريمة التي صبرت عني وأنا أنجز هذا العمل

إلى كل من علمني حرفا فصرت له عبدا أساتذتي الكرام من الطور الابتدائي إلى ما بعد التدرج

إلى كل الإخوة والأخوات إلى كل الزملاء والزميلات إلى كل من أعرفه ويعرفني

أهدي لهم هذا العمل المتواضع

شكر وعرفان

اللهم إنا نشكرك ونحمدك على إلهامنا العزم والإرادة، وإلباسنا هندام الجد والمثابرة لإتمام هذا العمل، وأنرت لنا طريقا للعلم والمعرفة، ونسألك أن يكون في ميزان حسناتنا.

أشكر أستاذيا الفاضلين الذين تكرّما بالإشراف علي لانجاز هذا العمل ولم يبخلا علي بتوجيهاتهما القيمة، ونصائحهما المفيدة، ودعمهما الدائم الأستاذ "محمد مجاود" والأستاذ "صالح بومليم".

كما أشكر كل عمال جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس خاصة عمال الإدارة، وأشكر اللجنة المناقشة المحترمة، التي قبلت مناقشة عملي المتواضع، ومنحتني هذا الشرف العظيم.

وأتوجه بخالص الشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

قائمة المختصرات:

1- باللغة العربية:

ص: الصفحة

ص ص: صفحات عديدة متواصلة

ج: جزء

ط: طبعة

ع: العدد

مج: المجلد

تر: ترجمة

ش . و. ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

2- باللغة الفرنسية:

P: Page
Pp: Pages continues
T: Tome
N°: Numéro
ENAL: Entre prise Nationale Algérienne de Livres
RA: Revue Africaine
RHM: Revue d'Histoire Maghrebénne
Ed: édition.
Ibid: Remplacer une référence déjà donnée mais a condition quelle soit citée dans le renvoi
qui précède immédiatement.
Op-Cit: Précédé du nom de l'auteur renvoi a une étude ou un article de cet auteur déjà mentionne plus haut.
Imp: Imprimerie
Tr: Traduction.

مقدمة

يعتـبر الجنـوب الجزائـري مـن أهـم المحطـات البـارزة في تاريـخ الاحـتلال الفرنسـي بالجزائـر وإفريقيـا جنـوب الصـحراء، فبعـد أن أحكمـت فرنسـا قبضـتها علـى الجزائـر سـنة 1830 انشـغلت باحـتلال أقاليمـه الجنوبيـة، كونهـا كانـت بمثابـة قواعـد خلفيـة للثـورات الشـعبية الجزائريـة طيلـة القـرن التاسـع عشـر مـيلادي. ومـع مطلـع القـرن العشـرين تمكنـت فرنسـا مـن الوصـول إلى عمـق الجنـوب الجزائـري، بعـد أن كثفـت مـن إرسـال البعثـات والـرحلات الاستكشـافية إليـه وعملـت علـى القيـام بدراسـات ميدانيـة دقيقـة، مسـتعينة بالعديـد مـن البـاحثين والمغـامرين ورجـال الـدين والأدباء بالإضـافة إلى الضـباط العسـكريين لإنجـاز التقـارير والدراسـات الـتي تمكـن السـلطة الفرنسـية مـن التعـرف علـى خبـايا الصـحراء، ودوَّنـوا كـل صـغيرة وكبـيرة حـول المنطقـة؛ الطبيعيـة والاقتصـادية والبشـرية مـن أجـل السـيطرة عليهـا واسـتغلال خيراتهـا، وهـو مـا سنلمسـه مـن خـلال السياسـة الاسـتعمارية الفرنسـية المنتهجـة للتوغـل في الصـحراء الجزائريـة، والـتي بفضـلها اسـتطاعت اسـتعمار أغلـب مناطقهـا قسـرا للاسـتئثار بالتجـارة مـع غـرب الصـحراء وشـرقه، وسـبر أغوارهـا والوقـوف على أحوالها تمهيدا للسيطرة عليها والزحف فيها.

ونسـعى مـن خـلال هـذه الدراسـة إلى تقـديم أقـرب صـورة لموضـوع السياسـة الفرنسـية للتوغـل في الجنـوب الجزائـري، انطلاقـا مـن مقاربـة سوسـيو تاريخيـة في إطـار زمـني محـدد وفـق تسلسـل منطقـي للأحـداث التاريخيـة والاجتماعيـة والاقتصـادية، بغيـة الوصـول إلى رسـم صـورة متكاملـة عـن الموضوع والاقتراب من الإجابة على الإشكالية والأسئلة التي تفرض نفسها في هذا السياق.

دواعي ودوافع اختيار الموضوع:

هناك جملة من الأسباب والدوافع التي حفزتنا للبحث في هذا الموضوع بالذات"**السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م**"، منها الذاتية والموضوعية يمكننا إيجازها فيما يأتي:

– تحديد جانب مهم من تاريخ وحضارة سكان الجنوب والتعريف بهم، والمساهمة ولو بشكل قليل في توثيقه وكتابته.

– الرغبة في مواصلة الجهود المبذولة في كتابة تاريخ المنطقة بأيدي عربية إفريقية وغربلة ما كتبه الأجانب لإظهار الوجه الحقيقي لتاريخ الجنوب الجزائري.

– وضع صورة تاريخية وأكاديمية لوضعية الجنوب الجزائري إبان الفترة الاستعمارية وحال سكانها آنذاك وما مدى تأثيرها بالسياسات الاستعمارية المختلفة.

– محاولة الوقوف على الجهود التي بذلها هؤلاء الرحالة في سبيل تثبيت قدم الاستعمار في القارة الإفريقية عامة وفي الجزائر خاصة والقضاء على هويتهم.

– محاولة التعرف على محتوى كتابات المستكشفين الفرنسيين حول الصحراء، وأهم ما تضمنته من دراسات ومعلومات شاملة وإحصاءات دقيقة، حيث تطرقوا فيها إلى عادات وتقاليد سكان الجنوب الجزائري وأهم مدنهم واقتصادهم.

أهداف الدراسة:

وانطلاقا من أهمية الموضوع وقيمته العلمية، فقد سعينا لتحقيق جملة من الأهداف، وتتلخص في الآتي:

– المساهمة في كتابة التاريخ الوطني الجزائري والمحلي بنظرة وطنية؛ وفق أسس علمية من خلال المصادر التاريخية المتنوعة.

– محاولة إثراء المكتبة الوطنية الجزائرية والمغاربية والإفريقية بكتابات ودراسات متخصصة حول تاريخ الجنوب الجزائري.

– محاولة التعامل مع أبحاث المدرسة الاستعمارية الفرنسية في مختلف الفترات، والتعرف على رواد المدرسة الوطنية الجزائرية ذات الصلة بتاريخ الصحراء.

– إنجاز دراسة علمية أكاديمية تكون لبنة لدراسات أخرى مستقبلا.

– إظهار أهم التحولات الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمات الإدارية التي طرأت على المنطقة وانعكاساتها على الأهالي وهو ما يستلزم تحليل واستنباط كل ما له علاقة بالتاريخ الاستعماري للمنطقة.

– تسليط الضوء على عملية تثبيت فرنسا لوجودها في الجنوب الجزائري بعد التوغل العسكري ورصد لأهم المعارك والمواجهات التي حدثت بين المقاومين والقوات الفرنسية التي استبسل فيها الثوار وصمدوا خلالها لمدة من الزمن.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

تنحصر هذه الدراسة في إطار زماني محدد **بالقرن التاسع عشر ميلادي**، ويرجع سبب اختيار هذه الفترة للاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 وبداية توغله وتوسعه في الصحراء، منذ سقوط مدينة بسكرة 1844، وحتى استكمال مشروع التوغل بداية القرن العشرين الميلادي، وهي نفس الفترة التي شهدت تكالب الدول الأوربية على القارة الإفريقية لتقسيمها فيما بينها، وهو ما انتهى إليه مؤتمر برلين الثاني 1884-1885. أما فيما يخص الإطار المكاني فهو **الجنوب الجزائري** أو **الصحراء الجزائرية** لأن هذا الفضاء الواسع شهد تطورات وأحداث كثيرة، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذه الدراسة بالبحث والتحليل.

إشكالية الدراسة:

وتتلخص إشكالية الدراسة في محاولة الإجابة عن التساؤل الآتي:

ما هي أبرز معالم السياسة الاستعمارية التي طبقتها فرنسا للتوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م؟ وإلى أي مدى وصلت في تطبيقها؟ وهل حققت أهدافها المسطرة؟

إن الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة تتفرع عنها مجموعة من التساؤلات وهي كالآتي:

- كيف تم الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري؟ وما هي الدوافع التي حركتهم؟
- ما هي الوسائل التي اعتمدتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في إطار سياستها التوسعية في الجنوب؟
- ما هو دور الرحلات والبعثات الاستكشافية خلال القرن 19م في عملية التوغل والاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري؟
- ما هي الإجراءات التي اعتمدتها لإخضاع سكان الجنوب؟
- ما هي انعكاسات تلك السياسة الاستعمارية الفرنسية على سكان الجنوب الجزائري؟ وما هي ردود الفعل منها؟

الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث:

بعد عملية البحث والتنقيب عن المادة العلمية التي تهتم بموضوع الدراسة، لاحظنا أن جل المواضيع التي تناولت هذه الفترة من البحث جاءت شاملة، وقد ركزت على التوسع الفرنسي في الجزائر عامة ما عدا ما كتبه الباحثين إبراهيم مياسي واحميدة عميراوي، إلى جانب ذلك، فإن أغلب الدراسات هي

باللغة الأجنبية، وهي عبارة عن تقارير وملاحظات، ولعل من أهم هذه الدراسات وأكثرها قربا إلى موضوع بحثنا، نذكر منها ما يأتي:

- "**توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**"، وهي رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر للأستاذ "إبراهيم مياسي" رحمه الله، بجامعة الجزائر معهد التاريخ للموسم الجامعي 1988/1987، وهي حاليا كتاب مطبوع.

- "**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر للأستاذ "إبراهيم مياسي" رحمه الله، بجامعة الجزائر معهد التاريخ، وهي حاليا كتاب مطبوع.

- أبحاث الدكتور احميدة عميراوي وآخرون حول الموضوع بعنوان "**السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916**"، منشورات مخبر الدراسات الأدبية والإنسانية بكلية الأدب والعلوم الإنسانية بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة سنة 2009.

- "**مقاومة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري 1864-1908**"، وهي رسالة ماجستير في التاريخ للأستاذ مبخوت بوداوية، تحت إشراف الدكتور جاد مُحَّد طه، جامعة عين شمس (مصر) 1412هـ/ 1992م.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، خاصة فيما يتعلق بالجوانب التاريخية، التي تتناول قضية الاحتلال وردود فعل المقاومة الشعبية، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تحليل الوقائع التاريخية من خلال قراءة الوثائق والمراسلات، ومقابلتها بوثائق أخرى وتمحيصها بدقة لاستخلاص الحقائق التاريخية، التي تفيد موضوع الدراسة، كما ساعدني هذا المنهج على فهم وتفسير الإحصاءات حول عدد القتلى والجرحى، والتي تكون عادة متضاربة أحيانا ضمن وثائق الأرشيف الوطني، ناهيك عن ما كتبه قادة الاحتلال، مما يستوجب توخي الحذر، ومقارنة الأرقام الواردة في الوثائق المتوفرة لدينا كشف زيف الادعاءات الفرنسية، وتكتمها في كثير من الأحيان الإعلان عن الحقائق، والسكوت على كل ما من

شأنه أن يضر بمصالحها، وحاولنا الابتعاد عن الذاتية والأحكام المسبقة، كي ينال موضوع الدراسة حقه من الموضوعية وعدم التحيز .

خطة البحث:

ولمعالجة إشكالية هذه الدراسة والتفصيل فيها، تم تقسيم موضوع البحث إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وبابين وخاتمة.

أما الفصل التمهيدي عنوناه **بدوافع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري** وتضمن الدوافع العسكرية والاقتصادية والعلمية، دوافع خاصة بالرحالين والمستكشفين، تنامي روح التنافس والتوسع.

الباب الأول عنوناه بالسياسة الاستعمارية الفرنسية للتوغل في الجنوب الجزائري وقد قمنا بتقسيمه إلى أربعة فصول.

الفصل الأول تطرقنا فيه إلى البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري خلال القرن 19م وتفرع إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول عنوانه البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1830-1860، المبحث الثاني البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1860-1881، المبحث الثالث البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1881-1899

الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى إنشاء المكاتب العربية ودورها في استمالة شيوخ القبائل والزعماء المحليين وتفرع إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه المكاتب العربية نشأتها وتطورها، المبحث الثاني تشكيل المكتب العربي ومهامه، المبحث الثالث المكاتب العربية والأسر الكبرى في الجنوب، المبحث الرابع اعتداءات وتجاوزات المكاتب العربية.

الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى إنشاء الصحف والدوريات وتكوين اللجان العلمية والجمعيات وتفرع عنه أربعة مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه إنشاء الصحف والدوريات، المبحث الثاني إنشاء اللجان العلمية، المبحث الثالث تكوين الجمعيات، المبحث الرابع أهداف الاستكشاف والبحث العلمي

الفصل الرابع تطرقنا فيه إلى الإرساليات التنصيرية في مدن الجنوب الجزائري وتفرع عنه أربعة مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه الاستعمار والتنصير بالصحراء، المبحث الثاني الكاردينال لافيجري

وسياسته الدينية في الصحراء، المبحث الثالث الهيئات التبشيرية في الصحراء، المبحث الرابع نشاط الراهب دوفوكو (Charles de Foucould) 1858-1916.

الباب الثاني عنوناه بالمقاومة الشعبية 1844-1916 وانعكاسات سياسة الاحتلال الفرنسي بالجنوب الجزائري وقسمناه بدوره إلى أربعة فصول.

الفصل الأول تطرقنا فيه إلى المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي للجزائر، وتفرع عنه ثلاثة مباحث المبحث الأول تناولنا فيه مقاومة أولاد سيدي الشيخ، المبحث الثاني مقاومة الشيخ بوعمامة، والمبحث الثالث خصصته للتوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت.

الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي للجزائر، وتفرع عنه خمسة مباحث المبحث الأول تناولنا فيه ثورة الزعاطشة 1849، المبحث الثاني مقاومة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله (1851-1871)، المبحث الثالث مقاومة بن ناصر بن شهرة (1851-1875)، المبحث الرابع مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1874، المبحث الخامس مقاومة الطوارق 1900-1916.

الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية والإدارية بالجنوب الجزائري، وتفرع عنه مبحثين، المبحث الأول تناولنا فيه آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية بالجنوب الجزائري، وأما المبحث الثاني، فقد تضمن آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الإدارية بالجنوب.

الفصل الرابع تطرقنا فيه إلى آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاجتماعية والثقافية بالجنوب الجزائري، وتفرع إلى خمسة مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه التركيبة السكانية للمدن الصحراوية، المبحث الثاني تعداد سكان الجنوب الجزائري، **والمبحث** الثالث تعلق بالوضع الصحي في الجنوب الجزائري، وأما المبحث الرابع وضعية التعليم في الجنوب الجزائري، **وأخيراً** المبحث الخامس السياسة الاجتماعية الفرنسية في المناطق الجنوبية.

وأنهينا الدراسة **بخاتمة** تضمَّنت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث، وهي عبارة عن استنتاجات لأهم الأساليب والآليات التي اعتمدت عليها فرنسا للتوغل والتوسع في الجنوب الجزائري، وأهم ما

توصلت إليه البعثات الاستكشافية وأهم النقاط السلبية التي كانت سببا للقضاء عليها، إلى جانب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية التي مست الأقاليم الجنوبية.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

للتوسع في هذا الموضوع لجأنا إلى استخدام مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية التي تناولت جوانب منه، والتي تنوعت من حيث التخصص بين الدراسات الجغرافية والتاريخية من مصادر ومراجع جاءت باللغتين العربية والفرنسية، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1- الكتابات والدراسات الفرنسية:

وهي في أغلبها لأساتذة أكاديميين وضباط عسكريين، تتمثل أساسا في المذكرات الشخصية والملاحظات ومدونات الضباط وكتابات المؤرخين، من أبرزها:

- مذكرات هنري دوفيريي "مذكرات طريق" و"طوارق الشمال" (Les Touareg du Nord) حيث كانت كتاباته ممنهجة ومقسمة إلى فصول معنونة بعناصر أساسية وأخرى فرعية، تناول فيها أهم المراكز التجارية التي كان يتوافد إليها الطوارق كتوات وتيديكلت، وقد ركز بشكل كبير على أصل الطوارق وأهم قبائلهم.

- كتاب أوجين دوماس "الصحراء الجزائرية" (Le Sahara Algérien) وكتابه "الصحراء الكبرى" (Le Grand Désert) وقد شملت دراسته معلومات كثيرة في الجانب الجغرافي والسياسي، أما الجانب الثقافي فكانت معلوماته ضئيلة، ومع ذلك يعتبر مصدرا مهما لدراسة الصحراء الجزائرية.

- كتاب المستكشف فلاترز (Missions Flatters) والذي قدّم فيه مراحل رحلته، بالإضافة إلى كتاب س. ترواملي "الفرنسيون في الصحراء" (Les Français dan le désert) والذي أفادني كثيرا حول طبيعة الحياة في الصحراء الجزائرية، وفي التعريف برحلته وأهم الطرق التي سلكها.

- كتاب الجنرال مينيي (Meynier) بعنوان **"هدوء الصحراء والتوغل الصحراوي 1852- 1930**. وقد أفادني هذا الكتاب في الفصل الثاني من الباب الثاني أي في توسع الفرنسيين في منطقة التوارق، لأن مينيي كان من بين الضباط الفرنسيين الذين قادوا حملات التوسع الفرنسي في أقصى الجنوب.

– كتاب الأستاذ أوغستان برنارد (Augustin Bernard)، بالاشتراك مع الضابط لاكروا (Lacroix) بعنوان "**التوغل الصحراوي 1830–1906**" وهو عبارة عن دراسة مركزة حول البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء منذ احتلال الجزائر إلى نهاية القرن 19.

– كتاب تييون (Tillon) بعنوان "**غزو الواحات الصحراوية 1900–1901**"، والذي ركّز فيه على التوسع الاستعماري الفرنسي في إقليم توات، وخاصة مقاطعة تيديكلت.

– كتاب قوتييه (Gautier) بعنوان "**غزو الصحراء**" والذي وضح فيه أهمية الصحراء الجزائرية ودورها في ربط المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا حيث ركز على أحداث الفترة المحصورة ما بين 1903–1905 أين عاش فيها عمليات التوغل في واحات الجنوب الغربي.

2– الكتابات والدراسات العربية:

– كتاب إسماعيل العربي **الصحراء الكبرى وشواطئها**، ول وكتاب آخر بعنوان **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، حيث فصَّل في كلا الكتابين بالتعريف بأهم المستكشفين الفرنسيين في الصحراء الجزائرية.

– كتابات أبو القاسم سعد الله "**الحركة الوطنية الجزائرية**" الجزء الأول بقسميه و"**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**" عن دار الغرب الإسلامي. لقد ساعدتني كتاباته في مختلف تفاصيل البحث، لأنه تحدث عن أهم الجمعيات والمجلات التي تم تأسيسها في الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي، وفصل في المقاومات الشعبية وأهم رجالاتها.

– كتاب عبد القادر ميهي **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراستهم**، وكتاب تواتي بومهلة **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**.– إضافة إلى اعتمادنا على بعض الأعمال الأكاديمية، نذكر منها رسالة الماجستير لعثمان حساني الموسومة بـ: **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و19م**، ورسالة أحسن دواس **الموسومة بـ: صورة المجتمع الصحراوي من خلال الكتابات الفرنسية**، التي تناولت تفاصيل دقيقة خاصة في المجال الثقافي للصحراء الجزائرية. وأطروحة دكتوراه للباحث برشان مُحَمَّد

والمعنونة بـ: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903– 1962** حيث قام بتوظيف وثائق أرشيفية مهمة.

الصعوبات:

وككل بحث لا يخلو من **الصعوبات والمعوقات**، فقد واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات، يمكن حصرها فيما يآتي:

– اصطدام رغبتنا في إعداد عمل ناجح ومفيد مع عاملي الزمن ونقص الإمكانيات، والتي لم تسمح لنا بإثراء الموضوع بالمزيد من الدراسات، ورغم وصولنا إلى المكتبة الوطنية ومركز الأرشيف الوطني الجزائري إلا أننا اصطدمنا بعوائق إدارية.

– ندرة المصادر والكتابات المحلية عن تاريخ المنطقة التي تسمح لنا بمعرفة دقيقة وموضوعية كتابات المستكشفين والرحالين الفرنسيين،حيث لم تخرج كتاباتهم عن إطار الفقه والعقود والشعر.

– إنفراد المستكشفين الفرنسيين في كتاباتهم بذكر بعض الأوضاع والأحداث وهو ما لم يسمح لنا بتحليلها ومقارنتها ومناقشتها علميا، وكان من الضروري التسليم بها خاصة في مقاومة مُحَّد الشريف بن عبد الله حيث اعتمدنا فيه على كتاب الفرنسيون في الصحراء لصاحبه س. ترواملي.

– صعوبة أسلوب اللغة الفرنسية التي كتب بها المستكشفين الفرنسيين، حيث عرفت كتاباتهم في القرن التاسع عشر بأدب الجيب "**Livre De Poche**" وهي بمثابة الدارجة عندهم وهو ما صعب ترجمتها.

– قلَّة الدراسات والأبحاث والكتابات الوطنية (الجزائرية) في هذا المجال ما عدا النزر القليل.

– تشتت الدراسات والكتابات الخاصة بالموضوع في مراجع مختلفة ومتفرقة ما يجعل الإطلاع عليها أمرا صعبا، والحصول عليها في بعض الأحيان أصعب.

وأخيراً لا أعتقد جازما أنني ألممت بكل جوانب الموضوع وتساؤلاته، فهناك بعض النقاط والوثائق لم تستغل بعد فهي تتطلب مجهودات أكبر ووقت أطول، كما أن هذه الدراسة تعتبر جهداً شخصياً متواضع، حاولت من خلاله دراسة السياسة الفرنسية المنتهجة للتوغل في الجنوب الجزائري، فعسى أن

تكون نقطة انطلاق لباحثين آخرين لدراسات أكثر عمقا ودقة، فالموضوع مازال ميدانه خصبا وينتظر جهودا مكثفة ومتضافرة وعملا جادا للإجابة قدر الإمكان على الإشكالية والتساؤلات المطروحة.

كما لا يفوتني قبل أن أختم كلامي، أن أسدي الشكر والامتنان لمن يستحقه، لذا فإنني أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني، أيا كان نوع المساعدة، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور مُحَمَّد مجاود حفظه الله ورعاه ووفقه لما فيه الخير، الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته رغم كثرة انشغالاته وارتباطاته، فله منَّا جزيل الشكر والعرفان.

والشكر موصول للمشرف المساعد الأستاذ الدكتور بوسليم صالح، لما زوَّدنا به من توجيه، ورأي سديد، ونصيحة صادقة، وأفكار منيرة. كما أشكر لجنة المناقشة على ما تكبدته من مشقة في قراءة الرسالة، وإثرائها علميا، وعلى ما ستقدمه إلينا من توجيه ونقد سيزيد –ولا شك– في تقديم خطواتي على طريق البحث العلمي.

وفي الختام أسأل الله السداد والتوفيق لما فيه خير البلاد والعباد، والحمد لله أولا وآخراً.

الطالب الباحث

عبد القادر مرجاني

مدينة السوقر: 01 نوفمبر 2019

الموافق لـ 04 ربيع الأول 1441 هـ

الفصل التمهيدي: دوافع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري

المبحث الأول: الدوافع العسكرية

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية

المبحث الثالث: الفضول المعرفي والتطور العلمي

المبحث الرابع: دوافع خاصة بالرحالين والمستكشفين

المبحث الخامس: تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية

استقر الأمر للاستعمار الفرنسي في الشمال بعد إخماد ثورات الأمير عبد القادر وثورات بومعزة وبوبغلة وغيرها من الثورات التي كانت تقوم بها القبائل في مختلف أطراف الجزائر، واتجهت أنظار المعمرين في العقد الخامس من القرن التاسع عشر إلى الصحراء الكبرى، ويبدو أن الحوافز التي دفعت الاحتلال الفرنسي لغزو الصحراء كثيرة ومتنوعة، فأصقاع الرمال كانت دائما ملاذاً وملجأ للأفراد والقبائل الفارين من قوانين المحتلين الأجانب، ثم إن بعض الشعوب والقبائل الصحراوية نوَّه الرواد والمستكشفون بحماسها وكثرة عددها وشجاعة رجالها، مثل التوارق هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن البرجوازية وأرباب الصناعة الفرنسية كانوا يتحرقون لكي يروا منتجاتهم تتوغل في الصحراء الكبرى وعبرها، كما لو كانت منطقة نائية من الريف الفرنسي[1].

المبحث الأول: الدوافع العسكرية

يدخل احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية ضمن برنامجها التوسعي الاستعماري، المتمثل في محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي، بحكم المبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريد التونسي ووادي سوف وورقلة وبسكرة، تمهيدا لفرض الحماية عليها وحصار المغرب الأقصى من ناحية الجنوب الغربي الجزائري، إلى جانب رغبتها في ربط الجزائر عبر الصحراء بمستعمراتها في إفريقيا الغربية، خصوصاً بمالي الذي احتلته سنة 1880م، والسنغال الذي استقر لها الأمر فيه سنة 1856-1857م، والتمهيد للتوسع في موريتانيا، والذي تم عام 1920م، ومنها تحقيق الحلم الذي طالما راود أذهان الفرنسيين، وهو السيطرة على منطقة الشمال الإفريقي[2].

أضف إلى ذلك، أن حملتي الأمير عبد القادر على عين ماضي 1838م، وعلى بسكرة 1839 شكَّلتا في أعين الفرنسيين مؤشرا مقلقا على وجود حلفاء صحراويين للأمير، لكون الثورات التي كانت تندلع في الشمال، كانت تجد في الجنوب والواحات عند فشلها معقلا ومركزا يفر إليه المجاهدون ليحتموا

[1] – إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 100.

[2] – رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852–1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2006-2007، ص 41.

فيه ويستعيدوا الكرة للهجوم مرة أخرى على الفرنسيين، بعد أن يرتاحوا ويتزودوا بالمؤونة والسلاح ويتلقوا المساعدات من البلدان المجاورة[1]، وعلى هذا الأساس كان لابد على الفرنسيين من إخضاع كل المناطق الصحراوية المتبقية[2].

إلى جانب رغبة فرنسا في القضاء على الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجنوب، ومن بين أهم الثورات التي حدثت في الصحراء ثورة الزعاطشة 1849م بزعامة الشيخ بوزيان، وانتفاضة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله في ورقلة 1851م، وثورة بن الناصر بن شهرة 1851-1875م، وثورة أولاد سيدي الشيخ 1869م، وثورة المقراني[3] 1871م، وبهذا اتسعت المقاومة الشعبية في الجزائر لتشمل أغلب مناطق الشمال والجنوب الجزائري، إلا أن الإدارة الاستعمارية استطاعت القضاء عليها بالتواطؤ مع بعض الجزائريين[4].

وقد زار الرحالة الألماني جيرهارد رولفس[5] إقليم توات سنة 1864م، وشاهد بنفسه مدى فعالية مشاركة أهل الجنوب للشمال، فقال على الخصوص: **"قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى ما دام**

---

[1] - إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 76.

[2] - رضوان شافو، المرجع السابق، ص 42.

[3] - ولد مُحَمَّد المقراني بن أحمد المقراني مابين 1810-1820 بناحية مجانة بولاية برج بوعريريج، في أسرة كبيرة وعريقة عاشت منذ قرون في قلعة بني عباس، وهي ذات مكانة سياسية بارزة قبل الاحتلال وحتى بعده، شاركت إلى جانب أحمد باي في صّد الغزو الفرنسي على قسنطينة سنة 1837، عين باشاغا على منطقة مجانة، وفي 16 مارس 1871 قاد المقاومة ضد الفرنسيين، ووجه رسالة إلى الجنرال أوجرون Oujiroun "يخبره إنّني أستعد اليوم لقتالكم، فلنحمل السلاح وليتأهب كل واحد منا للقتال". ينظر: بورنان سعيد، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830م-1962م رواد المقاومة الوطنية في القرن 19م**، دار الهلال، الجزائر، ط2، 2004، ص 163.

[4] - أحمد مريوش، **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916**، مجلة المصادر، الجزائر، ع 11، 2005، ص ص 121-123.

[5] - **جيرهارد رولفس (1831-1896)**: ولد في 14 أفريل 1831، في بلدة فيغزاك القريبة من بريمن، وقام برحلات عديدة بدء من عام 1862 في المغرب والجزائر وطرابلس الغرب، ومن أهم رحلاته: رحلة عبر إفريقيا. ينظر: أتيلو موري، الرحلة والكشف الجغرافي في ليبيا، تر: خليفة مُحَمَّد تليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1971، ص 74.

الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران"[1].

كما لخصت بعثة فلامون (Flamand) المرسلة إلى منطقة تيديكلت سنة 1899م في تقريرها الخاص مجمل الدوافع التي جعلت فرنسا تسعى للسيطرة على الصحراء الجزائرية، حيث كتب فلامون يقول: **"من المهم ومن دون تأخير ربط واحة عين صالح بالجزائر العاصمة إما عن طريق عين الصفراء أو عن طريق ورقلة، وبعدها إتمام الطريق الصحراوي وصولاً إلى تنبكتو**[2]**، وهي الوسيلة العملية الوحيدة للاستعمار وأيضا لكي لا تكون هذه المنطقة ملجأ دائم لإثارة الاضطرابات"**[3].

وقد أدركت السلطات الفرنسية، منذ ترسيخ احتلالها للجزائر أن الجنوب الجزائري يعد حجر الزاوية لاستكمال مشروعها الاستعماري باتجاه إفريقيا جنوب الصحراء، نظرا لما يتمتع به من موقع استراتيجي هام، يجعلها تتحكم في الجزائر وتقضي على المقاومات الشعبية، ويمّكنها من السيطرة على المغرب الأقصى، وغرب إفريقيا وربط هذه المستعمرات ببعضها البعض، فضلا عن كونه يزخر بخيرات زراعية ومعدنية من شأنها أن تخدم الاقتصاد الفرنسي مستقبلا[4].

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية

إن الاهتمامات التجارية كانت حاضرة عند مؤرخي الاستعمار الفرنسي للصحراء، منذ بداية توسعاتهم نحو الجنوب الجزائري إذ جاء: **"إن الاهتمام الأساسي لراندون (Randon) كان البحث**

---

[1] - Malte Brun, **Résumé Historique et Géographique de de l'Exploration de Gerhard Rolfs à Touate et In-Salah**, Paris, 1866, p 67. نقلا عن إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 77.

[2] – **تنبكتو**: اسم مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان عام 610هـ، وهي تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحى نهر النيجر بحوالي 12 ميل، وتعود تسمية المدينة إلى امرأة من الطوارق تدعى "بكتو"، ويحتوي المكان على بئر يسمى "تين" كان الطوارق يتركون أشياءهم عندها ويسمون المكان "تين بكتو". ينظر: عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تر: هوداس، باريس، 1964، ص 20. ينظر أيضا: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، تر: مُحَّد حجي، مُحَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص 165.

[3] – تواتي بومهلة، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**، دار المعرفة، الجزائر،ط1، 2012، ص ص 21-22.

[4] – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي** ...، ص 85.

عن سوق للعلاقات التجارية مع السودان حسب رأيه، والوصول إلى تبادل تجاري مع قوافل الرحل التي تتبادل معها المنتوجات الصناعية وتعطيها الآلات "[1]. وعليه يمكن أن نحصر الدوافع الاقتصادية الفرنسية فيما يلي:

1- السيطرة على مسالك التجارة العابرة للصحراء:

إن الرغبة في الهيمنة على مسالك التجارة الصحراوية، هو أهم سبب لاهتمام الفرنسيين بالصحراء الكبرى، ففي القرن التاسع عشر ميلادي كان الممر الرئيسي للقوافل السودانية هو طرابلس الغرب- غدامس- غات – زيندر – كانو، وأهم طريقين كانا غات وغدامس، وعبرهما يمكن الوصول إلى تنبكتو مرورا بعين صالح، لذلك تحركت فرنسا للاستيلاء على المناطق الجنوبية، من أجل السيطرة على التجارة الصحراوية، وربط مختلف أقاليمها بشبكة من الطرقات بسواحل البحر الأبيض المتوسط[2].

فقد كان إقليم توات يعتبر نهاية قوافل حوض البحر الأبيض المتوسط ويعتبر إقليم الأزواد بداية لغرب إفريقيا، والإقليمان يشكلان ممران طبيعيان لتجارة السودان الغربي وبضائع الشمال الإفريقي وارتبطت الصحراء مع السودان الغربي بمسالك عديدة، كما ارتبط بالمناطق الخارجية بمسالك أخرى، وقد شكلت القوافل التجارية همزة وصل بين المنطقتين، وما ساعد على ذلك معرفة التجار لمسالك الصحراء واكتسابهم الأساليب الملائمة في التجارة، ما جعلهم روادا للتجارة الصحراوية، فأقاموا المراكز التجارية عند تخوم نهر النيجر والصحراء ليسهل عليهم الاتصال فيما بينهم[3].

كما سعت فرنسا إلى استغلال هذه الطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات إفريقيا، وجعل الصحراء سوق استهلاكية لمنتجاتها، وهذا ما ورد في قول المارشال سولت (Soult) وزير الحربية: **"... إن الصحراء في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية ..."**[4].

---

[1] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 127.

[2] -Khalifa Chaouch, **Le commerce caravanier au Maghreb et ses mutations au cours de l' ère coloniale**,The Maghreb Review ,Volume 12,numéro 3-4(Mai – Aout 1987) pp.99-104.

[3] – محمد الصالح حوتية، **توات والأزواد**، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص ص 141-142.

[4] – تواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 23.

وقد كشف المارشال بيجو (Bugeaud)[1] في وقت مبكر أمام غرفة البرلمان الفرنسي يوم 24 جانفي 1845 قائلا: **"هل تعلمون لماذا ذهبنا إلى غاية بسكرة وعند أولاد نايل، من أجل فتح طرق تجارية إلى الداخل، أي قمنا بما قام به الإنجليز "حرب المصلحة" لقد مشينا والسيف في يد والمحراث في اليد الأخرى ..."**[2]. ويصف التقرير الذي أرسله إلى المارشال سولت في نفس الاتجاه وفيه يقول: **"وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية ..."**[3].

وقد جاء **براكس** (PRAX) إلى تقرت سنة 1847م على رأس بعثة استكشافية للقيام بمهمة سرية تمثلت في دراسة تجارة المنطقة وحركة السوق فيها، وكمية البضائع التي تصدرها وتستوردها، والانتماء القبلي للقائمين على التجارة ترجمة حقيقية للسيطرة على الحركة التجارية بتقرت[4]، وعملت فرنسا على إنجاز شبكة من مواصلات السكك الحديدية تربط بين الجزائر والمدن الصحراوية مرورا بورقلة وعين صالح وغيرها، ثم الانتقال إلى انجاز طرق حديدية أخرى تكون عابرة للصحراء لربط المستعمرات الفرنسية بعضها ببعض، ومد أسلاك الهاتف وفتح مكاتب البريد[5].

ومن المشاريع التجارية التي أنجزت في الصحراء مشاريع الجنرال **دوفو** (Devaux) المتمثلة في حفر الآبار وشق الطرق وفرض الأمن، حيث كان دوفو على قناعة كبيرة بضرورة احتلال الصحراء، بهدف حماية الوجود الفرنسي في قسنطينة واستغلال خيرات البلاد، ومن هذا المنطلق تم خروج قافلتين تجاريتين من بسكرة إلى جنوبها يوم 13 جويلية 1844م، تهدف إلى معرفة أسواق المدن الداخلية، فاتجهت الأولى

---

[1] – **الجنرال بيجو** (1784-1849): هو توماس روبار بيجو دولا بيكونري ينحدر من أسرة إيرلندية، درس التاريخ والجغرافيا وحفظ الكثير من الشعر انضم إلى الجيش في صفوف الحرس الإمبراطوري 1804، تواجه مع الأمير عبد القادر قرب التافنة وعقد معه معاهدة سنة 1836 رقي ليعين حاكما عاما على الجزائر سنة 1841، ولأجل تحقيق الاحتلال الشامل والاستيطان قرر تطبيق سياسة مدنية وعسكرية ضد المقاومة، استهدف بها كل القبائل التي تزعمت المقاومة أو ساندتها. ينظر: فاطمة حباش، **رسالة شكوى سي سليمان بن حمزة إلى حاكم البيض الضابط بيران**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، ع 11، 2014، ص 333.

[2] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 128.

[3] - E. Mangin , **Notes sur L´histoire de Lagouat**, **R.A**, Alger, N° 38 , 1894, p87.

[4] – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي** ...، ص ص 79-80.

[5] – تواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 23.

إلى تقرت، والثانية إلى عين صالح، ما أدى إلى فتح الباب لقوافل أخرى منها قافلة التاجر غارسيال (Garsial) الذي زار بسكرة عام 1848م، ولإعطاء هذا الاهتمام الاستكشافي والعلمي للصحراء صبغة سياسية، قام الماريشال سولت 1845م بإرسال تقرير للملك لويس فليب يشير فيه إلى ضرورة اعتبار الصحراء أو المناطق الواقعة جنوب التل الجزائري نوعاً ثالثاً من المناطق الإدارية[1].

2- البحث عن الأسواق التجارية

أدى قيام الثورة الصناعية إلى كثرة الإنتاج وتراكمه بالمصانع والمخازن، ولم تستطع الأسواق المحلية أن تستوعبه، ولم تفلح سياسة فرض الضرائب الجمركية على السلع الواردة من الخارج لمقاومة تراكم الإنتاج المحلي، ولم تجد الدول الأوربية الصناعية وعلى رأسها فرنسا حلا إلا الاستعمار لكسب أسواق جديدة خارج أوربا لإنتاجها الصناعي، فتنافست على ذلك وتصارعت بشكل مخيف فيما بينها وحالفها الحظ في ذلك بسبب تفوقها الحربي والصناعي الذي اتخذته أداة لتحقيق ذلك[2].

وقد رأت البورجوازية الفرنسية أن احتلال كل القطر الجزائري سوف يجلب لها الخير الكثير باعتبارها سوقا رائجا لبضائعها، وموردا هاما للمواد الخام، خاصة في الجنوب الجزائري الزاخر بالمعادن، إلى جانب إمكانية جلب الأيدي العاملة الرخيصة لصناعتها وتوطين الفائض من سكان فرنسا وحتى أوربا، لهذا فمن المحتمل أن تصبح الجزائر في يوم من الأيام مخزن أوربا مثل ما كانت عليه في العهد الروماني[3].

ولم يكن الاهتمام التجاري الأوربي ينحصر في الشمال فقط، بل امتد أيضا إلى الجنوب، حيث كانت الصحراء مبعث إغراء للمغامرين وللتجار، ومن ثم صارت الصحراء من دوافع التوسع الفرنسي فيها، وهو ما عبر عنه شارل فيرو بقوله: **"إنه باحتلال ورقلة يمكن إقامة إدارة فرنسية قوية أساسها السوق التجارية بهذه المدينة، التي ستكون هامة للأوربيين والعرب والميزابيين والسود واليهود لأن في الصحراء ثروة هامة ذات مداخيل معتبرة"**[4].

---

[1] – احميده عميراوي، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2007، ص 124.

[2] – يحي بوعزيز، **الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، دار البصائر، الجزائر، ط خ، 2009، ص 10.

[3] – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي** ...، ص 80.

[4] - Charle Féraud, **Notes historiques sur la province de constantine, les beni djeleb,sultans de Touggourt,** R A, N° 31, 1887,p 29.

وقد أكَّد دوماس على أهمية التجارة في الجنوب الجزائري، بقوله: **"تعد بسكرة مركزا هاما للتجار العرب الوافدين من بوسعادة وأولاد نايل وتقرت ووادي سوف ونفطة، مثلما تعد بقية المدن الأخرى وهي سبدو وسعيدة وفرندة وتبسة وغيرها أهم المراكز التجارية الداخلية، لهذا فالضرورة تقتضي توسيع احتلالنا من أجل تطوير تجارتنا إلى داخل إفريقيا"**[1].

3- البحث عن المواد الأولية:

ومن الأسباب الأخرى التي دفعت بفرنسا لاحتلال الصحراء، هو رغبتها في الاستحواذ على الثروات الطبيعية والمعدنية والطاقوية لتحقيق استثمار صناعي، خاصة مع إدراك فرنسا أنها متخلفة صناعيا، بالمقارنة مع منافستها بريطانيا في تلك الفترة، ولكي تستطيع فرنسا استغلال هذه الثروات قامت بتأسيس الكثير من الجمعيات والشركات الاحتكارية، مثل: جمعية التجارة لإفريقيا الغربية، البنك التجاري الإفريقي، والشركة الصناعية التجارية لإفريقيا، الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر، وذلك ليتسنى لها فتح أفاق مستقبلية واسعة تساهم في بناء تجارتها وازدهارها وربطها بإفريقيا الداخلية[2]، وفي هذا الإطار يقول الاقتصادي الفرنسي بول ليروا بوليو (P. Leroy beaulieux) **"يتراءى لنا أن الصحراء الجزائرية على جانب كبير من الثروة المعدنية والمدخرات المنجمية المتنوعة"**[3].

وبالفعل، وبعد إرسال البعثات الاستكشافية الصحراوية وإنجاز الدراسات الجيولوجية، تبين أن الصحراء تزخر بكميات هائلة من المعادن، وخاصة منطقة توات التي تحتوي على معادن كثيرة ومتنوعة تحتاجها فرنسا لازدهار صناعتها، منها اكتشاف الفحم الحجري من طرف الأستاذ فلامون (Flamand)، كما أشار الباحث رولان (G. Rolland) إلى أن المنطقة الشرقية من هضبة تادمايت وحوض واد إرارة تحتوي على مركبات من الكبريت، وهو يستعمل من طرف السكان لمداواة جلود

---

[1] -E. Daumas, **le sahara Algérien "études géographiques, statistiques et historiques du sud"**, Paris, 1845, p p 7-9.

[2] – تواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 23.

[3] – أندري نوشي وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: رابح اسطمبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984، ص 385.

الجمال المريضة، كما يستعمل في واحات توات لصناعة البارود، أما الذهب فتشتهر به المنطقة منذ القديم بتداولها في بيعها وشرائها بمسحوق الذهب المجلوب من السودان، كما لاحظ فورو (F. Foureau) عند اجتيازه لمنطقة توات عدَّة أحجار حمراء من أصل معدن الحديد، أما بول صولييه فقد اكتشف وجود معدن الحديد بكميات كبيرة في حمادة تسمى الشعاب[1].

كما تم العثور على أكسيد المنغنيز في حمادة المناطق الجنوبية الغربية من الجزائر، وفي بعض الأماكن من هضبة تادمايت، إلى جانب احتمال وجود معادن أخرى بالصحراء كالنحاس والرصاص والزنك، والأنتيموان الموجود منذ القديم ويستعمله السكان كمادة لتزيين العين يسمى الكحل[2].

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، قامت فرنسا بتوقيع معاهدة غدامس مع زعيم التوارق إخنوخن في 26 نوفمبر1862 لربط علاقات صداقة مع رؤساء التوارق ومن بين أهم بنودها[3]:

1- إقرار الصداقة والتبادل المشترك لحسن النوايا بين السلطات الفرنسية ومختلف فروع قبائل التوارق.

2- حرية ممارسة التوارق تجارتهم مع بلاد السودان، وفي الأسواق بالجزائر دون أي شرط ما عدا أداء المكوس العادية.

3- التزام التوارق بتسهيل وحماية التجار المفاوضين الفرنسيين، والأهالي الجزائريين المارين عبر مواطنهم وإلى بلاد السودان ذهابا وإيابا، وكذلك حماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا حقوق الرسوم.

4- تلتزم الولاية العامة للجزائر وزعماء التوارق بتحديد الطرق التجارية المربحة وفتح السبل للتجارة الفرنسية إلى السودان، ولإثبات حسن النوايا نحو التوارق فإن ريع هذه التجارة ستعود بالفائدة على الجميع بتحسين أحوال الطرق وحفر الآبار وإصلاح ما هو قائم بها.

[1] - إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1932**، ص 84.

[2] - المرجع نفسه، ص 85.

[3] - إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومه، الجزائر، 2009، ص 415.

المبحث الثالث: أثر التطور العلمي في التوسع الفرنسي

عرفت نتائج البحوث العلمية ازدهارا وتطورا لم تعرف البشرية له مثيلا عبر تاريخها الطويل وساعدت تلك الاكتشافات على التغلب على الأمراض الشائعة آنذاك بالأدوية الحديثة والقضاء على الأوبئة والحشرات المؤذية والمنومة برشها بالمبيدات الفتاكة، وأمكن التغلب على الحيوانات المفترسة بقتلها من مسافة بعيدة وتوفرت أجهزة الحفر وفتح القنوات وشق الأنفاق واختراق الجبال والوديان بمد الجسور، كل ذلك ساعد الفرنسيون على الدخول إلى غابات إفريقيا وخوض غمار وسطها الموحش والمخيف، ومن جهة ثانية، ساعد العلم والتكنولوجيا على تطبيق المخطط الاستعماري لاختراق المناطق الواقعة جنوب الصحراء[1]، وبسط السيطرة الفرنسية على غرب القارة بعد مؤتمر برلين الثاني 1884-1885[2].

ومن بين الدوافع التي دفعت بالفرنسيين للتوغل في الصحراء، الفضول المعرفي وخدمة العلم والجغرافيا، لمحاولة ملء الفراغات التي كانت آنذاك تميز المناطق الداخلية عن القارة الإفريقية، وجعل المنطقة منطلقا للمهام الاستكشافية وهذا بمساعدة أهاليها، إذ أن قادة الاحتلال وهم في الجزائر العاصمة قد استخبروا عددا غير قليل من أهل بسكرة المشتغلين بالعاصمة، وتزودوا منهم بمعلومات هامة عن المنطقة وعن سكانها، الأمر الذي مكنهم من جمع معلومات قيمة سهلت لهم عملية التوسع[3].

بالإضافة إلى مهمة الآباء البيض لنشر المسيحية في أعماق الصحراء، قامت جمعية الآباء البيض بتأسيس مراكز لها على حواف الجنوب الجزائري، مثل بسكرة وورقلة ووادي ريغ، والتي كانت بمثابة المراكز العلمية[4]، كما كان للثورة الصناعية دورٌ كبيرٌ في هذه الأسباب، التي يمكن اعتبارها أكثرها صلة بالاستكشاف والاستعمار، والمتعلقة بما يلي:

---

[1] - إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة الاستكشافية في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1946، ص 289.

[2] – للمزيد حول مؤتمر برلين الثاني ينظر: علي قشاشني، **مؤتمر برلين 1884–1885 وانعكاساته السياسية والاقتصادية على غرب إفريقيا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2015-2016.

[3] – مُحَمَّدو بن محمذن، **الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع 20، ديسمبر 2003، ص 160.

[4] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 43.

أ- تطور وسائل النقل والمواصلات:

مثل استخدام الطاقة البخارية في تحريك آلات المصانع وتسيير القاطرات والسفن إنجازاً كبيراً من إنجازات الثورة الصناعية، وقد شجع هذا التطور على مد آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية محدثاً قفزة كبرى في مجال المواصلات البرية، ولم تبق المواصلات البحرية بمنأى عن هذه التطورات، إذ أن توليد الطاقة البخارية كان قد مكن من استخدامها في مجال تسيير السفن والبواخر وفي صناعتها أيضا، وتطورت تقنيات ووسائل صناعة السفن حيث رأت النور سفن وبواخر تسير بالقوة البخارية وتتسع لآلاف المسافرين وباستطاعتها نقل عشرات آلاف الأطنان[1].

كما أن استخدام الطاقة البخارية المتولدة من الفحم والطاقة الكهربائية المتولدة من البترول، شجع تطور الصناعات الحديدية، فبدأ الحديد يحل تدريجياً محل الخشب في صناعة السفن، وظهرت سفن جديدة أكثر مقدرة على مواجهة الكوارث المناخية، وأصبح الربط بين مختلف أنحاء المعمورة يتم بصورة أكثر سرعة وفي ظروف أكثر أمانا[2]، وكان من الطبيعي أن يساهم تطور وسائل النقل في أوربا وشيوع انتشار الآلة البخارية، وكذلك استخدام الكهرباء والبترول ومشتقاته، واختراع المحرك ذي الاحتراق الداخلي، تشجيع وتسهيل حركة الكشوفات الجغرافية وبالتالي الرحلات الاستكشافية.

ب- الطباعة[3]:

من التطورات الناجمة عن الثورة الصناعية أيضا ما ارتبط بوسائل وتقنيات الطباعة والنشر، إذ انتشرت المطابع وأدخلت تحسينات تقنية مهمة عليها، فتطورت صناعة الورق والحبر، ما أدى إلى انخفاض تكاليف الطباعة وانتشارها، وسهل وسرع نشر الكتب والجرائد والمجلات، فسارعت البورجوازية

[1] - مُحَمَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 160.

[2] - المرجع نفسه، ص 160.

[3] - **الطباعة:** ظهرت أول آلةٍ للطباعة بالشّكل الحديث في ألمانيا على يد يوهانز غوتنبرغ (1397-1468) في منتصف القرن الخامس عشر، بعد أنْ تطوّرتْ تقنياتُ الطباعة على مر السنوات في تلك القارة، واستخدمت الحروف البارزة وتقنيات تَجميع الحروف لِعمل قوالب مَكتوبة بشكلٍ بدائي من المعدن بعد أن ظلت لمئات السنين تُصنع في الصين من الخشب أو الخزف. ينظر: أسامة زيد وهبة الصيادي، **أهم الاختراعات والاكتشافات في تاريخ الإنسانية**، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011، ص 56.

بتقديم الدعم للمؤلفين والأدباء، مشجعة نشر وتعميم أفكارهم الداعية إلى التجديد والتغيير، لأن ذلك يتطابق وفلسفة تلك الطبقة وطموحاتها، وقد استفادت كتابات الرحالين والمستكشفين من هذه الوضعية، فتم الإسراع بنشرها لتتلقفها الأيدي وتتداولها بسرعة، مما منحها شعبية كبيرة وربطها بالتالي بالرأي العام الغربي[1].

ج- الجمعيات الجغرافية:

بدأت هذه المؤسسات في الظهور خاصة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، أسسها بعض العلماء والباحثين والساسة، كانت تهتم في المقام الأول بالدراسات والكشوفات الجغرافية عبر مختلف بقاع المعمورة، وذلك حسبما يقال لملء الفراغات الموجودة حتى ذلك الحين، خاصة في العديد من المناطق الداخلية، وبعد هزيمة فرنسا سنة 1871م في حربها مع ألمانيا، استيقظ الشعور القومي لديهم، ما ولد موجة جديدة من تأسيس الجمعيات الجغرافية في مختلف المدن الفرنسية، وكان لظهور الجمعيات الجغرافية المختلفة دور في دفع حركة الكشوفات الجغرافية، كما قامت باحتضان المستكشفين والرحالين والشباب المولعين بالرحلات والأسفار، عن طريق تقديم التمويلات اللازمة وتخصيص الجوائز لمن يكون له السبق في اكتشاف منطقة ما[2]، هذا فضلا عن تزويدهم بالتوجيهات والإرشادات اللازمة، وبالأدوات العلمية الضرورية، وكانت هذه الجمعيات الجغرافية تسارع إلى نشر تقارير ورحلات المستكشفين في المجلات المتخصصة التي كانت تصدر[3].

د- المجلات:

ولعل من أهمها مجلة **الجمعية الجغرافية الباريسية** 1821-1865" Bulletin de la Société de Géographique de Paris التي ظهرت سنة 1821م، وفي العقد السادس من القرن التاسع عشر

[1] - مُحَمَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 160.

[2] - خصصت الجمعية الجغرافية الباريسية جائزة عشرة آلاف فرنك لأول أوربي يصل تنبكتو ويعود منها ببعض المعلومات المهمة، وقد كانت هذه الجائزة من نصيب الفرنسي روني كاييه. ينظر:

Edmé François, Jomard, **Remarques et Recherches géographiques sur le voyage de Caillié dans l'Afrique centrale,** Imprimerie Royale, Paris, 1830, pp 355-357.

[3] - مُحَمَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 161.

ميلادي برزت إلى الوجود مجلتان هما "**حول العالم** 1860-1914" Tour du Monde، "**والمجلة الجغرافية** 1861-1875" Revue Géographique، كما لا يقل شأن "**المجلة الاستعمارية** 1843-1859" Revue Coloniale عن شأن المجلات السالفة الذكر، وكانت بداية ظهورها سنة 1843 وأخذت تسميات متعددة على مدار القرن فأصبحت تدعى "**المجلة الجزائرية الاستعمارية** 1859-1860" Revue Algérienne et Coloniale بين سنتي 1859- 1860م، ثم أصبحت تعرف بـ"**المجلة البحرية الاستعمارية** 1861-1895" Revue Maritime et Coloniale بين سنتي 1860-1861م، وأخيرا "**المجلة البحرية**" سنة 1896م، كما أصدرت غالبية الجمعيات الجغرافية مجلات خاصة بها على غرار مجلة الجمعية الجغرافية الباريسية مساهمة في تغطية وتشجيع حركة الاكتشافات، التي أصبحت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مسألة تسابق مع الزمن بغية بسط السيطرة الاستعمارية على المنطقة[1]

المبحث الرابع: دوافع خاصة بالرحالين والمستكشفين

استهوت الصحراء الجزائرية المستعمرين والمغامرين الأوربيين وأسالت لعابهم، وأصبحت منطلقا أساسيا في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي، وذلك لاستكمال تحقيق حلمها القديم والداعي إلى تكوين إمبراطورية استعمارية، بدءا من شمال إفريقيا مرورا بالصحراء ووصولا إلى غرب إفريقيا، خاصة وأنه كانت لفرنسا مستعمرات لتجارة الرقيق في السنغال وغيره[2].

فاختلفت دوافع قيام الرحالة والمستكشفين بخوض هذه التجارب باختلاف أصحابها والجهات التي تقف وراءهم، وهناك من كانت تدفعه المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب والخروج عن المألوف، ومنهم من كان يحركه البحث عن مصادر الثروة والمال ويدفعه السعي إلى تحصيل المكاسب المادية من وراء المتاجرة أو للحصول على جائزة[3].

---

[1] – نذكر بعض المجلات الخاصة بالجمعيات الجغرافية على سبيل المثال لا الحصر:

– مجلة **الجمعية الجغرافية لمدينة ليون** Lyon وقد صدرت سنة 1874م. مجلة **الجمعية الجغرافية لمدينة مارسيليا** Marseille وقد صدرت سنة 1877م. مجلة **الجمعية الجغرافية لمدينة مونبلييه** Montpellier وقد صدرت سنة 1878م. مجلات **الجمعيات الجغرافية لمدن نانت** Nantes – تولوز Toulouse وليل Lille وقد بدأت في الصدور سنة 1882م.

[2] – يحي بوعزيز، **الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، ص41.

[3] – مُحَمَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 158.

وهناك من المستكشفين والرحالين ما دفعته دواعي دينية للقيام برحلته، واضعا على عاتقه التبشير بعقيدته عبر المزيد من البقاع المكتشفة، ومنهم من كان يقوده الفضول المعرفي وخدمة العلوم والجغرافيا إلى محاولة ملء الفراغات التي كانت آنذاك تميز المناطق الداخلية من القارة الإفريقية، ومن بينهم من كانت تغريه نزعة سياسية استعمارية، فيسعى إلى ارتياد مناطق جديدة خدمة لتجارة بلده أو سعيا إلى جمع المعلومات المختلفة عن المناطق المزورة، تمهيدا للسيطرة عليها وإخضاعها تطبيقا للمقولة الشهيرة **"يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم"**[1].

لقد كان الإنجليز والألمان السباقون إلى اكتشاف القارة الإفريقية وخاصة المناطق الداخلية منها، وخوفا من استحواذ هاذين البلدين على القارة السمراء قررت فرنسا تشجيع مواطنيها للقيام برحلات لاستكشاف الأجزاء غير المعروفة من هذه القارة، ولتحفيزهم على القيام بذلك قررت الجمعية الجغرافية الفرنسية تخصيص مبلغ مالي كمكافأة لأول فرنسي ينقل ملاحظات إيجابية دقيقة عن دواخل إفريقيا وعن مدينة تنبكتو[2].

ويمكن تصنيفهم إلى مستكشفين متمرسين (مدنيين وعسكريين) وهم رحالة محترفين لامتهناهم الترحال وحبهم الأسفار، من بينهم موليين (Mollien) روني كاييه (Renie Caillié) بول صوليييه (Paul Soleillet) بلانشي (Blanchet) كروفل (Gruvel) وشودو (Chudeau)[3].

أما الفئة الثانية فقد اعتبرنا أصحابها مجرد "مستكشفين"، لأنهم اقتصروا على القيام بمهمات استكشافية محدودة لم ينجزوا أثناءها رحلة طويلة وكانوا في مهمات رسمية (مأمورين) ويندرج ضمن هذه الفئة كاي (Caille) فلكران (Fulcrand) فنسانت (Vincent) دوني (Donnet) وفابير (Fabert)[4].

ومن بين أهداف الرحلات الاستكشافية الفرنسية، دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في ذلك الحين، وهي السياسة الطامحة إلى السيطرة على الجنوب الجزائري، بغية ربط المستعمرات الفرنسية جنوب وشمال هذه المنطقة (الجزائر والسنغال)، فدراسة السكان استهدفت سبر أغوار المجتمع العربي لمعرفة مكّوناته ونقاط ضعفه بحثا عن

[1] – مُحَمَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 158.

[2] - A. Bernard et Lacroix, **La pénétration Saharienne,** Gouvernement Général de la France, Alger, 1906, pp 13-14.

[3] - Eugène Mage, **Voyage dans le Soudan occidental (Sénégambie-Niger) 1863-1866**, Paris, Hachette, 1868, p 150.

[4] – مُحَمَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 159.

منفذ يمكن الفرنسيين من النفاذ إلى نقاط الضعف تلك، لتفكيك هذا المجتمع من الداخل ولإبعاد أية مقاومة من شأنها أن تواجه بجدية مشاريع إخضاع البلاد للاستعمار الفرنسي[1].

أما دراسة المكان، فقد سعت في المقام الأول إلى جمع ما يمكن جمعه من معلومات عن الطرق والمسالك والمواقع الإستراتيجية لتمركز ومرابطة الوحدات العسكرية الفرنسية في المستقبل، ويرتبط بهذه المسألة التنقيب عن المياه وتحديد مواقعها، نظرا لدورها في تموين أية بعثة أو فرقة عسكرية تنوي عبور المجال البيضاني، واهتمت هذه الدراسة كذلك بالموارد الاقتصادية للمنطقة وخاصة ثرواتها المعدنية المحتملة، ويدخل في نطاق الرحلات الاستكشافية ذات المرامي الاستعمارية محاولات الفرنسيين عبور المجال البيضاني، ليس فقط للربط بين السنغال والجزائر سعيا إلى تعزيز الوجود الاستعماري الفرنسي، وإنما كذلك إلى مواجهة محاولات التوسع الإنجليزية والإسبانية والألمانية في المنطقة[2].

المبحث الخامس: تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية

كان لكثير من بلدان إفريقيا وآسيا أهمية إستراتيجية في الميدان العسكري، بسبب أهمية المواقع الجغرافية التي تحتلها، وتفطنت الدول الاستعمارية لذلك، فأخذت تتنافس من أجل الحصول عليها لإقامة القواعد العسكرية البرية والبحرية التي تحمي بها مصالحها وأراضيها الاستعمارية، وتزَّود منها جيوشها بالطاقة البشرية التي تلقي بها في الحرب، وعلى هذا الأساس سيطرت بريطانيا على جبل طارق ومالطة وقبرص وقناة السويس وعدن لتأمين مواصلاتها إلى مستعمراتها بالهند والشرق الأقصى، واستطاعت هي وفرنسا أن تحصلا على النصر في الحربين العالميتين، بفضل المساعدات المادية والبشرية التي حصلتا عليهما من مستعمراتهما[3].

كما اشتدت المنافسة بين هاتين الدولتين للسيطرة على أهم المناطق في العالم، مستخدمين في ذلك أسلوب علمي يخدم منظومتهما الاستعمارية، والمتمثلة في البعثات الاستكشافية التي بدأتها بريطانيا أولا لتجاريها فرنسا فيما بعد؛ خوفاً من استفرادها بالمواقع الإستراتيجية بالقارة السمراء، وخاصة في الصحراء الكبرى. وقد زاد حماس الفرنسيين لهذه الكشوفات بعد نجاحها باحتلال الجزائر واعتبارها أرضا فرنسية

[1] – مُحَّدو بن محمذن، المرجع السابق، ص 162.

[2] – المرجع نفسه، ص 163.

[3] – يحي بوعزيز، **الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، ص 11.

بموجب المرسوم الملكي الصادر سنة 1834م، وبدأت الإدارة الفرنسية أولى مراحل توسعها نحو الجنوب بإرسال البعثات الاستكشافية، بهدف البحث في المظاهر الطبيعية والجغرافية الخاصة بالمنطقة، ودراسة المجموعات السكانية ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وحضارتهم[1].

وعرفت عملية التوسع نحو الجنوب تطوراً كبيراً، خاصة بعد التعرف على مسالك الصحراء وطرقها التجارية وعلى جميع خصائصها وسكانها معاً، لتأتي بعدها المرحلة الثانية للتوسع الفرنسي، من خلال شق الطرقات، وفتح المعابر، ومد السكك الحديدية، وأسلاك الهاتف، وإنشاء مراكز عسكرية تؤمن تواجدهم في مختلف مناطق الصحراء والاستثمار في مختلف الزراعات الصحراوية التي تفتقر إليها فرنسا ودول أوربا[2].

وكان مخطط التوسع الانجليزي في إفريقيا، يستهدف إنشاء سلسلة قوية من المستعمرات الممتدة من الإسكندرية في الشمال إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب، بينما كانت الخطط الفرنسية تستهدف إنشاء مستعمرات من المحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر الأحمر في الشرق[3]، وكانت السنغال التي استولت عليها فرنسا في القرن السابع عشر ميلادي بمثابة نقطة الوثوب الرئيسية للتوسع جنوب الصحاري وأصبحت "**فورت**" المدينة التي بنيت على مسافة 800 ميل من ساحل البحر على قطعة أرض اشتريت من السلطان المحلي، هي الموقع الأمامي للتوسع الاستعماري في غرب السودان[4].

وتقدَّم الفرنسيون ببطء وشَّيدوا مواقع قوية، وأبرموا معاهدات مع الحكام المحليين ليتيحوا لأنفسهم مهلة من الزمن، واستطاعوا بذلك أن يستولوا على أراضي جديدة، ولاقوا في سبيل الاستيلاء عليها مقاومة عنيفة من قبائل التوارق والوولوف والمالنكي والتكرور وغيرهم[5].

---

[1] – أحمد مريوش، المرجع السابق، ص ص 114-115.

[2] – المرجع نفسه، ص 118.

[3] – فيج. جي. دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، ط1، 1982، ص ص 308-309.

[4] – ي.ساقلييف، ج.فاسلييف، **الموجز في تاريخ إفريقيا**، تع: أمين الشريف، دار الطباعة الحديثة، مصر، ص ص 59-60.

[5] – المرجع نفسه، ص 60.

وبعد أن استولت فرنسا على الجزائر سنة 1830م انتزعت ملكية الأراضي من أصحابها وأعطوها للمستوطنين الفرنسيين، وربط هؤلاء القوم مصيرهم بالاستعمار، وناصروا التوسع الفرنسي بقوة وجاء الدور بعد الجزائر على تونس، إذ عبرت ثلاث فرق عسكرية فرنسية الحدود من الجزائر إلى تونس سنة 1881م، وعرض الفرنسيون على باي تونس معاهدة تنص على بسط حماية فرنسا على تونس، وتركزت كل السلطات في يد المقيم العام الفرنسي الذي تولى منصب رئيس الوزراء، وأوتي حق الاعتراض على قرارات الباي وتم تعيين قائد القروات الفرنسية في تونس وزيرا للحربية[1].

وعندما تولى نابليون الثالث حكم فرنسا عام 1848 وضع مشروع التوسع داخل السنغال وعين الجنرال "فيدارب" حاكما على المنطقة فجرد حملات كبيرة لإخضاع المنطقة الداخلية، واشتبك مع الإمارات القائمة هناك بحروب دامية استمرت عشرات السنين انتهت بتوطيد السيادة الفرنسية، واتخذت السنغال كقاعدة للعمليات الحربية الاستعمارية الفرنسية، وأعيد تنظيم إقليم السنغال عام 1860[2].

وبقيت مراكش مستقلة ردحا من الزمن، ولم تبسط فرنسا حمايتها عليها إلا في سنة 1912م واستولت إسبانيا على شمال مراكش، وحالت المنافسة بين الدول الاستعمارية حول الاستيلاء على مراكش دون سيطرة إحداها على البلاد، واشتد الصراع بصفة خاصة بين فرنسا وألمانيا وعقدت عدَّة مؤتمرات لبحث (المسألة المراكشية) وأوشكت الحرب أن تشن بين الدول الاستعمارية مرتين، إلى أن انتصرت فرنسا في النهاية بتأييد إنجلترا، فاضطرت ألمانيا إلى الاعتراف بالحماية الفرنسية على مراكش مقابل الحصول على تعويض من فرنسا في الكونغو، وكان هذا الاتفاق صفقة استعمارية على حساب شعب إفريقيا[3].

---

[1] – ي. ساقلييف و ج. فاسلييف، المرجع السابق، ص 58.

[2] – فرغلي علي تسن هريدي، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر "الكشوف–الاستعمار–الاستقلال"**، دار العلم والإيمان، الإسكندرية ط1، 2008، ص

[3] – ي. ساقلييف و ج. فاسلييف، المرجع السابق، ص 59.

وصل الفرنسيون إلى مدينة بماكو (مالي) في سنة 1883م، فشنوا منها حروبهم ضد ساموري توري وأحمدو زعيما أكبر مملكتين[1]، وفي سنة 1887م قامت فرنسا بعزل المملكتين عن بعضهما البعض عن طريق إرغام أحمدو على توقيع اتفاق خاص يحول دون قيام جبهة موحدة بينهما، وفي سنة 1890م شرعت فرنسا في فتح السودان الغربي كله، فسيرت الحملات الحربية بمحاذاة نهر النيجر، وأقامت معاقل لها على طول الطريق، وتسهيلاً لهذا التوسع قرر الاستعماريون بناء خط سكة حديد يربط بين ساحل السنغال على المحيط الأطلسي ودواخل إفريقيا، وفي سنة 1893م استولوا على جني وتنبكتو ثم سائر البلاد الإفريقية[2].

واستعدادا لمواجهة هذه الظروف، قررت القوات الاستعمارية القيام بعمليات توسعية سريعة وشديدة لتحكم قبضتها على الجنوب الجزائري، حتى تضمن بسط نفوذها على كامل التراب الوطني وبالفعل تم لها هذا بعد القضاء على ثورة الحاج المقراني 1871م، ولتعزيز وجودها الاستعماري بالمنطقة عملت الحكومة الفرنسية بكل ما تملك من إمكانيات لإبعاد خطر منافسة بريطانيا في التوغل داخل الصحراء الجزائرية، لاسيما بعدما راج في ذلك العهد محاولات التوسع الإنجليزية والإسبانية والألمانية في الصحراء، بغية تكوين إمبراطوريات وعليه لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق فرنسي إنجليزي يوم 5 أوت 1890 يجعل كل أراضي الجنوب الجزائري مناطق نفوذ فرنسية[3].

وكانت فرنسا في سنة 1900م قد استولت على جميع الإقليم الواقع حول بحيرة تشاد، وارتكبوا في سبيل ذلك العديد من الأعمال الفظيعة التي تقشعر لها الأبدان، وفي ذلك يقول أحد الشهود "... **كانت هناك قرى خالية على عروشها، أينما قلبت الطرف رأيت عظاما آدمية ... وأشلاء متناثرة على أديم الأرض تنهش فيها الكلاب الضامرة الضخمة** "[4].

---

1 – للمزيد حول توسع الفرنسيين في السودان الغربي ينظر: عبد الحكيم بن تركية، **التوسع الفرنسي في السودان الغربي ومقاومة ساموري توري 1854–1914**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997.

2 – ي. ساقلييف و ج. فاسلييف، المرجع السابق، ص ص 61-62.

3 – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي** ...، ص77.

4 – ي. ساقلييف و ج. فاسلييف، المرجع السابق، ص 63.

كما تقدم الفرنسيون جهة الشرق، حتى وصلوا إلى فاشودة (كودوك) الواقعة في وادي النيل بالسودان الشرقي، وهناك اصطدمت بهم القوات البريطانية القادمة من الشمال، فنشأت أزمة من أخطر الأزمات في تاريخ التنافس الاستعماري على تقسيم إفريقيا ولاحت نذر الحرب بين انجلترا وفرنسا، ولكن فرنسا تقهقرت فسحبت قواتها من السودان الشرقي، ثم وحدت فرنسا مستعمراتها الإفريقية في إقليم واحد أسمته **"إفريقيا الغربية الفرنسية"** وحكمته بيد من حديد[1].

مما تقدم يمكن القول:

– قامت فرنسا بمحاصرة تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي الجزائري بحكم التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريد التونسي ووادي سوف تمهيدا لفرض الحماية عليها.

– تفطن أوروبا إلى ما تحويه الصحراء من خيرات وثروات ورغبتها في اكتشاف عالم جديد (عالم ما بعد الصحراء الجزائرية)، وحاولت الاهتمام بالتجارة الصحراوية ووضع يديها على أهم طرق القوافل التجارية المؤدية إلى غاية السودان الغربي.

– انسحاب معظم المقاومين الجزائريين من الشمال باتجاه الجنوب على أمل تجديد المقاومة ضد العدو، وهذا مثلما حدث مع الحاج أحمد باي عندما سقطت مدينة قسنطينة انسحب إلى منطقة الزيبان ثم وادي سوف، وأيضا مثلما حدث مع المقرانيين عندما فشلت مقاومة المقراني والحداد سنة 1871م انسحبوا إلى الجنوب الشرقي ثم لجأوا إلى تونس.

– كانت منطقة الجنوب الغربي للجزائر محل أطماع المغرب الأقصى، لذلك أبرمت السلطة الفرنسية معه معاهدة لالا مغنية في 23 أوت 1945 لتخطيط الحدود والتزام الحياد، وكان الهدف الحقيقي من وراء هذه المعاهدة كسب الوقت، وتجنب الصراع الذي أجل إلى 30 مارس 1912 وهو تاريخ فرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى.

[1] – ي. ساقلييف و ج. فاسلييف، المرجع السابق، ص 64.

الباب الأول: السياسة الاستعمارية الفرنسية للتوغل في الجنوب الجزائري

الفصل الأول: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري

خلال القرن 19م

المبحث الأول: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري

1860-1830

المبحث الثاني: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري

1881-1860

المبحث الثالث: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري

1899-1881

تمهيد:

شهدت الصحراء الجزائرية طوال القرن التاسع عشر الميلادي توافد العديد من البعثات الاستكشافية، فشكلت بذلك الاستكشافات الأوربية ظاهرة حضارية، أعادت إلينا ولو بشكل آخر تجارب الرحالين العرب المسلمين[1]، وقد أولى المستكشفون[2] الأوربيون اهتماما كبيرا بالصحراء الجزائرية، كما حركتهم دوافع شتى، وواجهتهم عراقيل جمة في محاولاتهم النفاذ إلى الداخل، لم تثنهم عن التقدم في مشروع اكتشاف المنطقة "الجديدة"[3].

أما بداية الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب الجزائري، فقد كانت مع تأسيس لجنة الاستكشاف العلمي من قبل السلطة الفرنسية عام 1837م، حيث شكل القرار الوزاري رسميا عام 1839م هيكلة هذه اللجنة بـ 21 عضوا أغلبهم من أكاديمية العلوم وأكاديمية الآداب والفنون والكليات العسكرية، وهم من مختلف التخصّصات العلمية (آثار، فلك، جغرافيا، أثنوغرافيا، تاريخ، طب اقتصاد، فلاحة)[4].

---

[1] – نذكر من أولئك الرحالين والجغرافيين العرب المسلمين على سبيل المثال لا الحصر، ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي والبكري في القرن الحادي عشر ميلادي والإدريسي خلال القرن الثاني عشر ميلادي وابن بطوطة الذي توغل داخل السودان في رحلته الثالثة وسجل لنا ما لاحظه في رحلته، كما قام الرحالة الحسن بن مُحَمَّد الوزان برحلة إلى الصحراء مطلع القرن السادس عشر قدم من خلالها عدة معلومات هامة عن هذه البقاع، وأبو سالم العياشي المغربي في القرن السابع عشر. للاستزادة ينظر: عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء "في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 135.

[2] – يعرف المعجم روبير المستكشف (Explorateur) بأنه "**شخص يقوم باستكشاف بلد بعيد وعر الطريق أو غير معروف من قبل**"، أما المستكشف من خلال سياق بحثنا فهو كل شخص أوربي استطاع الوصول إلى منطقة لم يطأها قبله أي أوربي آخر، فهي ما تزال مجهولة لديهم، وقد يكون هناك خطر على حياة المستكشف أثناء محاولته الوصول أو العبور إلى هذه المنطقة، فالمستكشف على العموم هو "**ذلك المسافر الذي يجوب منطقة من العالم ما تزال مجهولة بهدف اكتشافها**"، أما الرحالة حسب صاحب المعجم الوسيط فهو الشخص كثير الرحلة والارتحال والترحل، وبالنسبة للمعجم روبير فالرحالة (Voyageur) هو الشخص الذي يسافر لمشاهدة بلدان عديدة بهدف اكتشافها ودراستها". ينظر: الشيخ مجد الدين بن مُحَمَّد الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج4، دار الفكر، بيروت، 1983، مادة كشف. ينظر أيضا: إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، ج2، المكتبة العلمية، طهران، مادة كشف.

[3] – موسى بن موسى، **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854–1947**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014–2015، ص 96.

[4] – احميده عميراوي، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص 49.

إلا أن أهم ما يمكن ملاحظاته، هو أن أغلب رواد البعثات الاستكشافية كانوا ضباطاً عسكريين أوفدتهم جهات رسمية (كالحاكم العام ووزارة الأشغال العمومية أو بالتعاون مع جمعيات مختصة في باريس)، وكانت تشكيلة هذه البعثات في الغالب تسير في وجود حماية عسكرية مزوَّدة بالسلاح والذخيرة، إلى جانب أن تقارير المستكشفين وملاحظاتهم ترفع إلى الجهات الحكومية الوصية، خاصة العسكرية منها، ولا يمكن نشر أبحاثها وتقاريرها وملاحظاتها في دوريات الجمعيات إلا بإذن من السلطات الفرنسية.

المبحث الأول: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1830-1860

تميزت المرحلة الأولى في مجملها بالوتيرة البطيئة في عملية الاستكشاف، نظرا لقوة المقاومة الجزائرية في الشمال والجنوب، حيث كانت في بدايتها بعثات عسكرية استطلاعية، غايتها التعرف على مختلف مسالك الجنوب الجزائري، وتتبع طرق التجارة الصحراوية، والتقرب من سكان الصحراء للتعرف على أنماط عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم، من أهم مستكشفي هذه المرحلة نجد:

أولا: جوزيف ميلشوار دوماس[1] Joseph Melchior Daumas

المكتشف دوماس ملشيور جوزيف أوجين هو رجل عسكري تقلد عدة مناصب ودوَّن أكثر من كتاب في مختلف النواحي الحضارية فيما يخص تاريخ الجزائر، قاد فيما بين 1843 و1845 عدة بعثات استكشافية متتالية، من مدينة الجزائر باتجاه مناطق مختلفة من الجنوب الجزائري، ففي رحلته الأولى استكشف ورقلة، الأغواط، غرداية ثم منطقة وادي ميزاب، أما رحلته الثانية استكشف منطقة المسيلة بوسعادة، منطقة الزيبان، بسكرة ثم تقرت، وفي رحلته الثالثة تعرف على الطريق بين بسكرة والأغواط عبر سيدي خالد، مسعد، قصر الحيران مستكشفا بذلك منطقة أولاد نايل، كما سلك الطريق الرابط

[1] - **دوماس ميلشوار جوزيف أوجين:** كاتب فرنسي في 04 أكتوبر 1803 في ديلمور بسويسرا، وتوفي 29 أفريل 1871 في كمبلان جيروند، انخرط متطوعا سنة 1822 كملازم مساعد، ووصل إلى الجزائر سنة 1835 ليعين كقنصل في دولة الأمير عبد القادر بمعسكر، وتميز في مهامه الصعبة التي كلفه بها الجنرال لاموريسيار مدير الشؤون العربية بمقاطعة قسنطينة وفي سنة 1841 شجعه الجنرال بيجو لاكتشاف الأراضي الجزائرية التي من خلالها ألف كتابا بعنوان الصحراء الجزائرية، كما كانت له عدة مؤلفات أخرى ومن بينها كتاب القبائل الكبرى وحياة العرب والمجتمع المسلم. ينظر: يحياوي مسعودة، **الصحراء في تقارير الاستعمار الأوربي أثناء القرن 19م**، كتاب أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18و19م،المركز الجامعي بالوادي، 25 جانفي 2012، ص 354.

بين تقرت وغرداية وتعرف على الطريق الرابط بين تقرت والأغواط وطريق تقرت ورقلة، كما استكشف منطقة وادي سوف، حيث تمكن من ذكر تلك المناطق ووصفها[1].

بعدما تعرف على الجنوب الشرقي، اهتم دوماس بالتعرف على مناطق الجنوب الغربي، حيث استكشف منطقة جبال العمور، جبال كسال، استيتن، بوعلام، الغاسول، بريزينة، كما استكشف واحة الأبيض سيدي الشيخ، قصور الأطلس الصحراوي وواحاته ومنها أربوات، الشلالة القبلية، الشلالة الظهرانية، عسلة بوسمغون، تيوت، عين الصفراء، مغرار الفوقاني والتحتاني، فوصف تلك القصور والواحات، ووصف قبائل أولاد سيدي الشيخ والقبائل المجاورة لها وقبائل حميان وغيرها، ومن سفيسيفة توجه إلى فقيق المغربية ومنها سلك طريقه عبر بلاد ذوي منيع ومناطق بلاد توات، ثم تميمون إلى أن وصل إلى عين صالح، فعرَّف المناطق التي قطعها ووصف وصنف قبائلها، كما استكشف مناطق أخرى في رحلة ثانية إلى عين صالح، منها تاقدامت، استيتن، الغاسول، واد مية، جبل باتن إلى أن وصل إلى عين صالح[2].

ألم دوماس بجميع العلوم والمعارف وترجمها في عدَّة كتب لا غنى للباحث عنها، فأبرز طرق القوافل التجارية الهامة وعرَّف بالمدن وخصوصياتها، وذكر التركيبات الاجتماعية بدقة متناهية للعديد من العشائر الصحراوية لأنه أحصى القبائل والفروع، واعتمد في ذلك على أهل المنطقة في جرد تلك القبائل ومعرفة مضاربها، مع العلم أنه يصعب تحديدهم جغرافيا كما ذكر، كما تعرض للحياة الاقتصادية والبشرية والاجتماعية بشيء من التفصيل[3]، كما وصف إقليم الهقار، وقال أنه من الصعب تحديد هذا الإقليم بحيث يوجد هؤلاء الأهالي في مكان فسيح من تيديكلت إلى تنبكتو، ويجتاز نهر النيجر من الغرب إلى الشرق، ثم يصعد عن طريق فاس إلى غدامس، ومن أهم القبائل التي تسكن في صحراء الجزائر هم توارق المريدير والعزقر والفقاس[4].

---

[1] - Eugène Daumas, **Le Sahara Algérien "études Géographique, Statistique, et Historique sur la région au sud des établissements Français**, Langlois Leclercq, Paris, 1845, pp 15-90

[2] - Eugène Daumas, op-cit, pp 209-306.

[3] – عثمان حساني، **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 51.

[4] - Eugène Daumas, **Moeure et coutumes de L'Algérie Tell –Kabylie –Sahara**, librairie de l'hachette et cit , Paris ,1853, p360.

ثانيا: لويس أوجين كافينياك[1] (Louis Eugène Cavaignac)

قاد كافينياك بعثة سنة 1847 إلى الجنوب الغربي للجزائر، أين استكشف جبال الأطلس الصحراوي وقصور جنوب القطاع الوهراني وواحاته، منها عسلة، تيوت، مغرار التحتاني والفوقاني، عين الصفراء وسفيسيفة، حيث تمكنت بعثته من دراسة ووصف الشطوط والمرتفعات التي اجتازتها، وسجل الرسومات المنقوشة في كل من تيوت ومغرار التحتاني، كما وصف كافينياك قصور جنوب القطاع الوهراني أو الأطلس الكبير كما سماها، ودعم كتابه برسومات لتلك القصور وخريطة لمسالك رحلته[2]، اعتمد كافينياك خلال توغله إلى الصحراء الجزائرية على خريطة ريتشاردصون (James Richardson) كما اعتمد على كتاب الرحالة كاريت (Carette) صاحب كتاب أبحاث في جغرافية وتجارة الجزائر الجنوبية[3].

انطلقت بعثة كافينياك من تلمسان في أفريل 1847 باتجاه الضاية، ثم تحولت إلى منطقة الغور وفي 05 ماي توجهت القافلة نحو عين الصفراء، ثم سفيسيفة، وهنا يصف كافينياك استعداد أهالي هذه المدينة لمواجهة العدو، حيث كانوا يضعون على شرفات القصر حجارة تتخللها البنادق، ومنها توجه كافينياك إلى سبدو التي دخلها يوم 21 ماي، وتمكنت بعثته من دراسة ووصف الشطوط والمرتفعات التي اجتازها[4]، وبلغت الشط الشرقي في 16 أفريل، وهي المنطقة الفاصلة ما بين التل وبداية الصحراء، وفي أواخر شهر أفريل شرع في اكتشاف جبال الأطلس الصحراوي، وقصور الجنوب الوهراني وواحاته، ودخل واحة عسلة في 22 أفريل 1847، وشق طريقه نحو واحات توات[5].

---

[1] – **الجنرال كافينياك**: ولد في 15 أكتوبر 1802 بباريس أبوه جون باتيست كافينياك الحاكم القديم للجزائر، هو أحد طلبة المدرسة متعددة العلوم والفنون، تميز منذ صغره بالنبوغ والعبقرية، وقد حصل على رتبة ملازم أول في 01 أكتوبر 1827 شارك إلى جانب الجنرال كلوزيل في حصار مدينة تلمسان سنة 1835، ولما انتصر الأمير عبد القادر على كلوزيل انسحب هذا الأخير إلى الجزائر لينتقل إلى فرنسا طالبا النجدة، فترك كافينياك وراءه على رأس حامية عسكرية لحماية تلمسان ومراقبة تحركات الأمير، وقد قام كافينياك بحملة في الصحراء خلال شهر أفريل وماي 1847. ينظر:

Narcisse Faucon, **Livre d'Or De L'Algerie**, éditeurs Librairie Algérienne et Coloniale, Paris, 1889, p p154-156.

[2] - Félix Jacquot, **Expédition du Générale Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847,** Gide et J.Baudry, Libraires editeur, Paris, 1849, pp 236-344.

[3] – محمد هقاري، **دور سكان منطقة الأزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ع 24، جوان 2016، ص 27.

[4] – فليكس جاكو، المصدر السابق، ص 259.

[5] – حمزة بن قيطون المرجع السابق، ص 29.

أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية، حيث يقول في ذلك: **"لا تعمر الصحراء أي مدينة تضاهي هذا القدر من التباين بين الحياة والموت وثراء التربة والقحط المطلق"**[1]، وتطرق من خلال حملته إلى التعريف بمسالك الصحراء، والتي لم يسبق لأي أوربي الوصول إليها، ثم حاول أن يحقق ما يريده للمعمرين الفرنسيين، الذين هم في حاجة إلى ربط الصلة بالصحراء والصحراويين لتنشيط التجارة في المنطقة الجنوبية وما يليها من البلدان المجاورة[2].

كما وصف في رحلته إلى الهقار سكان التوارق، الذين حسب قوله أنهم يحتلون الصحراء الجزائرية بعد فرارهم من الاحتلال في الشمال، بالإضافة إلى وصفهم فيما يخص لباسهم وعاداتهم وأسلحتهم وسكنهم، وتعرض إلى أهم مدنهم، وهي غات والأبير وغدامس، ويقول كافينياك عن التوارق لوصف خطورتهم للسلطة الفرنسية: **"إن تمكنا أن نحكم قبضتنا على البدو والرحل الذين قد يبدو من الوهلة الأولى أنهم قادرين على الإفلات من سيطرتنا إن تفصلنا عنهم تلك الربوع الشاسعة ... والتي تصعب على جيوشنا عبورها ... كما أنهم ينتقلون في الصحراء بسرعة تفوق سرعة تحركنا"**[3]. وهكذا استطاع الجنرال كافينياك أن يجمع وأن يسجل معلومات حول السكان ومظاهر السطح وأشكال الحكم ونشاط التجارة الصحراوية بين التل والصحراء الجزائرية.

ثالثا: هنري دوفيريه "Henri Duverier"

كان هنري دوفيريه[4] مولع بالسفر والترحال فعزم على التنقل إلى إفريقية، حيث لم يجد معارضة من أبيه، بل وجد منه كل الدعم ومن أصدقائه، وفي سنة 1857م قام برحلة تمهيدية إلى الجزائر، زار خلالها

[1] – فليكس جاكو، المصدر السابق، 244.

[2] – سميرة انساعد، **الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين 19 و20م "تسجيل فوتوغرافي أم تخيلي"**، مجلة الدراسات، ع2، ديسمبر 2012، ص 22.

[3] – فليكس جاكو، المصدر السابق، ص 273.

[4] **– هنري دوفيريي**: ولد في باريس في 28 فيفري 1840م، أرسله والده وهو لا يتجاوز 14 سنة إلى ألمانيا لدراسة التجارة، ولكنه لم يلبث أن تفتح عن عقل علمي شديد الميل إلى الملاحظة في ذكاء نادر في مثل سنه، وتعلم اللغة الألمانية والفرنكية، وأخذ يسجل ملاحظات عن حياة الطيور والنبات، وقام ببعض الأرصاد الجوية في ولاية بافاريا، التي كان يعيش فيها، وأما دراسته الشكلية فقد أتمها في مدرسة التجارة في مدينة ليبزيج خلال 1855-1857م، ولكن في نفسه لم يشعر برغبته في ممارسة التجارة، بل كان كل همه وأمله ينحصر في السفر إلى إفريقية، وقد أورد في مذكراته قوله: **"كنت أشعر بجاذبية لا تقاوم إلى القارة الإفريقية"**. ينظر: إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 82. ينظر أيضا: عبد الرحمن تشايجي، **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**، تر: علي اعزازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1982، ص 70.

مدينة الجزائر والهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من الأوراس، وهي المنطقة التي أقام فيها الفنان المشهور فرومنتان[1]، ونشر عنها كتاباً تغنى فيه بحبه وإعجابه بالصحراء تحت عنوان (Un été dans le Sahara)[2].

وفي واحة الأغواط تعرف دوفيرييه صدفة بأحد رجال التوارق، ولم تلبث معرفتهما أن تحولت إلى صداقة غذتها في نفس السائح الأوربي تلك القصص والأساطير التي سمعها في بلده عن نبل هذا الشعب وشجاعته وصرامته، وقد صادف أن كان التوارقي يستعد لسفر العودة إلى بلده، فوجه الدعوة له لزيارة التوارق، ولما عاد دوفيرييه إلى بلده بعد هذه الرحلة، نشر دراسة (وهو لا يتجاوز السابعة عشرة من العمر) في مجلة الجمعية الشرقية في برلين عن قبائل البربر، ضمنها ترجمة لمفردات من اللغة البربرية، وفي نفس السنة قابل المستكشف الألماني هنري بارث في لندن بناء على توصية من الأستاذ **فلايشر**، وقد نصحه بارث بالعدول عن القيام بالرحلة التي يعتزم القيام بها، وهو في سن مبكرة، ولما عجز عن إقناعه قدم إليه كثيراً من النصائح والتعليمات التي تفيده في سفره، وقد لازم دوفيرييه بارث لعدة أشهر، ولما توفي حولت أسرته جزءا مهما من أوراقه ووثائقه إلى دوفيرييه التي استفاد منها كثيرا في رحلته الكبرى[3].

1- رحلته الأولى:

قام دوفيرييه بإعداد رحلته الاستكشافية التي أرادها أن تكتسي بالطابع العلمي، فاطلع على كثير من الكتب، واستشار كثيراً من المتخصصين الأوربيين في شؤون الصحراء، كما قام بتعلم الأدوات وطرق تحديد المواقع طولا وعرضاً، وطلب من المستشرق والناقد رونان مده بمعلومات عن الإيثنولوجيا والسلالات الصحراوية، وبعد سنة من التحضير والاستعداد تيقن من أنه وضع القواعد التي ستمكنه من نجاح رحلته، وقد كتب فيما بعد يقول: **"كنت أعرف جيداً أن الرحلة التي أقوم بها ليست خالية من**

[1] - **أوجين فرومنتين Eugène Fromentin:** هو رسام فرنسي ولد بمدينة لاروشيل La Rochelle في 24 أكتوبر 1820 كان والده طبيباً، وكانت أسرته تقضي أيام فصل الصيف من كل سنة بمنزل جبلي يوجد بمدخل قرية " سان موريس Saint Maurice بلده الأصلي والحقيقي. ينظر:

Eugène Fromentin, **" Un Eté dans le Sahara"** Présentation et Notes par Anne Marie Christine, Editions Le Sycomore(Appendice) .Paris. 1981. P:259.

[2] - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 83.

[3] - المرجع نفسه، ص 83.

الأخطار، ولكنني كنت أشعر بثقة كبيرة في قوتي، وأنا آمل أن أتجنبها بالصبر والحذر والنشاط أن تنتهي هذه الرحلة على خير وجه وأكمله"[1].

بدأ دوفيرييه رحلته من سكيكدة يوم 08 ماي 1859م وذهب مباشرة إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة، وما لبث أن غادرها يوم 13 جوان ليصل إلى القرارة بوادي ميزاب بعد خمسة أيام من السير، ثم انتقل إلى غرداية ودخلها يوم 21 جوان، ليتجه بعد ذلك إلى متليلي علَّه يلتقي ببعض التوارق ليساعدونه في زيارة بلادهم[2].

غادر دوفيرييه في 28 أوت مدينة متليلي ليصل يوم فاتح سبتمبر إلى المنيعة، التي لم ترحب به رغم أنه يحمل رسالة توصية من سي حمزة قائد أولاد سيدي الشيخ، ويرتدي ثياب الأهالي، ويستعمل اسم "سعد" أثناء رحلته[3]، فاحتجزه السكان بعدما قالوا له **"هذا المسيحي الكلب يريد أن يلقى حتفه"** ولذلك قضى ليلته ببطحاء المدينة، ثم طلب منه المغادرة قبل طلوع الفجر، فغادرها عن طريق آخر نحو الغرب إلى متليلي[4]، ثم غرداية ومنها إلى الأغواط، قصد التوجه إلى اكتشاف قصور توات وبلاد التوارق، لكنه لم يطمئن لهذه المغامرة، فغير اتجاهه نحو الصحراء الشرقية فغادر الأغواط خلال شهر نوفمبر 1859م متوجها إلى القرارة ومنها إلى تقرت وبسكرة ثم قسنطينة ليستريح بها قليلا[5].

وبعد هذه الرحلة في جنوب الجزائر، عاود دوفيرييه رحلته إلى بسكرة في أول فيفري 1860م، ثم اتجه بعد ذلك إلى وادي سوف، ومنه إلى الجريد في الجنوب التونسي، بعدما طلب من ممثل فرنسا بتونس السيد فرديناند دو ليسبس **(Ferdinand De Lesseps)** الضمانات اللازمة والتوصيات الضرورية لتأمين طريقه بالتراب التونسي، فاتجه إلى قابس عن طريق شط الجريد وقبيلي ونفزاوة ودوز، وبعد أن اكتشف المنطقة رجع عن الطريق الشمالي إلى قفصة ثم توزر، ويوم 03 أفريل قرر الرجوع إلى بسكرة فسلك ممر شبيكة وتامغزا، ثم اتجه بعدها غربا نحو نقرين وواحات عين الناقة وسيدي عقبة، ودخل

[1] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 84.

[2] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**، دار هومه، الجزائر، 2009، ، ص 410.

[3] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 84.

[4] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 410.

[5] – عبد القادر بومعزة، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، ج1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)، ط1، 2016، ص ص 51–52. ينظر أيضا: إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 411.

بسكرة يوم 10 أفريل 1860م[1].

2- رحلته الثانية:

بعد هذه الرحلة كلَّف الوالي العام للجزائر الرحالة دوفيرييه بأن يقوم برحلة إلى التوارق، من أجل ربط علاقات تجارية مع فرنسا، وقد وضع الوالي أموالاً تحت تصرفه، من أجل أهداف الرحلة واستمالة قبائل التوارق لتحقيق غزو فرنسا لبلادهم[2]، فغادر بسكرة خلال شهر جوان 1860م متوجها إلى مدينة الوادي ومنها إلى غدامس بمساعدة الشيخ عثمان –أحد أعيان التوارق، والذي كان دليلاً للمستكشف الانجليزي "الميجور لانج" من قبل وبعض التوارق الآخرين، دخل دوفيرييه مدينة غدامس يوم 11 أوت 1860م، ومكث بها مدة طويلة في انتظار وصول توصية قنصل فرنسا بطرابلس، ولذلك بقي يبحث عن البقايا الحضارية للمنطقة وعلى التراث الفكري بها، فوجد عدة آثار رومانية ومخلفات لأبراجهم، منقوشة على صخورها كتابات لاتينية رومانية[3].

وأثناء جولته في غدامس وصلته رسالة من الإمبراطور نابليون الثالث طالباً منه توفير بعض الوثائق عن الصحراء، من أجل إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان، وعلى الرغم من الحالة الصحية السيئة التي كان يعاني منها والضائقة المالية التي كان يشكو منها، راح يعمل بجد واجتهاد إلى أن وصلته منحة حكومية لسنة 1861م، مقدارها 2000 فرنك، استعان بها لمختلف أغراض الرحلة، خصوصاً لتقديم بعض الهدايا لشيوخ القبائل[4].

توجه دوفيرييه إلى زيارة سي بكاي أب سيدي أحمد أصيل تنبكتو في 07 سبتمبر ، ولا ندري من هي الشخصية التي قدم لها هدية من الحكومة، متمثلة في رداء من نسيج صناعي (حولي)، وحافظة تبغ من فضة (قابصة)، وأظهر له توصية "هنري بارث"[5] لأنه صديق سي بكاي، لهذا عرض عليه زيارة

---

[1] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 411.

[2] – يحي بوعزيز، الاستعمار الأوربي الحديث في أفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، ص 94.

[3] – المرجع نفسه، ص 411-412.

[4] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 86.

[5] – **هنري بارث (Barth Henry):** هو رحالة ألماني، ولد في هامبورغ 19 ماي 1821 في حضن عائلة عريقة من ملاك الأرض من ولاية ثورينج، وبعد مراحل الدراسة الأولى التحق بجامعة برلين (1839-1844) حيث درس الفلسفة وفقه اللغة وعلم الحفريات، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1845، وقام برحلة كبيرة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وقد استطاع القيام برحلته الشهيرة في إلى غرب إفريقيا انطلاقا من ليبيا ما بين 1850-1855 زار خلالها المناطق الواقعة ما بين الباغيرمي وتنبكتو. ينظر: أتيليو موري، المرجع السابق، ص 47. ينظر أيضا: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 74-76.

تنبكتو، كما كان على اتصال دائم مع زعيم التوارق إيخنوخن وغيره من الشخصيات، كقاضي غدامس الذي سلم له قصاصة من مخطوط إسلامي له علاقة بغدامس[1].

وفي الأيام الأولى من شهر ديسمبر 1860م، غادر غدامس إلى غات مع توصيات الشيخ عثمان وزعيم التوارق "أمينوكال إيخنوخن"، الذين عملا على حمايته طيلة الرحلة من هجوم السكان، وسلك طريقاً لم يسلكها مستكشف من قبله، وسجل أن عدد السكان في غات يبلغ 4000 نسمة، وهم خليط من العرب والبربر والسود، إلا أنه لم يستقبل بشكل لائق من طرف السكان الذين منعوا عنه الماء، كما رفضوا أن يبيعوه أي شيء يحتاج إليه، ولكنه وجد حسن الاستقبال بين التوارق، بحيث كانوا يعتبرونه واحدا منهم، فكان يحضر الاجتماعات التي يناقشون فيها أمور القبيلة، وتعلم لغة تماشق وحروفها الهجائية (تيفناغ)، ورافق القبيلة أثناء تنقلها وترحالها أشهراً طويلة، وهو يتعلم ويسجل ملاحظاته[2].

ومن غات تجول في منطقة فزان، ثم صعد إلى طرابلس، ومنها إلى الجزائر ليستعد إلى رحلة أكبر وأهم، ولكن مرضه الشديد وفقدان ذاكرته حال دون ذلك[3]، ومن حسن حظه أن المذكرات والملاحظات كتبت بعناية ودقة متناهية، بحيث أنه لم يمض على رجوعه أكثر من ثلاث سنوات حتى نشر كتابه تحت عنوان "توارق الشمال" (Les Touareg du Nord)، والذي يعتبر من الوثائق الهامة التي لا يستغني عنها الباحث عن تاريخ التوارق،كما هيأ الأرضية المناسبة لإنجاز معاهدة غدامس بين فرنسا والتوارق[4].

وفي حرب 1870م، وقع دوفيرييه أسيراً في يد الألمان فعرف المذلة والحرمان، ولكن العلماء الألمان كانوا يكنون له الاحترام والتقدير باعتباره خليفة مواطنهم هنري بارث، وبعد مدة عاد لفرنسا واستأنف أبحاثه ودراساته، فوضع كتاب كبير عن الفرق الإسلامية، كما نشر عددا من الوثائق عن جغرافية إفريقيا وبعدها أصبح مستشارا وناصحاً لمن أراد استكشاف الصحراء من بعده، من بينهم فيكتور لارجو[5]

[1] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 412.

[2] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 85-86.

[3] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 413.

[4] - Henri Duveryier**, Les Touareg du Nord**, Editeur Challamel Ainé, Paris, 1864.

[5] **– فيكتور لارجو**: هو رحالة فرنسي، ولد سنة 1842 بنيور الفرنسية، انخرط في العديد من الجمعيات الجغرافية، ومنها الجمعية الجغرافية بباريس، وجمعية الإحصاء وجمعية المرصد الجوي، وجمعية الطبوغرافيا في باريس، بعد إتمام دراسته للطب كانت هناك دعوة ملحة من طرف المسؤولين لاكتشاف الجنوب الجزائري، وعليه فقد خاض مغامرة الاستكشاف، مثل العديد من الرحالة الفرنسيين. ينظر: رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852-1875**، ص 54 تهميش رقم 3.

(Victor Largou) وفورو (Forou)، كما زودهم برسائل توصية إلى الصحراويين وأصدقائه من التوارق كما تدخل لدى السلطات الحكومية لصالحهم للحصول على منح ومساعدات للقيام باستكشافاتهم[1].

رابعا: رحلة القائد كولونيو "Colonieu" والملازم بوران "Borin"

قام كل من "كولونيو" و"بوران" التابعان لدائرة البيض بمحاولة فاشلة لاكتشاف تينقورارين (قورارة) وتوات، فانضما إلى القافلة السنوية التي تنطلق من دائرتي سعيدة والبيض، من أجل جلب التمور مقابل بيع الحبوب والأغنام، وتجتمع كل عناصر هذه القافلة **بالأبيض سيدي الشيخ**، وتضم حوالي عشرة آلاف جمل، وأكثر من ثلاثة آلاف رجل وامرأة، وحوالي ستة عشر ألف من الأغنام، تحركت القافلة نحو الجنوب في أواخر شهر نوفمبر 1860م برفقة الفرقة الفرنسية تحت قيادة كولونيو لذلك كانت أبواب القصور الجنوبية تغلق في وجهها حتى يبتعد كولونيو ورفيقه عن أسوار القصر، وعندما وصلوا إلى تيميمون المركز الرئيسي لمنطقة قورارة لم تفتح الأبواب للقافلة حتى ابتعدا الضابطان الفرنسيان إلى مسافة مشي يومين على الأقل، فغادرا إلى تاوريست ثم تيمي بتوات، وقد كان لهما نفس الاستقبال أينما حلا فقرارا العودة رجوعا إلى مناطق انطلاقهم[2].

المبحث الثاني: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1860-1881

كانت المرحلة الثانية جد مميزة بأحداثها، حيث برزت إلى الوجود مشاريع مد خطوط السكة الحديدية عبر الصحراء الجزائرية باتجاه تشاد والسنغال، لربط مستعمرات فرنسا بعضها ببعض والسيطرة على التجارة الصحراوية، ولتحقيق ذلك بعثت الدوائر الحكومية الفرنسية والغرف التجارية مجموعة من المسكشفين إلى مناطق مختلفة من الصحراء الجزائرية، شرقا وغربا وفي الوسط، ومن أبرزهم بول صولييه ودوبونشال، وفلاترز، وشوازي (Choisy).

[1] - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 409.

[2] - المرجع نفسه، ص ص 413-414.

أولا: بول صولييه (Paul Soleillet)

نبه الرحالة المغامر بول صولييه[1] السلطات الفرنسية إلى أهمية مسالك قوافل التجارة العابرة للصحراء وربطها بمستقبل فرنسا في إفريقيا، وأوضح أنها كانت قائمة منذ العصور الوسطى تربط الشمال بدواخل إفريقيا، وقد بدأ صولييه التحضير لرحلته سنة 1866م، من أجل التعرف على عادات وتقاليد سكان الجزائر والتعود على لغتهم، فدرس كتب التاريخ والجغرافيا والكتابات الاقتصادية حول إفريقيا[2].

1- رحلاته: قام بول صولييه بثلاث رحلات خلال حياته هي كالآتي:

الرحلة الأولى 1866-1867: وفيها زار الجزائر وتونس لهدف تجاري، وقام بتسجيل عادات وتقاليد وأخلاق حضارات هذه الشعوب، أتقن خلالها اللغة العربية ودرس القرآن[3].

الرحلة الثانية 1872-1874: وهي أشهر رحلاته، كلفته فيها المؤسسة العسكرية وغرفة التجارة باستكشاف واستطلاع الطرق التجارية من الجزائر إلى عين صالح، اكتسب خلالها الكثير من الصداقات[4].

الرحلة الثالثة 1878: انطلق فيها يوم الجمعة 15 مارس 1878 من باريس باتجاه سيجو (Ségou) في إفريقيا الوسطى، وذلك لعدة أسباب منها:

أولا: معرفة الطرق التجارية الموجودة في الناحية الغربية للنيجر.

ثانيا: إعداد بحث دقيق ومفصل لمملكة سيجو حول الإنتاج والاستهلاك مع السودان الشرقي، ومن أهم النتائج التي توصَّل إليها:

- أن مساحة الصحراء بين الجزائر والسنغال تعادل كل أوربا ما عدا روسيا.

---

[1] - ولد جون جوزيف ماري ميشال بول صولييه (Jean-Joseph-Marie-Michel-Paul soleillet) بنيم (فرنسا) في 29 أفريل 1842م وهو ابن لويس ميشال أمبرواز صولييه وأمه هي أنايس صولييه، قضى سنوات صغره ومراهقته وشبابه في أفينيون، ومنذ طفولته كانت له رغبة كبيرة في حب السفر والترحال والمغامرات إلى الأماكن المجهولة خاصة في إفريقيا، دخل الجيش الفرنسي سنة 1870 اختصاص مشاة، توفي بأدن 10 سبتمبر 1888م. ينظر: Narcisse Faucon,Op-Cit, p280.

[2] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 419.

[3]- Pual Soleillet, **Exploration du sahara Centrale «Avenir De La France En Afrique**, Challamel Ainé, Librairé éditeur, Paris, 1876, p7.

[4] -Paul Soleillet, **L'Afrique Occidental e « Algarie, Mzab, Tidikelt »**,Avignon, Imprimerie De F Seguin Ainé, 1877, p10.

- أن الصحراء مأهولة بالسكان ومزروعة وليست خالية.
- وجود الماء في السطح مثل سوف ووادي ميزاب حيث على عمق 60 متر تجد الماء.
- استقرار الإنسان حول الواحات الغنية[1].

2- رحلته من الجزائر إلى عين صالح:

يقول بول صولييه أن الطريق من المحيط الأطلسي إلى البحر البيض المتوسط ثلثين فقط من مساحته مكتشفة، الثلث الأول من المحيط إلى تنبكتو اكتشف من طرف الرحالة الفرنسي روني كاييه (René caillié)[2] يوم 28 ماي 1828، وقد دخلها قبله رحالة وحيد وهو الميجور الإنجليزي غوردن لانج (Gordon Laing)[3]، كما دخلها الدكتور هنري بارث، أما الثلث الأخر من البحر الأبيض المتوسط إلى واحة عين صالح اكتشفها هو بنفسه[4].

لقد كان حلم صولييه واسع جدا، يتمثل في فتح وغزو المناطق الواسعة والمغلقة في إفريقيا، حتى يعطي لفرنسا شرف وامتياز السيادة الحضارية والتجارية على هذه المناطق الواسعة، مع هذا الهدف أمام عينيه بدأ رحلاته الاستكشافية ذات الطابع التجاري، متخذا من عين صالح مرحلته الأولى للتوغل إلى السودان الغربي[5].

---

[1] - Gabriel Gravier, **Voyage a Sègou « Rédige d'après Les Notes Et Journaux De Voyage De Soleillet**, Challamel Ainé, Paris, 1887, p 8.

[2] – **روني كاييه:** ولد في فرنسا، وهو ابن أسرة فقيرة تعلم في مدرسة خيرية، تدرب بعد ذلك على الأعمال التجارية، وفي سن 16 ترك تجارته وذهب إلى البحر في سفينة كانت متجهة إلى السنغال، وقد زارها للمرة الثانية سنة 1824 محاولا اكتشافها، فزوده الحاكم الفرنسي بالسلع والمؤن، ومكنه من البقاء في السنغال وقتا كافيا، وكانت فكرته تتمثل في أن يسافر بمفرده وهو متنكر بزي رجل ورع مسلم، ودخل غرب إفريقيا وصولا إلى تنبكتو وقام بتدوين ملاحظاته عليها. ينظر: جوزفين كام، **المستكشفون في إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، مر: محمد على وقاد، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص143-146.

[3] – **غوردن لانج:** اشتهر برحلاته الاستكشافية ومغامراته داخل إفريقيا، طلبت منه الجمعية الإفريقية أن يلتحق بمدينة تنبكتو وينضم إلى رحلة كلابرتون في سوكوتو، لذلك غادر لندن سنة 1825 للوصول إلى طرابلس، وفي 18 أوت 1826 وصل إلى تنبكتو، ثم غادرها بسرعة لكونه مسيحيا غير مرغوب فيه من جهة، واعتقد أنه من الجواسيس الذين يكشفون أسرارهم ويقدمونها إلى القوات الأجنبية من جهة أخرى، وبعد انضمامه للقافلة المغادرة للمدينة وبمجرد انطلاقها قتله قائدها، وأحرق جميع أوراقه ومذكراته، ولم يصل منها شيئا إلى أوربا بسبب مرضه بالطاعون، ينظر إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومه، الجزائر، 2010، ص81.

[4]- Paul Soleillet, **L'Afrique Occidentale « Algarie, Mzab, Tidikelt »,** p130.

[5] - P.Vuillot**, L'Exploration Du sahara "Etude Historique Et Géographique"**, Pr Colonel Polignac, Augustin Challamel, Paris, 1895, P 126.

انطلق صولييه في 16 سبتمبر 1872 من مارسيليا، واتجه أولا إلى الأغواط أين أقام بها إلى نهاية السنة، زار بعدها قصور جبل العمور، وقضى شهر فيفري وجزء كبير من مارس 1873 فيها، كما زار منطقة وادي ميزاب، بعد هذه الرحلة الاستطلاعية في الصحراء الجزائرية أقام خلالها علاقات صداقة من أجل تسهيل رحلاته ومشاريعه القادمة، وفي أفريل 1873 تحصل على مهمة من الغرفة التجارية لمعرفة الطريق من الجزائر إلى عين صالح، وتقديم لشعوب الصحراء الوسطى نماذج وعينات من منتوجاتهم المصنعة، ومحاولة التعاقد مع بعض تجار الصحراء، وقد قام المستشار العام في الجزائر بإعطائه مساعدة مالية تقدر بـ 4000 فرنك، كما أسند إليه وزير الأشغال العمومية مهمة اكتشاف مناخ الصحراء، غادر للمرة الثانية الجزائر، واتجه إلى بوغار، ثم قام بتتبع الطريق العام عبر الجلفة والأغواط، القافلة الصغيرة قامت بالدخول إلى غرداية يوم 29 جانفي 1874 حاملة معها رسالة توصية من السيد م. كريميو (M.Crémieux) رئيس المجمع العالمي الإسرائيلي، وقد استقبل جيد من طرف الجالية اليهودية المتواجدة في المدينة[1].

غادر صولييه غرداية باتجاه متليلي، حيث وجد الشيخ أحمد بن أحمد الشعانبي الذي طلب منه مرافقته إلى المنيعة وعين صالح، وتموينه بالوسائل الضرورية للتنقل، فذهب معه إلى ورقلة ليطلب من أغا هذه الواحة سي مُحَّد بن إدريس[2] رسائل توصية إلى الشخصيات التي يعرفها في توات، فمكث فيها ثلاثة أيام تعرف خلالها على المدينة، والتقى فيها بأحد التوارق المدعو مُحَّد بن حمادو، حيث زوده بمعلومات هامة عن عين صالح، وأخبره بأن بوشوشة قد توجه من عين صالح إلى واد سوف، وغادر ورقلة يوم 12 فيفري 1874 بعد أن تزود بالمؤونة، وتسلم رسائل من بن إدريس ليسلمها إلى الجماعة الحاكمة في عين صالح[3].

وفي طريق عودته إلى متليلي التقى صولييه بسي مولاي مُحَّد شريف تافيلالت، الذي أبدى رغبته في مرافقته إلى عين صالح، فوافق مباشرة وبحماس كبير، وفي اليوم الموالي أعطى صولييه الإذن للشريف

---

[1] - P.Vuillot, Op-Cit, P 126.

[2] – **الأغا بن إدريس:** هو مُحَّد بن الحاج إدريس ضابط سابق في الجيش الفرنسي، يعود أصله إلى بدو بسكرة درس في المدرسة الفرنسية، فتأثر بالحضارة الغربية وأحسن اللغة الفرنسية كتابة ونطقا وتزوج من فرنسية، عينته فرنسا حاكما على ورقلة منذ مطلع السبعينات من القرن 19، شيد قصره على ربوة في بامنديل تحيط بها الحدائق من كل الجهات كان يزرع فيها حتى القطن، ينظر:
Paul Soleillet, **Voyage de Paul Soleillet d'alger a l'oasis d'In Salah**, Rapport de Chambre commerce d'Alger, Alger, 1875, p49.

[3] - Paul Soleillet, **L'Afrique Occidentale « Algerie, Mzab, Tidikelt »,** p205.

مولاي علي الذهاب إلى أولاد سيدي الشيخ لإكمال مهمته الدبلوماسية، وفي الطريق اصطدم مع عدة قوافل نصحتهم بعدم محاولة التوغل إلى تيديكلت[1] في هذا الوقت، لأن أوضاعها كانت مضطربة جدا وأكثر من قبيلة بربرية ثارت ضد قصور الواحات الأخرى في المنيعة، نفس الإنذارات تواصلت في التدفق فقرَّر صولييه الاستعجال في انطلاقه إلى عين صالح، حتى يتجنب إثباط هؤلاء الأشخاص له في مهمته[2].

بدأ صولييه في 14 من شهر فيفري الاستعداد للسفر إلى الصحراء الحقيقية، وكتب رسائل إلى أهله وأمه يعلمهم فيها بأنه بدأ المغامرة، وغادرت القافلة المتكونة من حصانين وجمل يحمل الهودج، وثمانية جمال تحمل الزاد والأمتعة وخادمين والكاتب الخاص ومرافق يدعى قدور، وأربعة عشر حارسا مزودين بالسلاح وراع للجمال وطبيب القافلة، وبصورة عامة كانت القافلة تتكون من ستة وعشرين فردا وعشرة جمال وثلاثة أحصنة، خرجت القافلة من متليلي على الساعة الثالثة مساء يوم 16 فيفيري 1874 وكان في توديعهما القايد سليمان ومولاي علي والطالب مُحَمَّد، قطعت وادي متليلي ثم شعبة سيدي الشيخ مرورا بوادي سبسب أين قضوا ليلتهم هناك، ثم واصلوا السير إلى أن وصلوا إلى وادي الطويل[3].

واصل صولييه طريقه مع أربع مرافقين، هم "الشيخ أحمد بن أحمد الشعانبي، قدور خادمه، ومُحَمَّد بن مسعود أخ قايد متليلي، وبافو (Bafou) ميزابي من بن يزقن (غرداية)، فقاده أدلائه واجتاز بسرعة هضبة الحمادة الواقعة جنوب القليعة وهضبة تادمايت، ولكنه لم يجد الوقت لتدوين ملاحظات علمية ورفع الحدود بشكل دقيق[4].

دخل صولييه إلى قصر مليانة في 6 مارس 1874، الذي يقع في أقصى الشمال من واحة تيديكلت في مدة اثنين وعشرين (22) يوما، ولكنه استقبل استقبالا غامضا، فأرسل إلى الشيخ الحاج عبد القادر باجودا رئيس جماعة عين صالح رسالة من الغرفة التجارية في الجزائر مع قدور خادم الشيخ أحمد، ورسالة أغا ورقلة وقائد متليلي، ولكن رئيس واحة عين صالح كانت إجابته أنه إذا لم يغادر تيديكلت بأقصى سرعة فعقوبته ستكون الموت، وأشار إليه أنه تحت حماية سلطان المغرب وأنه لن يترك

[1] – **تيديكلت**: تقع هذه المنطقة في أقصى الجنوب الجزائري بين خطي 25° و30° شمالا وخطي طول 01° غربا و06 شرقا، تحدها هضبة تادميت من الشمال ومنطقة الهقار من الجنوب، وهي كلمة بربرية يقصد بها كف اليد وهي كناية عن انخفاض المنطقة، وهو الأمر الذي يفسر قرب المياه الجوفية من السطح، كما أنها أحد المقاطعات الثلاث المكونة لإقليم توات. ينظر: عبد القادر بوية **تيدكلت وثائق ومخطوطات**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 49.

[2] - P.Vuillot, Op-Cit, p127.

[3] - Paul Soleillet, Op-Cit , pp 206-207.

[4] - Ibid, p238.

فرنسا تتوغل إلى منطقته، هذا الجواب كان نتيجة مداولات جماعات مختلف قصور الواحات[1]، ورغم ذلك، فقد قدم صولييه في كتابه عدة معلومات هامة، خاصة حول هضبة تادمايت وما جاورها والتي استفادت منها السلطات الاستعمارية في توسعها نحو الجنوب[2].

لم يخش صولييه الموت، وفي رسالة جديدة أعلن أنه لا يوجد له النية إطلاقا في التدخل في السيادة أو الحكم المغربي، وأنه أتى من أجل التجارة فقط، وطلب منهم الإجابة فقط على رسالة غرفة التجارة للجزائر، شيخ مليانة حمل الرسالة الثانية التي بها رفض جماعة عين صالح، وفي نفس الوقت طلب عبد القادر من صولييه المغادرة فورا وإلا أنه لن يتحمل رد فعل السكان إذا علموا بوجود فرنسي جديد عند أبواب الواحة، ولكن صولييه أراد أن يحاول من جديد التكلم مع الرئيس وبعث رسالة أخرى، إلا أن مرافقيه رفضوا وخافوا من التهديدات[3].

ثانيا: أدولف دوبونشال

عاد اهتمام الفرنسيين بالطرق التجارية الصحراوية في سنة 1878، وطرحت قضية النقل الصحراوي في اجتماعات عدة لذا كلفت وزارة الأشغال العمومية المهندس "أدولف دوبونشال" سنة 1880 بقيادة بعث إلى الجنوب الجزائري لدراسة مسالة مد خطوط السكة الحديدية، غير أنه لم يتجاوز الأغواط ولم يتوغل في أعماق الصحراء وقد أصدر كتابا ضمنه تقريرا حول خطوط التواصل بين الجزائر وبلاد السودان[4].

بينما كلَّف شوازي بدراسة إمكانية مد خط للسكة الحديدية عبر الجهة الشرقية للصحراء الجزائرية وطلب منه المقارنة بين طريقين مقترحين هما: طريق الأغواط إلى المنيعة وطريق بسكرة إلى ورقلة، توجهت القافلة من الأغواط إلى المنيعة، حيث اكتشف منفذا بين العروق بعرض 1500 متر يسمح بإمكانية تمرير خط لسكة الحديد، كما أشار إلى إمكانية إنجاز نفق في المناطق التي قطعها، ومن القليعة توجه إلى ورقلة ثم بسكرة مرورا بوادي ريغ، وتمكن خلال رحلته إحصاء سكان الواحات الواقعة بين ورقلة وبسكرة، وعدد النخيل والتي قدرها بنحو 430500 نخلة، وأكد على أنه باستطاعة فرنسا التحكم في تجارة مناطق

[1] - P.Vuillot, Op-Cit, p128.

[2] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص 420-421. ينظر أيضا: محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، ص 435.

[3] - P.Vuillot, Op-Cit, p 129.

[4] - Adolphe Duponchel, **Le chemin de fer Trans-saharien, Jonction Colonial entre l'Algérie et le Soudan**, études Préliminaires du Projet et Rapport de mission avec cartes générale et géologique, Topographie et Lithographier de Boehm, Paris, 1878.

وادي ميزاب وسوف والزيبان، كما أكد على أن طريق بسكرة ورقلة أفضل من طريق الأغواط المنيعة، وهو مستقبل السكة الحديدية الصحراوية[1].

ثالثا: رحلة دورنو ودوبار وجوبار

كان لدورنو (Dournaux) طموحات في اكتشاف الصحراء واختراقها طولا وعرضا، وهذا حينما كان معلما بفرندة، وفي 1873م عزم على تحقيق رغبته، فاستعد لرحلته والتقى بإسماعيل بوضربة في قسنطينة ليستفيد من خبرته في البعثات الصحراوية، ثم اتجه إلى بسكرة ومنها إلى تقرت أين التقى بجوبار (Joubert) الذي انضم إليه هو ودوبار (Dupere)، وقبل انطلاق الرحلة ذهب جوبار إلى الوادي لجلب الجمال اللازمة للرحلة والدليل فقد كان تاجرا، وفي 08 جانفي 1874م طفق راجعا مصحوبا بالجمال والدليل أحمد بن زرما، انطلقت البعثة في 01 فيفري 1874م من تقرت للذهاب إلى غدامس، ولكن أعضاء البعثة افترقوا في الطريق وقتلوا جميعا، ولم يتركوا أثرا عن رحلتهم[2].

رابعا: رحلة ريتشارد وكيرمابون

قام الأب ريتشارد (Richard) في سنة 1879م رفقة زميله كيرمابون (Kermabon) بجولة استكشافية ضمن بعثات الآباء البيض، للتعرف على أسرار بلاد الآزجر، بمساعدة خبراء في الصحراء من توارق إيفوغاس، انطلقت رحلتهما من غدامس إلى وادي تيكاملت شمال غرب غات لمدة 56 يوما، تحصلت فيها البعثة على معلومات جغرافية هامة، وربطت علاقات ودية مع بعض فصائل الآزجر خاصة الإغوغاس والإيمانغاستن، ريثما تنصب مراكز للتبشير عندهم[3].

خامسا: رحلة بول فلاترز[4] (Paul Flatters)

حاول التوارق المحافظة على أراضيهم وإبعاد وصد كل غريب عنها، وهو ما حدث مع بعثة فلاترز الذي

---

[1] - Paul Gaffarel, **L'Algérie "Histoire, Conquête et Colonisation",** Edition Firmin-Didot et C[ie], Paris, 1883, pp 532-534.

[2] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 421.

[3] – المرجع نفسه، ص 422.

[4] – **فلاترز (Flatters)**: ولد بباريس في 16 سبتمبر 1832م، دخل المدرسة العسكرية بسانت سير (Saint Cyr) في 07 نوفمبر 1851م، ثم بعث كضابط عسكري بقسنطينة بتاريخ 01 جانفي 1856م كما شغل منصب الحاكم العسكري لمنطقة الأغواط سنة 1876م حيث قام خلالها ببعض الجولات في الصحراء مدحه الوالي العام من أجلها "الماريشال بيليسيي"، ثم عين مقدم كولونال في 03 ماي 1879م. ينظر: NarcisseFaucon, Op-Cit, p 247.

كلفته المؤسسة الجغرافية سنة 1880 بدراسة الممرات الخاصة في جنوب ورقلة وفحصها، محاولاً من خلال ذلك إيجاد مسالك لربط السودان بحوض تشاد[1]، كان فلاترز يتمتع بميزات عديدة أهمها إتقان اللغة العربية واللهجة البربرية، ملاحظ دقيق في جغرافية البلدان وتواريخها مما أّهله للاختيار من طرف الوزارة الحربية الفرنسية للإشراف على مشروع استكشافي لجغرافية وطرق الصحراء الوسط لربط الصحراء بالسودان عبر الجزائر بخط السكك الحديدية[2].

1- رحلته الأولى:

عقد أول اجتماع لبعثته في بسكرة في أول فيفري 1880م، وكانت تتكون من عشرة أعضاء هم: فلاترز عقيد المشاة والقائد الأعلى الأسبق للأغواط، وموسون (Musson) نقيب أركان الحرب، وبرانجر (Beringer) مهندس الجسور والطرقات، وروش (Roche) مهندس المناجم، وبرنارد (Bernard) النقيب في سلاح المدفعية، وغيارد (Guiard) الطبيب، ولو شاتولييه (Le Chatilier) وبروسلار (Brosselard) مسير الجسور والطرقات، وقد تم تعيين هؤلاء الأعضاء خلال شهر ديسمبر 1879م[3] إلى جانب رئيسها ضابطين برتبة نقيب وضابطين برتبة ملازم ثاني، وطبيب ومهندسين ومندوبين عن وزارة الأشغال، ولما وصلت البعثة إلى ورقلة جمعت الحرس الضروري لمرافقتها من الأهالي الذين كان معظمهم من الشعانبة المعروفين بعدواتهم للتوارق[4].

وفي تيماسنين Temassinin[5]، والتي عرفت فيما بعد **"فور فلاتر"** دخلت اللجنة في محادثات لأول مرة مع رجال التوارق، وهناك علم فلاتر أن أحد زعماء توارق الهقار يتجول في الجنوب الغربي لجبال الهقار، وهو "اهيتاغل امنيكول" (Ahitaghel)، بينما يوجد زعيم توارق الآزجر "ايخنوخن" (Ikhenoukhen) في غات، ونظراً لأن الأول كان بعيداً قرر أن يطلب موعداً للاجتماع بايخنوخن عند بحيرة منغوغ عند منتصف الطريق من غات، محاولا من خلال ذلك ربط علاقات صداقة معه حتى

---

[1]- P. Vuillot, **l'exploration du Sahara**, Editeur Augustin Challamel, Paris, 1895, p 178.

[2] – سميرة دعاشي، **الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850–1945**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2015/2014، ص 99.

[3] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 423.

[4] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 103.

[5] – **تماسينين**: قرية تقع شمال الآزجر (Azjer) على بعد 580 كم جنوب شرق ورقلة و305 كم من أمقيد. ينظر:

Conard Kilian, **Au Hoggar Mission de 1922**, société d'Editions Géographique, Maritimes et Coloniales Ancienne, Maison Challamel, Paris, 1925, p54.

يسمح له بالمرور عبر أراضي أمقيد[1] (Amguid) وأمدَغُورْ لكنه لم يتلق أي رد منه، لذلك اضطر إلى مغادرة المنطقة والعودة إلى ورقلة بتاريخ 17 ماي 1880[2]، قام خلالها بمسح 1200 كيلومتر من الطريق المخطط للسكة الحديدية عبر الصحراء، فوضعت دراسات جغرافية وجيولوجية، كما سجلت ملاحظات عن أحوال الطقس والحيوان والنبات، وفي هذه الأثناء وضع مشروع تمهيدي لخط السكة الحديدية يمتد بين ورقلة وأمقيد على مسافة 600 كيلومتر[3].

ومن ورقلة أكمل فلاترز رحلته يوم 21 ماي 1880م بحوالي مائة بعير متوجّها نحو منطقة وادي ميزاب سالكة دروبا جديدة عندهم، لهذا قدم فلاترز معلومات وافية حول المناطق التي اجتازها من وصف للكثبان الرملية والصخور والأودية والأشجار والغزلان والحدائق بوادي ميزاب وغيرها، وفي 26 ماي غادرت البعثة بلدة العطف واتخذت مجرى وادي ميزاب خط سيرها إلى أن وصلت مدينة بني يزقن، وبعد تجول البعثة في أحياء مدينة غرداية غادرتها في 28 ماي متوجهة إلى بريان، التي قضت بها يومي 29 و30، ثم واصلت طريقها إلى أن دخلت مدينة الأغواط يوم 03 جوان على الساعة العاشرة صباحا، وكان في استقبالها القائد الأعلى بيلان "Belin" الذي استضافهم عنده[4]. وبعد هذه الرحلة عاد فلاترز إلى باريس، حيث استقبل من طرف مصلحة الطريق الصحراوي "Trans-saharien"، والتي سلمت له الأموال اللازمة من أجل إعادة الاستكشافات في الشتاء[5].

2- الرحلة الثانية:

عاد فلاترز إلى ورقلة حيث نظم رحلته الثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري، وذلك لاكتشاف بلاد التوارق ودراسة مشروع مد خط حديدي عبر فيافي الصحراء، وضمت هذه البعثة إحدى عشر فرنسيا، وسبعة وأربعين جنديا من الأهالي، واثنين وثلاثين قائد بعير، وثمانية من رجال الشعانبة للاستدلال عن

---

[1] – **أمقيد**: تقع على مسافة 394 كم جنوب شرق عين صالح و439 كم شمال تمنغاست على طريق وادي إغرغار شمال الهقار وغرب الآزجر، تعرف بوفرة المياه بنى بها الضابط شارلي (C. Charlet) برج عسكري سمي برج فلاترس ينظر:
Georges Gorrée, **Les Amities Sahariennes du Père de Foucauld**, B.Arthaud, Paris, T 1, 1946, p305.

[2] – هاشمي آمال، **التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار**، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ع: 18-19، 2012، ص 265.

[3] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 104.

[4] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 423.

[5] – المرجع نفسه، ص 424.

المسالك وأربعة توارق، ومجموعة من الجمال تحمل أمتعتهم[1]، وفي طريقه كتب إليه "فيرو" (Feraud)[2] قنصل فرنسا العام في طرابلس رسالة يحذِّره فيها من نيات التوارق العدوانية ويخبره بأن رئيس توارق الأهقار ذهب إلى رئيس الأزجر إخنوخن وأنَّبه بقبول معاودة البعثة استكشافها، إلا أن الكولونيل لم يأخذ هذا التحذير بعين الاعتبار[3].

انطلقت البعثة من ورقلة في 04 ديسمبر 1880م متوجهة إلى السودان، وبعد أيام من السير استقرت البعثة **يإيزامن**، ثم غادرتها يوم 30 جانفي 1881م للبحث والتعرف عن سبخت **أمادقور** التي تعد مدخلا لبلاد السودان، وبعد الاستقرار في **وادي تاجيرت** انطلقت البعثة في أول فيفري للبحث عن هذه السبخة، وانحدرت مع وادي تاجيرت نحو الجنوب والجنوب الغربي داخل خنق جبلي إلى أن وصلت إلى سهل منبسط ومغطى بالحجارة السوداء من مختلف الأحجام، حيث لا أثر للنبات أو الحيوان، لذلك نبه الدليل رئيس البعثة العقيد فلاترز بأنه لا يعرف هذه الأرض، وأنه لا يتذكر طريق السبخة ويجب أن يرجع إلى المسالك المعروفة حتى لا تتيه البعثة[4].

واصلت البعثة رحلتها في ظروف صعبة، حيث نفذ ماؤها وعطش بعض أفرادها، وظهر عليهم العياء والإرهاق، وتفككت صفوفها وتباعدت المسافات بين أفرادها، وكان العقيد فلاترز يشجعهم ويتقدمهم حتى عثروا على غدير به قليل من الماء، ثم وجدوا بجانبه بئرا نصبوا مخيمهم حوله ومكثوا يومين هناك يوم 07 و08 فيفري، ثم تابعت القافلة مسيرتها يوم 09 فيفري 1881م عبر الهضاب والتلال وبدأت تتصل بسكان المنطقة، ووصلت إلى تيماسنين واستقرت بها يومي 12 و13 فيفري، وتقابل

---

[1] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 424.

[2] – **فيرو**: ولد في نيس بفرنسا 05 فيفري 1829م ودرس في كلية تولون ذهب إلى الجزائر في عام 1845، عمل في بداية الأمر كمساعد كاتب في الإدارة المدنية الجزائرية ثم تعلم العربية سريعا فأصبح مترجما عام 1848 وأرسل إلى بجاية يوم 20 جويلية بصفته مترجما مدنيا ومسؤول عن تنظيم إدارة هذه الدائرة، أصبح مساعد مترجم عسكري من الدرجة الأولى في 24جانفي 1853م ومن الدرجة الثانية في 16أوت 1857م بعدها تم تعيين مترجم للحكومة العسكرية العامة الجزائر ابتداء من 19فيفري 1872م لكونه يتقن اللهجات العربية وظف لتأدية مهام مختلفة منها: الاستطلاع المسح البعثات "الدبلوماسية" لرؤساء القبائل الجزائرية. في عام 1876م ذهب فيرو إلى ليبيا وعمل هناك لحساب فرنسا إلى حين اختير لأداء منصب ديبلوماسي أكبر بالمغرب فترك طرابلس في 4نوفمبر 1884م و ذهب إلى المغرب فتوفي بها في 19ديسمبر 1888م . **ينظر**:

Charles Féraud, « **l'archéologie et l'histoire de l'Algérie**»,p 21.

[3] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 104.

[4] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 424.

فلاترز في هذه المنطقة مع العديد من التوارق الذين توّعدوه لأنه لم يظهر لهم الاحترام والتقدير، استأنفت البعثة مسيرتها يوم 14 و16 فيفري، ودخلت سهلا شاسعا رمليا، وحوالي الساعة العاشرة صباحا، توقفت البعثة وأعطى فلاترز الأمر بتنصيب الخيم، ريثما يقوم مع مساعديه والدليل بالبحث على بئر الغرامة[1]، ولكن التوارق نصبوا له كمينا بجانب البئر، ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين قتل على إثرها فلاترز وبعض أعوانه[2].

وفي مساء المعركة أعطى الملازم الأول **ديانوس** إلى بقية البعثة (حوالي ستة وخمسون 56 رجلاً) الأمر بالتراجع، وبعدما فقدوا جمالهم أخذوا يسيرون على الأقدام في الصحراء حاملين معهم ما أمكن من الزاد في اتجاه ورقلة التي تبعد عن بئر الغرامة بمسافة أربعين يوماً، وفي أرض رملية لا يسمع فيها إلا عواء الذئاب ولا تتحرك في جنباتها سوى الضباع والتوارق[3].

وفي إحدى أودية أمقيد هجم عليهم فريق من التوارق، وبعد دفاع مستميت سقط صريعاً قائد القوة العسكرية الملازم ديانوس واثنان من رفقائه الفرنسيين، وأما ما بقي من أعضاء البعثة راحوا يأكلون لحم الموتى من زملائهم لسد الرمق، ولما سقط رقيب الخيالة "بوبجين" ميتاً من الجهد والعياء انقض زملاؤه من البعثة على لحمه الذي لا يزال ساخناً، وفي 28 مارس وصل عدد صغير من رجال القناصة إلى ورقلة ليقصوا مأساة الرحلة[4].

المبحث الثالث: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1881-1899

هي المرحلة التي أعقبت مقتل الضابط فلاترز، أين زادت رغبة فرنسا في التوسع نحو الجنوب الجزائري، والتوغل في الصحراء باتجاه مستعمراتها الإفريقية، وأصبحت أكثر طلبا للتجارة الصحراوية خاصة بعد إبرام اتفاقيات مع الدول الأوربية على تقسيم مناطق النفوذ في إفريقيا، وفي مقدمتهم بريطانيا سنة 1899، على هذا الأساس شهدت تلك الفترة تزايد عدد البعثات العسكرية الاستكشافية، أبرزها

[1] – **بئر غرامة:** تلقب بحاسي طاجونت وجدت في بعض المصادر باسم (Tajenout) و(Tagnout) تقع على بعد 125 كلم شمال شرق ترهاوهاوت (Tarhaouaout) التي تقع جنوب شرق تمنغاست على بعد 60 كلم. ينظر:
Augustin Bernard et N.Lacroix, **La Pénétration Saharienne 1830-1906**, Imprimerie Algérienne, 1906, p87.

[2] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 425.

[3] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 105.

[4] – المرجع نفسه، ص 106.

رحلة غاسطون ميري، وبرنارد دتانو (Bernard D'Attanoux)، وفرناند فورو وبورليي (Bourlier) 1883، ودولس (Douls) 1885-1887 الذي قتل هو الآخر من طرف التوارق[1].

أولا: غاسطون ميري (Gaston Méry)

قاد بعثتين الأولى أوائل سنة 1892، والثانية أواخر 1892 إلى مطلع عام 1893، حيث كلّف في الرحلة الأولى من قبل "مقاولة ورقلة السودان"، من أجل إنجاز خط سكة حديدية من بسكرة إلى ورقلة وتوسيع النشاط التجاري ما بين ورقلة وبلاد التوارق، لأجل هذا استكشف منطقة الوادي، حاسي ألندة، طريق تقرت، حاسي ميلود، حاسي الناصر، منطقة الغور حاسي أولاد صالح، البيوض، وادي إغرغار، عندها توقف ميري عن مواصلة رحلته واضطر إلى العودة ليكون قد قطع حوالي 725 كلم في ذهابه، وحوالي 800 كلم في عودته، من أهم ما توصل إليه غاسطون هو إمكانية مد خط سكة الحديد في بلاد ممتدة وصلبة خاصة ما بين العين الطيبة وتماسنين في اتجاه بلاد التوارق[2].

أما في البعثة الثانية، فقد كلّف من قبل "مقاولة ورقلة-السودان" للتوجه إلى بلاد توارق أزجار لأجل التفاوض مع زعمائها للحصول على ترخيص للقوافل الفرنسية كي تعبر أراضيهم باتجاه السودان الأوسط، وكان برنارد دتانو من بين أعضاء بعثته، حيث غادر بسكرة إلى الوادي أين استكشف حاسي مي، حاسي بلحيران، مجرى وادي إغرغار، مويلح معطا الله، ثم سار إلى بلاد التوارق، لكن طريق العودة اختلف عن طريق الذهاب، حيث توجه نحو الغرب عبر كثبان عين الطيبة، تماسنين مرتفع الخنفوس، وهو امتداد لجبال التاسيلي، بحيرة منخوع عين الحجاج أين التقى بزعماء التوارق، حصل ميري بموجب التفاوض على صداقة توارق الآزجر لفرنسا وعلى ضمان مرور قوافل فرنسا باتجاه السودان الأوسط تحت حماية التوارق أنفسهم، كما قام بإنجاز خرائط لتلك المناطق التي استكشفها وسجل ملاحظاته اليومية حول الظروف الجوية، وجمع معلومات وعينات حول التركيبة الجيولوجية للمناطق التي عبرها[3].

[1] – هاشمي آمال، المرجع السابق، ص 266.

[2] - P. Vuillot, **l'exploration du sahara, etude historique et géographique**, Augustin Chalamel edition, edition libriarie cloniale, Paris, 1895, pp 228-255.

[3] - Vallat Gustave, **A la conquête du continent noir**, Missions Militaires et Civiles de 1892, pp 269-271.

ثانيا: فرناند فورو[1] (Fernand Foureau)

قاد فرناند فورو عدة بعثات استكشافية في صحراء الجزائر في فترة ما بين 1883-1898 بتكليف من الحاكم العام، كان هدف البعثة الأولى هو استكشاف منطقة تقرت، والبحث عن إمكانية مد خط سكة حديدية فيما بين ورقلة وعين صالح من غير أن تعترضها كثبان الرمال، وعلى هذا الأساس سلك الطريق المؤدي إلى عين صالح، انطلاقا من غرداية مرورا بحاسي الملح وحاسي تويزة، عين الطيبة، منطقة تادمايت إلى أن بلغ تقرت[2].

بينما في البعثة الثانية، فقد كلّف فورو من قبل وزارة الأشغال العمومية والحاكم العام بالجزائر باستكشاف المنطقة الواقعة ما بين حاسي المسقم وتماسنين، فبدأ رحلته من بسكرة مطلع عام 1892 متجها نحو حاسي بلحيران إلى مويلح معطا الله تابنكورت وتماسنين، ثم توجه إلى الجنوب الغربي، حيث استكشف حاسي تين-سيغ، آبار البيوض إلى أن وصل حاسي المسقم، وتمكن فورو في هذه البعثة من إجراء حسابات الارتفاعات والمنخفضات وتحديد التوجهات باستعمال البوصلة وتسجيل معدل حرارة تلك المناطق، وهو الأوربي الوحيد الذي استطاع الوصول إلى حاسي المسقم بعد محاولتي فلاترز[3].

وفي البعثة الثالثة التي انطلقت في ديسمبر 1892 إلى فيفري 1893، كلّف فورو باستكشاف الطريق بين ورقلة وغدامس، من أجل التفاوض مع توارق الآزجر في قضايا تجارية وأمنية، وقد غادر بسكرة أواخر 1892 نحو العين الطيبة، ومن هناك سلك طريقا جديدا إلى البيوض، تماسنين حاسي تابنكورت ثم حاسي إمولاي عبر طريق جديد مؤدي إلى غدامس لم يستكشف من قبل استقبله التوارق في غدامس ودخل معهم في مفاوضات، ثم عاد بعد ذلك إلى بسكرة، قدم فورو ملاحظات جغرافية كثيرة نحو أربعة وخمسين (54) ملاحظة لثلاث طرق فرعية لم تقطع من قبل[4].

[1] – **فرناند فورو**: من مواليد 1850 بسان باربانت (Saint Barbant)، استقر كمستوطن في الجنوب القسنطيني وقام بعدة رحلات ناجحة في الجنوب الجزائري، قبل أن يشرع في اجتياز الصحراء من ورقلة حتى بحيرة تشاد مع لامي 1898-1900 مرورا بالهقار والأير، وقد حملت رحلاته وثائق هامة حول الصحراء الوسطى، وعين فورو حاكما على جزر مايوت (Mayotte) والقمر (Comores) توفي بباريس سنة 1914. ينظر:

Grand Dictionnaire Encyclopedique Larousse, Vol 5, 1983, P 4438.

[2] - P. Vuillot, op-cit, pp 225-253.

[3] - Ibid, pp 284-286.

[4] - Ibid, pp 284-287.

وفي البعثة الرابعة التي انطلقت ما بين أكتوبر 1893 ومارس 1894، كلِّف بعبور بلاد التوارق وبلوغ منطقة الآير، فانطلق في رحلته من بسكرة باتجاه المنيعة، ثم حاسي الحاج موسى، حمادة تادمايت، عين صالح، تماسنين، ثم توجهت القافلة إلى منطقة تاسيلي آزجار، وفي وادي تخمالت التقى برجال من زعماء التوارق ودخل معهم في نقاش من أجل السماح لبعثته بأن تعبر أراضيهم باتجاه الآير[1].

وفي طريقه توقفت رحلته قرب بحيرة مهيري في منطقة التاسيلي، حيث اعترضت طريقه إحدى قبائل التوارق ومنعته من مواصلة رحلته، أمام هذا الوضع عادت القافلة إلى بسكرة، ومن نتائج هذه الرحلة العلمية وضع خريطة تضم حوالي 4000 كلم من المسالك التي عبرها، و مائة وثمانية وثلاثون (138) ملاحظة فلكية، وخمس (05) نقاط للارتفاعات، وملاحظات كثيرة حول الأحوال الجوية ووصف قبائل توارق الآزجر ومنطقة التاسيلي[2].

أما في الرحلة الخامسة التي انطلقت فيما بين 1895-1896، فلم يتجاوز جنوب العرق الكبير حيث أوقف رحلته الحاكم العام لكون بلاد التوارق كانت تمر بظروف صعبة آنذاك، وفي سنة 1897 كلف فورو ولامي[3] (Lamy) من قبل الجمعية الجغرافية بباريس برحلة عبر الصحراء، حيث انطلق من بسكرة نحو العين الطيبة، ثم البيوض وتيماسنين وعين الحجاج، ومن هناك إلى بلاد توارق الآزجر، حتى وصل إلى بئر منخور، ثم حاسي تاسينجة أين تفاوض مع زعماء التوارق، ثم عاد إلى بسكرة[4].

تمكن فورو في هذه الرحلة من استكشاف نحو 440 كلم من المسالك الجديدة من بين 2450 كلم التي قطعها، وتمكن من تحديد مستويات الارتفاع والانخفاض للمناطق التي عبرها ووضع لها خرائط

---

[1] - Fernand Foureau, **Rapport sur ma Mission au Sahara et chez les Touareg Azdjer Octobre 1893- Mars 1894**, Librairie Coloniale, Paris, 1894, pp 107-114.

[2] - Fernand Foureau, op-cit, pp 197-274.

[3] **– أميدي لامي (Amedee Lamy):** ضابط ومستكشف فرنسي ولد سنة 1858 في موجينس (Mougins) دخل في سن 19 إلى مدرسة سانت سير، وقبل أن يقوم برحلته العابرة للصحراء رفقة فورو كان لامي ضابطا ذو خبرة وأظهر كفاءته بالمغرب، وفي تونكين وفي الغابون وفي مدغشقر، بعد التقاء البعثات الثلاثة أخذ القيادة وقتل بكوسري جنوب تشاد من طرف السلطان رابح سيد الصحراء الوسطى سنة 1900. ينظر:

Grand Dictionnaire Encyclopedique Larousse, Vol 6, 1984, p 6109.

[4] - Fernand Foureau, **Mon Neuvième voyage au Sahara et au pays Touareg Mars-Juin 1897,** Librairie Maritime Coloniale, Paris, 1898, pp 77-120.

ورسومات، كما استطاع دراسة ووصف الآبار ومصادر المياه وطبيعة الجو، ووضع لذلك جداول وسجل أسماء مختلف نباتات وأسماء الأماكن المتداولة بين التوارق[1].

ثالثا: بعثة فلامون (Flamand)

فتحت البعثة العلمية للأستاذ فلامون إلى عين صالح آفاقا واسعة أمام التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري، حيث انطلقت البعثة في خريف 1899 وأخذت طابعا علميا لاكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية وإمكانيات مياهها الجوفية وغيرها، غير أنها تحولت في الأخير إلى حملة عسكرية شرسة[2].

أشرفت وزارة المعارف العمومية والمستعمرات على هذه الرحلة ودعمتها الحكومة بميزانية خاصة إثر طلب الوالي العام لافريار، كما أمرت الحكومة النقيب بين (Pein) الذي يترأس المكتب العربي بورقلة بأن يحمي هذه البعثة على رأس فرقته المتكونة من تسعين مهريا وخمسة عشر فارسا، وانضم إليهم مقدم الطريقة القادرية بورقلة ومعه أربعين مهريا، وكلف وزير الحرب النقيب جرمان (Germain) بالتحرك مع فرقة الصبايحية الصحراوية باتجاه البعثة لحمايتها وقت الحاجة، غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899 متوجهة إلى عين صالح، واتبعت في البداية طريق الرحلة الأولى لفلاترز، وفي يوم 9 ديسمبر وصلت إلى حاسي إينغل، ويوم 15 ديسمبر إلى حاسي سوقي، ويوم 18 غادرت البعثة حاسي سوقي لتلتحق بحاسي المقر ومنه إلى رق أجمار ووادي مسين، أما يوم 26 ديسمبر فقد وصلت البعثة إلى فوقارات الزوا ومن الغد التحقت بواحة إيقوستين[3].

اكتشف أهالي عين صالح ونواحيها نوايا هذه البعثة، فاستعدوا للكفاح والمقاومة وقاموا بهجوم مفاجئ عليها يوم 28 ديسمبر 1899 في الصباح الباكر بقوة تقدر بحوالي 1200 رجل تحت قيادة الحاج

[1] - Fernand Foureau, op-cit, pp 120-149.

[2] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي ...، ص 108.

[3] – المرجع نفسه، ص 109.

المهدي باجودا[1]، واستمرت المعركة إلى حوالي العاشرة صباحا قتل على إثرها الحاج المهدي باجودا ففشل الهجوم وسيطر النقيب "بين" على الموقف، خاصة بعد أن تدعمت البعثة بفرقة الصبايحية تحت قيادة النقيب جرمان، واستطاعت أن تواصل سيرها وتدخل القصر الكبير لتستقر بقصبته ريثما تستريح وتواصل طريقها إلى عين صالح[2].

تجددت المعركة بالقرب من قصر دغامشة يوم 05 جانفي 1900، فاحتمت البعثة بحصون وحدائق القصر، وبدأ الاشتباك حوالي الساعة التاسعة صباحا بتبادل الطلاقات النارية، ثم قامت الصبايحية وفرق القوم بهجوم عنيف صاحبته طلاقات نارية مكثفة زعزعت صفوف المقاومين وبعثرتهم مما جعلهم ينسحبون لمعاودة الهجوم، تعرضت البعثة لهجومات متكررة طيلة مكوثها بالقصر الكبير لذلك قرر الوالي العام لافريار تدعيمها بقوات إضافية فأمر الرائد بومقارتان (Boumgartin) القائد الأعلى لدائرة القليعة بالتحرك نحو عين صالح على رأس الفرقة العسكرية الصحراوية المتكونة من 150 جنديا و50 من رجال القوم للسيطرة نهائيا على المنطقة، وصلت الفرقة إلى القصر الكبير يوم 18 جانفي 1900 واندمجت مع بعثة فلامون لترجح كفته ضد الثوار وتقضي على المقاومين، لتواصل بعدها البعثة سيرها نحو عين صالح[3].

وقعت عين صالح وما جاورها من واحات تحت الاحتلال الفرنسي بعد هذه البعثات، وهي تتمتع بأهمية إستراتيجية فائقة، لأنها تقع على مسافة متساوية ما بين الجزائر شمالا وتنبكتو جنوبا، وموقادور غربا وطرابلس شرقا، وهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط شمال القارة بالسودان، فضلا على أنها مركز ممتاز لتمويل التوارق، بعدما انتهى فلامون من مهمته استقبل بمدينة الجزائر استقبالا رسميا من طرف السلطات المحلية، كما استقبل أيضا من طرف الوالي العام ليقدم له عرضا حول رحلته التي استخلص منها نتائج هامة، حول الملاحظات الجيولوجية والري الصحراوي الجغرافيا الفيزيائية والفلكية والإمكانيات

[1] – **الحاج المهدي باجودا:** هو المهدي بن الحاج عبد القادر بن مُحَّد سي الحاج بن باحمو بن عمر رئيس قبيلة باجودة، ومقدم الزاوية السنوسية بعين صالح، ولد حوالي 1854 وهو ينتمي إلى الأسرة السنوسية بنواحي مستغانم، والتي تنحدر من أصول عربية، قاد الحركة الإصلاحية وقاوم التوسع الفرنسي بالصحراء. ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء ...، ص 505.

[2] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي ...، ص 109.

[3] – المرجع نفسه، ص 110. وينظر أيضا: L. Voinot, Op-Cit, p 92.

الاقتصادية للمنطقة وعلاقة فرنسا بالصحراء والشعوب السودانية، وبهذه الرحلة الاستكشافية دخل جنوب الجزائر مرحلة جديدة من تاريخه، وهي مرحلة الاحتلال الفعلي والكلي للصحراء الجزائرية[1].

كما تمكنت قافلة من السيارات الفرنسية في عام 1922م من عبور الصحراء الكبرى لأول مرة انطلقت من الساحل الشمالي للبحر المتوسط حتى بلغت تنبكتو بعد شهر واحد، وما لبثت كشوف الصحراء أن انتقلت بعد ذلك إلى مرحلة جديدة، هي التعرف على آثار حضارات سكان الصحراء في العصور الغابرة، خصوصاً وأن الجفاف يعتبر عاملاً رئيسياً في الاحتفاظ بها، وأدت هذه الكشوف إلى تأكيد النظرية التي ترى أن الصحراء كانت منذ 40 ألف سنة مضت مدارية غزيرة الأمطار تجري بها الأنهار والبحيرات[2].

ومع بداية الثلاثينات من القرن العشرين بدأت مرحلة أخرى في كشوف الصحراء عندما تنبأ العالم بأن جوفها يحوي البترول والغاز والمعادن، ولم تمر بضع سنوات حتى كانت الشركات الأمريكية والفرنسية والإنجليزية قد بدأت التنقيب عن البترول، بعد أن كشفت عنه وعن الغاز الطبيعي في بعض مناطقها وازدادت حمى التنافس بين هذه الشركات ودولها للحصول على الامتيازات في أراضي دول شمال الصحراء على وجه الخصوص[3].

ومما تقدم يمكن القول:

أن هذه الرحلات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري كانت في ظاهرها ذات طابع استكشافي تجاري وعلمي، ولكن في باطنها كانت للتجسس والتوسع، حيث زودت السلطات الاستعمارية بالمعلومات اللازمة والبيانات والخرائط والرسومات التي سهلت لهم التحرك في الصحراء بكل أريحية، وبالتالي بسطت نفوذها على كامل أرجاء الصحراء وأحكمت قبضتها عليها، كما أن المخططات التي وضعتها فرنسا قد تنوعت وشملت مجالات عديدة بهدف إحكام قبضتها على المنطقة وبأي طريقة، فالصحراء كانت بالنسبة لها العالم الجديد والمكان الأنسب لبناء إمبراطوريتها القوية، بعد أن عثرت على ثروات هائلة ضمنت مستقبلها الاقتصادي، فانطلقت في بناء قاعدتها العسكرية، لكن سكان الجنوب لم

[1] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي ...، ص 110.

[2] – عيسى علي إبراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، المصر، 2000، ص 204.

[3] – المرجع نفسه، ص 205.

يبقوا مكتوفي الأيدي فواجهوا هذه المخططات بمختلف الطرق، كالمواجهة وانتهاج سياسة المناورات علها تجد منفذا تحسم من خلاله المعركة.

كما وظف الأوربيون تقارير البعثات الاستكشافية وكتب الرحلات توظيفا سياسيا، إذ أن التوسع السياسي كان بعد معرفة المناطق المراد التوسع فيها، واستخدام طرق مواصلات امتدت إلى جنوب الصحراء، وإبرام اتفاقيات مع أهم الأطراف في غرداية وغدامس، فتمكن الضابط لابي من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية التي اعتمد عليها قادة الاحتلال للتوسع في الصحراء، وكذلك قام الباحث أفيزاك (Aveazac) سنة 1936 بإنجاز دراسة جغرافية عن منطقة الصحراء ووضع فيها خريطة وضحت عليها كل المعالم، كطرق المواصلات القديمة مع تقديم تصور حول كيفية استغلالها من طرف فرنسا[1].

[1] – احميده عميراوي، المرجع السابق، ص ص 30-31.

الفصل الثاني: إنشاء المكاتب العربية ودورها في استمالة شيوخ القبائل والزعماء المحليين

المبحث الأول: المكاتب العربية نشأتها وتطورها

المبحث الثاني: تشكيل المكتب العربي ومهامه

المبحث الثالث: المكاتب العربية والأسر الكبرى في الجنوب

المبحث الرابع: اعتداءات وتجاوزات المكاتب العربية

تمهيد:

اعتمدت السلطات الفرنسية في جميع المقاطعات الجزائرية على مساندين لها يخدمون مصالحها ضد إخوانهم وأهاليهم، وتمكنت من تجنيد عدَّة فرق، نذكر منها فرقة الصبايحية، وفرسان الدواوير، والزمالة وفرقة الزواف الذين كانوا يعملون تحت قادتها، سعيا منها للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية ومصادر تموينها، والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الواحد، حتى لا يتسنى للثوار ورواد المقاومة الشعبية تجنيد عدد كبير من الأهالي ضد قوات الاحتلال الفرنسي، فالمشروع الاستعماري كان يقضي بإنهاك وإضعاف قوى المقاومة الشعبية، وتحقيق أهدافه وأفكاره التوسعية الاستيطانية بإلحاق الجزائر بالدولة الفرنسية خدمة لمصالح الشعب الفرنسي، ولتجسيد ذلك قامت السلطات الفرنسية باستحداث طرق جديدة للسيطرة على الجزائريين، ومن أهم الوسائل المتخذة وضع مكاتب عربية تقوم بدراسة شاملة حول بنية الشعب الجزائري من حيث العادات والتقاليد والدين.

المبحث الأول: المكاتب العربية نشأتها وتطورها

أولا: الأجهزة الإدارية قبل المكاتب العربية

مباشرة بعد دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر وتوغله في المناطق الداخلية والصحراوية، وجد المستعمر نفسه يجهل لغة هذا المجتمع وعقيدته وتقاليده وطبيعة بلاده الجغرافية، ونتيجة لفوضى الاحتلال العارمة التي اكتسحت البلاد، حاول المحتل إيجاد مؤسسة أو هيئة تكون همزة وصل بين قواته الغازية والجزائريين، فتم في البداية توظيف اليهود كواسطة بينهم وبين القادة الجزائريين، لكنها لم تجدي نفعا، بل تسببت في مظالم وممارسات تعسفية، وأمام هذا الفشل دعا القيِّم الديني إلى ضرورة تعيين الجزائريين على رأس هذه المناصب حتى يكون التعامل مع الأهالي ناجحا[1]. ومن أهم هذه المناصب نجد:

[1] – فاطمة حباش، **المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844–1870) "تيارت، سعيدة، جيرفيل، البيض نماذجا"**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2013-2014، ص 47.

1- منصب آغا العرب[1]:

نظرا لعدم كفاءة ضباط الأركان العامة لدراسة قضايا الجزائريين، حاول بعضهم إعادة إحياء الوظيفة العثمانية القديمة، وهي وظيفة "آغا العرب"، حيث تعاقب الكثير من الآغوات على تلك الوظيفة التي لم تكن ذات فائدة بالنسبة للسلطة الاستعمارية [2]، فعين التاجر حمدان بن عبد الرحمان أمين السكة الذي كان يجيد القليل من الفرنسية لتردده على مرسيليا وإيطاليا، غير أنها لم تفده في مهمته كوسيط بين السلطة الفرنسية والقبائل الريفية لكونه حضرياً ولا يعرف شيئاً عن طبائع الريف، وبالتالي لم يستطع فرض طاعته وسلطته عليهم ،كما أن صمعته كانت سيئة عند السكان الذين كانوا يحتقرونه ففشل في مهمته[3].

وعندما تم تعيين كلوزيل (Clauzél) حاكما ألغى منصب آغا العرب بقرار 07 جانفي 1831م بحجة أنه غير مناسب لطابع النظام العسكري، ونقلت صلاحياته إلى قائد سرية الجندرمة (Mendiri) الذي كان يجهل لغة الجزائريين وعاداتهم ومعتقداتهم، ولم يستمر في منصبه لأكثر من ثلاثة أشهر لتعسفه وشدته على المقاومين بمتيجة، وفي 19 نوفمبر 1834م عين المقدم "ماري مونج" (Marey Monge) "آغا العرب" ولكن فشل هو الآخر في مهمته لأنه كان أكثر رداءة من سابقه[4].

2- مكتب الشؤون العربية:

أحدث الدوق دورفيقو (De Rovigo) الحاكم العام للجزائر عام 1833م فرعاً في مكتبه سماه **"المكتب العربي"**[5]، ومع مجيء أفيزار (Avisard) 04 مارس 1833م، وباقتراح من قائد الأركان تريزال (Trézel) أنشأ مكتب خاص للشؤون العربية ذو طابع عسكري إداري مكلف بجمع المعلومات وتنظيمها لأجل العمليات العسكرية ومتابعة المراسلات والعلاقات مع القبائل بأمان، بترجمة الوثائق

---

[1] – **آغا العرب:** وهو عبارة عن عون ووسيط بين السلطة الفرنسية والأهالي، وجد منذ العهد العثماني، كان يعرف أحيانا بآغا الدائرة أو باش آغا أو خوجة الخيل، وهو قائد الحامية العسكرية المستقرة بمركز البايلك يتلقى أوامره مباشرة من الداي، ويقوم بعزل أو تعيين البايات الجدد عندما تصدر له أوامر بذلك، ويخضع لأوامره فرسان المخزن، ينظر: أحمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص ص 39-40. ينظر أيضا: شارل روبير وآخرون، المرجع السابق، ص 250.

[2] – صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، دار البصائر الجديدة، الجزائر، ط1، 2013، ص 12.

[3] – فاطمة حباش، المرجع السابق، ص 47.

[4] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 13.

[5] – المرجع نفسه، ص 12.

الواردة من عندهم أو متعلقة بهم، وفي المقابل تعمل على احترام عادات وتقاليد الأهالي وحماية مصالحهم وتطبيق العدالة ونشر السلم[1].

تولى رئاسة **المكتب** الضابط لاموريسيار (Lamoricière) الذي كان يبلغ سبعة وعشرون (27) سنة ويعمل برتبة نقيب في الفيلق الثاني لسلك الزواوة، يجيد اللغة العربية ومطلعا على العادات والتقاليد دارسا لشعائر المسلمين الدينية ما أهله لنيل المنصب، جعل لاموريسيار من المكتب جهازا للدعاية والإعلام، وكان يزود السلطات بمعلومات يوميا، مرفقا ذلك بوثائق مترجمة بالفرنسية ويتصل بالقبائل كان له مقرا بنفس إقامة القائد العام، يضم أربع مترجمين وسكرتير وموظفين من الأهالي، ورصيد مالي سنوي يقدر بـ 60000 فرنك، غير أنه لم يدم في منصبه طويلا، لأنه استبعد بحجة الضرورة العسكرية وفرض وجوده كعسكري في ميدان المعركة ببجاية بدلا من إداري ودبلوماسي[2].

عندما تولى دامريمون منصب الحاكم العام، وليؤكد على مبدأ مركزية تسيير شؤون الأهالي تحت إشرافه مباشرة، أسس **مديرية الشؤون العربية** في 22 أفريل 1837م وأوكلها إلى الضابط بليسي رينود (Pellissier Reynaud)، الذي تولى سابقا إدارة المكتب العربي 1834م، وهذا راجع لقدراته ومعرفته للغة العربية وسلوكيات السكان[3]، وقد سعى الماريشال فالي إلى تفعيل دورها بقرار 05 مارس 1839 لكنه اصطدم بمعارضة أنصار الإدارة المباشرة للأهالي[4].

وبمجيء "بيجو" (Bugeaud) سنة 1841م، عاد إلى الاهتمام بإدارة الشؤون العربية، فأصدر أمراً في 17 أوت 1841م لتعيين أوجين دوماس مديرا لها، الذي كان على دراية بعادات الأهالي؛ بحكم توليه منصب قنصل لدى الأمير عبد القادر بمعسكر 1837-1839، فأدخل تعديلات على إدارة الشؤون، وجعل منها إدارة لقهر الجزائريين، وذلك بواسطة المكاتب التي أوجدها الفرنسيون في كل مكان، وكان على رأسها ضابط "عقيد" ومعه معاونين من المتبرعين والجنود[5].

---

[1] – فاطمة حباش، المرجع السابق ، ص 51.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 51-52.

[3] – المرجع نفسه، ص 54.

[4] – يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 10-11.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ، ص62.

3- المكتب العربي لمديرية الداخلية:

صدر أمر لتسيير أموال الحبوس في 13 جانفي 1841م، تحت رقابة المديرية الداخلية في لجنة مكونة من خمسة (05) أعضاء مسلمين يساعدهم مكتب، يشمل السكرتير الفرنسي، ووكيل المال وشاوش، وشخصين عدلين، وممثل المديرية الداخلية بمساعدة مجلس الشورى، الذي يعمل على توجيه أعضائه، والملاحظ أن العنصر الفرنسي أصبح ينمو بسرعة، ففي جويلية 1843م ضم السكرتير المترجم ورئيس المكتب وعاملين، ولتبرير هذه الزيادة أشار مدير الداخلية في جلسة مجلس الإدارة للمستعمرة إلى أن المكتب سيصبح "المكتب العربي لمديرية الداخلية"، بينما العنوان الرسمي له سيبقى **"مكتب الإحسان"** الذي يرتبط باسم ديلابورت[1] (Delaporte) الموظف الحاذق، الذي أخذ يوسع كل مرة من خدماته ليحصل على ترقية حتى درجة مدير المكتب العربي[2].

ثانيا: اعتماد المكاتب العربية وتطورها

1- اعتمادها:

تأسست المكاتب العربية بصفة رسمية بقرار وزاري موقع من طرف الماريشال دوق دي دالماتيه (Duc De Dalmatie) في 01 فيفري 1844م[3]، وتحت عنوان (التنظيمات والسلطات) وضحت المادة الأولى ضرورة تشكيل مكاتب باسم المكاتب العربية تحت سلطة ضابط برتبة عقيد في كل منطقة عسكرية في الجزائر، قسمت هذه المكاتب وفقا لبنود المادة الثانية إلى قسمين الأول بمقر المقاطعة والثانية بالنقاط الفرعية[4].

---

[1] - **جاك دينيس ديلابورت (Jaques Denis De Laporte):** ولد بطرابلس الغرب عام 1777، وهو ابن قنصل قديم لفرنسا كان لعائلته دورٌ كبير في العلاقات بين فرنسا والدول الإسلامية، وقد تابع ديلابورت حملة نابليون على مصر، ثم عين فيما بعد مترجم لرئيس الجيش الإفريقي في 1832، ليصبح في 1836 مدير الشؤون العربية في الجزائر، أحيل إلى التقاعد سنة 1841، أما أمه أنجيلينا بيجيني فأصلها إيطالي. ينظر: احميده عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، ص 118.

[2] - احميده عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، ص 117.

[3] - شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية**، تر: المنجي سليم الطيب وآخرون، الدار التونسية للنشر، الجزائر، 1976م، ص41.

[4] - مختار هواري، **سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية تجاه بعض العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837-1870**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009، ص 57.

أما المادة الثالثة، فقد جاءت مبينة لمهام المديريات الجهوية التي تقوم بتحرير وترجمة التقارير وإرسال الأوامر ومراقبة الأسواق وتقديم التقارير للحاكم العام حول الوضعية السياسية والإدارية للبلاد، فضلا عن اختصاصات أخرى، كما تقوم المديرية المركزية بالعاصمة بصياغة التقارير النهائية وترسلها إلى وزير الحرب، وهكذا فقد استأثرت بسلطات واسعة، غير أنها لم تكتف بذلك فحسب، بل إن رئيس المكتب العربي يقوم بمراقبة سلوك رؤساء القبائل ويقترح تعيينهم، يسوي الخلافات التي تنشب بين القبائل، كما يشرف على الأشغال العامة ويسوي وضعيات الملكيات ومهام أخرى كثيرة[1].

وبطلب من الماريشال فايون (Vaillant) وزير الحربية، أمضى نابليون الثالث[2] في 08 أوت 1854م مرسوما يتعلق بإنشاء المكاتب بصفة رسمية وواسعة في الجزائر، وبصدوره وضع حد لنقاش دام عشر (10) سنوات، فبعد أن كانت تعمل من دون تعيين بمرسوم وتحت اسم مكاتب الشؤون العربية، أصبحت معتمدة في كل المقاطعات، وجاء هذا التعيين بناء على مستجدات كثيرة منها:

- كثرة الأراضي التي استولى عليها الاستعمار خاصة في إقليمي قسنطينة ووهران.
- تطبيقا لمرسوم 12 سبتمبر 1853م، الذي نص على وضع أغلب السكان الأصليين تحت التصرف المباشر والي الولاية (البريفي).
- نجاح السياسة التي طبقتها مكاتب الشؤون العربية في إدارة السكان[3].

2- تعريف المكتب العربي:

إن المكتب العربي حسب **دوماس**: "هو تلك المؤسسة التي يتمثل موضوعها في ضمان التهدئة، تهدئة القبائل بصفة دائمة، وذلك بإدارة عادلة ومنتظمة، وتهيئة السبل لاستيطاننا ولتجارتنا عن طريق استتباب الأمن العام، وحماية كل المصالح الشرعية، وزيادة الرخاء لدى الأهالي، وعلى عمال هذه المؤسسة أن يميلوا أكثر فأكثر إلى البحث عن الحل السلمي لكل المشاكل التي كانت تتطلب في أحيان كثيرة استعمال القوة، والعمل للتغلب على جميع العراقيل، التي يواجهنا بها مجتمع في غاية الاختلاف عن

[1] - المرجع نفسه، ص58.

[2] - **لويس نابليون 1808-1877**: هو شقيق نابليون الأول رئيس جمهورية فرنسا الثانية بعد ثورة 1848، لقب بنابليون الثالث خاض الحرب ضد روسيا 1870 وأسيرا فيها. ينظر: مُحَّد عيساوي ونبيل شريخي، **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 126.

[3] - احميده عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، ص 115.

مجتمعنا بعاداته ودينه، وعن طريق دراسة البلاد وتقييم جميع المصالح التي تحرك السكان العرب سيتوصلون إلى تعيين الاستعمال الأكثر فائدة والأكثر مناسبة للقوة العسكرية في حالة الانتفاضة، وسيعدون لقمع أية انتفاضة بالوسائل الأكثر سرعة وبأقل تكلفة، وعليهم أخيرا إجهاد أنفسهم لحمل الأهالي على قبول كل من سيطرتنا والعناصر الحكومية التي يتوجب عليها تمكينها بأقل ما يمكن من الكراهية"[1].

كما يجب على المكتب العربي أن تكون لديه قائمة بالأشخاص المشبوهين ضمن كل قبيلة وأن يكون على معرفة بتصرفاتهم وعلى إطلاع بأماكنهم على نحو يمكنه خلال ليلة واحدة ولأدنى إشارة من إشارات الزوبعة من رفعهم، وهؤلاء الأشخاص موجودون بكثرة بالرغم من أن فشل الانتفاضة الأخيرة قد أخرج جزءا كبيرا من جاهليتهم وفي الإمكان تصنيفهم بحسب طبقاتهم المتنوعة أهمها: "المراسلون القدامى للأمير عبد القادر، شيوخ الطرق الدينية، المرابطون المشهورون الدراويش المتنبئون، الأغنياء الرافضون الاحتكاك بنا والشيوخ المشهورون بوقارهم وعلمهم، والذين هم في عزلة منشغلين بالمخطوطات نقلا أو تأليفا، وأخيرا مجموعة الناقمين الكبيرة"، فهذه الأصناف كلها تتطلب مراقبة دائمة وجدية لأنها الشرارات الكامنة في الظل قد تشعل الحريق بمجرد هبوب الريح.[2]

أما مارسيل إمريت (Marcel Emerit) فيورد لنا الوصف لمقر المكاتب العربية: "إنه بصفة عامة عبارة عن دار متواضعة اقتصر فيها بتهيئة غرفة تكفي لاستقبال الزوار والمشتكين وغرفة أمن محصنة نوافذها بقضبان الحديد وأقفال متينة حيث يتم حبس الجناة والمجرمين" أما وسيلة حكم المكاتب العربية فقد كانت تتمثل في العصا خاصة في الفترة الثانية لها وكارتون يؤكد هذا فيقول "دخلت متجولا في قاعات مكتب الشؤون العربية، وكانت مجموعات الأهالي جالسة على الدرج عند المدخل تنتظر دورها في الاستقبال لكي تعرض أمام الضباط إما دفاعها أو أعذارها أو شكواها، فيقوم الشواش المزودون بالعصي بمناداتهم بينما تطوف مجموعات من الصبايحية حولهم لحفظ النظام"[3].

3- تطور المكاتب العربية خلال عهد الجمهورية الثانية:

[1] - عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، دار موفم، الجزائر،2010، ص 177.

[2] - المرجع نفسه، ص 180.

[3] - عبد الحميد زوزو، **الأوراس إبان الفترة الاستعمار الفرنسي "التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837-1939"**، ج1، دار هومه، الجزائر، 2009، ص 203.

تم التوسع في إنشاء المكاتب العربية وتقوية أجهزتها الإدارية والسياسية، نظرا للنجاح الذي حققته في حكم الأهالي، وقد تضاعف عددها في عهد الحاكم راندون (Randon) وتعززت سلطتها من سنة 1860 إلى سنة 1870، فارتفع من 40 مكتبا عام 1857 إلى 49 عام 1870، ومن 150 ضابطا عام 1857 إلى 206 عام 1866[1].

وفي 21 مارس 1867 أصدر الماريشال دو مكماهون (De Macmahon)[2] وثيقة عنوانها "**مدخل إلى النصوص التنظيمية لمكاتب الشؤون العربية**" وهي في الحقيقة عبارة عن مذكرة مختصرة لمختلف التغييرات التي صدرت في شكل قرارات ومنشورات منذ 1944 قصد الوصول إلى تنظيم مختلف أقسام المصلحة العربية تنظيما دقيقا والتوصل إلى ملائمة التعليمات السارية في الموضوع مع المبادئ التي وضعتها الرسالة الإمبريالية يوم 20 جوان 1865 في شأن السياسة الفرنسية في الجزائر[3]، وبمرور الزمن تحول هؤلاء الضباط والجنود والمديرون والمخبرون والمراقبون والقضاة والمستشارون والفنيون في المكاتب العربية إلى الحكام الحقيقيين في الجزائر وربطوا إليهم الأهالي بوسائل مختلفة فحقد عليهم المستوطنون الأوربيون وشنوا ضدهم حملات من الحقد والكراهية امتد تأثيرها إلى فرنسا نفسها[4].

المبحث الثاني: تشكيل المكتب العربي ومهامه

أولا: تشكيله

كان مكتب الشؤون العربية في عهد بيجو يتألف من ضابط برتبة نقيب يكون عادة هو رئيس المصلحة يساعده ضابط أو اثنان برتبة ملازم أو ملازم أول وقاض مكلف بالفصل في قضايا الناس وكاتب فرنسي برتبة ضابط صف وكاتب عربي أو خوجة للمراسلات باللغة العربية وترجمان وشاوش[5] وعددا من الصبايحية[1] غير محدود ويختلف حسب ظروف المكتب ومكانه وعدد سكان المنطقة[2].

---

[1] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 17.

[2] – **ماري باتريس موريس ماكماهون:** ولد في 13 جويلية 1808 من عائلة إيرلندية الأصل، تخرج من مدرسة سان سير العسكرية وشارك في الحملة العسكرية على الجزائر، شارك في الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة وقاد حملة ضد سكان ميلة في شهر جوان 1857، احتل منطقة جرجرة عام 1857، عين حاكما عاما في 01 سبتمبر 1864. ينظر:

Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie,** Edition Challamel, Paris,1889, pp 369-371.

[3] – عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في ...، ص 193.

[4] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 12.

[5] – عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في ...، ص 193.

أما في عهد **دوماس**، فقد كتب تقرير بتاريخ 21 أوت 1847م إلى وزير الحربية دعاه فيه إلى ضرورة إنشاء مكتب عربي مدني، أخذ فيما بعد اسم **"مكتب الإدارة الأهلية"** مشكل من: رئيس المكتب، نائب الرئيس، مفتشين، مقرر، اثنين من الجنود، ووكيل المال، شخصين عدلين، ثمانية أمناء (خمسة أعضاء من لجنة الإحسان)، شاوش، الخادم، يضاف إلى هذه القائمة ستة أمناء من الجماعات وخوجاتهم[3]، ونص المنشور الصادر سنة 1867م على أن تشتمل القيادة الإقليمية للمكاتب العربية على اثنتي عشرة شخصاً (ثمانية أشخاص في المقاطعات، وسبعة أشخاص في مكاتب الدوائر)، أما المكتب السياسي المركزي فستة عشر شخصاً[4].

ثانيا: مهام ضباط المكاتب العربية

أصبح ضباط مكاتب الشؤون العربية شخصيات أساسية وفاعلة في الإدارة الفرنسية، بفضل الصلاحيات الواسعة التي منحت لهم، فكانوا يتولون تدريب "فرق القومية" في حالة السلم، ويقودونهم للقتال في حالة الثورات والاضطرابات، ويمارسون مهام القضاء، لأن القياد كانوا يخضعون لمراقبتهم ويراقبون الضرائب، ويقومون بمهام الشرطة والتوسط في النزاعات القبلية، وبالإحصاء الدوري لأوضاع المنطقة ليمكنوا مصالح أملاك الدولة من الحصول على أراض جديدة للاستيطان، ويراقبون سيرة الشخصيات الدينية[5].

تمكن ضباط مكاتب الشؤون العربية بفضل هذه الصلاحيات من معرفة عميقة بالحياة الجزائرية في بضع سنين، ما جعلهم يكونون في البداية الوسيط بين السكان والسلطة العسكرية، ثم صاروا بعد مدة قصيرة همزة وصل بين الأوربيين والمسلمين، وعلى رئيس مكتب الشؤون العربية أن يقدم تقريره إلى القائد الأعلى مرة في اليوم على الأقل ومحضر عن مجريات الأربع وعشرين ساعة الأخيرة والمقترحات التي يراها

---

[1] – **الصبايحة**: هم من الجنود الأهالي التي دافع عنها الجنيرال فالي، قام الحاكم بتدعيم هذه التجربة عن استحداث عساكر الزمالة، فرسان، صبايحة، واختيار الفرسان يكون من الطبقة الغنية أي العائلات الكبرى وهؤلاء الفرسان مجموعات في شكل قرى عسكرية. ينظر: سهيل صايات ، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 2000م، ص300..

[2] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 17.

[3] – احميده عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، ص 119.

[4] – شارل روبير أجرون ، المرجع السابق، ص 300.

[5] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 193.

ملائمة ويسجل رؤوس أقلام عن قرارات وأوامر القائد، فهو يضمن سير المصلحة وتوزيع المهام على جميع الضباط والعاملين في المكتب ويبلغ لهم الأوامر التي تلقاها ويسهر على تنفيذيها ويظل مسؤولا عنها اتجاه القائد الأعلى[1].

وفي تقرير مطول **لديلابورت** أرسله إلى المدير العام للشؤون المدنية، اقترح تعييناته لتولي الشؤون العامة، وكذا التعيينات المطلوبة وفقا لهذا الملخص: "مراقبة المؤسسات الدينية والتعليمية وطرق التعليم، مراقبة إسناد الوظائف، مراقبة أسواق الأهالي والعبيد السود، مراقبة الأماكن الفرنسية المعنية بالأهالي والأماكن المختلطة، دراسة كل المشاكل الصناعية والتجارية للأهالي ودراسة طرق القوافل، نجدة الأهالي وقدماء الموظفين منهم خصوصا حجاج مكة، وبشكل عام وخاص لكل من قوائم القضاة، الاستعلامات العامة، المقابر، الموسيقيين، شرطة الأعياد، السماسرة والمضاربين، أمناء السكة، شيخ الساحل، الجماعات المهنية، الأمناء وأعمالهم، مراقبة الحمالين والمحاكم الإسلامية"[2].

ثالثا: مهام المكاتب العربية

انطلاقا من القرار الصادر سنة 1844م فإن السلطة الاستعمارية لم تكن تسعى إلى ترقية الجزائريين والسهر على تلبية حاجاتهم، بقدر ما كانت تسعى إلى تحديد أهداف استعمارية، تضمن بقاءها الدائم في كامل القطر الجزائري بدون استثناء، ويمكن تحديد هذه الأهداف انطلاقا من المهام والصلاحيات التي أوكلت إلى مؤسسة المكتب العربي وعناصره، ويمكن تلخيصها كما يلي:

1- استغلال القوات الأهلية:

إذا كان المستعمر قد استفاد من بقايا التنظيم الإداري العثماني، خاصة فيما يتعلق بالتعامل مع الأسر الكبرى من أجل المحافظة على الوضع الراهن، فإنه بالمقابل قد استفاد كذلك من ملحقاته في التنظيم العسكري، وحاول أن يهيكل تلك القوات تحت وصاية مؤسسة المكاتب العربية، التي أصبحت تشرف عليها إشرافا مباشرا، من أجل فرض الرقابة السياسية والفكرية على الأهالي، وإخماد أي انتفاضات وثورات شعبية[3].

أ- القوم:

[1] - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص ص 194-195.

[2] - احميده عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، ص 119.

[3] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 29.

استعمل ضباط المكاتب العربية هذه الأهلية غير المنتظمة في مهام استعمارية كثيرة ساعدت القوات الفرنسية على فرض هيمنتها على البلاد ردحا من الزمن، وكان يطلق على هذه الهيئة **"الحرس الوطني"**، وتتمثل مهمة القوم في الجولات التي يقوم بها في الدوار ليطلع على الحالة الأمنية في مختلف الجهات، ومتابعة الأوامر المأمور بها، ومراقبة ما يجري هنا وهناك[1]، لإحضار من يتأخر في دفع الضرائب، ونقل البريد الرسمي وغير الرسمي، وتقديم عروض الأحوال شفوياً وكتابياً تتضمن وقوع الحادثة وسبب وقوعها[2]، لقد كان ضباط المكاتب العربية دائمي الاتصال بالعناصر التي كانت تتعامل معهم مثل القوم، من أجل توطيد ركائز الاحتلال، ومراقبة تحركات الأهالي المناهضين للوجود الفرنسي في الجزائر[3].

وتنظيم **"القّوم"** كان يتم من قبل مؤسسة المكاتب تنظيما استراتيجيا، يستهدف التحكم والسيطرة على القبائل، وعلى سبيل المثال قبيلة أولاد ماضي وغيرها من قبائل الحضنة كانت تزود المكاتب العربية بـ 422 قوما أما في دائرة سطيف فقد كان هناك قوم دائم مثل قوم "واد الساحل"، أما بدائرة بسكرة فقد كان حوالي 50 قوما تابعا لمكتب تلك الدائرة من أجل حماية منطقة الزيبان، وكان قائده هو الشيخ دهينة بن علي الذي ظل مخلصا ووفيا لفرنسا فقد استطاع المحافظة على استمرارية الاتصالات بين السلطة العليا بقسنطينة والقوات الفرنسية أثناء ثورة الزعاطشة[4].

ب- المخزن:

أكدت السلطات الاستعمارية على ضرورة دعم الجيش بفرق المخزن[5]، وهي الفرقة الثانية التي استخدمتها تلك المؤسسة الاستعمارية، من أجل مصلحة الاحتلال، وزرع الفتنة والتناحر بين أفراد المجتمع الجزائري[6] وقبائل المخزن هي عبارة عن تجمعات سكنية مصطنعة في أصولها مختلفة في أعراقها،

---

[1] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 30-31.

[2] - مُحَمَّد العيد مطمر، **التنظيم الإداري في عهد الاحتلال الفرنسي الأوراس "حوز أريس" تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837م، 1959م**، دار الشهاب، باتنة، 1988م، ص ص 223-224.

[3] - جمال قنان، **نصوص سياسية جزائرية في القوانين 1914-1830**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص99.

[4] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 30-31.

[5] - يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص23.

[6] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص34.

أوجدها العثمانيين قبل مجيء الفرنسيين لتكون عوناً لهم وكذلك منهم من استقدموا كأفراد من جهات مختلفة تؤلف حينها جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها لخدمة الحكومة العثمانية[1].

يتكون تنظيم المخزن من أشخاص من أصول متعددة، يضعونهم على الطرق الرئيسية بعد طرد سكانها الأصليين مع أراضي وامتيازات[2]، مثال على ذلك قول الماريشال بيجو: **"يا مخزن الدوايرو الزمالة أنتم خدمتم معنا خدمة لم يشاهد مثلها من أحد، وكل واحد من عامة المخزن والدوايرو الزمالة يحوز أرضاً"**[3]، مقابل مراقبة الطرقات وتقديم فرسان عند الحاجة[4].

ومن بين المهام المسندة إليهم، هي وظائف الشرطة وجمع الضرائب ويتقاضون خمس المبالغ التي يجمعونها، ثم خفضت بعد مرسوم 17 جانفي 1845م، إلى عشر مبالغ الضرائب، وكان التغريم من بين المهام المسندة إليهم، وسخروا الناس لأشغال الحرث ونقل الحبوب[5].

كما كانت رغبة ضباط المكاتب إعطاء مؤسسة المخزن قاعدة قوية ومتينة وذلك عن طريق دمج أبناء الأسر الكبرى الذين كانوا يتخوفون من النظام العسكري قصد إيجاد مخرج شرعي لطموحاتهم وذلك بتقليدهم البرنوس الأزرق للمخازنية بدلاً من البرنوس الأحمر للصبايحية وهي سياسة معروفة تستهدف استقطاب كثير من عناصر تلك الأسر إلى القضية الفرنسية[6]، ومن أهم القبائل المخزنية للسلطات الفرنسية قبيلة الصحاري (دائرة بسكرة) التي كان لها ميل للنظام العسكري، فضلاً عن أنها كانت على استعداد دائم لتزويد المكاتب العربية بحوالي 400 فارس، وكانت هذه القبيلة مؤلفة من حوالي 800 خيمة من بينها حوالي 100 خيمة كبيرة ذات تأثير بالغ[7].

اتجهت السياسة العسكرية لمؤسسة المكاتب العربية إلى أمر بدا لها في غاية الأهمية، وهو إقامة قرى مخزنية في شكل زمالة تحمل السلاح وتمتطي الخيل وتعفى من الخدمات الأخرى والضريبة، بحيث تشكل

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر، الجزائر 2009م، ص207.

[2] - Mercier Ernest, **L'Algérie en 1830, Le cinquanten asire de l'Algérie**, Paris, challamol ainé éditeur, 1880, p5

[3] – جمال قنان ، المرجع السابق، ص170.

4 - Mercier, Ernest, Op-cit ,p10.

[5] – شارل روبير آجرون، المرجع السابق، ص 249.

[6] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 32-33.

[7] – المرجع نفسه، ص 34.

نوعاً من الميليشيات تحمي رؤساء الأهالي، وتقوم بدور شرطة الطرقات والأسواق والبريد والتوقيف واستخلاص الضرائب..."[1].

ج- الخيالة[2]:

أنشئت هذه الفرقة من أجل ضمان استمرارية البريد والاتصال بين المكاتب العربية ورؤساء الأهالي، ومن أجل تبليغ أوامر السلطة العليا وتعليماتها والمساهمة في المحافظة على الأمن والاستقرار بالبلاد، وقد تم تكوين هذه الفرقة بمقتضى مرسوم 16 سبتمبر 1843، وأطلق عليها الضابط "شارل ريتشارد" (Ch. Richard) تسمية **"الدرك السياسي"** لأنها كانت مهيئة أكثر من مخزن للمحافظة على الأمن العام، إن طريقة اختيار الخيالة بمقاطعة قسنطينة ليست نفسها بمقاطعتي الجزائر العاصمة ووهران ففي هاتين العمالتين كان يتم اختيارهم من بين عناصر القوم الذين أثبتوا جدارتهم بالنسبة للمستعمر، في حين أن عملية الانتقاء بقسنطينة لم تكن بالعملية السهلة، حيث كان من الصعب الاهتداء إلى عناصر أوفياء تحقق للمحتل طموحاته في التوغل بالبلاد وتجسيد عنصر الاستيلاء والاستعلاء[3].

د- الفيلق الثالث للصبايحية:

إن فرقة الصبايحية تستمد جذورها من التنظيم العسكري العثماني بالجزائر، ولكن بشكل يختلف عنه في الفترة الاستعمارية، من حيث الوسيلة والهدف، فكان لكل باي فرقة تخضع له تسمى "يولداش الصبايحية"، وفي 07 ديسمبر 1841 صدر أمر ملكي يقضي بتحويل فرقة الصبايحية إلى فرقة منتظمة، وتم ترسيم الفيلق الأول بمقاطعة الجزائر العاصمة، والثاني بوهران والثالث بقسنطينة، وأسندت قيادته للجنرال بوسكران (Bouscaren)، الذي خلف الجنرال ديفو (Desvaux) في 22 ديسمبر 1851[4].

كان عدد هذا الفيلق بمقاطعة قسنطينة 160 صبايحيا سنة 1848، ليصل إلى حوالي 200 سنة 1849، ولكن مع سنة 1852 بدأ يتضاءل ليصل إلى 170، أما مقاطعة الجزائر فكان بها حوالي 145

---

[1]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص 35.

[2] - **خيالة**: مصطلح عثماني والخيالة عساكر من جيش الدولة العثمانية المنتظمون وكانت تتكون من ستة فرق. ينظر: سهيل صايات، المرجع السابق، ص 106.

[3]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص 36-37.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 39-40.

صبايحيا أما وهران فكان بها 155، ولعل هذا التراجع ناجم عن صعوبات مالية أو ربما عن عدم إخلاص ووفاء للقضية الاستعمارية، وعن طريق الصبايحية كان يتم تبليغ أوامر المكاتب العربية للقبائل وكذا اطلاعها على الوضع، كما كانوا وسيلة الجوسسة والتأثير على القبائل من أجل كسب الكثير من أفرادها إلى القضية الفرنسية، ولم تكن هذه السياسة سوى معول هدم ووسيلة فتنة بين الأهالي، إذ كثيرا ما حالت دون وحدة الأمة ضد المحتل، وقد كان يتم إعداد عناصرها من طرف ضباط المكاتب لتولي مناصب إدارية، خاصة منها قيادة القبائل، وكان الاختيار على أساس أن تكون عناصر مؤثرة وذكية وقادرة على فهم السياسة الاستعمارية بعد تخرجها من مؤسسة المكاتب العربية[1].

2- مراقبة الرأي العام:

لقد استخدم الضباط جميع الوسائل من أجل الاتصال بالأهالي ومراقبة تصرفاتهم، وكمثال على ذلك النقيب (Boissonnet) الذي كان من أحسن الضباط، فقد حصل بسهولة على معارف جيدة حول الحياة الجزائرية، وتمكن إلى حد بعيد من اللغة والشعر العربي، حيث استخدم في مكتبه الشاعر "مُحَّد الشاذلي"، في قسنطينة كان هذا الضابط يتعرف على أخبار الأهالي من خلال الشعر الشعبي، ولهذا نلاحظ أن الضباط الفرنسيون كانوا يستغلون كل ما كان يقربهم من الأهالي، من أجل مراقبتهم وتقصي أخبارهم[2].

نجح الضباط في أداء دورهم كهمزة وصل بين الجانبين أي الإدارة الفرنسية والأهالي وفي تعريف المسلمين بالأفكار الفرنسية وتمثلت مهام الضباط أيضاً على التجسس على القبائل واضطهاد الشعب بشتى الوسائل منها إجبار الأهالي على دفع ضرائب متنوعة وهذا ما زاد من معانات الأهالي كما عملت على مراقبة تحركات الأهالي من أجل القضاء على أي محاولة قيام بانتفاضة[3].

3- مراقبة رجال الدين والقضاء على الثورات:

عمل الضباط الفرنسيون بالقضاء على الثورات، وذلك بمراقبة رجال الدين في بداية الاحتلال الفرنسي، وعملوا على مراقبة الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر، حيث لجأ أحمد باي إلى عائلة بن

[1] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 40-42.

[2] - عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق، ص194.

[3] - بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص141.

عباس صاحب الزاوية القادرية، وكان مُحَمَّد الصغير خليفة الأمير عبد القادر صاحب الطريقة الرحمانية[1]، وقد عمدت السلطات الفرنسية على عقد اتفاقيات هدنة مع أحمد باي والأمير عبد القادر، من أجل كسب الوقت وإعادة تجهيز الجيش ثم القضاء على المقاومتين، كما عملت الإدارة الفرنسية على مراقبة الزوايا ومراقبة تحركات رجال الدين، كما عملت على منعهم من التنقل إلى مناطق أخرى إلا بعلم الإدارة الفرنسية[2].

4- تولى مهمة القضاء والفصل في خصومات الأهالي:

اهتمت مؤسسة المكاتب العربية بمهام إدارية كثيرة فضلاً عن المهام العسكرية من أبرزها القضاء والضريبة[3] فقد أثبتت الإدارة الفرنسية من خلال هذا الجهاز أنه وسيلة من وسائل الضغط والقهر ضد الأهالي لإرغامهم على الاستسلام وليس رمزا للعدالة[4]، وفي غضون فترة زمنية تم إنشاء مؤسسات قضائية فرنسية، وكانت للمحاكم الفرنسية صلاحية البث في القضايا التي تهم جميع الفئات السكانية في الجزائر، وتم إلغاء القانون الجنائي الإسلامي ويعين القضاة المسلمين من طرف الحاكم العام وفقدوا بذلك صلاحية النطق بأحكام القمع[5].

كان القضاء في الجزائر مقسماً حسب مناطق، ففي المناطق الجنوبية خاضعة للأحكام العسكرية والقضاء في الشمال خاضعة للأحكام المدنية، وذلك فيما يتعلق بالجزائر والمخالفات التي يرتكبها المسلمون، أما الأوربيون فأمرهم يرجع إلى المحاكم في الشمال، وكذلك لليهود، فالقضاء في أراضي الجنوب يشمل المجالس الحربية للقضايا الجنائية، واللجان الزجرية للقضايا الجنائية والرؤساء العسكريين والأهليين في المخالفات واللجان الزجرية هي لجان عسكرية، حيث يقوم رجال الجند بالمكاتب العربية في الحصول على سلطة استثنائية تمكنهم من زجر الأهالي بسلطة رؤساء الأهالي القضائية هم القياد والأغوات انتزعت

---

[1] – مُحَمَّد العيد مطمر، **الغزو والاحتلال الفرنسي" الأوراس وأثره على الحالة الاجتاعية لسكان المنطقة ،1844–1884**، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، ع 10، 2005–2006، ص81.

[2] – مُحَمَّد العيد مطمر، المرجع نفسه، ص82.

[3] – صالح فركوس ، المرجع السابق ،ص125.

[4] – شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري علاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن 19م**، مذكرة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة، 2008–2009، ص117

[5] – شارل روبير أجرون ، المرجع السابق ، ص378.

السلطة من أيديهم[1] من طرف المكاتب العربية، فمثلاً إذا عثر القائد أو الآغا على أهلي متلبس بجريمة قتل فعلى القايد القبض عليه وجره إلى السلطات الفرنسية[2]، ثم أصدر مرسوم 1876م الذي نص على أن عمل القضاة المسلمون مقتصر على تنفيذ أحكام الصلح فقط، والنظر في قضايا الأحوال الشخصية الزواج، الطلاق والمواريث[3].

وحسب رسالة الإمبراطورية[4] المؤرخة في 20 جوان 1865، والخاصة بالسياسة الفرنسية في الجزائر تم تكليف المكاتب العربية بتسعة عشر مهمة هي: "تحضير وتنظيم المراسلات، الإطلاع على احتجاجات الأهالي، ضبط الإحصائيات، التعرف على المواد الخاضعة للضريبة وشرطة تراب الدائرة، مراقبة مصالح القضاء الإسلامي، مراقبة التعليم العمومي في القبائل والمدارس العربية الفرنسية، مراقبة التجمعات الدينية والزوايا، وتسجيل سيرة قادة الأهالي والشخصيات والعائلات ذات النفوذ، جمع المعلومات الطبوغرافية والتاريخية ومختلف الوثائق الخاصة بالقبائل مراقبة دور الضيافة، وإدارة مصلحة الصبايحية والخيالة والعسكر، تأسيس الملكية عند القبائل مراقبة الأشغال المنجزة، قيادة فرق القومية في الحالات الاستثنائية، جمع وتوجيه قوافل الحجز معاينة الحالة المدنية في القبائل، ضبط حسابات الدراهم الإضافية"[5].

المبحث الثالث: المكاتب العربية والأسر الكبرى في الجنوب

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي عدة شخصيات جزائرية من بعض العائلات استغلتها الإدارة الفرنسية كوسيلة لضرب المقاومات الشعبية، فعلى سبيل المثال عائلة "آل السايح" في منطقة مجانة والبرج التي ساهمت بدور كبير في خدمة الإدارة الفرنسية إذ أمدتها بعدة محاربين، وكان "صالح بن علي"

[1] – شارل روبير أجرون ، المرجع السابق، ص379.

[2] – توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 331-333.

[3] – شهرزاد شلبي ، المرجع السابق، ص118. ,

[4] – ضمن ما عرف بسياسة المملكة العربية التي دعى إليها الإمبراطور نابليون الثالث، حيث قام ببعث رسالتين يوضح فيهما سياسته أرسل الأولى في 06 فيفري 1863 إلى الماريشال الدوق مالاكوف، وأرسل الثانية إلى الدوق ماكماهون في 20 جوان 1865، ينظر: عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في** ...، ص ص 161-164.

[5] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 194.

والآغا "سي قدور" عونين للماريشال بيجو، وشارك القائد سي هني في محاربة كل من "بومعزة" وهو يحمل وسام "باش آغا"[1].

ومن أجل كسب العائلات والقبائل الجزائرية الكبرى إلى صف السلطة الفرنسية اسندوا إلى بعض أفرادها الوظائف والمناصب والقيادات، وأغدقت عليهم المال والجاه وعلقت لهم الأوسمة والنياشي، وقد برزت في الجنوب الجزائري عائلات متنافسة على السلطة كعائلات بوعكاز، وبن قانة، وعائلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة، والشراقة، وأولاد علاهم، وابن بابية، وابن جلاب، وأولاد عطرود، وأولاد مسعود ... وغيرهم، وعليه فقد استطاعت سلطة الاحتلال توظيف هذه الصراعات التي كانت قائمة بين بعض الشخصيات المحلية وبعض القبائل الصحراوية في عدة معارك مع المقاومين الجزائريين بهدف إخضاع بعض تلك المناطق[2].

كما عمدت المكاتب العربية في توظيف رؤساء العائلات الجزائرية الكبيرة من أجل فقط السيطرة على البلاد والقضاء على أية مقاومة قد تندلع، وهذا ما عبر عنه أحد قواد المكاتب العربية سيروكا قائلا: **"إن معرفة خلفيات العائلات الرئيسية في هذه البلاد –يقصد الجزائر– وعداوتهم وصداقتهم وثاراتهم تجعلنا قادرين أكثر على حكمهم كما أن معرفتنا عن كثب لتاريخ البلاد المغلوبة تقينا غالبا من الوقوع في الخطأ"**[3].

أولا: المكاتب العربية وأولاد سيدي الشيخ

وجه الحاكم العام راندون (Randon) اهتمامه مع بداية الخمسينات إلى التوسع بالجنوب الغربي ورأى لإنجاح مهمته وجوب تطبيق مبدأ التعاون مع العائلات ذات النفوذ المادي والسياسي والاستعانة بها في التوسع، وبناءا على المعلومات التي تحصل عليها من الحملات السابقة، تبين له أن أهم قبيلتين تتقاسمان النفوذ هما قبيلتي "حميان"[4] التي تتمتع بالنفوذ السياسي والثراء المادي، وقبيلة "أولاد سيدي

[1] – شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص345.

[2] – إبراهيم مياسي، **المقاومة الشعبية**، دار مدني، تصدير وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 101.

[3] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 315.

[4] – **قبائل حميان:** هم من القبائل الرُّحَلْ ذات الأصول العربية، وتعود إلى الجد الأول حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي، وهي تندرج ضمن قبائل المخزن المتميزة بالقوة والثراء المادي وخدماتها للسلطة العثمانية، تنتشر أراضيهم في المنطقة الممتدة من أولاد نهار وبني مظهر وأولاد علي بن كامل شمالاً وأولاد سيدي الشيخ جنوباً، وأغواط كسل والعمور شرقاً وقبيلة زقدو المغربية غرباً، تنقسم قبيلة حميان إلى فرعين: الغرابة والشراقة. ينظر: فاطمة حباش، المرجع السابق. ص 145.

الشيخ"[1] التي تتمتع بالنفوذ الديني والعسكري، لهذا دخل الفرنسيون في مرحلة الاختيار بينهما وأيهما أكثر تأثيرا على السكان والقبائل الأخرى، وفي النهاية تم اختيار قبيلة **"أولاد سيدي الشيخ"** انطلاقا من جمعها بين قوة الدين وقوة السيف[2].

بدأت محاولات الاتصال والتفاوض مع نهاية 1846م ومطلع 1847م وتحديدا مع حملة الجنرال رونو (Renault) أين قدم له وفدان من أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة بقيادة جلول بن حمزة مرفقين بحصانين و18000 فرنك كضريبة ورسم خضوع وعربون تعارف مع الفرنسيين، وحاول هؤلاء الممثلين أن يقدموا صورة على مكانة ونفوذ العائلة خلال العهد العثماني والامتيازات التي كانوا يحضون بها، وانتهى التفاوض بتعيين قايديين لكل منهما، ولكن لم تنجح في كسب ولائهما وبقيت الاتصالات جارية[3].

قامت دائرة تيهرت في 15 جانفي 1850 ببعث وفد إلى سيدي حمزة[4] بدعوته لزيارة التل، وكان هذا الوفد يتشكل من القايد الصارم الشاب قدور ولد الحاج الصحراوي، وقائد المرابطين من قبيلة الأحرار، والمولود بن عون الله، ومُحَمَّد بن لعرج، والمعروف بن الحاج قدور، والسيد عبد القادر بن خالد قاضي تيهرت، التقى أعضاء الوفد مع رئيس أولاد سيدي الشيخ الشراقة عند القايد العربي بن لعرج من الحميان الشراقة، وبعد حوار طويل أبرز له فيه أفق قيادة كبيرة في الصحراء انتهى اللقاء باعتراف سيدي

---

[1] – **قبيلة أولاد سيدي الشيخ:** تنحدر من سلالة أبو بكر الصديق بشبه الجزيرة العربية، هاجرت غربا قاصدة شمال إفريقيا، أين استقرت مؤقتا بمصر وتحديدا بالاسكندرية، ثم شدوا الرحال نحو تونس وهناك عرفوا بالبوبكريين نسبة للخليفة أبو بكر الصديق، اكتسبوا فيها مناصب حكومية عالية تبعا لمكانتهم المزدوجة، وتنقسم قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلى الشراقة والغرابة وهي تسكن جزئياً في الأبيض سيدي الشيخ وفي قلب القصور الخمسة التي تتركب منها موجود ضريح جد سيدي حمزة تحت قبة، وهو الجد الأول والمؤسس لهذه القبيلة ينظر: فاطمة حباش، المرجع السابق، ص 142. وس. ترومللي، **الفرنسيون في الصحراء "يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: مُحَمَّد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، غرناطة للنشر والتوزيع، 2013، ص 114.

[2] – Gourgeot. E, Situation de l'Algérie, Challament Ainé éditeur, Paris, 1881, p 49. نقلا عن فاطمة حباش، المرجع السابق، ص ص 141-142.

[3] – المرجع نفسه، ص 144.

[4] – **سيدي حمزة:** ولد سنة 1814، وهو ينحدر نسبه مباشرة من الصحابي أبي بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله ﷺ، وهو من قبيلة أولاد سيدي الشيخ وهي قبيلة مرابطين مشهورة بالصلاح وكان لهم خداماً في اغلب قبائل الصحراء، وقد تزوج سلاطين المغرب الأقصى من بنات سيدي الشيخ أكثر من مرة، وفي سنة 1844 اختار السلطان عبد الرحمان إحدى أخوات سيدي حمزة "الياقوت" زوجة له. ينظر: س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 113-114.

حمزة للوفد بأنه كان مستعدا للاستسلام لولا مجيئهم ولإثبات ذلك قام بإرسال حصانه **"القادة"** واثنان من أخلص فرسانه سيدي معمر والحاج جلول إلى السلطات الفرنسية [1].

ولكن القاضي أشار إليه أنه من الأفضل أن يأتي هو شخصيا إلى تيهرت، حتى يكون استسلامه ثابتا، فلم يوافقهم ولكنه وعدهم بالقدوم، كما أنه نصحهم بزيارة أخيه سيدي الشيخ بن الطيب وهو قائد أولاد سيدي الشيخ الغرابة، الذي يكن له الكثير من الاحترام والتقدير، وبعد أن رأى أعضاء الوفد استحالة حصولهم على موعد من سيدي حمزة للذهاب إلى تيهرت، انقلبوا راجعين يوم 17 جانفي حاملين معهم رسالته وحصانه ورسله إلى السلطات الفرنسية، وقد رافق سيدي حمزة الوفد مدة يومين وفارقهم في عين العراق [2].

وبعد شهرين قام سيدي حمزة بإرسال رسالة إلى القائد الأعلى لتيهرت ليساومه على ما يسميه ردته، وفي أفريل 1850 رقي إلى رتبة خليفة على أولاد سيدي الشيخ الشراقة، بشرط أن يأتي هو شخصيا وبسرعة للسلطات الفرنسية من أجل تنصيبه، وقبل الخليفة الجديد لقاء قائد المكتب العربي بمعسكر، وذلك يوم 03 جوان، وكان سيدي حمزة يرافقه قوم كثير، أما قائد المكتب العربي فكان متبوع ببعض السبايس والفرسان العرب، وكان بينهم أخوه سيدي النعيمي الذي استسلم منذ زمن ، وفي اليوم الثاني من اللقاء بينهما تعرض سيدي حمزة لمحاولة اغتيال من طرف أخوه النعيمي، الذي وجه يد القاتل ليتم الاعتقاد بأن الفرنسيين حاولوا قتله أو ليرث بعد موت أخيه الوجاهة والقيادة[3].

وبقبول سي حمزة التعامل مع الفرنسيين فتح لهم المجال بالجنوب الغربي والصحراء عامة، بحيث منذ توليه المنصب ضمن للإدارة الاستعمارية السيطرة على المناطق التي كانت بيده، واستمر الأمر معه بعد الدور الذي قام به في حملة الأغواط إلى جانب الجنرال بيليسي في 04 ديسمبر 1852م ثم حملة ورقلة، مما أدى إلى توسيع نفوذه السياسي وأصبحت كل القبائل والقصور المنتشرة بالمنطقة تابعة إداريا له ومنظمة في شكل قيادات وآغويات، منها ما هو خاضع مباشرة لسي حمزة، ومنها ما هو في شكل قيادة أو أغوية بتعيين رسمي فرنسي وتزكية من سي حمزة[4].

---

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 120.

[2] – المصدر نفسه، ص 121.

[3] – المصدر نفسه، ص ص121-122.

[4] – فاطمة حباش، المرجع السابق، ص 145.

ثانيا: المكاتب العربية وأسرة بن قانة

1- أصل عائلة بن قانة:

بن قانة نسبة إلى امرأة تدعى "قانة" هي جدة هذه العائلة وتعود أصول هذه العائلة إلى جبال جرجرة فلقد كان لسليمان بن محمود علاقة "بأحمد القلي" فتوطدت هذه العلاقة إلى أن صارت مصاهرة بين الرجلين، حيث زوج سليمان ابنته "مباركة" إلى" أحمد القلي" وأنجبت له "مُحَّد الشريف بن أحمد القلي" وهذا الأخير تزوج من رقية، ابنة الحاج بن قانة شيخ العرب ولدت له الحاج "أحمد باي" آخر باي"آخر بايات الشرق الجزائري"[1].

ومن ناحية أخرى زوج "أحمد القلي" أخت زوجته لابن شيخ العرب من أسرة بوعكاز بن عاشور فصار الحاج بن قانة صهرا لبوعكاز[2] وعند تعيين أحمد القلي بايا على قسنطينة 1756-1771 التفت هذا الأخير إلى صهره مُحَّد الحاج بن علي بن سليمان بن قانة، فعينه شيخا للعرب عام 1762 فكان ذلك كافيا لإحداث صراع بين الصهرين بوعكاز وبن قانة ودام هذا الصراع إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري[3].

أكسب هذا الزواج قيمة وهيبة لابن قانة بين الناس، ويقال كذلك أنه بوفاة إدريس الثاني كان أحد أبناءه قد تولى إمارة مدينة تلمسان وأتباعها، وكان أحد أبناءه وهو يحي معروفا بعلمه ورشده، انحدرت منه سلالة أولاد سيدي يحي بضواحي مدينة تبسة، ومن هذه القبيلة خرجت أسرة بن قانة كما تذهب بعض الروايات[4].

2- علاقة بن قانة بالحاج أحمد باي قسنطينة:

ولقد حظيت عائلة بن قانة بمكانة مرموقة في صحراء قسنطينة كون بوعزيز بن قانة خال أحمد باي، وفيما يخص مقاومة الجنوب انضمام عائلة بن قانة إلى صفوف الحاج أحمد باي لمحاربة فرحات بن

---

[1] - موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2005-2006، ص 21.

[2] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص294. .

[3] - مُحَّد خير الدين، مذكرات، ص 64.

[4] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 264.

سعيد[1]، وإخضاع منطقة الزيبان والدفاع عنها لهذا الانضمام هو الرغبة في السيطرة على الصحراء، وصلة القرابة الموجودة بين باي وبين عائلة بن قانة[2].

وبعد احتلال مدينتي بجاية وعنابة، رأى "الماريشال كلوزيل" ثم الماريشال **دالومان** أن يدخل مدينة قسنطينة، حيث يتمركز أحمد باي قاوم الباي، غير أنه لم ينتصر وأرغم على الخروج من المدينة صحبة أفراد عائلة بن قانة وبعض الجيوش التي بقيت موالية له، وفي يوم 13 أكتوبر 1837م ظن الحاج أنه سيجد في الجنوب ملجئا وانتصارا له في بسكرة للحصول على الدعم العسكري من الجنوب، وبعد محاولات عديدة "لأحمد باي" من أجل استرجاع قسنطينة من العدو الفرنسي لكنه فشل، وهذا ما أدى بعائلة بن قانة في الزيبان الاستسلام للقوات الفرنسية بعد أن خسر الأتراك كل شيء في الجزائر ظنا منهم أنهم سيجدون عندها ما يريدون أي أن عائلة بن قانة فضلت المصالح الشخصية على المصالح الوطنية[3].

قام الماريشال **"فالي"** في مطلع عام 1839م بتعيين بوعزيز بن قانة كخليفة للمنطقة الصحراوية القسنطينية والتي تمتد على كامل الزيبان (الزيبان الظهري والقبلي والشرقي وكذا النمامشة الغرابة والعرب الرحل الشراقة والغرابة وقيادة أولاد جلال[4] وسيدي خالد وأولاد زكري وكل صحاري الحضنة)[5].

لقد كان بوعزيز بن قانة محل إعجاب من طرف بعض الضباط الفرنسيين، مثل النقيب **"دو نوفو"** أحد العناصر البارزة في إدارة الشؤون العربية بقسنطينة، والذي أكَّد أهميته بالنسبة للمحتل، حيث قال **"لقد أثبت هذا القائد الأهلي إخلاصه لفرنسا"**، بل وطالب سلطاته العليا بمكافأته على حماسه ووفائه للقضية الفرنسية، نفس الرأي كان يشاطره إياه الجنرال **"قالبوا"** الذي كتب يقول: "بوعزيز رجل خدوم

---

[1] – **فرحات بن سعيد:** ولد سنة 1786 هو ابن أحمد بن مُحَّد السخري وجراجة بنت بن الحداد شيخ الزاوية الرحمانية في مجانة بلاد القبائل الصغرى وهو آخر شيوخ العرب، تقلدها في مدينة سيدي خالد 1821، قتل سنة 1843 ودفن في مقبرة الدواودة بسيدي خالد. ينظر: عمر بعيجي، **صور وشواهد عن واحة سيدي خالد**، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013، ص 14.

[2] – صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1829–1850**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ص 520. ينظر أيضا: مُحَّد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، ش . و. ن.ت، الجزائر، 1972، ص 13.

[3] – مُحَّد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص 14–15.

[4] – **أولاد جلال:** من مدن الجنوب الشرقي الجزائري ومن أكثر أقاليم ولاية بسكرة، كانت مركزا اقتصاديا تقع معظمها على الضفة الشمالية الغربية لوادي جدي، وتقع بين خطي العرض 34 و35 وبين خطي طول 5 و6 درجات شرق خط غرينتش. ينظر: مُحَّد العربي حرز الله، **أولاد جلال أصالة وحضارة وتاريخ**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، 2013، ص 17.

[5] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 270.

للحكومة الفرنسية، أما فرحات بن السعيد عكسه لا يستقر على مقال..."، أما النقيب **"مارميي"** رئيس مكتب مدينة باتنة، فقد وصف بوعزيز بـ: "عديم التأثير في قيادته"، في حين نعته الملازم الأول **بودفيل** (Boudville) على أنه رجل لين ميال للإحسان ولكن مع الأسف ضعيف الشخصية[1].

وقد بلغت آراء ضباط المكاتب العربية حول شخص بوعزيز بن قانة حد التناقض بوصفه حيناً **بالنبل** وحيناً آخر **بالجبن**، ولا شك أن هذه الأحكام إنما تعكس بصورة واضحة مصالح الاستعمار التي لم تكن تستهدف الإنسان من حيث حقه في الحرية والاستقلال بقدر ما كانت تستخدمه من أجل النيل من كرامته وتجريده من مقوماته بل قتله ووأده في النهاية حتى يخلو له المجال ليصول ويجول، وسعى ضباط المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة إلى تثبيت سلطة بوعزيز وتدعينها ضد الثائرين على الاستعمار وأعوانه ومن بينهم حلفاء الأمير عبد القادر وأتباعه، وهذا بهدف تثبيت ركائز الاحتلال بالبلاد والمحافظة على مصالح فرنسا الاقتصادية وغيرها إلى حين أن يمسك المستعمر بزمام الأمور[2].

عملت السلطات الفرنسية خلال الفترة الممتدة ما بين 1839-1844 على إذكاء نار الفتنة والصراع بين العائلات المتنفذة، الممثلة في فرحات بن سعيد الذي يسعى إلى استرجاع نفوذه الضائع تارة تحت المظلة الفرنسية، وتارة أخرى ممثلا للأمير عبد القادر من جهة وعائلة بن قانة التي تنصلت من الحاد أحمد باي بعد أن سقط حكمه رغم صلة القرابة، حفاظا على السلطة والمال ارتمى بن قانة في أحضان الفرنسيين، وقاتل فرحات بن سعيد إلى أن تخلص منه سنة 1842 على يد البوازيد، ثم تفرغ لمحاربة خليفة الأمير في الزيبان مُحَمَّد الصغير بن أحمد بلحاج، وكان بن قانة قد قضى على معظم قوات خليفة الأمير السابق حسن بن عزوز في معركة سالسو 24 مارس 1840[3].

استمر الصراع بين مُحَمَّد الصغير بن أحمد بلحاج وبوعزيز بن قانة مدة عامين 1842-1844 دون أن يحسم لطرف، وأضحت منطقة الزيبان منقسمة إلى صفين متحاربين، حاصرت قوات بن قانة واحة سيدي عقبة وقصبة مدينة بسكرة ردحا من الزمن دون جدوى، واستنجد عدة مرات بالقوات الفرنسية، إلا أن هذه الأخيرة أخرت المسألة حتى تم ترتيب الأوضاع في الشمال القسنطيني، وفي الجهة الشرقية من

[1] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 271.

[2] – المرجع نفسه، ص 272.

[3] – بن يوسف التلمساني، **التوسع الفرنسي في الجزائر 1830–1870**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 262.

قسنطينة أين تم إخضاع قبائل الحراكتة والحنانشة وبني صالح وكذا الجهة الغربية من الإقليم حتى سطيف وشمال الحضنة[1].

استطاع الدوق دومال احتلال قصبة بسكرة في 04 مارس 1844 دون مقاومة تذكر، بعد أن أخلاها خليفة الأمير إلى مرتفعات أحمر خدو، الذي تجنب المواجهة المباشرة ولعدم تكافؤ القوى، وبعد أن أجرى الدوق دومال الترتيبات اللازمة في بسكرة، أوكل مهمة إدارة المدينة للقايد مُحَّد الصغير بن قيدوم بن قانة محاط بـ 8 ضباط وضباط صف فرنسيين وقرابة 50 جندي بغرض مساعدته على تشكيل حامية عسكرية من الأهالي[2].

كان خليفة الأمير مُحَّد الصغير بن أحمد بلحاج مراقبا في كل تحركاته واتصالاته من طرف ضباط المكاتب العربية، ورغم هذا إلا أنه استطاع إزعاج بن قانة وتعكير صفو الحياة عليه خاصة بعد وفاة فرحات بن سعيد عام 1843، ما اضطر "الدوق دومال" للتدخل بحملة عسكرية في المنطقة 1844 من أجل إنقاذ عائلة بن قانة من السقوط، وتم وضع حامية عسكرية تتكون من الرماة تحت قيادة الرائد توماس (Thomas)، الذي أعطيت له تعليمات من أجل تنظيم المدينة عسكرياً وإدارياً وإقامة ثكنة بالقصبة مهمتها ضمان بقاء سلطة بن قانة على المنطقة[3].

قام النقباء الثلاثة "دو نوفو" و"دسفو" و"فورنيال" بزيارة إلى قرى الزيبان من أجل مساءلة مجالس الجماعة لأعيان هذه القرى قصد جمع المعلومات الضرورية التي يمكن أن يستفيد منها المستعمر والسماح لابن قانة ممارسة سلطته كما ينبغي في قيادته وتمكين القائد الأعلى العسكري لمدينة بسكرة من مراقبة ممارسات شيخ العرب وسلوكاته في إدارة شؤون قبائله[4].

أعلن النقيب سانت جرمان (Saint Germain)، الذي خلف الرائد طوماس في قيادة مدينة بسكرة خلال شهر جويلية عام 1845 مكافأة بمقدار 10000 فرنكاً مقابل رأس أحمد بلحاج، الذي كان يشكل خطرا كبيرا على المحتل، حتى أنه هاجم مرة بن قانة وثكنة بسكرة خلال شهر ماي 1844

[1] – بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 263.
[2] – المرجع نفسه، ص 267.
[3] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 273.
[4] – المرجع نفسه، ص 274.

وكاد أن يوقع بهم خسائر لولا تدخل القوات الاستعمارية، الأمر الذي دفع الضابط سانت جرمان إلى شن حملات على القبائل التي ترفض الخضوع لسلطة بن قانة[1].

ومن جهة أخرى، كان ضباط المكاتب يطمئنون باستمرار بوعزيز بن قانة ويبدون له ثقتهم ومساندتهم له ضد طموحات أولاد بوعكاز في السيطرة على الصحراء، ذلك أن تلك الأسرة لا تزال تحافظ على مكانتها بين الكثير من القبائل، ولم يختف تأثيرها باختفاء قائدها فرحات بن سعيد[2]، ولكن بعد ثورة الزعاطشة عام 1849 غير سانت جرمان تفكيره نحو أولاد بوعكاز، من أجل استخدامهم لضرب الأسرتين بعضهما ببعض، أي استخدام سياسة "فرق تسد"، وقد شجعت السلطات العليا هذا الضابط في المضي قدما في هذا الاتجاه السياسي ولكن بحذر[3].

تم إجراء تحوير جديد على تنظيم دائرة بسكرة خلال شهر ديسمبر 1845، فحددت من الشمال بجبال الأوراس وتقاطع القنطرة، ومن الجنوب تقرت، ومن الشرق الجريد التونسي، ومن الغرب أولاد جلال، وكان امتدادها من الشمال إلى الجنوب 80 ميلاً، ومن الشرق إلى الغرب 90 ميلا، أي حوالي 720 ميلاً، وسار هذا التنظيم يشمل 6 قيادات كبرى[4]:

1- قيادة البدو الذين بلغ تعدادهم 12549 نسمة، حسب إحصاءات مكتب بسكرة عام 1845 (تحت إدارة شيخ العرب).

2- قيادة سي مقران.

3- قيادة أولاد جلال تحت إدارة الشيخ مُحَّد الصغير.

4- قيادة تقرت وسوف تحت سلطة الشاب عبد الرحمن بن جلاب.

5- قيادة جبل ششار التي وضعت تحت إدارة المرابط مُحَّد بن الطيب، الذي حافظ على تأثيره الكبير على قبائل تلك المنطقة التي كانت متمردة على شيخ العرب.

6- قيادة أولاد صاولة التي تم إسنادها إلى عائلة بن شنوف وأحمد بن بوعبد الله.

---

[1] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 275.

[2] - للتوسع والاستزادة في الموضوع ينظر: جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/ 16م إلى القرن 13هـ/ 19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1991-1992.

[3] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص276-277.

[4] - المرجع نفسه، ص ص 285-286.

هذا التنظيم قلص كثيرا من قيادة شيخ العرب الذي أصبح عمله فيها جد محدود، وحتى رؤساء الأهالي الجدد لم يكونوا مجرد موظفين فقط بل كانوا قياد مؤثرين في المنطقة.

لقد سعى أفراد أسرة بن قانة بكل الوسائل لتوقيف سياسة المكاتب العربية الرامية إلى تقويض القيادات الكبرى، حتى أن ضباط هذه المكاتب شعروا بهذا الخطر، وفي هذا السياق لقد وجد الدكتور صالح فركوس رسالة بعث بها شيخ العرب إلى الجنرال بيجو بتاريخ 10 شعبان 1261هـ الموافق لـ 15 أوت 1845 يحتج فيها بقوة على شكوى رفعت ضده من طرف قبائل الزاب بالنسبة للضريبة وممارسته اللا عادلة باستمرار اتجاهها، ولكن الأهم في هذه الرسالة هو غضب هذا الشيخ من نقل قبيلة الصحاري من قيادته أو من تحت سلطته إلى سلطة سي مقران، وهكذا برزت منافسة شديدة بين بن قانة وسي مقران دفعت بأسرة بن قانة إلى حياكة المؤامرات والدسائس ما جلب انتباه السلطة الاستعمارية[1].

ونظراً لشعور بن قانة خليفة الصحراء بالمهانة والمرارة نتيجة الانتقاص من مكانته في المنطقة تبنى سياسة اللامبالاة، وقد كتب الرائد سانت جرمان حوله قائلاً: **"إن شيخ العرب لم يعد في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه ولا يسير أبداً وفق آرائنا"**، بل إن قائد مقاطعة قسنطينة "هربيون" ذهب أبعد من ذلك في تفكيره حول إمكانية تعويض شيخ العرب بإدارة المكتب العربي وقائد القسمة، أما الملازم "ليبرت" قد أعلن صراحة في شهر جانفي 1846 حينما ظهر الأمير عبد القادر بمنطقة الحضنة، إن شيخ العرب قد أبدى فرحته باقتراب الأمير من منطقة الزيبان بهدف وضع الفرنسيين في مأزق دون تدخل من طرفه[2].

ثالثا: المكاتب العربية وعائلة أولاد بوعكاز

1- أصل عائلة بوعكاز:

يعود أصل هذه العائلة إلى الحاج علي بوعكاز الصخري الدواودي من كبار العائلات الصحراوية التي تشرف على المناطق الواقعة جنوب إقليم قسنطينة والتابعة له[3]، وقد آلت المشيخة بعد الحاج علي بن

[1] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 287.

[2] - المرجع نفسه، ص 288.

[3] - موسى بن موسى، المرجع السابق، ص 22.

عكاز الصخري الدواودي إلى الأحفاد إلى أن وصلت إلى الشيخ أحمد بن مُحَمَّد الصخري، الذي توفي سنة 1790م، بقي هذا المنصب شاغراً لعجز كبار شيوخ العائلة عن ترشيح أحدهم إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي، أين تم تولى فرحات بن سعيد هذا المنصب، ثم بعده ولده علي باي[1]، حظيت هذه العائلة بنفوذ أوسع من عائلة بن قانة فهي قديمة في صحراء قسنطينية وتستمد أصولها من بني هلال[2].

إن فرحات بن السعيد[3] زعيم تلك العائلة، والذي أطلق عليه المستعمر "أفعى الصحراء" لشجاعته وجرأته مثالا من أمثلة الأبطال المسلمين الأوائل، كما أن خصاله الحميدة قد استقطبت الكثير من الجماهير حوله، كانت هذه العائلة تهيمن على منطقة الزاب وواد ريغ وكل الصحراء الممتدة حتى ورقلة، لكن تأثيرها في منطقة الزيبان كان ضئيل لتمركز عائلة بن قانة فيها[4].

إن عائلة أولاد بوعكاز لا تقل أهمية عن عائلة ابن قانةبالجنوب الشرقي للجزائر، وكانت تحظى بنفوذ أوسع منها، فهي قديمة بالمنطقة وتستمد أصولها من قبائل بني هلال، تعود إلى الحاج علي بن عكاز السخري الذواودي، وكان الذواودة يشرفون على المناطق الواقعة جنوب إقليم قسنطينة[5]، كما تميزت بالطابع الأصلي للنبل والشرف فهي أسرة عريقة معروفة كذلك بشجاعتها، حيث كانت تهيمن على منطقة الزاب ووادي ريغ وكل الصحراء الممتدة حتى ورقلة، إنما تأثير هذه الأسرة يكاد يكون ضئيل جدا بمنطقة الزيبان أين يتمركز ابن قانة[6].

---

[1] – مُحَمَّد الطاهر التليلي، **فذلكة عن منطقة سوف بالجزائر**، تح: أبو القاسم سعد الله، مجلة العرب، ج11، المملكة العربية السعودية ع 37، 2002م، ص 546. .

[2] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص295. .

[3] – لما مات فرحات بن السعيد أثر هذا الحدث في نفوس الكثير من الشعراء نذكر منها:

يا فارس إلي جيت تسير رد الجواب عني عاود الأخبار

عرف الجواد غطي الدير رد الجواب عني يا راعي الصبار

كيفا مات حرمة أهل بن علي فرحات الدوادي حرمة جار

ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء ...، ص 40.

[4] – عز الدين بومزو، المرجع السابق، ص58.

[5] – مُحَمَّد خير الدين، **مذكرات**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص41-43.

[6] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 266.

2- جذور الصراع بين عائلة بن قانة وعائلة أولاد بوعكاز:

لعل غياب التأثير العثماني بالصحراء الجزائرية، هو الذي فسح المجال للصراع الطويل والدموي بين العائلتين، وبدأ هذا الصراع أشده أيام حكم صالح باي قسنطينة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ذلك أن تقريب أسرة عن أخرى، أو إبعادها كان يتوقف على مصالح البايات، وفي فترة الاحتلال الفرنسي وخاصة في فترة المكاتب العربية، تعاظمت سلطة العائلات[1] والزوايا المتعاونة مع فرنسا، حيث قسمت السلطة الفرنسية المنطقة من جديد، فوزعت سلطة الزاب الشرقي وجبل أحمر خدو على ثلاث قيادات منطقة جبل ششار أخضعت لأحمد بن ناصر التابع لابن قانة، والتراب الشرقي لأحمد باي بن شنوف التابع لبوعكاز، واحمر خدو فرحات بن عبد الله التابع لابن قانة، الذين بالغوا في الظلم وتضييق الخناق على رجال الدين فانتشرت مظاهر الاستياء والهجرة[2].

عرض فرحات بن سعيد على الماريشال "فالي" اقتراحات للتحالف معه فطلب أن يعترف به كشيخ للعرب وأن يمده بالجيوش لمحاربة الباي أحمد وحلفائه ابن قانة، ولكن هزيمته جعلته يتجه إلى الأمير عبد القادر الذي أسند إليه منصب الخليفة على قبائل الصحراء، ولكن سي حسان بن عزوز(خليفة الأمير) الذي استطاع أن يلاحق الحاج احمد وأتباعه من ابن قانة تمكن من افتكاك لقب الخليفة من فرحات، ولكن عدم استطاعة ابن عزوز عام 1839 القضاء على سلطان ابن قانة بالصحراء، جعل من الأمير تعويضه بمحمد الصغير بن أحمد بلحاج من عائلة مرابطية بسيدي عقبة عام 1841، في حين ألقي القبض على ابن عزوز بالمسيلة من طرف المستعمر حيث تم نفيه إلى جزيرة "سانت مارغريت"، هذا الصراع والتطاحن على العرش في الصحراء ساعد الاستعمار الفرنسي على تزكية نيران الفتنة بين الأخوة أكثر من ذي قبل وتركيز الاحتلال بالمنطقة[3].

---

[1] - من العائلات التي حكمت الصحراء الجزائرية عائلة بني جلاب، حكمت توقرت وضواحيها وكونت إمارة ومشيخة في وادي ريغ وهي من أصل بني مرين جاء جدهم من المغرب الأقصى، وسمي جلاب لامتلاكه الجلب "الغنم"، وهناك رواية أخرى تقول أنه كان يجلب الناس بفضل خيره عليهم ليمتد نفوذهم إلى وادي سوف. ينظر: عباس كحول، **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص144.

[2] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص297. .

[3] - المرجع نفسه، ص 268.

3- احتلال تقرت وتنصيب أولاد بوعكاز:

كانت أسرة بن جلاب حاكمة لتقرت، وتربطها علاقات نسب ومصاهرة مع ابن قانة وعند احتلال بسكرة من طرف المستعمر أعلن الأمير عبد الرحمن بن جلاب خضوعه للفرنسيين والتزم بتقديم ضريبة سنوية لهم ولكن وجوده بواد ريغ كان يشكل صخرة كؤودا أمام توغل الاحتلال الفرنسي بالمنطقة، لذلك أعطيت أوامر من السلطة العليا لضباط المكاتب العربية بهدف التقليص من نفوذهم، وفي سنة 1851 حينما كان يتهيأ الشريف بن عبد الله[1] للقيام بحملة ضد تقرت انضم إليه سالم بن جلاب شقيق شيخ تقرت وضمن له دعم سكان تماسين، ولما أحس عبد الرحمن بن جلاب بالخطر استنجد بشيخ العرب الذي أمده بـ 400 نفرا من القوم تحت قيادة أحمد بن مُحَّد قانة، واستطاع عبد الرحمن أن ينتصر على شقيقه والشريف بن عبد الله وامتد الصراع إلى غاية سوف والمناطق المجاورة[2].

أما تأثير شيخ تقرت في المنطقة فقد كان ضعيفا جدا، بل يكاد يكون منعدما، بالرغم من أهمية منطقة واد ريغ، لذلك حاول الفرنسيون بكل ما أتوا من قوة للهيمنة على هذه المنطقة، فأرسل الضابط "**ديبوسكيت**" رفقة مهندس المناجم "**ديبوك**" في مهمة بحث علمي للكشف عن كنوز تقرت، وما تتوفر عليه من ثروات باطنية، ومعرفة الموقف السياسي لابن جلاب تجاه فرنسا وطبيعة العلاقات التجارية مع الجنوب، ومنذ عام 1851، بدأ ضباط مكتب بسكرة يذيقون ذرعا من أولاد جلاب إلى جانب سلوك شيخهم، الذي لم يكن ليرضى هؤلاء الضباط، فتم تجهيز حملة بقيادة "**مارميي**" ضد تقرت في 29 نوفمبر 1854 واحتلالها، وأصبحت الإستراتيجية الفرنسية تقتضي إعادة تنصيب عائلة أولاد بوعكاز بواد ريغ لإيجاد توازن بين العائلتين الكبيرتين في الصحراء الشرقية، وعين علي باي بن فرحات بن سعيد قائدا على تقرت وسوف[3].

وقد تم إقامة ثكنة بمدينة تقرت تشمل حوالي 100 من الرماة وتجريد كل سكان المدينة من أسلحتهم ما عدا العناصر المخلصة للاستعمار الذين تم تشكيلهم في ميليشية، كما أخذ من كل قرية مجموعة من الشخصيات المؤثرة كرهائن وضعوا تحت الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة، ومن جهة أخرى لم

---

[1] - سنتعرض إلى مقاومة الشريف مُحَّد بن عبد الله ضد الفرنسيين بالتفصيل في الباب الثاني المقاومة الشعبية في الجنوب الجزائري في الفصل الثاني.

[2] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 300-301.

[3] - المرجع نفسه، ص 302.

يعد أولاد بوعكاز يشكلون خطرا بالنسبة لتطور المكاتب العربية، كما أن علي باي لم يكن طموحا مثل قريبه نهمان بن دباح[1].

رابعا: المكاتب العربية وأسرة بن بابية

تم رفع السيد الحاج بن بابية في 20 نوفمبر 1849 إلى درجة خليفة على نقوسة[2] وكونفدرالية ورقلة والقبائل البدوية التي تخيم تحت جدران هذه المدينة، ولتسهيل عمله قامت فرنسا بإرسال فرقة "القوم" مشكل 200 فارس من جبل العمور، أراد الخليفة بن بابية أن يجرب قوته الجديدة فتقدم إلى ورقلة مع مشاته وفرسان من أولاد يعقوب الزرارة إلا أن هذا القصر أغلق أبوابه ولم يصر الخليفة على الحصار[3].

اتخذ الخليفة في نهاية شهر أفريل 1850، وهو مدعوم بـ 200 فارس و250 من المشاة المسلحين موقعا مهددا حول حدائق القصر، وطلب منهم الاعتراف بسلطته، إلا أنه تم استقبال إنذاره باستعلاء واحتقار قائلين له: **"لا نريد زنجيا سلطانا علينا"**، خاصة عندما دعم مطامعه بقوات أجنبية، وأمام هذا الفشل اكتفى بترك خيل "القوم" يأكلون الشعير الأخضر القليل الذي زرعه الورقليون في الجهة الشمالية من مدينتهم[4].

وصل "قوم" جديد وهم أكثر من الأوائل بقيادة الدين يحي أخ خليفة آغا جبل العمور أسوار نقوسة في أكتوبر 1850، قام الدين بالاتصال مباشرة بقادة البدو وقصور الكونفدرالية وأمرهم بالالتحاق به، أما جماعة ورقلة فإنها اكتفت بإرسال حصانين كعربون استسلام ولم تأت وحضرت الجماعات الأخرى، ولكنهم ادعوا بأنه لا يمكنهم اتخاذ قرار قبل معرفة قرار جماعة ورقلة، بقي الخليفة اثنا عشر (12) يوما في موقعه محاصرا المكان ومانعا أي اتصال مع الداخل، وأخيرا وعندما لم يستطع إطعام

---

[1] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 303.

2 – **نقوسة**: تبعد عن ورقلة بحوالي 20 كلم، وتتشكل من 400 إلى 500 كانون و 5 إلى 200 منزل محاطة بسور خارجي بعلو 5م وسمك 75 سم بها 4 أبواب هي: باب باعلوش، باب القصبة، باب الزغبة، باب بساسي، ويتشكل مجتمعهم من 4 عروش وهي: أولاد عطية (200ن)، أولاد همة (300ن)، أولاد العربي (200ن)، وأولاد البساطية وهم اللاجئون من عين عمر (30ن). ينظر: بن يوسف التلمساني، **دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي**، مجلة الانتفاضة، الجزائر، فيفري 1999، ص 109.

[3] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 59.

[4] – المصدر نفسه، ص 60.

"القوم" الذين انخدعوا بالأمل وأنهم سيقومون بغزوة كبيرة بدأو يتذمرون فطردهم وأرجعهم إلى التل مؤجلاً بذلك حملته إلى شهر أكتوبر وهي فترة جني محصول التمر وهي أنسب فترة للهجوم على القصور[1].

خلافا لتوقعات بن بابية كانت المقاومة ما تزال قوية في ورقلة، واكتفى الدين بالاستيلاء على العيون التي تزود المدينة بالماء حتى يضغط على القصر دون المجازفة بشيء، ثم تقدم نواب عن الجماعة إلى الخليفة الدين وأخبروه بأن المدينة كانت في حالة هيجان، ويمكن أن تدوم هذه الحالة كلما كان الحصار عنيفا وعليه يجب الانتظار، وأضافوا بمهارة أن الخليفة قد يسيء إلى نفسه بقطع النخيل لأنه سيدمر ماله وحكم الواحة سيعود إليه في النهاية بدون شك، وفي الغد مباشرة طوى خيامه ورجع إلى نقوسة حيث أخذ طريق العودة إلى جبل العمور[2].

لذا قرر الخليفة الحاج بن بابية أن يسافر إلى التل، لرغبته الشديدة لمعرفة ممثلي فرنسا التي يقال عنها بأنها قوية جدا، والتي بعثت له بسخاء وافر المساعدة، وفي شهر ديسمبر 1850 وصل إلى تيهرت عاصمة الدائرة[3] التي ينتمي إليها سياسيا منذ تنصيبه، وواصل سفره إلى غاية وهران لتقديم الولاء والطاعة وقد أبدى رضاه لحفاوة الاستقبال الذي خصته به السلطات الفرنسية ما جعله يرتبط بها بإخلاص[4].

مات الخلفية في 19 جانفي 1851 وهو في طريق العودة، متأثرا بأزمة صدرية جعلته يتألم بقساوة وذلك لمدة ثلاث أيام[5]، وقد عين وريثه حسب العرف لشيوخ نقوسة ابنه الأكبر أبو حفص، الذي تعجل في طلب تنصيبه من قبل السلطات الفرنسية، وتم له ذلك في 19 فيفري 1851، إلا أن أخوه الشيخ الطيب لم يرقه الأمر وحدث خلافا بينهم[6].

هذا بالإضافة إلى الأسباب السالفة الذكر، التي ساهمت في إضعاف قوة بن بابية وانشقاقها هو تفرع قبيلة سعيد عتبة الموالية لهم إلى ثلاث فروع، والتي دخلت هي الأخرى في صراعات دموية فيما

[1] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 61.

[2] – المصدر نفسه، ص 62.

[3] – في الجزائر كانت المناطق العسكرية منظمة في أقسام وأقسام فرعية ودوائر كل قسم فرعي يتشكل من دائرتين أو ثلاثة أو أربعة، وكل دائرة يحكمها عسكري وهو ضابط فرنسي وقائد أهلي هو الآغا.

[4] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص ص 62-63.

[5] – عبد الحميد زوزو، **محطات في تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 95.

[6] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 63.

بينها، نتج عنها اختلال التوازن في التحالفات العشائرية بهدف الاستحواذ على منابع الماء والسيطرة على المراعي[1].

وقد عملت فرنسا على إعطاء السكان الصحراويين نوعا من الاستقلال الذاتي، يتماشى ويتوافق مع نظام المكاتب العربية ضمن الحكم العسكري، حتى تعتمد عليهم في الاستيلاء على الصحراء، وتكون منهم قوة تمتاز بسرعة الحركة مثل الثوار، بل تمتاز عليهم بحسن التنظيم وقوة الأسلحة الحديثة والدعم المادي، وسوف تكون هذه الأداة الجديدة الفعالة في أيدي القوات الاستعمارية لتتوسع بها في الصحراء[2].

كما قامت السلطة الفرنسية بإسناد إدارة بعض المناطق في الصحراء إلى الشيوخ الجزائريين الموالين لها كما حدث في بسكرة، كما وسعت دائرة الحملات العسكرية في الجنوب الجزائري بجانب تشجيع الهجرة المدنية الأوربية إلى هذه المناطق، ومراسلة كبراء القوم لكسبهم إلى الصف الفرنسي،وتشجيع الرحلات العلمية والتجارية إلى هذه المنطقة، ثم القيام بحملات عسكرية التي كانت بمثابة رحلات استكشافية[3]، والجدول الآتي يمثل المكاتب العربية بدائرة بسكرة:

القيادات	القياد
بسكرة	سي مُحَمَّد الصغير بن علي بن قيدوم بن قانة.
أولاد نايل وأولاد زكري	سي الحاج بن مُحَمَّد بن قانة.
البدو والغرابة	سي احمد بن الحاج بن علي بن قيدوم بن قانة.
البدو والشراقة	سي علي بن قيدوم بوعزيز بن قانة.
الزاب الشرقي، احمد خدو، وبني بوسليمان	فراح بن بوعبد الله واحمد باي شنوف.
جبل ششار	سي مُحَمَّد بن الطيب بن سيدي ناجي.
الصحاري	سي بولكراز بن مُحَمَّد بلحاج بن قانة.
أولاد زيان	سي دراجي بن مُحَمَّد بلحاج
واد ريغ	عبد الرحمان بن جلاب.
أولاد مولات	المبارك بن الطيب.

[1] - Ch. Féraud, **Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les ben Djallab de Touggourt,** R A, N ° 23, 1880, p 488.

[2] – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في** ...، ص 105.

[3] – احميده عميراوي، المرجع السابق، ص 50.

كل هذه القيادات كانت تحت وصاية مكتب بسكرة، إلا أن قيادة عائلة بن قانة كانت تخضع في البداية إلى السلطات العليا بقسنطينة مباشرة[1].

المبحث الرابع: اعتداءات وتجاوزات المكاتب العربية

نظرا للصلاحيات الممنوحة للمكاتب العربية، فقد ارتكبت تجاوزات كثيرة من لدنها، لأن الكثير من هذه المكاتب لم تكن مراقبة من طرف السلطات العسكرية الفرنسية على ضباط المكاتب العربية وحتى نوابهم، في كثير من الأمور والحيثيات، ونتيجة تلك الصلاحيات كانت تحدث تجاوزات ضد السكان الجزائريين، مما أدى في الكثير من المناطق إلى حدوث تذمر في وسط السكان وهيأ الوضع إلى انتفاضات، وهذا ما لم تكن تريده السلطات العسكرية في البلاد، ومن بين أسباب هذا التذمر الحاصل، تلك المهام الموكلة للمكاتب العربية التي تمثلت في[2]:

- مراقبة القبائل. – التحقيقات القضائية.
- مراقبة المداخيل وجمع الضرائب. – فرض العقوبات والغرامات.

وكان يتخذ بعض قياد المكاتب العربية في بعض الجهات من كل شيء وسيلة لكسب المال، فإذا طلبت السلطة العليا إحضار 200 بهيمة للسخرة، قام رئيس القبيلة باستحضار 300، ثم يعمد إلى تسريح 100 فيما بعد مقابل المال، ويتولى القايد مهمة توزيع أراضي القبيلة سويا، لكنه يمنح القطع الأرضية إلى الذين يدفعون أحسن، وعند طلب الخيالة لمرافقة القوم أو المأموريات أخرى يتوجه القائد إلى أكبر عدد، وينتهي إلى إجبار الذين ليس لهم ما يدفعونه للسير معه، كما يقوم القايد بتقديم هدايا وتتولى القبيلة دفع ثمنها، وعندما يتسلم مكافآت من الفرنسيين فتعبر القبيلة عن مشاركتها فرحة القايد بالدفع، وإذا انعكس الأمر وعوقب تقدم كذلك بالدفع عوضا للخسارة التي لحقته، وإذا ولد للقايد مولود جديد تولت القبيلة دفع مصاريف الأفراح، وفي حالة فقده لأحد أفراد عائلته تدفع القبيلة حق الدموع، وإذا تهيأ لسفر طويل كالحج مثلا تقوم القبيلة بدفع نفقات الإياب[3].

ومن التجاوزات الأكثر فداحة، تلك المتعلقة بالتحقيقات القضائية والمحاكمات، فقد كانت المكاتب العربية هي التي توفر الوثائق التي تؤدي إلى إدانة الجاني، وهكذا تكون هي طرفا في الدعوى

[1] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 90-91.

[2] - Damien lorcy, **Sous le régime du sabre**, in Presse Universitaire de Rennes, 2011, p 17.

[3] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 179.

وحكما فيها، علما أن ضابط المكاتب العربية كان يتمتع بصلاحيات مراقبة القاضي، الذي يعمل تحت سلطته، وبموجب ذلك يفقد القاضي استقلاليته، وبالتالي يصبح أداة أخرى قمعية في أيدي المكاتب العربية[1]. كما أن التوجيهات التي كانت تصدر عن الجهات المسؤولة توحي بارتكاب تلك التجاوزات، فبيجو (Bugeaud) ظلت منشوراته تدعو العاملين في المكاتب العربية إلى تطبيق العدالة السريعة والعقوبات القاسية و تنفيذها في الحين، وكذلك الأمر بالنسبة للجنرال نيقري (Negrier) لم يتردد في قطع رؤوس المتهمين بدون حكم[2].

وهناك تجاوزات أخرى زادت من معاناة الأهالي الجزائريين، تمثلت في ثقل الضرائب المفروضة عليهم (كضريبة العشور على المحاصيل، وضريبة الزكاة على المواشي) المتحصل عليها من القبائل التي فرضت عليهم من طرف القادة العرب الكبار كما يبدو لهم[3].

وقد تحدث عن هذه التجاوزات أحد الفرنسيين، الذي أنجز عملا صحفيا حول الموضوع وهو كليمون دوفرنوا (Clément Duvernois) قائلا: **"يجب تدمير المؤسسة –المكاتب العربية– يجب أن يُعلم أنه في أحد أجمل الأقطار الفرنسية – يقصد الجزائر– يعيش شعب يقدر عددهم 2500.000 يحاكمون من دون محاكم قضاء حقيقية، يُسيرون من طرف ضباط ونقباء، يشرفون على القضاء دون أن تكون لهم دراية بالقانون، يشرفون على الزراعة وليست لهم أدنى معرفة بها، يسيرون الأمور المالية دون أي ضمير..."**[4].

ويشير أيضا أحد المؤرخين الفرنسيين إلى التجاوزات المرتكبة من ضباط المكاتب العربية التي تجاوزت حدود الإنسانية، وقد أُخذت هذه الشهادة مما رواه الكسندر دوماس (Alexandre Dumas) في كتابه متحدثا عن السلطة اللامحدودة التي مارسها أولئك الضباط، حيث يذكر "أن أحد المسؤولين على المكاتب العربية جرت عليه العادة حين يشعر بأن أحد الأهالي يشكل خطرا أو يشتبه فيه، فإنه

---

[1] – أوليفي لوكور غرانميزون، **الاستعمار الإبادة، تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية**، تر: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2007، ص 285.

[2] – محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين "تاريخ الجزائر 1830–1954"**، تر: مُحَمَّد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 2008، ص 172.

[3] – المرجع نفسه، ص 173.

[4]- Cheikh Bouamrane, Mohamed Djidjelli, **l'Algérie coloniale par les textes 1830-1962**, éditions anep 2008, p 96.

يدعو الخيالة – الصبايحية، وهذا بعد أن يكبل المشتبه، فيقول لهم الضابط خذوا هذا الرجل إلى مقهى المور (مقهى العرب) وكانت هذه العبارة تعني القضاء على المشتبه فيه"[1].

وفي نفس السياق، يذكر أن هذه المكاتب العربية قد تحول فيها الضرب بالعصي طريقة للحصول على الاعتراف من المتهم، وكان الضرب في كثير من الأحيان يؤدي إلى موت الضحية، وهذا ما جرى لأحد المعتقلين في منطقة آرزيو بمقاطعة وهران أتهم بسرقة الماشية، والذي لفظ أنفاسه بسب الضرب المبرح الذي تعرض له[2].

وهناك قضية أخرى تكشف الممارسات القمعية التي انفرد بها ضباط المكاتب العربية دون أن يخشوا أحدا، عرفت باسم صاحبها (Doineau) الذي تمت محاكمته في وهران، أين أدين نقيب المكتب العربي لتلمسان بصدور حكم بالإعدام في حقه سنة 1856 بسبب إعدامه لآغا، ولما شرعت المحاكمة تبين أن النقيب كان ينفذ الإعدام في حق كل من يزعجه من الأهالي ويعطل مهمته، وكان المتهم بالنسبة للآخرين في تصرفه كالسلطان لا يعترضه أحد[3].

وفي سياق حيثيات القضية المذكورة، تبين أن أحد الشهود المدعوين إلى المحاكمة قد أعلم المحققين أنه لم يكن بمقدوره الإبلاغ عن تجاوزات النقيب، لأنه لو فعل ذلك لكان مصيره الموت مثل الآخرين، وأثناء المحاكمة تبين حسب الشهادات أن المتهم نفذ اثنا عشر إعداما، وأن الإعدام كان ظاهرة مستشرية في المكاتب العربية خاصة تلك المنفذة في حق الأهالي، وتذكر المراجع التاريخية أن الأطراف المتورطة مع النقيب المتهم دوانو، تم فيما بعد تخفيف العقوبات المنفذة في حقهم، حيث حولت إلى أحكام مقدرة ما بين 10 إلى 20 سنة أعمال شاقة، وبعد عامين من المحاكمة صدر العفو في حق النقيب المتهم دوانو [4].

وقد تعرضت الصحافة الفرنسية في الجزائر إلى تجاوزات المكاتب العربية التي دخلت في نزاع مع المستوطنين الأوربيين، الذين كانوا يعتبرون المكاتب العربية حجرة عثرة أمامهم، وتتطلعوا لتقليم أظافرها وتحجيم مسؤلياتها، وهذا ما أدى إلى حدوث فضيحة في عام 1858م في أعقاب صدور جريدة الجزائر الجديدة (Algérie nouvelle) التي شرعت في التهجم على الأهالي (الجزائريين) وعلى المكاتب العربية،

[1] - Cheikh Bouamrane, Op-Cit, p 99.
[2] - Charles Robert Ageron, Op-Cit, p 339.
[3] - Ibid, p 340.
[4] - Ibid, p 340.

مما دفع بأحد ضباط المكاتب العربية، وهو الجنرال يوسف الذي اشتهر بمذابحه ضد الأهالي (الجزائريين) إلى الاعتداء على صاحب الجريدة، وتسبب ذلك الاعتداء إلى حدوث ضجة إعلامية بلغت أروقة البرلمان الفرنسي، حيث طرحها في جدول المناقشة[1].

وقد وقعت حادثة في شهر ماي 1869 أثبتت التجاوزات المفرطة من لدن المكاتب العربية، إذ ارتكبت مجزرة في حق قافلة مكونة من سبعة وعشرون (27) جزائريا، نفذها النمامشة بقيادة القياد وبدعم من ضباط المكاتب العربية، ولشدة الواقعة أكدت السلطات الفرنسية أن القضية تتعلق بنزاع حدودي وحملت القياد المسؤولية وتم سجنهم إلا أنهم فروا، أما القائد الأعلى لتبسة فقد وضع في الحجز، ولما وقعت المحاكمة تمت تبرأة جميع المتهمين مما جعل الصحافة الفرنسية آنذاك تنتقد المحاكمة[2].

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 382.

[2] - Charles Robert Ageron, Op-Cit, p 341.

الفصل الثالث: إنشاء الصحف والدوريات وتكوين اللجان العلمية والجمعيات

المبحث الأول: إنشاء الصحف والدوريات

المبحث الثاني: إنشاء اللجان العلمية

المبحث الثالث: تكوين الجمعيات

المبحث الرابع: أهداف الاستكشاف والبحث العلمي

تمهيد:

وجدت حمى التوسع أرضية مناسبة لها في فرنسا، والتي تزامنت مع نشاط الإرساليات الاستكشافية، إذ كلفت لجانا بالسفر تشكلت على مستوى وزارات البحرية والمستعمرات، التعليم العام، الشؤون الخارجية، الأشغال العمومية ... إلخ، فقد أسست وزارة البحرية والمستعمرات في سنة 1883م لجنة خاصة من أجل البعثات الاستعمارية، مع ميزانية أولية مقدرة بـ 100 ألف فرنك للسنة، وارتفعت قيمة الميزانية لسنة 1895م إلى 250 ألف فرنك ولكنها انخفضت إلى 130 ألف فرنك لسنة 1903م ثم إلى 145 ألف فرنك بين 1911م و1914م، كما دعمت الجمعيات الجغرافية ومولت من طرف الغرف التجارية، دور التجارة الشخصيات السياسية، دور الصحافة، وهيئات الأعمال التبشيرية ... إلخ، وكان هذا عهد تشكيل الأحزاب الاستعمارية (Partis Coloniaux) التي شكلت مجموعات تأثير وضغط حقيقية كان لها الدور الحاسم في اتجاه تموين المهمات الاستعمارية وتصور وتطبيق سياسة الاحتلال واكتساب ممتلكات جديدة[1].

المبحث الأول: إنشاء الصحف والدوريات

لعل من أهم ما ساعد الفرنسيين للتغلغل في احتلال الجزائر، هي تلك الصحف التي أدت دورا رياديا في تشويه صورة الجزائريين، بفضل الادعاءات الكاذبة التي كانت تروج لها، كما كانت تعبر هذه الأخيرة عن وجهة نظر المعمرين بما في ذلك كسب ود الرأي العام.

أولا: صحيفة البريد العسكري للجزائر سنة 1830 Estafette D'Alger

ساهمت الثورة الصناعية مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في ازدياد سكان أوربا وحدوث ثورة في وسائل النقل والاتصال وانتشار الأفكار، حيث عرفت تطورا كبيرا في وسائل الطباعة الآلية، مما ساهم في تزايد المنشورات وانتشار الصحف بشكل لم يشهد له مثيل من قبل[2]، ولعل من مبتكرات الغزو الفرنسي على الجزائر ميلاد المطبعة وظهور الصحافة، ويظهر أن "دي بورمون" فكر في

[1] – إبراهيم بتقه، **مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890–1920م)**، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية "تاريخ وحضارة"، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009–2010، ص ص117–118.

[2] – عبد السلام عكاش، **نظرة الصحافة الاستعمارية لانتفاضة 08 ماي 1945 "دراسة تحليلية نقدية"**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005–2006، ص ص 16–17.

كل شيء يلزم الحملة إلا المطبعة، يقال أنها لم تخطر على باله إلا عندما ذكر بها وهو على ضفة البحر الأبيض المتوسط، حيث أبدى تأسفه وعبر عن أهمية المطبعة في مثل هذه الظروف[1].

ومن جهة أخرى، توجد دراسة ثانية تؤكّد أن "دي بورمون" كان شديد الحرص على نشر الدعاية لحملته على الجزائر، لاسيما وأن "الملك شارل العاشر" وحكومته بولينياك كانوا يعانون من اشتداد المعارضة البرلمانية الليبرالية، لذلك رأى أن الوسيلة المناسبة لمثل هذه الظروف أن يتم إنشاء صحيفة تكون له وسيلة يستطيع من خلالها إسكات معارضيه، مخاطبا بذلك الرأي العام الفرنسي والتعريف بهدف الحملة وفوائدها[2].

وحسب ما جاء في الطرح الأول أن دوتاسي[3] (Jean Merle De Toussait) اشترى في مدينة مرسيليا لوازم المطبعة واصطحب معه طب العين للجزائر، واتفق مع صاحب مكتبة في طولون على إنشاء جريدة تهتم بشؤون الحملة وتغطي أخبارها، وبالتالي فقد أصدر إعلان يخبر بميلاد الجريدة، وأن اسمها سيكون بريد الجزائر، يندرج تحتها عنوان فرعي **"جريدة الجيش – الحملة والبحر المتوسط"**، حيث ذكرت الدراسة أنه تم إعدادها داخل البواخر الاستعمارية التي كانت في طريقها لغزو الجزائر 1830 وأنها جريدة ذات طابع تاريخي وسياسي وعسكري، لا تطبع في مرسيليا أو طولون ولكن في إفريقية[4].

صدرت الجريدة فعلا حسب ما أكدته الدراسة بعد أربعة أيام من نزول جيش العدو على تراب سيدي فرج، وبذلك فقد سميت المطبعة التي خرجت منها باسم "الإفريقية"، ما جاء في رسالة "دي بورمون" التي كانت موجهة لرئيس الوزراء "بولينياك" (Polignac) مبرزا فيها الأهمية الكبرى التي أعطيت لهذه الجريدة قائلا **"إن جريدتنا لن تصدر في طولون ولا مرسيليا ولا في باريس، ولكنها ستصدر وتطبع في إفريقيا وترسل إلى قراءها في ميدان القتال، وبذلك ستحمل الحقائق المحلية التي ستمنحها طابعا خاصا"**[5]. وستشمل على:

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ج1، ص 91.

[2] – احميدة عميراوي، **صحيفة ورقة خبور الجزائر مصدر نادر في سياسة فرنسا الإعلام**، مجلة المصادر ، ع11، (م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن) ، الجزائر، 2005، ص 240.

[3] – **دوتاسي**: يعتبر أب الصحافة الجزائرية الاستعمارية على حد وصف إسكيبه (Gabriel Esquier)

[4] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج1، المرجع السابق، ص 91.

[5] – صادق بلحاج، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي 1919–1939 دراسة مقارنة**، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2010–2011، ص 13.

-جزء رسمي يحتوي على تعليمات الجيش اليومية وتفاصيل المعارك.

- تصوير تاريخي للأماكن المحتمة مدعم بالوثائق والصور.

- معلومات حول الأوضاع الاقتصادية (زراعة ، تجارة ...) للمنطقة.

- مقالات متنوعة عن حياة الجنود الفرنسيين[1].

وبالفعل، فقد نجح محرر الجريدة "ميرل" في تسيير وتدبير المطبعة، فضلا عن نشرها لأخبار وتحركات الجيش الفرنسي وانتصاراته وتضخيم أعماله، ما بين ذلك الخوف والرعي في نفوس الجزائريين وبث الادعاءات الكاذبة عنهم، ووصف عادات وتقاليد المجتمع الجزائري ووضعهم في موضع الاستهزاء، ما يقلل ذلك من قيمة الشعب الجزائري وأصالته على الرغم من كل المجهودات المبذولة من طرف السلطات الفرنسية لإنجاح هذه الجريدة[2].

وقد أصدرت عددين حيث صدر العدد الأول منها بشاطئ سيدي فرج بعد إنجاح عملية الإنزال البحري فيه والتي دامت من 14 إلى غاية 25 جوان 1830، أي مدة اثنا عشر يوما وذلك بعد إنزال معدات المطبعة الآلية وتركيبها بعد ذلك في الأيام الموالية[3]، وقد تضمن هذا العدد عبارات حماسية خدمة لأهداف الأمة الفرنسية، وأهم ما جاء فيه "**لن نبقى إلا بضعة أيام... وتطمئن المسيحية، ويؤخذ الثأر للعلم الفرنسي**"[4].

أما العدد الثاني، فقد اهتم بأخبار الجيش الإفريقي، إلا أنها لم تدم طويلا ومرد ذلك للأحداث التي تعرضت لها فرنسا وبسقوط نظام الحكم لشارل العاشر ما أدى بها ذلك للاختفاء[5]، وبتوقف هذه الجريدة الجريدة عن الصدور عمدت السلطات الاحتلال إلى إصدارات أخرى في شكل منشورات ومعلقات على المستويين القطري والمحلي حتى مطلع سنة 1832[6].

---

[1] – عبد النور غرينة، **الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولنيالية 1840–1939**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009–2010، ص 75.

[2] – عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص 17.

[3] – فضيل دليو، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830–2013**، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 24.

[4] – احميدة عميراوي، صحيفة ورقة خبور الجزائر... ، ص 241.

[5] – زهير إحدادن، **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص 91.

[6] – مُحَمَّد صاحب سلطان، **وسائل الإعلام والاتصال "دراسة في النشأة والتطور"**، دار المسيرة للنشر، عمان، 2012، ص 67.

ثانيا: صحيفة المرشد الجزائري (Le Moniteur Algérien) سنة 1832

عرفت الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية عددا كبيرا من الصحف، التي تشجع على مواجهة المستعمر وعدم الرضوخ له، والتأكيد على ضرورة المحافظة على الشخصية الوطنية بمقوماتها العربية والإسلامية والتمسك بالقيم والمبادئ[1]، في حين أن الفرنسيين هم أيضا أصدروا عددا كبيرا من الجرائد، نظرا لأهميتها في نشر قراراتهم وتوصيل أهدافهم للشعب الجزائري هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعمل على تشويه صورة الجزائريين أمام الرأي العام، وإضفاء طابع الشرعية تجاه ارتكابهم الجرائم الشنيعة في حق الشعب الجزائري، وكان ذلك باللغتين العربية والفرنسية[2].

ولعل أول جريدة رسمية تعمل للسلطات الاستعمارية حسب ما جاء به أبو القاسم سعد الله نشرت قضايا باللغة العربية في الجزائر، هي صحيفة المرشد الجزائري (le Moniteur Algérien) سنة 1832م[3] بمبادرة من البارون بيشون (Pichon) مستشار الدولة الفرنسية، وقد كانت هي الأخرى تطبع في نفس المطبعة التي نشرت صحيفة الإستافيت دالجي (Estafette D'Alger) بعد سنتين من اختفاء هذه الأخيرة، ليصدر بعد ذلك الأعداد الثلاث الأولى معا في ستة صفحات بحجم كبير وبلغة عربية ركيكة، وقد اقتصرت مهمتها على نشر القوانين والأوامر الرسمية وأعمال الحكومة الفرنسية، وكل ما له علاقة بحكومة الجزائر بالإضافة إلى مختلف المواقف العسكرية منها والمدنية[4].

كما تعد هذه الصحيفة مصدرا بالغ الأهمية في تاريخ الجزائر، خاصة في البدايات الأولى من الاحتلال، وحسب بعض التقديرات فإنه يمكن لها أن تماثل صحفا من البلدان الأخرى التي عرفت الطباعة كمصر، ولبنان، وغيرهما من البلدان العربية[5]، وكونها صحيفة رسمية فقد ضمت قسمين قسم رسمي متعلق بالأوامر والخطب الرسمية، التعيينات، الترقيات القرارات، المراسلات، والإعلانات الرسمية، أما فيما يتعلق بالجزء الآخر والمتعلق بالتوثيق، حيث يغطي الأخبار العسكرية والإدارية وقسم المنوعات، كما

[1] – تيسير أبو عرجة، **دراسات في الصحافة والإعلام**، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 245.

[2] – فضيل دليو، المرجع السابق، 27.

[3] – فوزي مصمودي، **تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900–1956**، تص: أبو القاسم سعد الله، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 19.

[4] – عبد القادر نايلي، **المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية –انتفاضة الزعاطشة نموذجا–**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 31.

[5] – احميدة عميراوي، صحيفة ورقة خبور الجزائر... ، ص 241.

يضم الدراسات التاريخية والنصوص الأدبية، ما يفسر ذلك أنها وسيلة دعائية لصالح الاحتلال والاستيطان لا غير[1].

كانت هذه الصحيفة تصدر باللغة الفرنسية إلى غاية العدد رقم ستة وعشرين (26)، لتتحول إلى مخاطبة الجزائريين بالعربية الدارجة بدل الفرنسية قصد التقليل من شأن الجزائريين، وأرادت من خلال ذلك القول بأن الشعب الجزائري شعب ليس له ثقافة ولا حضارة، في حين يقر بعض الكتاب الفرنسيين بأن نسبة الجزائريين الذين يعرفون القراءة والكتابة يقدر بـ 98% قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد حثت الجزائريين على إرسال أبنائهم للمدارس، كما طلبت من الجزائريين مساعدة رجال الاحتلال[2].

استمرت صحيفة "**خبور الجزائر**" في الصدور باللغة الفرنسية إلى غاية سنة 1858، إلا أنها منعت من الصدور من طرف قادة الاحتلال نظرا لعدم أهمية اللغة العربية، لتعود من جديد وبقوة في سبتمبر 1861م بأعداد متزايدة وبرامج مكثفة احتوت على دعاية نشيطة لصالح المستعمر الفرنسي، ما ساعدها ذلك في الدفاع عن الهجود الفرنسي في الجزائر مبررة في ذلك كل أعماله الشنيعة التي ارتكبها في حق الجزائريين بل وتدعيمه بمختلف الوسائل والطرق[3].

إن المتمعن في محتوى هذه الصحيفة، يدرك جيدا مدى خطورة هذه الآلة الدعائية على مصير الجزائريين، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى يؤكِّد اتساع دور الصحف الإعلامية في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية، والدليل على ذلك ما ورد في العدد السابع وعشرين (27) من هذه الصحيفة، والذي يبين مدى النشاط الاستيطاني في الجزائر، وقد جاء في هذا العدد ما يلي:

"ففي مدينة الجزائر وحدها صارت سبع أسواق كان أهمها مخصص للحبوب، الخضر، الحيوانات وكذلك مذبح مقسم إلى ثلاثة أجزاء، جزء منه خاص بالمسلمين ، والجزء الآخر خاص بالمسحيين، أما الجزء الثالث فيه مخصص لليهود، إلى جانبه وجود مطبعة فرنسية عربية بالإضافة إلى توفر مرافق أخرى خدمة للمصالح الفرنسية"[4].

[1] – فضيل دليو، المرجع السابق، ص 28.

[2] – احميدة عميراوي، صحيفة ورقة خبور الجزائر... ، ص 243.

[3] – عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص 18.

[4] – احميدة عميراوي، **صحيفة ورقة خبور الجزائر**... ، ص 244.

أما العدد التاسع والعشرون الذي صدر في 18 أوت 1832، فقد خصص لفرض الضرائب على الجزائريين، ولأجل ذلك فقد تم الإعلان عن ذلك باللغة العربية، ما يسهل لهم تبليغ أوامرهم للجزائريين حيث نص الإعلان على ما يلي: **"غرامة دخول غلة البلاد ... في الجزائر ... كل حمل متاع الغلة يكون أو مثل خردة أو مثل قمح الذي يدخل في البلاد للبيع أو للماكلة ملزم أن يخلص غرامة في بيبان المدينة"**[1].

ثالثا: صحيفة الأخبار (Elakbar) سنة 1839

تعتبر من الجرائد غير الحكومية، حيث تم إصدارها من طرف المستوطنين في العاصمة الجزائرية بتاريخ 12 جويلية 1839 في أربع صفحات باللغة الفرنسية بشكل أسبوعي[2]، وقد تولى رئاستها (Désiré Léglise)، وفي 16 ماي من نفس السنة أصدر الماريشال "فالي" قرارا يرخص بمقتضاه لبعض المستوطنين الفرنسيين طبع هذه الجريدة وتوزيعها، ليصدر بعد هذا القرار بحوالي شهر العدد الأول، وقد احتوى هذا العدد على أهداف الجريدة ونشاطها[3].

كانت أولى أهداف هذه الجريدة الدفاع عن مصالح السلطات الفرنسية وإظهارها للرأي العام العالمي، لتغير بعد ذلك اسمها إلى اسم نشرة البلاغات والإعلانات الصغيرة الجزائرية (Les Petits Affiches Algérien) لكن دون تغيير سياستها[4]، مع العلم أنها لم تتطرق في حديثها عن المسائل السياسية إلا بعد سنة 1847م مع التركيز على مصالح المستوطنين، ويظهر أنها كانت تحترم مواقف الحكومات المتعاقبة على السلطة، لكن وبحدوث بعض المشاكل بين الحكام توقفت عن الصدور لفترة معينة من الزمن، وفي 20 نوفمبر 1902م استطاعت أن تعاود استئناف نشاطها بدعم مالي من طرف الحاكم العام، لكنها غيرت أسلوب عملها فكان في هذه المرة من ضمن نشاطها الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين[5]، بغرض استمالتهم وكسب ثقتهم وتحذيرهم وتهدئتهم، وبالتالي تسهل للسلطات الفرنسية أداء مهامها دون مشاكل أو عراقيل من قبل الجزائريين[6].

---

[1] – احميدة عميراوي، **صحيفة ورقة خبور الجزائر**...، ص 245.

[2] – عبد العزيز شرف، **الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية**، دار عالم الكتب للنشر ، القاهرة، 2004، ص 202.

[3] – صادق بلحاج، المرجع السابق، ص 14.

[4] – عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص ص 31-32.

[5] – فضيل دليو، المرجع السابق، ص 29.

[6] – تيسير أبو عرجة، المرجع السابق، ص 246.

وبالرغم من اسمها العربي إلا أنها كانت تصدر باللغة الفرنسية والتي بدأت كصحيفة إعلامية صغيرة لتتحول فيما بعد إلى جريدة سياسية ضخمة ذات اتجاه حكومي خدمة للمصالح الفرنسية [1]لتواصل بعد ذلك الصحافة الاستعمارية نشاطها كوسيلة هامة من وسائل السياسة الفرنسية في الجزائر، حيث ظهرت عدة صحف تمثل اتجاهات مختلفة لكن كلها تصب في قالب واحد وهو خدمة المصالح الفرنسية على حساب الجزائريين[2].

رابعا: جريدة المبشر سنة 1847

يجمع كل من أرخ للصحافة العربية أن "**جريدة المبشر**" الصادرة في الجزائر من طرف السلطات الاستعمارية في 15 سبتمبر 1847 بأمر من الملك "لويس فيليب"، بأنها تعد أول جريدة تصدر بالعربية في الجزائر، وثاني جريدة تصدر في العالم العربي بعد "الوقائع المصرية" والتي صدرت في عهد "مُحَمَّد علي باشا" والي مصر[3] ، وقد تم إصدارها من طرف السلطات الفرنسية لمقاصد استعمارية بحتة، ما يجعل ذلك الجزائريين على إطلاع بالتعليمات والقوانين الفرنسية الصادرة عن الحكومة العامة[4]، حيث كانت تصدر مرتين في الشهر بأربع صفحات، ومن أشهر محرريها العلامة "**مُحَمَّد بن أبي شنب**"[5] 1869-1929 والشيخ أبو القاسم الحفناوي[6] 1852-1942، وحسب فوزي مصمودي فإنه يذكر بأن "**المرشد الجزائري**" التي صدرت في جانفي 1832، تعد أول صحيفة نشرت قضايا بالعربية في الجزائر قبل ظهور جريدة المبشر[7].

---

[1] – عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص 75.

[2] – صادق بلحاج، المرجع السابق، ص 14.

[3] – سيف الإسلام الزبير، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، مطبعة دار الشعب، القاهرة، 1981، ص 6.

[4] – مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، جمع وتح: أحمد حمدي،مؤسسة مفدي زكريا،الجزائر، 2003، ص 34.

[5] – **مُحَمَّد بن أبي شنب**: ولد يوم الثلاثاء 20 رجب 1286هـ الموافق 26 أكتوبر 1869م "بفحص" التي تبعد عن مدينة المدية بنحو 3 كلم وتعرف اليوم بعين الذهب، ينتمي مُحَمَّد بن أبي شنب إلى سلالة عائلة شريفة من بيوت المدية يرقى أصله إلى برصالي الأناضول، منحته الجامعة الجزائرية لقب دكتور، مثل الجزائر في عدة مؤتمرات عقدها المستشرقون. ينظر: مُحَمَّد زمام، **مُحَمَّد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية**، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة جامعة باتنة ، الجزائر، 2007 ، ص 12.

[6] – **أبو القاسم الحفناوي**: كاتب وشاعر وباحث في التاريخ وصحفي، ولد بقرية الديس قرب بوسعادة، درس بعدة زوايا منها زاوية الهامل ببوسعادة، شارك في تحرير جريدة المبشر إلى غاية 1926. ينظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ج1، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، 2011، ص 244.

[7] – فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص 18.

استمرت هذه الأخيرة في الصدور رغم التغيير في النظام، بل استمرت عبر كل الأنظمة وما صاحبها من الحكام العامين الذين تعاقب حكمهم على الجزائر إلى غاية سنة 1927، لتصادف بذلك الذكرى المئوية لضرب الحصار الفرنسي على الجزائر والاحتفال المئوي بالاحتلال[1]، وكونها جريدة حكومية لم يقبل القراء عليها، وبذلك بقيت نشرة إدارية تقرأ في الإدارات، وبالتالي فلا تأثير لها في الشعب الجزائري. ومن هذا المنطلق حاول المشرفون عنها أن يضفوا عليها الطابع الإسلامي الجزائري، فكثيرا ما كانت تستعمل لفظة الإسلام والمسلمين ليس حبا في الجزائريين، وإنما بهدف الوصول إلى مطامحهم لا غير، ومحاولة التأثير عليهم من خلال منشوراتهم[2].

وقد ظلت "**صحيفة المبشر**" وحيدة في ميدان لا يعرف الجزائريون سواها، والمبشر باعتبارها عربية اللسان والموقع إلا أنها فرنسية اللسان والموقع[3]، لتتوالى بعدها الصحف الناطقة باللغة الفرنسية التي كانت كانت تصدر من قبل المعمرون، بدعم وتأييد من السلطات الفرنسية تعبيرا عن مصالحهم ومصالح بلادهم، إلا أنهم كانوا يحرصون على تسمية صحفهم ومجلاتهم بأسماء جزائرية، ما يبعث ذلك الراحة في نفوس الجزائريين، وبالتالي التجاوب مع الإعلانات التي يتم نشرها من قبل السلطات الفرنسية في هذه الصحف والمجلات، ومن بين هذه الصحف "صحيفة الجزائري (L'Algérien) وصحيفة الجزائر الجديدة (L'Algérie Nouvelle)، وقد اتسمت هذه الصحف الفرنسية في الجزائر بالكثرة والتنوع في الاختصاصات والاهتمامات، حيث بلغت حوالي 200 جريدة ما بين 1871-1890 خدمة للمصالح الفرنسية، وبذلك فقد ساهمت في تشجيع الاستيطان وبشكل كبير في الجزائر[4].

وعلى الرغم من خطورة هذه السياسة الاستعمارية على الجزائريين، إلا أنها لم تكن نقمة على الجزائريين بل على العكس من ذلك فقد كانت نعمة لهم، حيث أدركوا مدى أهمية الصحافة كسلاح للنضال السياسي السلمي، ما جعلهم يفكرون هم أيضا في محاربة عدوهم بالوسيلة ذاتها، فكان لها أن ساهمت وبشكل كبير في ظهور الصحافة الجزائرية، لتبدأ مرحلة حياة جديدة في النضال الجزائري ضد العدو لا يعرف للراحة عنوان[5].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 222.

[2] – عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص 32.

[3] – تيسير أبو عرجة، المرجع السابق، ص 246.

[4] – فضيل دليو، المرجع السابق، ص ص 32-34.

[5] – عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص 19.

خامسا: المجلة[1] الإفريقية (Revue Africaine) سنة 1856

تعتبر المجلة الإفريقية (Revue Africaine) من أهم المجلات الأكاديمية الناطقة باللغة الفرنسية التي أصدرتها السلطات الفرنسية في الجزائر العاصمة، من خلال "**الجمعية التاريخية الجزائرية**" التي تأسست في 07 أفريل 1856م على يد بيربروجر[2] (Berbrugger)، بمبادرة من الحاكم العام الماريشال راندون الذي أصبح الرئيس الشرفي للجمعية، وقد صدرت على شكل أعداد فصلية أو دورية جمعت على شكل أجزاء سنوية كاملة (مجلدات)، ابتداء من عام 1856م إلى غاية 1962م، ولم تنقطع المجلة سوى في فترتي الحربين العالميتين ليبلغ مجموع أعدادها المائة وستة (106 عدد)[3].

تعد المجلة الإفريقية من أهم المصادر التاريخية التي حظيت بعناية بالغة من قبل الفرنسيين، وذلك لثرائها المعرفي التاريخي الحضاري واشتمالها العديد من التخصصات، ومن بين المجالات التي اهتمت بها التاريخ والتراث العربي عامة المغاربي خاصة[4]، وقد كتب فيها كبار المستشرقين الفرنسيين كباصيه (Basset) وشاربونو (Cherbonneau) ومرسييه (Mercier) ودو سلان (De Slane) وبيربروجر (Berbrugger) وفانيان (Fagnan) وموتيلانسكي (Motylanski) وغيرهم، فضلا عن صناع القرار السياسي والعسكري والاقتصادي الفرنسي في الجزائر بل والعالم أجمع، كما ساهم فيها نخبة من أعلام

---

[1] – **التعريف اللغوي** للمجلة (Magazine-revue): تعنى كلمة (Magazine) مخزن للبضائع أو لذخيرة السلاح ومعداتها، أما كلمة (Revue) فتعني إعادة النظر فيما يحدث في الحياة. ينظر: مُحَّد فريد محمود عزت، **قاموس المصطلحات الإعلامية**، دار الشروق، جدة، ط1، 1984، ص 203. **أما التعريف الاصطلاحي فقد** عرفها الدكتور أحمد زكي بدوي بقوله: "المجلة هي مطبوعة دورية تتضمن موضوعات مختلفة، وبنوع خاص مقالات نقدية ووصفية وقصص وأشعار ... إلخ، بهدف تسلية القارئ العادي، وتهتم المجلة بنشر الصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتورية، وتستخدم عادة الطباعة الملساء أو الغائرة". **ينظر**: أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص 99.

[2] – **بيربروجر**: ولد بباريس في 11 ماي 1801، درس في معهد "شارلمان" ثم انتقل منها إلى مدرسة "شارت"، وتخصص في دراسة جغرافيا ما قبل التاريخ، كلفته الحكومة الإنجليزية عام 1832 بجمع القطع الأصلية الخاصة باحتلال فرنسا في القرن 15م، وفي منتصف العام 1834 جاء به كلوزيل كموظف مدني ضمن جيش يقوده الماريشال نفسه، حيث عملا سكرتيرا خاصا له، ثم عهد إليه بالمكتبة والمتحف، فكتب عن الآثار وقام برحلات سرية وعلنية إلى مختلف مناطق الجزائر وتونس. ينظر: كمال لحمر، **صورة المجتمع الجزائري في المجلة الإفريقية 1856–1962**، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص 517.

[3] – كمال لحمر، المرجع السابق، ص 32.

[4] – عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص 10.

الفكر والثقافة في الجزائر أمثال مُحَمَّد بن أبي شنب، وقد عرفت المجلة الإفريقية تنظيما في أعدادها ومحتوياتها، حيث نشره القائمون عليها بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وقسم رابع غير ثابت[1]:

القسم الأول: يتضمن الدراسات والتحليلات، يطلق عليه مصطلح "مقالات أساسية ".

القسم الثاني: عبارة عن أخبار مختصرة، وقد يشير فيها كاتبها سواء كان عسكريا أو مدنيا إلى ما عثر عليه من مقتنيات (نقود، وثائق ، نقوش) مع التعريف بالمكان الذي وجدت فيه (مدينة ، قرية جبل) ويطلق على هذا الجزء من المجلة لفظة "أخبار أو حوادث".

القسم الثالث: فيقوم صاحبه بإعادة نشر كل ماله علاقة بموضوعات المجلة، حيث يتم الإشارة إلى اكتشافات أثرية، ملخصات عن مقالات بعض المستشرقين في مجلات أخرى، ويطلق على هذا الجانب اسم نشرة أو "بيان" (Bulletin)، أما بخصوص القسم الغير ثابت في المجلة فيخصص للملاحظات والإرشادات الموجهة إلى القراء أو للمراسلين مع الإشارة إلى القوانين وما شابه ذلك وقد أطلق على هذا القسم لفظ ملحوظات متنوعة (Notes Diverses).

قامت المدرسة الإستشراقية الفرنسية بتحقيق هذه المخطوطات، وطبعها في كتب تم نشرها من طرف وزارة الحربية، وأثناء البحث في ثنايا "المجلة الإفريقية" التي هي لسان حال الجمعية التاريخية حول الكتابات الفرنسية، تم مصادفة عدة مخطوطات متناثرة على الرغم من وجود فهارس خاصة بها، إلا أنها أدرجت ضمن عناوين مخالفة اسم المخطوط ما يصعب على الباحث إيجادها[2].

وعلى غرار المجلة العلمية جورنال أزياتيك (Journal Asiatique) التي بدأت في الصدور سنة 1856 عن الجمعية الأسيوية[3] قررت "الجمعية التاريخية الجزائرية" إصدار مجلة علمية تبحث في تاريخ شمال إفريقيا على وجه التحديد وبالأخص ما يتعلق بتاريخ الجزائر العام، وكان لها ذلك مع بداية سنة

---

[1] – جيجيك زروق، **اهتمامات الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية (المجلة الإفريقية أنموذجا)**، مجلة رفوف، جامعة أحمد درارية أدرار، ع5، 2015، ص 140.

[2] – المرجع نفسه، ص 137.

[3] – **الجمعية الآسيوية:** أسست في باريس سنة 1822م تزعمها دي ساسي وشارك فيها عدد كبير من المستشرقين الفرنسيين الذين استقروا في الجزائر، مثل بنجامين، فانيان، وشاربونو، احتوت على مكتبة جيدة، وقد أصدرت منذ إنشائها المجلة الآسيوية كما أصدرت سلسلة من كراسات الجمعية الآسيوية ابتداء من سنة 1933م. ينظر: عبد الرحمان بدوي، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت ، ط3 ، 1993، ص 188.

1856م، إلا أنها توقفت عن الصدور سواء في الداخل أو خارج الجزائر بمجرد حصوله هذه الأخيرة عن الاستقلال على عكس المجلة الأسيوية التي لا تزال تصدر إلى غاية الآن[1].

عرفت المرحلة الأولى من الاحتلال ظهور العديد من الجمعيات والمجلات الأثرية والتاريخية، منها "لوحة وضعية المؤسسات الفرنسية بإفريقيا الشمالية (Tableau De La Situation Des Établissements Français En Afrique Du Nord)، لجنة اكتشاف الجزائر (Exploitation De L'Algérie) النشرية الأثرية لمقاطعة قسنطينة، المجموعة الأثرية لمقاطعة وهران، هذه الأخيرة التي انبثقت من الجمعية التاريخية الجزائرية[2].

ولقد جاء قرار إنشاء هذه الجمعية سنة 1856م حسب "بيربروجر أدريان" حيث يقول: **"لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيما محكما يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي الأمر الذي دفعنا في " الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء المجلة الإفريقية"[3].**

إن المجلة الإفريقية دورية تاريخية انبثقت من الجمعية التاريخية الجزائرية، وهي بذلك لسان حالها وقد أخذت مكانة مهمة في الصحافة الجزائرية[4]، حيث تقوم بنشر مختلف مقالات وأعمال الباحثين تأسست سنة 1856 بالجزائر، ففي البداية كانت تصدر كل شهرين، حيث كانت موضوعاتها شاملة ومتعددة حيث شملت بذلك أكثر من عشرين مجال: "التاريخ، الآثار الإثنوغرافيا، العادات، التقاليد، الديانات، الثقافة، اللغويات، الجغرافيا ..."[5]، وكانت توزع مجانا على الأعضاء العاملين والمراسلين لها، حيث ظهر العدد الأول من المجلة سنة تأسيس الجمعية، واستمرت بالصدور سنويا إلى غاية سنة 1962[6].

أما عن أهداف المجلة، فقد تعددت بتعدد الجهات والزوايا، حيث سعت المجلة من خلال إنتاجها الغزير إلى تنوع مجالات الكتابة بتنوع المقالات والكتاب فيها، غير أن هذا لم يخله من بروز الذاتية في

[1] – مُحَمَّد صاحبي، **المجلة الإفريقية دراسة إحصائية ببليوغرافية للمخطوطات العربية**، مجلة الحوار المتوسطي، ع 5، 2013، دار الأصول للنشر، سيدي بلعباس (الجزائر)، ص 22.

[2] – مُحَمَّد صاحبي، المرجع السابق، ص 23.

[3] –جيجيك زروق، المرجع السابق، ص 138.

[4] – غرينة عبد النور، المرجع السابق، ص 105.

[5] – مُحَمَّد صاحبي، المرجع السابق، ص 23.

[6] – عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص 10.

ذلك، حيث عملت الكتابات الفرنسية على تجريد المجتمع الجزائري من هويته ومحو تاريخه المجيد وربطه بالتاريخ الأوربي، ولعل أهم ما يظهر ذلك بوضوح في مختلف المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية، والتي تبرز الآثار والنقوش الرومانية رغبة في التعريف بالتاريخ الحضاري للجزائر باعتبارها أرض فرنسية[1].

كما عملت على تشويه وتهميش التاريخ المحلي وعدم إبرازه، وخاصة ما تعلق بالتاريخ الإسلامي واعتبار الفتوحات الإسلامية استعمارا مباشرا ورغبة في توسيع الرقعة الجغرافية والقضاء على العنصر المحلي[2]، كما لم تستثنى المجلة في أعدادها المختلفة الاهتمام بالجانب العلمي للجزائر، وما برز على أيدي علماء ومتصوفة أبناء المنطقة، من خلال كتاباتهم المختلفة التي دونت على شكل مخطوطات محفوظة لدى العائلات أو في الزوايا والكتاتيب[3].

المبحث الثاني: إنشاء اللجان العلمية

لعل أهم مظاهر النشاط العلمي والثقافي الذي تميز به عهد الاحتلال الفرنسي هي تلك الأبحاث التي قامت بها مختلف اللجان والجمعيات، وكان هذا النشاط قد بدأ منذ أوائل الاحتلال واستمر إلى آخر عهده، ومن بين أهم الأعمال مشروع "اكتشاف الجزائر العلمي"، ومشروع "الاحتفال المئوي بالاحتلال" وبحوث جامعة الجزائر بمختلف مدارسها وكلياتها ومعاهدها، ولجنة دراسة الأوضاع الإسلامية ولجنة ترجمة الكتب العربية إلى الفرنسية، وكذلك لجان التحقيق في أوضاع الجزائر مثل لجنة 1833-1834 و1891-1892، إلى جانب هذه الدراسات هناك أعمال الجمعيات التاريخية والعلمية التي أصدرت بدورها مجلات دامت عقود، كالجمعية الأثرية (قسنطينة)، والجمعية التاريخية (الجزائر)، والجمعية الجغرافية (وهران)، ولابد من الإشارة أيضا إلى منشورات المستكشفين عبر الصحراء والمناطق النائية التي ظهر فيها العلم والدين والسياسة متلازمين[4].

أولا: لجنة اكتشاف الجزائر العلمي (Comité des découvertes scientifiques en Algérie)

تأسست في 14 أوت 1837م، وكانت تضم مختلف المتخصِّصين وأغلبهم من العسكريين، وقد وقعت الاتصالات مع إدارة الجزائر لتسهيل مهمة اللجنة والتنسيق بين أعضائها والسلطات المحلية، وكان

[1] – عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص ص 23-24.

[2] – جيجيك زروق، المرجع السابق، ص ص 140-141.

[3] – المرجع نفسه، ص 143.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 79.

على أكاديمية العلوم وأكاديمية الآداب والفنون أن تحددا طبيعة وأهدافه، وأن تعد بيانات مفصلة وواضحة لإنجازه، واهتمت وزارة الحربية باختيار الأشخاص، لأن عدد الراغبين في المشاركة كان كبير[1].

وقد صدر قراران وزاريان لتعيين أعضاء اللجنة العلمية، أحدهما في 19 أوت 1937م ضم 21 عضو، والثاني في 20 نوفمبر 1839م ضم 24 عضو، ولكن العدد لم يبق ثابتا فقد استقال البعض ومات البعض الآخر بعد التعيين، لذلك بقيت اللجنة تعمل بمعدل 20 شخصا، وإلى جانب هؤلاء الأعضاء الأصليون، كان هناك أعضاء إحتياطيون، حيث اشترط فيهم ألا يتجاوز عددهم ربع عدد الأعضاء الأصليين، ثم التحق أعضاء آخرون باللجنة، أحدهم طبيب، والآخر رسام، والثالث خاص بالتاريخ الطبيعي، وكانت اللجنة كلها تعمل تحت إشراف مسؤول مكلف بالمشروع وبتوجيهه[2].

الرقم	اسم العضو	وظيفته
1	**العقيد بوري دي سان فانسان**	ضابط في الجيش (رئيسا للجنة)
2	**أدريان بيربروجر**	محافظا لمكتبة الجزائر العامة (أثري)
3	**كاريت**	ضابطا في الجيش (مختص في الجغرافيا القديمة)
4	**العقيد دين وفو**	ضابط في الجيش (مختص في الجغرافيا الطبيعية)
5	**أونفنتان**	خريج مدرسة الصنائع "بوليتكنيك" (أثنوغرافي)
6	**قويون**	طبيب جراح في الجيش (فيزيولوجي وطبيب)
7	**بيليسييه دي رينو**	ضابط في الجيش (مختص في التاريخ الحديث والنظم والعادات)
8	**وارنييه**	طبيب جراح (عضو احتياطي مكلف بالإحصاءات والبحث في السكان)
9	**بوفييه**	مكلف بالزراعة (توفي في الجزائر قبل انتهاء مهمته)

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 80.

[2] – المرجع نفسه، ص 80.

جدول يمثل أبرز أعضاء لجنة اكتشاف الجزائر العلمي[1]

حلت اللجنة بأعضائها في الجزائر في خريف 1839م، ولكن عملها لم يبدأ إلا في ربيع سنة 1840م، لأن المطر الخريفي والشتائي حال دون الشروع فوراً في العمل، أعطيت اللجنة مهلة عامين ونصف لإنجاز أعمالها، ومن أهم مجالات نشاطها:

1- العلوم الفيزيائية: وهي تضم الفيزياء في حد ذاتها، وتتبعها الجيولوجيا وعلوم النبات والزراعة والطب والفيزيولوجيا والزيولوجيا، وقد تولى هذا القسم عدد من المختصين كانوا يجمعون الملاحظات والمعلومات ويبحثونها ويعدون نتائجهم للنشر.

2- العلوم التاريخية: وهو قسم واسع ويضم أيضا مجموعة من الباحثين، ويشمل التاريخ والآثار والجغرافية والاثنوغرافية.

3- الفنون الجميلة: ويضمن هذا القسم الهندسة المعمارية والرسم، ومن أبرز أعضائه رافوازييه الذي قام بزيارة لعدة مدن منها: سكيكدة، ميلة، قسنطينة، وجميلة، سطيف، وهران، مستغانم والجزائر، سجل مختلف الآثار الرومانية فقط لأن لم تكن مهتمة بالآثار الإسلامية[2].

وقد نتج عن أعمال هذه اللجنة العلمية طبع ونشر العديد من المؤلفات والمجلات والنشريات شملت مختلف النواحي المتعلقة بالجزائر وبالجزائريين، وكانت الرحلة العلمية الاستكشافية من الوسائل الهامة التي قدمت مادة خبرية عالية القيمة لهذه اللجنة[3].

ثانيا: الجمعية الجغرافية الفرنسية

تأسست في باريس واهتمت مبكرا بالجزائر والمغرب العربي والاستكشافات، وهي التي نشر فيها الباحث دافيزاك ترجمة لرحلة الأغواطي، في وصف بعض المناطق الصحراوية الممتدة من الأغواط إلى تنبكتو ومن شنقيط إلى جربة مع تعاليق وإضافات[4].

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 81.

[2] – المرجع نفسه، ص 83.

[3] – احميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، ص 49.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 91.

ثالثا: لجنة ترجمة الكتب العربية 1894

ازداد الاهتمام بالشرق مع بداية عصر النهضة، وأسهم في ذلك عدَّة عوامل، نذكر منها السياسية والاقتصادية مما دفع الدراسات الإستشراقية في الدول الأوربية كي تنمو وتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب في سعيه الدؤوب لإخضاع الشعوب المستعمرة، لذا فإن هذه المنظومة لا تعكس حقائق أو وقائع، بل تجسد صورة الغرب وهو يتعامل مع الحضارات الأخرى من منظور أوربي، وهذا ما عكسته حملة نابليون على مصر، فقدوم المستشرقين معه محاولة لمعرفة ما يكتنزه الشرق من قيَّم ومفاهيم وثقافات كبيرة ومتعددة[1].

ومع تطور مفهوم الإستشراق[2] في القرن الثامن عشر الميلادي، أصبح المستشرقون يتعاملون مع الشرق من زاويتين سلبية، وهي النظرة القديمة التي كونتها العقلية الغربية البعيدة عن الشرق، من خلال بعض الرحلات التي كان يقوم بها بعض المستشرقين، من أمثال "دي ساسي" (De Sacy)[3] 1838 و"رينان" (Ernest Renan)1892 [4]، وأخرى إيجابية كما صوَّرها الدارسون الذين درسوا وأقاموا بالشرق وعايشوه، كما فعل "بلاشير"[5] (Blachére) سنة 1973 وغيره ممن قاموا بمثل هذه الأعمال، أو من أقام

[1] – مصطفى نجيب فواز، **بدايات اهتمام الغرب بالمشرق العربي**، مجلة الفكر العربي، ع 88، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1997، ص164 .

[2] – **الاستشراق**: هو كل دراسة غربية اختصت بدراسة عالم الشرق الإسلامي من حيث لغاته وآدابه وأممه وعلومه ومعتقداته وأساطيره التي تعتبر صورة ناطقة عن هوية المجتمع الشرقي. ينظر: جابر قميحة، **آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم**، مجلة دعوة الحق، مكة المكرمة، السنة العاشرة، ع 116، 1412هـ/1991م، ص 15.

[3] – **دي ساسي 1758–1838**: أستاذ اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، قام بترجمة العديد من الأعمال، منها ترجمة وشرح ألفية ابن مالك (672هـ/1833م)، وقد ألف كتابا في النحو العربي في مجلد ليدرس في مدرسة اللغات الشرقية سنة1819. ينظر: عبد الرؤوف خريوش، **دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، فلسطين، ص 05.

[4] – **رينان**: مستشرق ومفكر فرنسي عني بتاريخ المسيحية وشعب إسرائيل. ينظر: عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 311.

[5] – **بلاشير**: حاز على دكتوراه في الأدب العربي عام1936 وعين أستاذا في جامعة السوربون سنة 1938م، وله الكثير من الأعمال الأدبية حول الثقافة العربية، كما ترجم العديد من الكتب منها كتاب الأمم لصاعد الأندلسي ورسالة الغفران للمعري . ينظر عبد الرؤوف خريوش، المرجع السابق، ص 03.

في الغرب من العرب، من أمثال رفاعة الطهطاوي[1] في سنة 1873م، وقد اتسعت مجالات الإستشراق وأخذت تشيد انعقاد المؤتمرات الدولية، وقد احتضنت فرنسا أولها عام 1873م وصارت بذلك باريس عاصمة الإستشراق[2].

أخضع الإستشراق للإمبريالية والعرقية والماركسية وغيرها، وغير أنه أصبح يملك منطلقات للبحث وجمعيات علمية ومؤسسات خاصة، مما أتاح مجالا واسعا لنشر الدراسات الأكاديمية[3] وهذا الميدان من أبرز الميادين التي يعتمد عليها المستشرقون في الوصول إلى أغراضهم، لأنه الميدان الذي يستطيعون منه توجيه الباحثين وإخضاعهم للمنهج الإستشراقي، سواء أكانوا غربيين أم كانوا شرقيين من طالبي الشهادات العليا من العرب والمسلمين، وفي هذا المجال استطاع المستشرقون بدءا من القرن التاسع عشر الميلادي من وضع الفكر العربي الإسلامي تحت المجهر، لقولبته من جديد وتكييفه وفقا للأهداف الإستشراقية المسبقة[4].

كما امتد نشاطهم ليشمل مجال المحاضرات في الجامعات والجمعيات واللجان العلمية، سواء في داخل أوربا أو داخل الوطن العربي والإسلامي نفسه، وفي هذا الصدد تشير الدراسات إلى لجنة ترجمة الكتب العربية والتي أسسها الحاكم العام جول كامبون سنة 1894 بهدف ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية، ولاسيما تلك الكتب المدرسية أو ذات الطابع التعليمي، الذي تقرَّر استعماله في المدارس الشرعية الفرنسية الثلاث بعد إعادة تنظيمها، وفي دروس المساجد المراقبة من إدارة الشؤون الأهمية وفي مدرسة الآداب وغيرها.

---

[1] – **رفاعة رافع الطهطاوي 1801–1873**: ولد بمدينة طانطا بمحافظة سوهاج، التحق بالأزهر وهو في سن السادسة عشرة ، ثم عين رئيسا لبعثة من الطلاب إلى باريس فدرس اللغة الفرنسية، وترجم أثناء البعثة 12 أثرا ، وقد اتصل بعلماء فرنسيين أنذاك، ولما عاد إلى مصر أسندت إليه بعض المهام في مدرسة الطب ومدرسة المدفعية ومدرسة التاريخ، يعد رفاعة من قادة النهضة الأدبية الحديثة خامسة في عهد مُحَمَّد علي باشا. ينظر: مُحَمَّد بوزواوي، **معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009** ، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 2009 ، ص 395.

[2] – عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 04.

[3] – عبد الرؤوف خريوش، المرجع السابق، ص 08.

[4] – مصطفى نجيب فواز، المرجع السابق ، ص 165.

وقد كان المشرف على اللجنة هو بيرسفيل[1] كاتب عام الحكومة العامة، وقد عمدوا إلى تأليف الكتب حيث كانت اللجنة تتألف من أساتذة فرنسيين في اللغة العربية من مدرسة الآداب ومدراء المدارس الثلاث، ومن مترجمين عسكريين تابعين لحكومة العامة كما قاموا بإصدار الموسوعات العلمية كما اعتمدوا على إصدار المجلات العلمية اعتمادا كبيرا، ومن أبرز المجلات التي أصدروها "**المجلة الأسيوية**" و"**مجلة الدراسات الشرقية**" و"**مجلة شؤون الشرق الأوسط**" و"**مجلة العالم الإسلامي**"[2].

أما الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسات "**اللغة العربية والإسلام**"، ثم توسعت إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته، ما يوضح الدور البارز للمستشرقين في إذكاء روح الترجمة وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب، نتيجة للحروب الصليبية والتبادل التجاري عبر صقلية والفتح الإسلامي للأندلس وامتداد الدولة العثمانية ، ففي زمن الحروب الصليبية عرفت أكبر حركة ترجمة في التاريخ على امتداد قرنيين من الزمن، نقل فيها معظم التراث العربي وأمهات الكتب إلى الغرب وفي مختلف التخصصات كالفلسفة والنحو بما فيها التاريخ والفقه[3].

ومن بين الكتب التي تمت ترجمتها كتاب "ابن مسكويه" و"حي ابن يقظان"، وغير ذلك من الكتب ما أتاح ذلك للثقافة العربية أن تدخل من باب واسع للحضارة الغربية ، حيث تركت أثرا بارزا مما ساهم في رفع المكانة الثقافية والعلمية والحضارية للمغرب، حيث شكل عصر النهضة الحلقة الأقوى للاتصال بين الشرق والغرب، فنشطت الصحف، وانتشرت الطباعة والترجمة، وأرسل المبعوثون إلى الغرب ما زاد ذلك من اهتمام المستشرقين بالشرق، كل ذلك أسهم في تفعيل الصراع الحضاري الذي انعكس في الأدب والسياسة والثقافة والفكر[4].

وقد شكَّل المستشرقون العلامة الفارقة في هذا الاتصال، لأنهم سبقوا العرب في نقل الثقافة العربية إلى الغرب بترجمة القصص، وتأليف الكتب، وإقامة الدراسات المختلفة حول الثقافة العربية، فالترجمة من

---

[1] – **بيرسيفل (Perceval De Caussin) 1759–1835**: من أهم الكتب التي ترجمها تاريخ صقلية للنويري (شهاب الدين بن عبد الوهاب بن مُحَمَّد 733هـ/ 1802م) ، وجزء من ألف ليلة وليلة 1806 وغيرها من الأعمال الأخرى. ينظر: عبد الرؤوف خريوش، المرجع السابق ، ص 05.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 98.

[3] – المرجع نفسه، ص 99.

[4] – خديجة بقطاش، **أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف"**، مجلة الأصالة، ع 51 ، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص ص 48-49.

العربية بدأت في وقت مبكر في القرن الحادي عشر الميلادي، وخلال ثلاثة قرون ترجم أكثر من ثلاثمائة كتاب من مختلف العلوم العربية، وقد كان القرآن الكريم، ألف ليلة وليلة، والمقامات من الأعمال التي اهتم بها المستشرقون، لأنها تعكس الحياة العربية، فترجموها وأضافوا عليها مفاهيمهم عن الشرق والحياة العربية مما يرضي مخيلة الإنسان الأوربي[1].

أما جالان[2]، فقد وضع مقدمة لترجمة ألف ليلة وليلة، فنقل إلى القارئ الغربي فيها الشرق بعاداته وتقاليده وأديانه وشعوبه، فكانت نظرته للمشرق أكثر واقعية من غيره، الذين كانوا ينظرون إليه على أنه أرض العجائب والفخامة والقصور وأرض الحكايات الغريبة، فجاءت نظرتهم سلبية تحمل في طياتها تصورات وأوهاما كثيرة ملؤها الزيف، لتوافق مخيلتهم وترضي أهوائهم وتصوراتهم، حيث أثرت هذه القصص المترجمة في المؤلفات الأدبية الأوربية، منها كتاب (ألف قصة وحكاية وأسطورة) للمستشرق الفرنسي باصيه[3].

إن عملية النقل والترجمة من الأدب العربي إلى الفكر الأوربي لم تتوقف على قمتها، بل ظلت متواصلة إلى يومنا هذا، مما أدى ذلك إلى تغيير نظرة المستشرقين للشرق، حيث أسهمت الروايات العربية التي ترجمها دور النَّشر الأوربية وترجمة الكثير من الشعر العربي وغيرهم، في تغيير الكثير من المفاهيم السابقة عن الشرق[4].

شارك المترجمون العسكريون في كثير من الجمعيات العلمية (Savantes Les compagnies) فعند إنشاء الجمعية التاريخية الجزائرية (La Société Historique Algérienne) في سنة 1856م، كان أغلبية الأعضاء المؤسسين من هيئة المترجمين العسكريين، هكذا كان حال المترجمين الرئيسيين "دي سلان" وغيره من المترجمين، الذين كانوا يحاولون تنظيم مؤسسة في الجزائر مشابهة لتلك التي يطلق عليها "معهد مصر القديم" لجمع وحفظ كل ما يتعلق بالتاريخ والآثار ولغة البلدان الإفريقية، وقد أمدت هيئة

---

[1] – مصطفى نجيب فواز، المرجع السابق، ص 166.

[2] – **جالان Antione Gallan 1646–1715**: مستشرق فرنسي مشهور أول من ترجم ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية وقد تصرف فيها تصرف شديدا، لكن بلغة جميلة وتكييف للنص الأصلي، بحيث يتلاءم مع الذوق الأوربي ثم ترجمها إلى الإنجليزية والألمانية والدانمركية. ينظر: عبد الرؤوف خريوش، المرجع السابق ، ص 5.

[3] – مصطفى نجيب فواز، المرجع السابق، ص 166.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 100.

المترجمين العسكريين العديد من الشركاء المراسلين (Associés Correspondants) الذين شاركوا في هذا الإنجاز العلمي[1].

المبحث الثالث: تكوين الجمعيات

أولا: الجمعية الأثرية لقسنطينة 1852

مع تقدم الاستعمار في الجزائر، بدأ بعض المستشرقين التنسيق مع باحثين في الإدارة الاستعمارية والعمل على إقامة مؤسسات ميدانية، للاهتمام والبحث عن النقوش والآثار، فكان أن قامت **"جمعية قسنطينة الأثرية"**[2] التي تعتبر من أقدم الجمعيات، التي تأسست في ديسمبر 1852م، ومن أبرز مؤسسيها العقيد كروللي والمستشرق "شاربونو"، الذي يشغل منصب أستاذ اللغة العربية في المدينة و"بروسلار" الذي كان رئيسا للمكتب العربي و"فينيار"[3].

ومنذ 1853م أخذت الجمعية تنشر الدوريات المختصة في الدراسات والمواضيع التاريخية والأثرية، فأصدرت مجلة بعنوان **"مجموع ومواجيز وأبحاث الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة"**[4] كما قامت بنشر مجلة باسم الحولية (Annuaire)، ثم غيرت اسمها بعد عشر سنوات 1864م إلى مجموعة روكاي (Recueil) للبحوث والمذكرات[5].

وقد ركَّزت هذه المجلة جل اهتماماتها بالآثار الرومانية، والبقايا الكثيرة التي خلفتها الهيمنة القرطاجية والنوميدية والعربية الموجودة في مقاطعة قسنطينة، إلا أن الشيء الواضح والملفت للانتباه، هو ذلك التجاهل والنظرة الدونية للآثار الإسلامية من قبل مسيري هذه المجلة، وخير دليل على ذلك تناولها لقصري "أحمد باي" و"صالح باي"، بشكل سطحي دون إعطائهما حقهما من الدراسة، بل ونظرت إليهما نظرة احتقار[6]، لأنه في نظرها هي الوريث الشرعي لهذه الأرض، وما الجزائريين إلا مغتصبي هذه

---

[1] – عز الدين بومزو، **الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري (ارنست مرسيه انموذجا)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص 30.

[2] – مُحَمَّد العربي معريش، **الإستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية 1822-1872**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 28.

[3] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[4] – عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص 102.

[5] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 92.

[6] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 36.

الأرض ويمكن أن يدمر العمران الذي قاموا ببنائه والتخلص من آثارهم، حيث لم يكن أفراد الجيش الفرنسي يؤدون مهامهم العسكرية فحسب بل كانوا مهتمين أيضا بالتنقيب عن الآثار الرومانية[1].

وفي الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي ظهر عدد من الكتاب المهتمين بالعهود الإسلامية أمثال فايسات الذي اهتم بالعهد العثماني في قسنطينة، وارنست ميرسييه الذي كتب عن المرأة والتشريع والملكية عند المسلمين، وفيلو الذي اهتم بعادات الجزائريين[2]، من كتابها نجد شاربونو الذي نشر 31 مقال ضمن عشرين عدد، وفيرو نشر 19 مقال، ومن بين الموضوعات المنشورة فيها خلال العشرين سنة (1853-1876) نجد 80% منها تتعلق بالآثار الرومانية والبعض فقط كان حول البربر والليبيين والبونيقيين، وضمن 808 مقالة منشورة بالمجلة نجد 15% تتعلق بالتاريخ والأثنوغرافية، وثلاثة أرباع منها تقوم على المواد العربية والتركية، ومنذ قانون الأرض 1863م نشطت البحوث الميدانية التي تهتم بالدواوير وأملاك الأهالي، واعتبرها شاربونو أول مجلة في المغرب العربي كله، وأصبحت القضايا التي أثارتها موجودة في مختلف الكتب والنشرات والصحف ودليل السياح، وهو ما ساعد على الهيمنة الاستعمارية في الجزائر ثم في المغرب العربي كله، ويقول غوستاف ميرسييه حفيد ارنست إن الجمعية الأثرية لقسنطينة قد دامت 104 سنوات ونشرت 100 مجلد ضخم من مجلتها وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والكتاب، عسكريين ومدنيين، منهم ستيفان غزال ومريبو وغيرهم[3].

ثانيا: الجمعية التاريخية الجزائرية

تأسست يوم 07 أفريل 1856م بالجزائر العاصمة بمبادرة من الحاكم العام المارشال راندون الذي أصبح الرئيس الشرفي للجمعية، ثم أصبح من التقاليد أن كل حاكم عام في الجزائر هو بالقوة الرئيس الشرفي للجمعية، أما الرئيس الفعلي فقد كان **أدريان بيربروجر** الذي تولى عدة وظائف في الإدارة المدنية

[1] - Mercier Ernest, **Histoire De Constantine** , Biblioteque National De France , Paris , p1.

[2] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 92.

[3] – المرجع نفسه، ص ص 93- 94.

الاستعمارية منذ 1835م، فشغل كاتبا خاصا للمارشال كلوزيل، ومحافظا لمكتبة ومتحف الجزائر، وعضوا في اللجنة العلمية[1].

1- أهداف الجمعية:

جاء في قانونها أن الهدف من إنشائها هو دراسة كل المعلومات المتصلة بتاريخ إفريقية ولا سيما المعلومات التي تهم الجزائر من العهد اللوبي (الليبي) إلى نهاية العهد العثماني، ومن أعضاء الجمعية لويس برينييه المستشرق أستاذ حلقة اللغة العربية بالعاصمة، والبارون دو سلان مترجما عسكريا ومشرفا على جريدة المبشر، وانضم إليها فيما بعد الجغرافي مكارثي، والعقيد دي نوفو، الذي تولى مكتب الشؤون العربية في الإدارة العامة، والمتصرف المدني رولان دي بوسيه، والعقيد هانوتو، الذي كتب عن زواوة وبارجيس الذي كتب عن تاريخ تلمسان، والجنرال دوماس الذي تولى الشؤون العربية في عهد بيجو، وهو مؤلف كتابي (**المرأة العربية، وخيول الصحراء**)[2].

وقد نشرت الجمعية التاريخية مجلة (المجلة الإفريقية[3]) الشهيرة التي اهتمت بنشر المخطوطات المحلية والعربية والوثائق الأصلية، وسلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف عصوره، ولكن بدرجات متفاوتة في الاهتمام، وتعتبر مجلداتها مكتبة تاريخية في حد ذاتها كما يقول غوستاف ميرسييه، كانت المجلة توزع مجانا على الأعضاء العاملين والمراسلين، ظهر العدد الأول في أكتوبر 1856م، ثم بدأت تنشر كل شهرين ثم أصبحت مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر منذ 1888م، وقد توقفت عن الصدور فترة الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، ثم عادت برقم 294 سنة 1918م، وقد تولاها بيربروجر إلى وفاته سنة 1869م ثم تولاها بعده آخرون، مثل دي قرامون، لويس رين، ماسكري، أرنو، ويل، بيزان[4].

ثالثا: أكاديمية هيبون

لقد توالت الجمعيات العلمية ومجلاتها في الظهور، فتأسست في عنابة جمعية باسم جمعية البحث العلمي سنة 1863، لتأخذ فيما بعد اسم "**أكاديمية هيبون**"، وقد تولى رئاستها المحامي" أوليفييه"، حيث

---

[1] - كمال لحمر، المرجع السابق، ص 39.

[2] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 95.

[3] - كانت كلمة إفريقية تعني الجزائر عندئذ، ومن ثمة المطبعة الإفريقية واللجنة الإفريقية والجيش الإفريقي ... إلخ. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، تهميش ص 95.

[4] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 95.

تعاقب على رئاستها من بعده ضباط وعقداء، ليفسح لها المجال وتصدر مجلة باسم" نشرة أكاديمية هيبون"، وقد اقتصر اهتمامها بالشرق الجزائري عموما، إلا أنها كانت تعمل ضمن الطابع الأثري والديني ولكن دائما فيما يخدم المصالح الاستعمارية، ومن كتابها ليكليرك الذي كتب فيها عن أحمد التيفاشي وبلوشي الذي تناول علم الخرائط عند المسلمين، وبابيه الذي نشر مساجد عنابة[1].

رابعا: الجمعية الجغرافية لإقليم وهران

أسسها الضابط البحري تروتاباس سنة 1878م، وكغيرها من الجمعيات السابقة، فقد اهتمت هي الأخرى بالبحث عن الآثار والنقوش الرومانية القديمة، وبالتحديد الجنوب والغرب الجزائري والمغرب الأقصى، كما اهتمت بقضايا الصحراء[2]، ما جعل أعضاء الجمعية يسارعون إلى العمل على تحقيق نفس الأهداف الاستعمارية للحملة، فأعلنوا بذلك عن ميلاد جمعيتهم، ومن ذلك فقد قاموا بتحديد مسؤولياتها العلمية، المتمثلة في دراسة ونشر التراث الأثري بإقليم مقاطعة وهران، وإنشاء مجموعة (Recueil)، وذلك لطبع الأعمال التي يقوم بها أعضائها لتصدر بدورها مجلة أسمتها نشرة (Bulletin) تهتم من خلالها بالآثار الرومانية، وقد أعلن أعضائها أنه لابد من فصل علم الآثار عن الجغرافيا، كما قامت من خلالها نشر العديد من المخطوطات مترجمة إلى الفرنسية[3].

وقد قامت من خلالها بضم أبحاث أعضائها ومراسليها وكل ما تعلق بالمنطقة[4]، إلا أنه وبحلول سنة 1881 قامت الجمعية بتغيير اسمها جزئيا لتأخذ فيما بعد اسم الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران وأسست متحفا أصبح يدعى المتحف الأثري والفني لمدينة وهران ومن المساهمين في تأسيسها المستشرقون رينيه باصيه وتلميذه ألفريد بيل[5] ومولييراس[6].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 96.

[2] – المرجع نفسه، ص 97.

[3] – مصطفى عبيد، التأثير ... ، ص 104.

[4] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 29.

[5] – **ألفريد بيل (1873–1945)**: أقام في شمال إفريقيا أين تعلم اللغة العربية وصنف كثيرا من الكتب كما ترجم الكثير منها مثل " **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد**" لأبي زكريا يحي ابن خلدون سنة 1904 ومقدمة ابن الأبار سنة 1918. ينظر: نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص 256.

[6] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 97.

خامسا: الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر

تأسست هذه الجمعية سنة 1896م، ويرجع الفضل في تأسيسها إلى العقيد بولينياك، وقد أنشأت لها مجلة خاصة اهتمت بالصحراء وإفريقيا والجزائر، وكتب فيها العسكريون عدة مونوغرافات عن تجاربهم في البلديات والبعثات العلمية التي زاروها، كما كتب فيها المدنيون أيضا، أمثال جوزيف ديبارمي الذي اختص بالأنثروبولوجيا في منطقة متيجة وتطور الحركة الوطنية والنفسية الجزائرية من خلال النصوص الشعبية والفولكلور[1].

وهناك جمعيات علمية أخرى أقل شهرة، أصدرت أيضا مجلات تضم بحوث أعضائها مثل الجمعية الأثرية والسياحية لسوق أهراس، الجمعية الأثرية لمنطقة سطيف، وجمعية أصدقاء تلمسان القديمة بقيادة المشتشرق ألفريد بيل، وفي 1909م ظهرت في العاصمة جمعية التاريخ الطبيعي للقطر الجزائري، وكانت لها نشرة شهرية، ثم الجمعية الفرنسية للفيزياء–فرع الجزائر العاصمة[2].

وبعد تكاثر الجمعيات، ظهرت فكرة لجمع الشمل والتعاون وتبادل الخبرات وذلك بإنشاء اتحادية لهذه الجمعيات سميت **"فيديرالية الجمعيات العلمية لشمال إفريقية"**، ولم تقتصر على الجمعيات العلمية في الجزائر، لكن ضمت الجمعيات العلمية الفرنسية في كل من تونس والمغرب الأقصى، فالتنسيق بين الجمعيات كان ضروري لخدمة أهداف الاستعمار، وبدأت نشاطها بالجزائر سنة 1935م، ويعود الفضل في إنشاء هذه الفيدرالية إلى صاحب الفكرة جورج هاردي، لتباشر عملها الجماعي سنة 1935 بالجزائر، وقد كان لها هي الأخرى الدور الفعال في توطيد دعائم الاحتلال الفرنسي بالجزائر، فقد كانت تضم بحوث دسمة في أغلبها، وفي معظم التخصُّصات، لاسيما الأثرية منها والتاريخية وكل ما يخدم السلطات الفرنسية، حيث كانت تنظم دورات سنويا في كل من تلمسان وتونس والرباط وقسنطينة وقد كان يصدر عن ذلك مجلد أو مجلدان في إطار توسيع نشاطها ونشر أعمالها خاصة في مجال البحث عن الموروث الحضاري القديم وإعادة إحيائه[3].

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 97.

[2] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 97. ينظر أيضا: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر في كتابنا أبحاث وأراء تاريخ الجزائر، ج1، وماصيه الدراسات العربية في الجزائر.

[3] – المرجع نفسه، ص 98.

سادسا: جمعيات الآثار والجمعيات العلمية

مكَّن الاستكشاف العلمي للجزائر من فهرسة عدد كبير من الآثار ذات الأصول المختلفة، ولكن البحث الأثري تحديدا لم يكن في تلك الفترة منظما بعد، ولم ينطلق جديا إلا نحو سنة 1855م، وقد ورد في رسالة للجنرال مارشال راندن (Marchal Randon) والتي بعث بها إلى بربروجير بتاريخ 6 جويلية 1855م عبر فيها عن أمله في رؤية جمعيات الآثار والتاريخ وهي تتكاثر، وكانت الجمعيات العلمية منخرطة في التصور الرسمي للتاريخ الإفريقي[1].

وتكشف دراسة لعمل أعضاء جمعية قسنطينة للآثار، حسب جايمس مالاركاي (James Malarkey) أن الخرائب كانت تباشر وتحلل على نحو تمييزي، تبعا لمنظور استدماري يسعى إلى شرعنة المصالح الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، من جهة أخرى تنص مقدمة المادة الأولى لإنشاء هذا الكيان المهم للبحث، على أنه سيكون منخرطا حتما في القضايا العمومية، ولذلك كانت السلطات المدنية أو العسكرية تستعمل أعماله غالبا، وعلى سبيل المثال فقد تم طبع عمل لدورو دو لامال (Dureau de la malle) عن التقنيات العسكرية للرومان بحجم الجيب كي يقرأه الجنود في الجبال، بل يذهب البعض إلى حد التأكيد على أن جمعيات الآثار تميل أحيانا إلى توجيه نتائج البحوث، لأجل التشديد على التصور المعنوي للصراع بين الهمجية والحضارة[2].

إلى جانب تأسيس الجمعيات العلمية، تمَّ إنشاء مجلات لخدمة السياسة الاستعمارية، فعملت على تطوير الأطروحات الفرنسية وتبسيطها في كتيبات ودراسات وصحف ومقالات وأدلة سياحية، وقد ساعد انتشار العمل المبتكر على توسيع الهيمنة الفرنسية في كل المستعمرات، وقد شجعت السلطة المجلة الإفريقية وكرمت السلطات أكثر الباحثين إنتاجا، مثل شاربونو[3] (Cherbonneau)، الذي كرم بميدالية

---

[1] – كميل ريسلير، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830–1962**، تر: نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الجزائر، ط1، 2016، ص 63.

[2] – كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 64.

[3] – **شاربونو 1813–1882**: هو جاك أوغست شاربونو ولد في فرنسا وتابع المرحلة الأولى من دراسته في مدرسة الألسن الشرقية ولفت الأنظار إليه ببعض المقالات التي ترجمها عن شعراء العرب وأدبائهم 1845 ونشرتها المجلة الآسيوية، وترجم المقامة الثلاثية للحريري ومختارات للعمري 1846، وألف ليلة وليلة 1852، أخذ العربية عن دي ساسي وكوستان دي برسفال، وانتدبته الحكومة الفرنسية لتنظيم مدارسها في الجزائر، فاهتم بالأمر اهتماما عظيما وأقام بقسنطينة مدة من الزمن. ينظر: نجيب العقيقي، **المستشرقون**، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 198.

الشرف 1863م على مجموع أعماله عن مدينة قسنطينة، وعين بعد بضع سنوات مديرا للمدرسة العربية–الفرنسية بالجزائر العاصمة، ومفتشا للمدارس الإسلامية للتعليم العالي، وأستاذا بمعهد اللغات الشرقية بباريس 1879، كان الباحثون يركزوا بحوثهم على المجالات التي تهم السلطات العمومية، وأن لا يعارضوها إيديولوجيا[1].

المبحث الرابع: أهداف الاستكشاف والبحث العلمي

ما إن استقر الأمر للاحتلال الفرنسي في الجزائر، حتى شرعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في تسخير كل إمكاناتها المادية والسياسية والاقتصادية لبسط نفوذها، وتدعيم سيطرتها، لتثبيت وجودها الاستعماري في الجزائر، والتوسع نحو الجنوب (الصحراء)، فعمدت إلى تسخير عدد من كتابيها وباحثيها الذين يعدون من فئة المستشرقين، الذين انبروا للبحث والتقصي في مختلف القضايا المتعلقة بكل ما هو جزائري، إن على مستوى العادات والتقاليد والأعراف والدين والثقافة وغير، وبعد أن أدركت أنها لن تستطيع فرض سيطرتها وإحكام قبضتها على شعوب المستعمرات إلا من خلال دراسة مجتمعاتها وفهم شعوبها فهما جيدا، وهذا لا يتأتى لها إلا ذا انطلقت في دراسة هذه الشعوب، من خلال إنتاجها الحضاري والتاريخي، ومن قيمها وقوانينها ونظمها المختلفة، وأشكالها ومظاهرها الفكرية والفلسفية والأدبية، وكذا العمل على دراسة النطاق الجغرافي الذي تشغله تلك المجتمعات، وهذا من أجل تحقيق الأهداف التالية[2]:

1– إحياء الموروث الروماني:

وجدت السلطات العسكرية الفرنسية في الدراسة التاريخية للموروث الروماني نموذجا فعالاً للاحتلال، وبفضل علم الآثار كانوا يقتفون آثار أسلافهم ويتحركون وفق خط سيرهم على طول الطرق العتيقة، ويحتلون المناطق نفسها ويشيدون المواقع العسكرية والأنوية الاستعمارية، فإذا بنت روما مدينة بموقع ما فكان يعني هذا أنه يحتوي نبع مائي وأرضه خصبة، وقد صرح وزير التعليم الفرنسي سنة 1862م

[1] – كميل ريسلير، المرجع السابق ، ص ص 65-66.

[2] – إبراهيم لونيسي، **بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي**، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 159.

قائلا: **"كان هذا الشعب (الرومان) يجيد اكتساب الأشياء والحفاظ عليها، ولأننا نقف على موروثه علينا أن ندرس جيدا كيف نجح في امتلاك ذلك بقوة"**[1].

قام علماء الآثار والمؤرخون بعمل فكري من خلال فهرسة الآثار، واستخراج عناصر تاريخية جديدة من الماضي تخص الاحتلال الروماني، وفي الوقت نفسه خدموا حاجات إستراتيجية بديهية بإنتاج قواعد لتثمين التنظيم الإداري أو المالي أو الديني أو العسكري أو السياسي أو الزراعي أو الإقليمي، فضلا عن ذلك كانت التجربة الرومانية تحدث شعورا بعدم الاغتراب يسهل الغزو[2].

وقد نشر دوسلان نص رسالة إلى السيد رينود في المجلة الآسيوية يؤكد فيها شغفهم برصد كل ما يتعلق بماضي الحضارات التي حطت رحالها بأرض الجزائر، فيقول: "التحقت بمعسكر باتنة بغرض الإطلاع على خرائب وأطلال لامبيزا (Lambaiza) عن النقوش والنصب وكذلك نقل النقوش النوميدية التي ادعى اكتشافها وقتذاك عن النصب المسمى من الأوربيين بقبر ملوك النوميديين، والمسمى من الأهالي المدغاسن، إن التصميم إغريقي بني بحجارة ضخمة، وهو يعادل نصب قبر الرومية الواقع بين الجزائر العاصمة وشرشال، بيد أن خرائب **لامبيزا** من شأنها أن تشغل هاويا ستة أشهر كاملة"[3].

2- الشرعية التاريخية:

ساهم الماضي الروماني في شرعنة الوجود الفرنسي تاريخيا، بحكم أسبقيته على الفتح العربي-الإسلامي، فقد أراد الفرنسيون أن يثبتوا أن إفريقيا لاتينية، واكتسبوا الحماسة القتالية العسكرية منهم، وتمكنوا من إيجاد الشجاعة للتوغل في هذه الأصقاع ليكملوا إنجازات أسلافهم التي سلبت منهم تحت أعينهم حسب زعمهم، وكان مسار الشرعنة التاريخية المدعم بعلم الآثار الكلاسيكي خلال المرحلة الاستدمارية حليفا مهما لإقناع الأهالي بشرعية الوجود الفرنسي، وكان المستوى الرفيع للتطور الذي بلغه الرومان يقابل غالبا بجهل الغزاة العرب-المسلمين وطبعهم التخريبي، وبينما كانت المعطيات المستقاة في البدء تتكاثر كانت المقابلة تشتد بين السلام الروماني والرسالة التمدينية[4].

---

[1] - كميل ريسلير، المرجع السابق ، ص 58.

[2] - كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 59.

[3] - مُحَمَّد العربي معريش، المرجع السابق، ص 474. وللإطلاع على نص الرسالة يمكن الرجوع إلى البارون دي سلان، **رسالة إلى السيد رينود**، المجلة الآسيوية، باريس، ع 04، 1845، ص 163.

[4] - كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 60.

سخرت السلطات كل شيء لتسليط الضوء على هذا الماضي لإفريقيا وربطه ثقافيا بفرنسا، وقد لاحظ الجنرال **فور بيقي** (Faure Biguet) كيفية تأثر السكان بالنقوش اللاتينية، فأورد قائلا: **"نلتقي برجال من العرب يروننا نقرأ الحروف الرومانية كما نقرأ حروف لغتنا، وهم مقتنعون أن النصب التذكارية التي نفكك حروفها المنقوشة هي من إبداعنا نحن أنفسنا، هم يرون أننا بمجيئنا إلى إفريقيا نقوم باستعادة ثروتنا فحسب، أي استعادة بلد طردنا منه أسلافهم"**[1].

3- تبرير سياسة القوة:

يشرح جاك فريمو (Jacques Frémeaux) أن فرنسا استدعت غالبا هذا الطابع أو ذاك من العصور القديمة لدعم إجراء متخذ أو سيتخذ، وعند اكتشاف هيئة الخرائب الرومانية بالجزائر في القرن 19م، اكتسبت هذه الأخيرة قيمة دينية مقدسة، كانت نداء من الأسلاف لبعث الرسالة التمدينية على أرض الهمجية هذه[2].

4- النصب التاريخية والتراث:

كان مفهوم التراث[3] (Patrimoine) الابتكار الحديث الخاص بالثقافة الغربية في مركز الانشغالات، بحيث أن الثقافة الإسلامية لم تكن تترك آثارا مرئية عند مرورها بالجزائر على عكس الآثار الرومانية، وقد شجعت الإدارة الفرنسية هذا العمل، بحيث نجد في أرشيف الحكومة العامة للجزائر نجد الكثير من توصيات السلطات العمومية لصالح المهندسين المعماريين المكلفين بدراسة النصب والمخطوطات العتيقة بالجزائر، والتي تلزم الولاة بتسهيل المهمة لهم[4]، ولم تطرح مسألة التراث في أي مكان

---

[1] - كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 61.

[2] - المرجع نفسه، ص 62.

[3] - **التراث:** هو الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني لمجتمع ما، ولكن من الملاحظ أنه لم يكن حاضرا في خطاب الأسلاف ولا في حقل تفكيرهم، كما أنه غير حاضر في خطاب أية لغة من اللغات الحية المعاصرة التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا، وهو مفهوم أشمل من مفهومي كلمتي Patrimoine وHéritage وابتكار فرنسا للمضمون الجديد كان بنية شرعنة وجودها الاستعماري بالجزائر من خلال رؤية مركزية مؤسسة على إجلال الأشياء وعبادتها. ينظر: مُحَمَّد عابد الجابري، **التراث والحداثة، "دراسة ومناقشات"**، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 24.

[4] - كميل ريسلير، المرجع السابق، ص ص 66-67.

في القرن التاسع عشر، وكذا في القرن العشرين بمثل الحدة التي طرحت بها في الجزائر، ولم تؤثر بالدرجة نفسها في المجتمع وإقليمه وفي الفضاء وعنصر تحديد هويته، كما حدث فيها[1].

مما تقدم يمكن القول:

أنه رغم أن العامل الثقافي والفكري كان هو المحفز الأساسي في الاستكشاف العلمي للجزائر، إلا أنه لم يكن بعيدا عن التأثر بالإستراتيجية العسكرية والسياسية، وخادما مباشرا للمصالح الفرنسية، وعبر التقنيات الأثرية والرسوم والكشوف المعمارية بدأ الاستيلاء على الأبعاد الثقافية والتاريخية لهذا الإقليم الذي أصبح ميراث الحضارة، ومن خلال منشوراتها وبحوثها تشكلت لدى الفرنسيين فكرة التوسع نحو الجنوب الجزائري.

استكشاف المجلة الإفريقية للمجتمع الجزائري بكل صوره الدقيقة وأشكاله ومختلف عاداته وتقاليده وأهم الأعراق والقبائل ولهجاتهم، كما أنها برزت في فترة حساسة وحاسمة من تاريخ الجزائر، وامتد صدورها عبر قرن وسبع سنوات، وهي مرحلة ندرت فيها كتابات الأفراد والشخصيات الجزائرية عن ذاتها وعن المحتل، وقد كان للمجلة الإفريقية دور كبير في تثبيت الاستعمار في الشمال وتوغله في الجنوب الجزائري عن طريق الدراسات الهامة والميدانية التي قدمتها.

[1] - المرجع نفسه، ص 67.

الفصل الرابع: الإرساليات التنصيرية في مدن الجنوب الجزائري

المبحث الأول: الاستعمار والتنصير بالصحراء

المبحث الثاني: الكاردينال لافيجري وسياسته الدينية في الصحراء

المبحث الثالث: الهيئات التبشيرية في الصحراء

المبحث الرابع: نشاط الراهب دوفوكو (Charles de Foucould) 1858-1916

تمهيد:

شكل الاستعمار الفرنسي في الجزائر وجهين لعملة واحدة، وجه أول يهدف إلى الاستغلال الاقتصادي والهيمنة السياسية، ووجه آخر يتعلق بضرب كل ما له علاقة بالشخصية الجزائرية ومقوماتها الحضارية من اللغة والدين والانتماء ومؤسسات دينية وتعليمية وثقافية، وذلك بتحويل الأمة الجزائرية أو على الأقل أجزاء منها إلى النصرانية، بحيث اتخذ الاستعمار الفرنسي من الكنيسة وسيلة وأداة استعمارية لتحقيق أهدافه في فصم الجزائر عن تاريخها وإذابتها في بوتقة الأمة الفرنسية، ولتحقيق هذه المهمة جنَّدت إدارة الاستعمار منذ الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 جمهور العاملين على الكنيسة من رهبان وقساوسة وأخوات بيض في عدة مناطق.

المبحث الأول: الاستعمار والتنصير بالصحراء

إن العلاقة بين حركة التنصير والاستعمار هي حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها، فالباعث الحقيقي للتنصير **"إنما هو القضاء على الأديان غير نصرانية"**، وصولا إلى استعباد أتباعها، وهي ليست معركة دين فحسب، بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية[1]، إن الإسلام كان دائما عقبة حقيقية بالنسبة لحركة التنصير، كما أنه كان يعتبر تياراً دينياً معاديا لحركة الاستعمار الذي يعد الدعامة الأساسية للتنصير، والدليل على ذلك خشية فرنسا من قوة الإسلام، وفي هذا السياق يقول الكاردينال لافيجري: **"وبينما كان الإسلام يوشك على أن ينهار في أوربا مع عرش السلاطين من آل عثمان، كان لا يزال ناشطاً في تقدمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الإفريقية"**، ويبدو بوضوح أن أشد الأديان مراساً في إباء الاستعباد إنما هو الإسلام، لذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم، ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبراهميين إلا من المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون[2].

ومهما يكن، فإن البعثات العلمية والاستكشافات والإرساليات التبشيرية، ما هي في الحقيقة إلا غطاء للتوغل نحو الجنوب وإفريقيا والسودان بالتعاون مع الطرق الصوفية، ولهذا نجد أن ما كتب حول الكاردينال لافيجري ومشروعه التنصيري من أنه كان يؤمن بفتح الصحراء في وجه فرنسا، إلا أن العائق

[1] – مُحَمَّد بو الروايح، **الجدلية التاريخية بين التنصير والاستعمار الفرنسي في الجزائر**، من كتاب الندوة العلمية الأولى آليات الاستعمار الاستيطاني الأوربي في الجزائر وليبيا، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ماي 2008، ص 107.

[2] – مصطفى خالدي، عمر فروخ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1973، ص 45.

الذي كان يواجه فرنسا حسبه هو الدين الإسلامي، ولذلك يقول سعد الله: **"ألفت الإرساليات التنصيرية التي كان هدفها نشر المسيحية وتسهيل مهمة فرنسا في الاستيلاء على المناطق الصحراوية الشاسعة وهنا تظهر له فكرة إنشاء جمعية الآباء البيض للصحراء ..."**[1] وهو ما صرح به أحد الشخصيات الفرنسية وهو الأب شالي عام 1930 [2].

ولكن الاستعمار يتطلب جهودا جبارة وتضحيات كبيرة، ووضع إستراتيجية دقيقة في هذا المسعى وتوظيف رجال قادرين على تحمل مصاعب ومخاطر هذا المشروع، وبالفعل فقد تم إعداد دراسات وتقارير عن بداية العمل الجاد، يهدف إلى التوغل نحو الجنوب، واختيار شخصيات دينية معروفة في الوسط الديني والكنسي، تحمل مسؤولية نشر النصرانية في الصحراء الجزائرية، وغرب إفريقيا، وحتى السودان، وقد باركت الكنيسة الكاثوليكية هذا العمل، وقامت بمساعي حقيقية من أجل تحقيق هذا المشروع بالاستعانة بالقادة العسكريين المتحمسين للاستعمار الديني.

يعتبر النشاط الديني من أبرز المشاريع الاستعمارية الذي ساعد الساسة الفرنسيين في حركة التوسع نحو الجنوب الجزائري، خاصة بعد إدراك المفعول القوي للدين الإسلامي على الأهالي، وقد أكَّد هذه الحقيقة الرحالة لويس بولار (Louis Baulard) بقوله: **"بأن الدين في المجتمع الإسلامي من أقوى النظم الاجتماعية والثقافية التي تبنى عليها شخصية الفرد والجماعة فتؤثر في السلوك وفي نمط الحياة الروحية والاجتماعية"**[3].

أما الأسقف باني (Banie)، الذي كان على رأس الأسقفية المحلية سنة 1866، فكان يقول عن نفسه أمام الرأي العام الفرنسي: "إني سعيت معكم لتحقيق الفتح ولجعل الأرض الجزائرية مهد أمتي العظيمة سخية مسيحية فرنسا أخرى، وبعبارة أخرى للنشر من حولنا النور الحقيقي لحضارة يكون الإنجيل أساسها ودستورها ولننقل هذا النور إلى ما وراء الصحراء، إلى هذه القارة الكبيرة الغارقة في الظلام والتوحش وهو المصير الذي اختاره الرب"[4].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج6، ص 130.

[2] - Mohamed korso**, Politique et religion; l' islah, ses structures, ses hommes**, Tome 1, these d'histoire, paris, 1989, p.38.

[3] - Louis Baulard,**Un voyage en Afrique on description d'Alger**,Bibliothèque Royale Paris,p 5.

[4]- Louis Engéne Lovet, **Les mission Catholique au 19 em siecle si elle société de saint Auguste,** Paris, p 266.

إنها حقيقة لطالما أرجعها بعضهم إلى إشكالية في فهم الأدوار التي قام بها كل طرف، بل إلى نظريات وأطروحات تقوم على أن هناك خلافا بين نوايا وأهداف رجال الدين ورجال الدنيا من الفرنسيين، ومهما حاولت هذه الأطروحات أن تجد تفسيرا لدوافع الغزو، ودور كلا منهما، والفصل بينهما، فإن الشواهد التاريخية، بل والواقع التاريخي يؤكد أن المنصرين قدموا خدمات جليلة للتمكين للاستعمار، بل وفي تعبيد الطريق نحو التوغل داخل الصحراء.

إن الأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن يكفي تلك التصريحات لنوايا رجال الدين، لقد عبر عن هذه الحقيقة البابا بيويس التاسع (Pielx) في رسالته إلى الكردينال لافيجري بشأن أولئك الأطفال الذين جلبهم إلى ملاجئه، فأيد وبارك هذا وبين أن هذا من صميم الرسالة النصرانية، كما بين أهميته في التمكين للاستعمار وأن التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة[1].

ولم يكن دعاة التنصير وحدهم يعملون على تنصير الجزائريين وردهم عن دينهم، وإنما مؤيدين من طرف الاستعمار ماديا ومعنويا يقول الزاهري: "... والأمر الثالث الذي لا ريب فيه أيضا أن الاستعمار يعين الملحدين على نشر الإلحاد بين المسلمين، ويحمي أيضا جماعة المبشرين ويعاونها بالمال وربما أمدها بإعانات مالية من أوقاف المسلمين[2].

وبالرجوع إلى مسيرة الاحتلال منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر، نجد أن السلطة الزمنية والدينية الروحية غير محددة لدى الحكام الفرنسيين في الجزائر، ولدى رجال الدين في فرنسا الذين لهم علاقة بالشؤون الخارجية، يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "فمنذ تقرير العقيد (كليرمون تونير) الذي قدمه إلى شارل العاشر لإقناعه بالموافقة على الحملة ضد الجزائر فقد كان الدافع الديني قويا في أذهان الفرنسيين، ووعده بأن الحملة ستحقق انتصار الكنيسة الكاثوليكية على الإسلام واستعادة المسيحية إلى إفريقيا، كما كانت قبل الإسلام"[3]، وهذا الأمر هو ما نلمسه في سلوكيات القادة العسكريين الذين كانوا متحمسين

[1] – سعيد عليوان، **التنصير وموقفه من النهضة الحضارية في الجزائر**، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2001-2000، ص606.

[2] – الأزهاري عباز، **نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603–1884**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2013-2014، ص113.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 106**. ينظر كذلك **كتاب الحركة الوطنية**، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 79-80.

للنصرانية ومن خلال مواقفهم من الإسلام ومساجد المسلمين والأوقاف، لقد أعطى الجنرالات والحكام والعاملين أولوية خاصة إلى رجال الدين الذين كانوا أيضا أوفياء في خدمة الاحتلال.

المبحث الثاني: الكاردينال لافيجري وسياسته الدينية في الصحراء

أولا: مولده ونشأته

هو شارل أنطوان مارسيال لافيجري (Charles Antoine martial lavigerie)، ولد في 31 أكتوبر 1825 بمدينة وير (huire) قرب بايون بفرنسا على سفوح جبال البريني، هو أكبر ابن في عائلته من أب يدعى ليون لافيجري (la vigerie leon) كان مفتش لدى مصلحة الجمارك، وأمه هي لور لاتريل (laure lathrile) من عائلة بورجوازية، عندما بلغ لافيجري العاشرة من عمره انتقل مع عائلته من مدينة وير وأقاموا في ضاحية أخرى من المدينة، وأظهر لافيجري منذ صباه توجها دينيا خالصا من خلال حضوره الدائم لكاتدرائية المدينة، وفي سنة 1843 دخل المدرسة الأكليريكية الكبرى سان سلبيس بأيسي نواحي باريس لدراسة الفلسفة لمدة سنتين، وفي سنة 1845 دخل معهد الأكليريكي لعلم اللاهوت، وبعد اجتيازه للسنة الأولى بامتياز[1].

كان للافيجري دورا أساسيا في إحياء المسيحية ونشرها في إطار المشروع الاستعماري مستغلا في ذلك كل الوسائل والطرق[2]، إلى أن توفي في 18 نوفمبر 1892 وتولى الحاكم العام جول كامبول الذي يمثل السلطات الرسمية تنظيم مراسيم جنائزية ضخمة تشريفا لشخص لافيجري كاعتراف لخدمته الجليلة لصالح الاستعمار الفرنسي في وانطلاقا من ميناء الجزائر تولت باخرة لوكوسمار عملية نقل جثمانه إلى الجزائر وتونس قرطاج في كاتدرائية سان لويس، وأطلقت على شرفه قوات الجيش الفرنسي 12 طلقة مدفعية.[3]

---

[1] – سعيدي مزيان، **النشاط التبشري للكاردينال لافيجري 1867–1892**، رسال ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 1998-1999، ص ص 32-33.

[2] – عبد الجليل التميمي، **من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19في الجزائر**، الملتقى التاسع للتعرف على الفكر الإسلامي، مج 3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972، ص 18.

[3] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 133.

ثانيا: وصول لافيجري إلى الجزائر ومجهوداته التنصيرية

بدأ مشوار لافيجري التنصيري بالجزائر سنة 1867 عندما عين أسقفا على الجزائر، وقرر غزو الإنسان الجزائري[1] وطرد الجزائريين الذين وصفهم بالمتعصبين إلى القفار وهذا ما صرح به حين قال: **"يتعين على فرنسا أن تفسح لنا المجال لنقدم له (الشعب الجزائري) الإنجيل أو يطرد هذا الشعب إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتمدن"**[2]، ومنذ وصوله الجزائر سطر لافيجري أهدافه فيما يلي:

- جعل الجزائر مهدا لأمة مسيحية كبيرة (فرنسا جديدة في شمال إفريقيا)، ونشر تعاليم المسيحية حضارتها ويكون الإنجيل المنبع والقانون ومد النفوذ المسيحي إلى ما وراء الصحراء حتى وسط القارة السابحة في البربرية، وربط إفريقيا الشمالية بإفريقيا الوسطى ودمج شعوبها وسط حياة المسيحيين.

وقد صادف وصول لافيجري إلى الجزائر كارثة، وهي مجاعة 1867-1868 واغتنم الفرصة ليفتح باب التنصير على مصراعيه، فبدأ يقدم المساعدات باسم الصليب وفرنسا وجمع حوله ما يقارب 1.800 طفل بين مشرد ومريض ووزعهم على مختلف المراكز والملاجئ في بوزريعة، بولوغين، ابن عكنون، الأبيار، القبة، بوفاريك، مدينة الجزائر، وذلك لمعالجتهم وتنصيرهم[3]، وأقام لهم قرى ومدارس لتعلم الإنجيل والمبادئ الأولية للقراءة، ووزع الأراضي الفلاحية لخدمتهم، وهدفه من هذا هو جعل هؤلاء الأطفال مسيحيين وأصدقاء لفرنسا، يساعدونها على البقاء بدل حمل السلاح في وجهها[4].

كما ذهب لافيجري بأفكاره إلى أبعد من كل هذا، إذ بدأ يفكر في إنشاء الكيان القبائلي إبراز سكان القبائل ككيان منفصل عن العنصر العربي، حيث أراد بعث أسطورة القبائل المسيحية وإنهاء الوجود العربي الجزائري، ورأى أنه من السهل تنصير هذا المجتمع كونه من أصل مسيحي، ومن أجل تحقيق هذا الغرض ذهب إلى انتهاج سياسة التفرقة بين الجزائريين، في إطار سياسة **"فرق تسد"** بخلق الثغرات الجهوية، وإثارة الروح الإقليمية، وتشجيع النزعة القبلية، وزرع الخلاف بينهم، وخاصة

[1] - عبد القادر حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، ص 125.

[2] - المرجع نفسه، ص 139.

[3] - خديجة بقطاش، المرجع سابق، ص 112.

[4] - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 139.

المناطق التي تتحدث باللهجة المحلية البربرية، وذلك ليسهل فصلها عن الوطن الجزائري[1].

كما ضاعف لافيجري مجهوداته التنصيرية، حيث اهتم ببناء وتشييد الهياكل الدينية المسيحية بالجزائر فما بين 1867-1878 أنشأ 48 كنيسة و25 إخوانية، أبرزها كنيسة سان جوزيف بباب الواد وكنيسة سان شارل بأغا، وفي سنة 1888 وصل عدد الكنائس إلى 68 كنيسة، وعند موته سنة 1892 وصل عددها إلى 121 كنيسة، وأهم هيكل ديني مسيحي عمل لافيجري على تكريسه هو كاتدرائية السيدة الإفريقية التي أكمل بناءها بعد أن بارك سلفه بافي[2] حجرتها الأولى قبل 15 سنة، وإختار لافيجري 2 جويلية 1872 تاريخا لتكريس الكاتدرائية، وفي نفس اليوم دشن حفل زواج مسيحي لأربعة من يتامى مجاعة 1867 وألبسهم الآباء والأخوات لباسا فرنسيا، وركع الجميع أمام الكاردينال لافيجري لمباركة زواجهم، فأهدى خمسة مائة فرنك لكل زوج وبيتا جاهزا بأثاثه لكل منهما وخمسة وعشرين هكتار من الأراضي في سهل الشلف[3].

ثالثا: سياسة لافيجري الدينية في الصحراء

كانت منطقة الصحراء الشغل الشاغل للكاردينال لافيجري، حيث يعتبر الوصول إلى تخومها ومد النفوذ المسيحي فيها أمرا هاما وجوهريا بالنسبة له، لأنه يعتبر الجزائر نقطة الانطلاقة التي تتسرب منها حركة التبشير إلى إفريقيا كلها، خاصة في ظل التنافس الاستعماري الأوربي على القارة الإفريقية[4]، وبعث برسالة إلى ج. رولاند (G. Rolland) أحد كبار مشروع سكة الحديد العابرة للصحراء قائلا له: **"لطالما اعتبرت مسألة التوغل في الصحراء والسودان الغربي أحد النقاط الأساسية لمصلحة فرنسا في الجزائر"**[5].

---

[1] – سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 188.

[2] – نشير أن بافي 1846-1866 قد وضع حجر الأساس لبناء الكاتدرائية منذ 1857وتعود فكرة بناءها إلى الراهبة **"أقاريت"** التي كانت تعيش في ذلك المرتفع داخل معبد صغير، راهبة نفسها للعبادة حيث طلبت من بافي بناء كاتدرائية لتكون قبلة للمسيحية بالجزائر، وكان بافي من جهته قد ترك مبلغ 400 ألف فرنك من خزينة اللجنة الملكية لإتمام المشروع.

[3] – سعيدي مزيان ، مرجع سابق، ص ص 19-21.

[4] – الحبيب الجنحاني، **حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشرة** ، مجلة الأصالة، الجزائر، ع16، 1974، ص 29.

[5] - George Rolland,**Le transahara rien un au après,** Alfred mame et fils éditeur,Paris, 1876,p 6.

وبالرغم من تجذر الدين الإسلامي في نفوس سكان الصحراء، إلا أن الكاردينال لا فيجري صرَّح لدى وصوله إلى الجزائر قائلا: **"إن الجزائر باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يعيش عليها مليونان من النفوس"**[1]، بحيث أن تأمين الصحراء وتهدئتها لفتح الطريق أمام المبشرين الذين يقصدون إلى إفريقيا السوداء، من الأهداف الأساسية التي تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية لتحقيقها تعاونا وثيقا[2].

لذلك عمل على إيجاد مناطق تبشيرية متقدمة تساعده على الإطلاع على المنطقة (الصحراء) وسكانها، فكانت البداية ببعث ثلاثة من الأخوات البيض إلى مدينة الأغواط في ديسمبر 1870 ووصلوا إليها بعد ستة أيام من سفر كان شاق ومتعب[3]، فمرضت الأخوات البيض لعدم تأقلمهم مع قساوة المناخ، واضطر لافيجري إلى استدعائهن وتعويضهن بإرسال اثنين من الآباء البيض اليسوعيين وذلك بعد فترة قصيرة من الحملة الأولى وهما الأبوان "روشي" (ROCHER) و"أوليفيي" (OLIVIER)[4] اللذان كانا يتقنان اللغة العربية[5]، وكان من أهداف هذه الحملة ضمان الممارسة الدينية المسيحية لدى المستوطنين الفرنسيين ومختلف العائلات الأوروبية المقيمة هناك، والقيام بوظيفة الإرشاد الديني في أوساط الجيش الفرنسي المقيم بالأغواط[6].

ومن جهة أخرى محاولة الاحتكاك بالقبائل العربية الجزائرية بالجنوب لتحضير مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى، وقد تم تعيين الأب "شارموتان" (Charmetain) رئيسا لمركز الأغواط، الذي يعتبر مقرا رئيسيا لبداية إرسالية تبشيرية واسعة تصل حتى السودان[7].

انطلق الأب شارموتان من الأغواط إلى وادي ميزاب في خريف 1872 هذه الرحلة استغرقت شهرا كاملا، لخص فيها أحوال ومعيشة السكان بالمنطقة بصفة عامة ودقيقة، ولقد عاد الأب واستعرض أمام لافيجري كل ما شهده من طريقة عيش السكان سواء الاجتماعية والاقتصادية وحتى

---

[1] – Soleillet, Avenir, op cit, p 69.

[2] – إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ...، ص120 .

[3] – سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص166.

[4] – قام هذا الأخير بتحريات وبحوث عن القبائل العربية والبربرية المجاورة، كما احتك بممثلي تلك القبائل خاصة في مواسم إقامة الأسواق الكبرى بالمنطقة

[5] - M. Bounard, **le cardinal lavigerie**, T 1, de Gigord librairie poussielgues, Paris, 1898, p 391.

[6] – سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 338.

[7] - M. Bounard, Op-Cit, p 391.

الدينية فاتخذ لافيجري خطوة أخرى[1]، حيث قام ببعثه للمرة الثانية، ولكن على أساس كاهن إلى الأغواط برفقته اثنين من الآباء البيض، وهما "بوشان" و"بوليي" وحدد لهما هدفا أساسيا يتمثل بصفة رئيسية في الوصول إلى بسكرة، كما أرسل الأب "ريشارد" نحو تقرت وورقلة، وقام ببعث الأب باسكال إلى البيض، ثم أمرهم بعد ذلك بوجوب التقدم نحو بسكرة، غرداية، متليلي والمنيعة، كل ذلك كان بعد سنتين 1872-1873[2].

وقد اتبع المبشرون نفس الطرق التي انتهجوها في منطقة القبائل، وذلك تماشيا مع تعليمات لافيجري التي تقول بضرورة كسب الثقة وربح القلوب، فقام الآباء بفتح مستوصفات لمعالجة المرضى مجانا، مما كان له أثر بالغ في استمالة سكان الصحراء حتى بلغ عدد الذين دخلوا هذه المستوصفات حوالي 4,000 شخص سنويا[3]، ومكث هؤلاء المبشرون بالصحراء ما يقارب ثلاث سنوات، حيث تعايش الآباء مع القبائل وتمكنوا من إقامة علاقة ودية معهم، مما ساعدهم على التعرف على عاداتهم وتقاليدهم، وكتب في هذا الأمر كتبا هامة ساعدت على بسط النفوذ الاستعماري في الصحراء، هذا ما يؤكد الطرح الذي يقول أن التبشير له علاقة حميمة مع الحركة الاستعمارية الأوروبية.

قام لافيجرى في 1875 بإرسال ثلاثة من المبشرين وهم: الفريد بوليي (Marie-Alfred Paulmier) من أسقفية باريس، فيليب مينوري (Philippe Ménorets) من أسقفية نانت وبيار بوشار (Pierre Bouchard) من أسقفية ليل[4]، هذا الحدث التاريخي الذي أعلنه لافيجري في بيان رنان رنان لا تنقصه العجرفة وروح التحدي جاء فيه: "في هذه الساعة يوجد ثلاثة من المبشرين من رجالنا في بلاد الطوارق، وعما قريب سوف يدخلون إلى تنبكتو في عزم وتصميم ليستقروا في عاصمة السودان أو يلقوا فيها حتفهم حبا في الحقيقة"، وقاموا باصطحاب خمسة من الطوارق كمرشدين، لأنهم يعرفون تضاريس المنطقة، لكنهم لقوا حتفهم لأنهم أرادوا التوغل في الصحراء للوصول إلى تنبكتو ونشر المسيحية فيها ويقال أنهم قتلوا على يد نفس الطوارق الذين كانوا يرافقونهم[5].

---

[1] – سعيدي مزيان، مرجع سابق، ص.16

2 - M. Bounard, op -cit , T I, p 392.

[3] - P. Cussac, **Un géant de l'Apostat Le Cardinal Lavigerie**, Librairie Missionnaire, Paris, p 62.

[4] – إبراهيم العيد البشي، **دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، جوان 2013، ص 33.

[5] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 110.

وقد أنشأت محطة متليلي سنة 1875م على بعد 260 كم من الأغواط، لتكون أولى طرق القوافل نحو السودان، ومن هذه المحطة آخذ كل من الأبوين كرامبون (Krambon) ومالفريت (P. Malfreyt) دور في التوغل حتى المنيعة (القليعة) 200 كم جنوب محطة متليلي، بهدف دراسة الطرق التي تؤدي إلى دواخل إفريقيا وتحضير المحطة الموالية التي تكون أبعد نحو الصحراء[1].

كما قام الأب ريتشارد (Richard) سنة 1876م برحلة إلى الإيفوغاس والإيمانغاستان[2]، وقد نجح في رحلته باعتباره طبيب يتقن النطق بالعربية حيث أصبح وكأنه عربي، واستمرت الرحلة 56 يوما إلى أن وصل إلى "وادي تيكاملت" ما شجعه على معاودة الرحلة والوصول إلى غات، وفي 18 ديسمبر 1881 انطلق الأب ريتشارد رفقة الأب مورات (Morat) وبوبلار (Pouplar) إلى غدامس متبوعا ببعض الشعانبة والأدلاء من طوارق إيمانغاستان، ولكن في اليوم التالي تمت مهاجمتهم من طرف مرشديهم في الصحراء على بعد 40 كم جنوب غدامس ليسقطوا جثثا هامدة على ربوة صغيرة (تدعى تين كوفار)[3].

كما دفع تسامح وطيبة وحسن معاملة سكان الصحراء لهؤلاء الآباء في التعجيل بالحملات التنصيرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكَّدوا أن التفرق الذي يعيشه هؤلاء السكان، يمكن أن يكون عاملا في السيطرة عليهم من طرف الجيش الاستعماري، وهو ما يوفر تأمين طريق الصحراء وتهيئتها لفتح الطريق أمام المبشرين القاصدين إفريقيا السوداء، إذ أن هذا كان الهدف الرئيسي الذي تعاونت من أجل تحقيقه الكنيسة والإدارة الاستعمارية[4].

وكان أينما حل الجيش الاستعماري كان معهم الآباء البيض ليفتحوا مراكز دينية مسيحية بالمنطقة، فوصلوا إلى غرداية وعيَّنوا على رأس مركزها الأب تولوت الذي أصبح مرشدا للإرساليات التنصيرية بالصحراء والسودان ابتداء من 1884[5]، ثم وصلوا إلى المنيعة سنة 1892 وأنشاؤ بها مركزا وبعد تأسيس هذه المراكز التبشيرية بالصحراء الجزائرية عمل هؤلاء رفقة الأخوات البيض الذين جيء بهن لبث سموم التنصير بالصحراء باستعمال نفس الطرق والوسائل المتبعة في المناطق الأخرى[6].

---

[1] - Vuillot, Op-Cit, p 140.

[2] – **قبيلة امنغاستان:** تنقسم إلى ثلاث أقسام، القسم الأول منها يعرف بـ "ايناكن" و"نيجيهن آبار" و"نيجهين بدال".

[3] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، ص 426.

[4] – العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص 11.

[5] – سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 173.

[6]- Philippe (Antony), **Missions des péres blancs en Tunisie, Algérie, Kabylie et Sahara,** T1, Ed Dilen, Paris, 1930 ? p116 .

المبحث الثالث: الهيئات التبشيرية في الصحراء

أولا: جمعية الآباء البيض (Père Blancs)

أسَّس لافيجري جمعية مبشري الجزائر (La Société Missionaires d'Alger) أو الآباء البيض عام 1874[1]، مستغلا ظروف المجاعة والقحط الشديد الذي ألم بالبلاد عام 1867م، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الزي الأبيض الذي كان يلبسه أعضاؤها، والذي يشبه تماما الزي العربي في ذلك الوقت، إلا أن التسمية الحقيقية التي أطلقها عليها مؤسسها آنذاك هي **"جمعية مبشري السيد الإفريقية"** أو مبشرو الجزائر، أما عن دستورها فهو يقع في ستة فصول، وغُيِّر فيه في العديد من المرات إلى أن استقر في صيغته النهائية عندما صادق عليه البابا سنة 1885، وينص عموما على الأمور الآتية[2]:

- ضرورة لباس المنخرطين الزي العربي الجزائري.
- ضرورة إتقانهم اللغات واللهجات المختلفة.
- ضرورة حصولهم على دراسات عليا في علم اللاهوت.
- التقشف في المعيشة، والمسكن، والملبس.
- التعهد حتى الممات بخدمة التبشير في إفريقيا

وفي عام 1874م استكملت هاته الجمعية تنظيمها، وبدأت في تأسيس مراكز لها بجنوب البلاد بسكرة، الأغواط، متليلي، والأبيض سيدي الشيخ[3]، كما حاولت النفاذ نحو الجنوب، لكن الجهود التي بذلها الآباء البيض بعيدا عن حماية قوات الاحتلال باءت بالفشل، فقد لقي عدد من المبشرين حتفهم على أيدي أدلتهم أنفسهم عندما تجرؤا وخرجوا من المراكز المحصنة التي تحميها القوات الفرنسية، ليس من عادة سكان الجنوب النيل من سلامة المسافرين العزل مهما كانت معتقداتهم، ولكنهم لم يجدوا حرجا للنيل من حياة هؤلاء لأنهم يدعون إلى غير دين الله[4].

---

[1] – عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص 97.

[2] – وعلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص 38-39.

[3] - Boudichon, **Projet d'une exploration politique, commerciale et scientifique d'Alger à Tambouctou par le sahara**, 1849, pp 13-21.

[4] - A. Bernard et N. Lacroix, Op-Cit, Chap 2.

ثانيا: فرقة إخوان الصحراء المسلحين

كان المركز الأساسي لانطلاق الدعاية التنصيرية بالصحراء والسودان الغربي على أوسع نطاق هو منطقة بسكرة[1]، واتخذها لافيجري نقطة لضمان التأثير الديني المسيحي على كامل الصحراء الجزائرية، وقام أيضا بفتح طريق للمبادلات التجارية وللحركة الاقتصادية، وقد كانت بسكرة (بسكرة الرومانية القديمة) مركز إقامة الكاردينال لافيجري منذ زيارته الأولى لها والتي امتدت من 05 نوفمبر 1886 إلى 15 فيفري 1887 [2].

كما قام لافيجري بإنشاء **"فرقة إخوان الصحراء المسلحين"** (Les frères armes du sahara) نظرا للظروف التي كانت تعيشها الصحراء وإفريقيا السوداء من تنافس استعماري بين القوى الكبرى (فرنسا وانجلترا) مما أدت بلافيجري إلى ابتكار طريقة جديدة لتغطية تلك الحركة الاستعمارية بطابع ديني صليبي وإسهام رجال الدين والكنيسة فيها فقام بإرساء قواعد ودعائم جمعية دينية ذات طابع ديني عسكري، فأدخل بذلك الآباء التبشير المسلح بالصحراء وهي أول تجربة في تاريخ النشاط التنصيري بالجزائر[3].

كان تأسيس هذه الجمعية في بسكرة سنة 1891، ويدعي مؤسسها أن مهام أعضائها هو مكافحة بيع الرقيق في إفريقيا، إلا أن الأمر غير ذلك، إذ يهدف إلى حماية المبشرين نتيجة هلاك الكثير منهم في الجنوب الجزائري، وتمتعت هذه الفرقة بنظام ديني عسكري داخلي صارم، كما ساهمت بالتمهيد للاستعمار، فاعتبرها الفرنسيون أنها عامل اختصر خمسة عشر (15) عاما من التردد في فتح الجنوب استطاعوا بفضلها التوغل في الجنوب[4].

---

[1] – تتكون بسكرة من سبعة قصور، تمثل مجتمعة واحة بسكرة وقد كتب عنها المؤرخ "لامي" في كتابه عن لافيجري قائلا: "بسكرة عاصمة الزيان، تقع وسط واحة طولها 5 كلم، بها 140 ألف نخلة، ارتفاعها 100 متر على مستوى سطح البحر، ترى بواسطة وادي القنطرة ووادي العبدي، بها 6 آلاف ساكن، منها 350 أوروبي دون حساب الفرق العسكرية، بها بيوت ذات أقواس وسطوح تطل جنوبا على قرى البربر، الغرب والسود.

[2] – سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 351.

3 – المرجع نفسه، ص175.

[4] – عبد القادر قوبع، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920–1954**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص 96.

طلب لافيجري من رئيس المجلس الاستشاري الفرنسي تقديمه العتاد العسكري لتسليح أفراد جمعيته، فقام هذا الأخير بعرض قضيته على مختلف سلطات الاحتلال في الجزائر وفي فرنسا، من وزير الخارجية، والدفاع، والداخلية، إلى الحاكم العام للجزائر، وقواد الحاميات العسكرية الثلاث للجزائر وقسنطينة ووهران، وأجمع كل هؤلاء على أنه لا مانع من تقديم السلاح والذخيرة مجانا لجمعية إخوان الصحراء، ما دام هؤلاء يخدمون مصالح فرنسا التوسعية في الجزائر وإفريقيا، لقد ذهبت سلطات الاحتلال إلى أبعد من ذلك أي إلى تمويل هذه الجمعية سنويا بمبلغ 10000 فرنك واشترطت على سلطات الفاتيكان أن تتعهد بأن يكون رئيسها من جنسية فرنسية[1].

وأثناء زيارة لافيجري الثانية لبسكرة سنة 1887 أوكل مهمة الدراسات الأثرية التاريخية للأب ديلاترز والأب تولوت المتخصصان في دراسة الآثار المسيحية، ليثبت أن المنطقة كانت مسيحية منذ غابر الأزمان[2]، كما أنه لم يهمل العمل الإحساني في أوساط السكان والذي يمثل تمهيدا لكل نشاط تنصيري فاغتنم فرصة القحط الذي حل بسكان بسكرة عام 1889 فعمل على توزيع مبلغ 600 فرنك على 3000 من الأهالي من مجموع سكان بسكرة المقدرين بـ 10 آلاف، قام لافيجري بتدشين مركز إخوان الصحراء المسلحين بمسالة بمدينة بسكرة، حيث كان لافيجري ينوي جعل بسكرة زاوية للنشاط المسيحي، وتم الشروع في بناء البيوت للآباء والأخوات البيض، وقد عين الكاردينال على رأس الأعمال الأب تولوت[3].

كما عمل على إنشاء مستشفى بالمركز، وأطلق عليه اسم **"بيت الله"** الذي يبعد عن بسكرة بـ 1500م، الذي بني بمساعدة القوات العسكرية، وكان نصفه عبارة عن دير، ونصفه الثاني عبارة عن ثكنة مخصصة لإيواء الفرقة[4]، ومن مهام هذه الفرقة التي يترأسها الأب أوغسطين هاكار رئيسا للفرقة[5]، دراسة إمكانية التقدم نحو المناطق الداخلية لتتوسع بعد ذلك في الشروع في أعمال مع القيادات العسكرية لاحتلال المناطق المتبقية[6].

---

[1] – وعلي محمّد الطاهر، المرجع السابق، ص ص 50-51.

[2] - M. Bounard, Op -Cit , T I,p p 421,422

[3] - R. Pottier,**Le cardinal Lavigerrie, Apotre et civilisateur**, Les publications techniques et histoire, Paris, 1947, p194

[4] - M. Bounard, Op-Cit , T I,p510

[5] - M. Bounard, Op-Cit , T I, p599.

[6] – سعيدي مزيان، مرجع سابق، ص 190.

أقام لافيجري في أفريل 1891 حفلا دينيا لإخوان الصحراء المسلحين بمناسبة ارتدائهم اللباس الديني العسكري الرسمي، الذين بلغ عددهم الثلاثين، الأمر الذي كان إعلانا رسميا لدخولهم معهد التبشير للمبتدئين، فجاء لباسهم على هيئة نصفها رهباني ونصفها عسكري، تمثله جلابة بيضاء مزينة بصليب أحمر على صدرها، ويرتدون قبعة من القش يعلوها صليب بارز.[1]

ثالثا: وسائل وطرق التنصير في الصحراء

أما بالنسبة للطرق والوسائل التي استعملها المنصرون في الصحراء، كانت متعددة ومتنوعة فمثلا قاموا بفتح مصنع للحلفاء، وورشة لصناعة السلال والقفف، بالإضافة إلى كل هذا قاموا بالاهتمام بالقطاع الزراعي، حيث تم تأسيس ملجأ للأيتام بالمنيعة خاصة بالفلاحة الصحراوية (الواحات)، وقاموا بحفر بئر سمح بتدفق المياه بكثرة، مما أدى بالأب " ماشيرال" بجلب الأسماك لتربيتها في سنة 1892، كما أهتم الآباء بالصناعة التقليدية المنتشرة بغرداية، وورقلة، والمنيعة، والجلفة، وعين الصفراء، والتي اختصت بصناعة الزرابي حيث لاقت رواجا هاما وكبيرا في أسواق الجنوب الجزائري، لكنها لم تخدم الهدف الذي أسست من أجله، خاصة بعد موت لافيجري، فهو الذي بذر بذرة السوء (التبشير) في الصحراء الجزائرية، والتي كان دورها ضعيفا جدا[2].

وتشير بعض الإحصائيات الخاصة بنشاط الآباء البيض في ميدان الصحة والعلاج بمدينة بسكرة ما بين سنتي 1936 و1937، إلى تمكنهم من إسعاف وعلاج 442 رجلا و410 امرأة و214 طفلا، وهو ما يدل على حرصهم الشديد وإرادتهم القوية وتفانيهم في خدمة السكان، ولم يكتفوا بذلك، بل حاولوا تحقيق استمرارية أعمالهم، عندما أسسوا مدرسة التكوين شبه الطبي ببسكرة، والتي تم تأميمها بعد الاستقلال[3].

ففي مثلا غرداية قاموا بفتح مدرسة تكوينية لتعليم الشباب صناعة الجلود، وفي ورقلة فتحت الأخوات مراكز تكوينية لتعليم البنات الطرز وطرق نسج الصوف، وقام الآباء بفتح ورشة لصناعة الأسمنت والخزف والتي ستكون لها رواج في أسواق الجنوب الجزائري[4].

---

[1] - R. Pottier, Op-Cit, p195.

[2] - A. Philippe, Op-Cit, p 124

[3] – عمر داود، **الحركة التبشيرية في الجزائر "نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجا" مقاربة سوسيو–تاريخية** دار نزهة الألباب، الجزائر، 216، ص 59.

[4] - A. Philippe, Op-Cit, p121

ويمكن اعتبار الموقع الجغرافي الاستراتيجي لكل من بسكرة، وجنوب غرداية، وتقرت السبب الرئيسي في اختيار الاستقرار بهم، كون هذه المواقع تعتبر كمحطات لالتقاء القوافل، ما يسمح للآباء الانتقال معها عبر الصحراء لمزيد من الاستكشاف والتوغل، ولم تمر سنة 1878 حتى تمكن الأبوين ريتشارد وكرامبون من تنصيب مقرهم بورقلة، والذي ضم مدرسة ومصحة وورشة للنسيج تديرها الأخوات البيض، وورشة للذكور بها آلات النسيج الميكانيكية، وقد تم بها إحصاء مائتين (200) فتاة وخمسين (50) امرأة سنة 1930[1].

المبحث الرابع: نشاط الأب دوفوكو (Charles de Foucould) 1858–1916

يعتبر دوفوكو من أهم رواد حركة الاستكشاف والتنصير، بل ومن أخطر المبشرين قاطبة، وخطورته كما قال المؤرخ إسماعيل العربي: "أنه عقلية علمية من الدرجة الأولى، وهو خريج مدرسة سان سير، وأنه يحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان، ويجد لذة في المتاعب والتضحية بالراحة ومتع الحياة"[2].

وقد تخرج دوفوكو من مدرسة لافيجري، ويعد من أنجب تلاميذه، حمل عبء استكمال المشروع الديني النصراني بكل أمانة وصدق، كانت حياة دوفوكو في البداية حياة ماجنة، يمكن أن نقول عنه أنه لا تربطه أية علاقة بالكنيسة ورجالها، والمصادر التاريخية تحكي أنه اهتدى إلى حياة التدين لأسباب قد نجهلها، ثم وهب نفسه لخدمة النصرانية[3].

أولا: مولده ونشأته

ولد شارل دوفوكو في ستراسبورغ بفرنسا في 15 سبتمبر 1858، توفي والده وعمره لا يتجاوز ست (6) سنوات، ورباه جده لأمه الذي كان ضابطا فرنسيا تلقى دو فوكو تعليمه الابتدائي في أسقفية سان أربوقاست (Saint-arbogast) بمدينة ستراسبورغ ثم بثانوية امبيريال (Imperial) بمدينة نانسي إلى سنة 1870، حيث توقفت الدراسة بها بسبب الحرب الفرنسية – الألمانية، ثم بثانوية ناسيونال (National) التي ظل بها إلى أن حصل على شهادة البكالوريا، وقد كان أول تقرب له بالكنيسة سنة 1872 بكنيسة نانسي، حيث يقول دوفوكو في رسالته إلى الجنرال سيسيال (susbielle)، التي أرسلها

[1] – عمر داود، المرجع السابق، ص ص 60-61.

[2] – إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 112.

[3] - Henri masse, **les études arabes en Algérie (1830-1930),** Société historique, Alger, p 17.

من تمنراست في 8 سبتمبر 1915 "... وفي نفس الكاتدرائية la cathédrale بمدينة نانسي تناولت القربان لأول مرة في سنة 1872 استقر المقام بجدي في مدينة نانسي بعد حرب سنة 1870"[1].

وكانت مدينة باريس محطة أخرى في حياة دوفوكو، فبعد حصوله على شهادة البكالوريا انخرط في الحياة العسكرية، حيث التحق بمدرسة سان سير، تخرج منها وانخرط في صفوف الجيش الفرنسي الإفريقي، ووصل رتبة ملازم أول[2]، يقال أن كوكبة من الفرسان تتألف من عشرين (20)شخصا جاؤوا بحثا عن "المرابط" شارل كان فيها شخص اسمه المدني، وقد قتل الأب برصاصة من حارسه سنة 1916 ويشاع أن قاتله كان من أتباع السنوسيين، والواقع هو أن الناس اكتشفوا حقيقة المزيفة باتخاذه الدين والإحسان والعلم مطية للوصول إلى أهداف سياسية الاستعمارية.[3]

ثانيا: وصول شارل دوفوكو إلى الجزائر

كانت أول زيارة لدوفوكو للجزائر سنة 1880، ضمن فرقة عسكرية فرنسية للخيالة أرسلتها مدرسة سومير (Saumur)، حيث مكث عدَّة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف مدة من الزمن[4]، وبعد أشهر استقال من الجيش، ولم يبلغ عمره سن 24[5]، ومع اندلاع ثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي عاد دوفوكو مرة أخرى لحمل السلاح في هذه الحرب المقدسة –في نظره–، ثم استقال عام 1881م نهائيا، قرر بعدها القيام برحلة إلى أعماق الصحراء خدمة لفرنسا والمسيحية، قصد الحصول على نتائج أكثر إيجابية من التوسع الحربي، ولكن بعد الدراسة تأكَّد له أنه لا يمكن القيام بذلك إلا بتعلم اللغات، فقرر التجول في المغرب وجمع المعلومات عنها، فتنكر في زي خادم يهودي مشرد وفقير، وطاف الأطلس المغربي من 20 جانفي 1883م إلى 23 ماي 1884م، وخرج من هذه الرحلة بمعلومات غزيرة تعد دليلا قيما ومرجعية أساسية أفاد قوات الجيش الفرنسي[6].

[1] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 111.

[2] – عبد السلام بوشارب، **الهقار أمجاد وأنجاد**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، رويبة، 1995 ، ص 110.

[3] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 135.

[4] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 119.

[5] – عبد السلام بوشارب، المرجع السابق ، ص 110.

[6] - Charles de Foucould, **Le Charles de Foucould ermite au Sahara**, en l'Ami du chargé Paroissial Supplément à Ami du chargé, N° 35, Langens, 1931, p 503.

ثالثا: رحلات شارل دوفوكو

1- رحلته إلى المغرب الأقصى:

بعد أن قدَّم استقالته في فرنسا، عاد إلى الجزائر ليجعلها نقطة انطلاق وعودة إلى المغرب الأقصى سنة 1883 متنكرا في هيئة حاخام شرقي رفقة الدليل والمرشد اليهودي (ماردوش)، الذي عينه له زميله ماكارثي، وانطلقا من وهران ليسجل كل ملاحظاته الفلكية واليومية، كما كان يتجول في الأسواق ماشيا على قدميه أو راكبا حماره[1].

تعلم دوفوكو اللغتين العربية والعبرية واقتنى ملابس يهودية متكون من قميص أبيض بكمين طويلين وبرنس وعمامة سوداء وقلنسوة حمراء، وأطلق شعره وقلد اليهود في عاداتهم وطبائعهم وتقاليدهم، وقد أشار في كتابه "Reconnaissance et itinéraire au maroc" عن سبب اختيار التنكر في شخصية يهودي إلى كون أن اللباس اليهودي أكثر راحة كما سمح له التحرك بحرية وتسجيل المعلومات خفية دون إثارة الشكوك[2].

واستمر في رحلته الاستكشافية حتى الأطلس الأعلى، وذلك بعد أن التقى بالأب (هوفلي) ليقرر في كنيسة القديس أوغسطين بداية مهام التبشير في الصحراء الجزائرية ومنها إلى إفريقيا الغربية، وقد جمع في رحلته معلومات دقيقة من خلال مشاهداته وعلاقاته في هذه البلاد لتكون بذاك المنطلق الأول في عملية استكمال هذه الرحلات[3].

2- رحلته إلى الجزائر سبتمبر 1885:

عند عودته إلى الجزائر تعلم ودرس اللغة العربية، وتجول في الصحراء، حيث طاف بالأغواط، غرداية، ميزاب، المنيعة وتوقرت، مدينة قابس بتونس[4] وفق المعالم التي رسمها **دوفيريي**، الذي التقى به عدة

[1] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص ص 115-116.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 134.

[3] – المهدي البوعبدلي، **آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، في ملتقى الفكر الإسلامي، مج3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية**، الجزائر، 1973، ص 1350.

[4] – احميدة عميراوي، **المرجع السابق**، ص 119.

عدة مرات، وقد منحته الجمعية الجغرافية الميدالية الذهبية نتيجة أعماله المهمة ومؤلفاته القيمة، حيث قام بنشر كتاب تحت عنوان **"معرفة المغرب"**، وقد عبر عنه الجغرافيين في تلك الفترة بالقول "كل دراسة أخرى أمام هذه الدراسة هي عبارة عن حديث أطفال"[1]، عاد دوفوكو إلى فرنسا في 23 جانفي 1886 متخليا عن الجيش نهائيا، ومنها رحل إلى المشرق وكان قد أرسل إلى سوريا وانخرط في جمعية "الترابست" بأرمينية وقرر زيارة بيت المقدس في سنة 1888 لينخرط مجددا في جمعية أخرى لأسيا الصغرى سنة 1890[2].

3- رحلته الثانية إلى الجزائر 1901:

قام دوفوكو برحلة أخرى نحو الصحراء الجزائرية 1901، ونفسه تدفعه إلى مزيد من الاستكشاف والبحث عن المجهول، وفي هذه الرحلة حاول أن يجد لنفسه مستقرا يأوي إليه ويتخذه مركزا لاستئناف نشاطه، فأقام أول الأمر في بني عباس في مرتفع صخري، وكان يفد إليه ما لا يقل عن مائة زائر من البؤساء والفقراء وذوي الحاجة، والحقيقة أن فرصته المواتية لبث دينه في قلوب هؤلاء المساكين مستغلا ضعفهم وحاجاتهم، ونسق نشاطه مع رجال الدين التابعين للافيجري (الآباء البيض)، وأخذ في تعلم اللغة التارقية، وقد أصدر معجما حولها، كما سعى ليكون عينا وعونا في نفس الوقت للإدارة الاستعمارية[3].

ولم ينتقل إلى الهقار إلاَّ في سنة1903، بعدما أقنعه زميل الدراسة لا برين (Laperrine) ووصف بني عباس بالعبارات التالية: **"ومن هذه الواحة يشرف الناظر على صحراء حمادة الشاسعة، ويمتد بصره في سماء صافية لا نهاية لها وتذكرنا بذات الإله العظيم"[4]**، فواصل سيره قاطعا خمسة آلاف كلم في الصحراء ليصل إلى الهقار بعد عشرة أيام، وأخذ في تعلم اللغة التارقية وهذا بعد أن أخذ الإذن من

[1] - Charles de Foucould, Op-Cit, p 504.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 134 .

[3] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، ص 410.

[4] – إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ...، ص 125 .

(موسى آق آمستان) زعيم الطوارق والإقامة بينهم، كما كان على اتصال دائم ومباشر مع أعيان وأشراف الهقار[1].

رابعا: دوفوكو ونشاطه التنصيري في تمنراست

قرر دوفوكو الذهاب إلى مدينة تمنراست في سنة 1905م، أين بني ديرا هناك، أما طريقته في التبشير بالدين المسيحي بين المسلمين في الطوارق، فيقول[2]: "كنت أحاول أثناء جولاتي أن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار وذلك بأن أقدم لهم السكر، ولكنني لم أسجل نجاحا في هذه المساعي، فقد كان مرآي عندهم أشبه شيء بمرآى الشيطان نفسه، ... ولكن الأطفال في عملية الاتصال بالسكان هم أشبه شيء بمرآة تعكس تفكير آبائهم، وهؤلاء قد يضعون أقنعة على عواطفهم الحقيقية ويخضعون ويتذللون أمام القوة بحكم الضرورة...وعندما يرون الأجنبي يطلقون سيقانهم للريح، وهذا معناه أن الرأي العام ضدنا...لكنه يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل إلى نفوس الآباء ونهدئ من روعهم... وبهذا تتحطم الحواجز التي تفصل بيننا وبين الأهالي والطفل هو المستقبل، .... وبعد عشر سنوات سيكبر أطفال القبيلة وينمو معهم الولاء لأفكارنا، إن هذه القبيلة قد انحازت إلى صفنا[3]".

ولعل من بين أهم العوامل التي سهلت مهمته، هو تكوينه العسكري الذي أهله للعمل في قضايا الاستخبارات العسكرية، وقد قضى اثني عشر عاما في التقرب من الطوارق ليتعلم لهجتهم، فأنجز قاموسا من الفرنسية إلى التارقية[4]، ومن التارقية إلى الفرنسية في أربع مجلدات، من أشهر أعماله محاولته التمركز بين القبائل التارقية، وكسب الأطفال، وتحبيب مبادئ المسيحية إلى نفوسهم[5]، ولتحقيق هذا قام دوفوكو باختطاف طفلا من بني عباس[6]، لينشئه على الديانة المسيحية، وسماه بول مارابو (Paul Marabout) وما إن بلغ سن الرشد وعرف ما حوله تمرد على متبنيه وانفصل عنه وغير اسمه إلى مبارك، لينظم إلى

---

[1] – سعيد عليوان، المرجع السابق، ص 652.

[2] – إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ...، ص 130 .

[3] - Charles De Foucauld, La reconnaissance du Maroc, p53

[4] – لغة تخاطب الطوارق هي "تماشق" وتكتب بالتيفيناغ، وهي تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية.

[5] – أحمد مريوش، **التوسع الاستعماري إلى الجنوب ودود سكان الهقار 1916م**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ع11، 2005، ص 134.

[6] – **بني عباس**: قصر على نحو 225 كلم من بشار في طريق القوافل بين الشمال والتوات القرارة والهقار. ينظر: مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال...، مرجع سابق، ص 67 .

إخوانه الطوارق ويعيش معهم، اعتمد دوفوكو على مبادئ تبشيرية استعمارية منطلقا من قاعدتين: محاربة العقيدة الإسلامية ودراسة لغة وعادات وتقاليد وثقافة المجتمع[1].

نصب دوفوكو قسيسا عاما في الصحراء، ولعل ما يوضح ذلك مضمون الرسالة الشهيرة التي بعث بها إلى رهبان الجزائر، والتي يقول فيها: "إني سميت لتحقيق الفتح معكم وجعل الأرض الجزائرية مهداً لأمة عظيمة مسيحية فرنسا أخرى وفي كلمة واحدة، تنشر من حولنا الأنوار، الحقيقة يكون فيها الإنجيل المنبع والقانون وحمل هذه الأنوار إلى ما وراء الصحراء إلى قلب هذه القارة الكبرى ..."[2].

خامسا: دوفوكو ومنهجه في التنصير

أما وعن عن طريقة دوفوكو في التبشير بالدين المسيحي، يقول: "كنت أحاول أثناء جولاتي دائما أن أقترب من المخيمات السكنية وأن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار وأقدم لهم السكر ولكنني لم أسجل نجاحا في هذه المساعي فقد كان مرآي عندهم أشبه بمرأى الشيطان نفسه.. وقد يبدو من الغريب أن ألح على موقف أطفال صغار لا تتجاوز أعماهم ما بين الخامسة والثانية عشر، ولكنهم هم الأنجع في عملية الاتصال بالسكان الذين هم أكثر تخوفا وحذرا أما الأطفال فهم أقل حيلة ومكرا"[3].

ويستشف من ذلك أن شارل دوفوكو كان أخطر مبشر عرفته الصحراء الجزائرية، لأنه إلى جانب عمله كجاسوس للسلطة الفرنسية، كان يبث سموم أفكاره في قبائل الصحراء محاولا استمالتهم إلى جانب فرنسا، ونذكر أن عملية التنصير في الصحراء كانت ضعيفة، ولم تعرف تطورا مند نهاية الحرب العالمية الأولى لأن العملية التنصيرية واجهت مشكلات مختلفة ومتنوعة، والتي وصلت إلى اغتيال الآباء البيض، مما أجبرهم على وقف نشاطهم عقدا كاملا والتصفية الجسدية لشارل دوفوكو[4].

---

[1] – إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة الاستكشافية في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1946، ص 345.

[2] - Marie André, **le Pére de Foucould missionnaire,** Toulouse, Paris, 1937, p 19.

[3] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 114-115.

[4] - Joseph cuoq ,Op-Cit, pp 214-215.

كما أنها شكلت الخط الخلفي للدفاع عن الإسلام والقيم ضد طلائع المبشريين[1]، وبلغ رفض الجزائريين في الجنوب ذروته، وإذا كان المبشرون قد أهينوا أو اختطفوا في منطقة جرجرة، فإنهم قد أعدموا في الصحراء حينما حاولوا الدعوة إلى النصرانية، وبالتالي التمهيد للسلطات الفرنسية لاحتلال البلاد ولقي عدد منهم حتفهم بعدما تجرؤا وخرجوا من المراكز العسكرية المحمية، وباءت كل جهودهم بالفشل الذريع[2].

سادسا: الاشتغال بالجوسسة والاستكشاف

يتجلى ذلك من خلال الرحلات التي قام بها حيث ساهم في تدعيم النشاط الاستعماري الذي بلغ أوجه في القرن التاسع عشر، اتخذ دوفوكو في رحلاته منهجا دقيقا يتسم بالغموض والتمويه والتقمص لشخصيات عدة من أجل أن يوهم الناس ويصرفهم عن معرفة شخصيته الحقيقية، قد يؤدي الأمر عند اكتشافها إلى القتل أو غيره كما حدث لزملائه الأوائل، وكذا بعض البعثات الرسمية التي قتل أصحابها على أيدي الطوارق، وعلى هذا الأساس عمل دوفوكو على الاستفادة من تجربة سابقيه والحذر من الوقوع في شراك هؤلاء، وتلخص منهجه من أجل بلوغ وتحقيق مشروعه الاستكشافي في الجوسسة، ومن ثم فتح الطريق أمام الزحف الاستعماري فيما يلي[3]:

- الاهتمام بالمناطق المجهولة التي لم يدخلها أسلافه وهو ما يبين التكامل بين رواد الاستكشاف الأوائل.

- التنكر استجابة لتجارب السابقين وذلك أن أغلب من اكتشف أمرهم قتلوا من قبل السكان بسبب اطلاعهم على نواياهم الاستعمارية.

- التهود والظهور بالشيخوخة إلى حد تقمص شخصية اليهودي المتسول لاعتبار الناس بذلك، وأيضا للحماية الاجتماعية التي كانت تكتنف اليهود في ظل أحكام الإسلام المتعلقة بمعاملة أهل الذمة.

- ملازمة العزلة وعدم الاختلاط كثيرا بالناس.

---

[1] - جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 143.

[2] - محمد الطاهر واعلي، **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830– 1904 "دراسة تاريخية تحليلية"، منشورات دحلب، الجزائر** ص 209.

[3] -سعيد عليوان، مرجع سابق، ص66.

والحقيقة أنه لا يمكن تفسير هذا السلوك، إلا من خلال شخصية جمعت بين الدهاء السياسي والنفاق الديني، إضافة إلى الحيل الشيطانية للوصول إلى تحقيق الهدف، ثم إن رحلاته بين مختلف مناطق العالم الإسلامي، التي قادته من المغرب إلى المشرق، متجولا بين الدول حتى قيل عنه أنه دخل بيت الله الحرام متنكرا في زي الحجاج، من أجل دراسة الإسلام وأهله، ليتمكن من وضع السلاح المناسب لهدمه وتحريفه.

كما تعرف من خلال رحلاته على معظم المناطق وعرف الإسلام، ورغم أن بعض ممن كتبوا على دوفوكو قيل فيه أنه أوشك على اعتناق الإسلام بسبب تأثره به، على أن القول الذي نطمئن إليه أن هذا القس قد تأصلت فيه الديانة النصرانية، التي وهب نفسه لنشرها بكل الطرق، وأنه كان يعمل جاسوسا وخادما وفيا للاستعمار[1].

وكان دوفوكو يرى أن التنصير هو الوسيلة الوحيدة لتثبيت الاستعمار، وهذه هي قناعة دوفوكو ولكي يتحقق ذلك عمد إلى تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية والنفاد منها، وذلك عن طريق التودد وإظهار المحبة، والتقوى وتقديم الخدمات الإنسانية، ومنها التطبيب والتعليم [2]، وفي المقابل يسعى إلى زعزعة قلوم بالتخلص من معتقداتهم جزئيا أو كليا، وكذا الرغبة الأكيدة في العمل على زرع الاضطرابات في الأذهان، بالإضافة إلى إتباع سياسة فرق تسد، واستخدام الأطفال للوصول إلى أوليائهم.[3]

وهذا التنوع في المنهج في اعتقادنا، جاء من خلال الدراسات العميقة، التي وصل إليها دوفوكو من خلال الكم المعلوماتي الهائل الذي حصل عليه، والتحليلات التي قام بها لأساليب الحياة في الصحراء ومجموع العادات والتقاليد والقيم التي تحكم المجتمع الصحراوي، وكذا المؤثرات التي يخضع لها المجتمع، ومن خلالها قام بصياغة تصورات نظرية لتحديد تلك النظم الاجتماعية والثقافية وأنماط التفكير.

سابعا: أهم مؤلفاته

ترك المبشر المسيحي شارل دوفوكو كتابًا هاما وشبه مجلد للذين وضعوا الثقة فيه على سبيل المثال للسياسة الاستعمارية مع المستكشفين تحت غطاء الإنسانية الإثنية الجغرافية، بحيث أن كل أعمالهم

[1] –سعيد عليوان، المرجع السابق، ص 66.

[2] - Yovone turin, **Affrontement culturel dans l'Algérie colonel**, Francois masperon, Paris, 1971.pp 93-98.

[3] – سعيد عليوان، المرجع السابق، ص ص 66-67.

تهدف لدراسة سكان كل منطقة ومعرفة لهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهذا يخدم المنفعة الاستعمارية في التقرب من السكان لمعرفة رجالها لضمان السيطرة عليهم، وتغذية الصراعات القبلية والعشائرية بينهم، كما اهتم كثيرا بلغة "تماشق" لغة الطوارق وبكتابتها "تيفيناغ"، التي تحتوي على نسب كبيرة من الحروف الفينيقية، وأهم مؤلفاته "نحو لغة تيفيناغ" وقاموس فرنسي–تارقي عثر عليه بعد اغتياله في منزله بتمنراست، حيث نشر في مجلدين ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة، كما ترك نصوصا تارقية مترجمة إلى الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر والنثر التارقي[1].

كما كان سيشرع في ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية، حيث يقول في هذا المقام: **"يبدو لي أنه آن الأوان للشروع في إنجاز إنجيل مصغر يترجم ويطبع بالعربية وخاصة بالترقية"**[2]، وعلى العموم فقد ترك دوفوكو مؤلفات تنوعت بين كتب وقاموس ورسائل وترجمات عن مجتمع الهقار،كما كان يوقعها في بعض الأحيان بتوقيع أحد زملائه تواضعا منه أهمها:

- كتاب Reconnaissance et itinéraire au maroc صدر سنة 1888.

- كتاب نحو لغة تيفيناغ[3].

- رسائل مع أصدقائه وأهله في فرنسا، ويعتبر ما تركه دوفوكو من رسائل خاصة مع من كانت بأيديهم زمام الأمور أحد المصادر القوية لتأريخ السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري[4].

- نصوص تارقية مترجمة إلى اللغة الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر كالنثر التارقي حيث ما تركه يعتبر كمرجع للأكاديمية البربرية في فرنسا.

[1] – إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ...، ص ص 115–116.

[2] - Antoine Châtelard,op-cit, p75.

[3] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 114.

[4] – احميدة عميراوي، من الملتقيات ...، ص 172.

مما تقدم يمكننا القول:

أن دوفوكو شخصية متميزة استطاع بذكائه وقوته العلمية ودهائه السياسي أن يجمع معلومات هامة عن أهالي الصحراء، ويمكن تصنيفه ضمن علماء الاثنوغرافيا[1] والاثنولوجيا[2]، من خلال المعلومات الدقيقة التي جمعها وقام بتحليلها ليوظف نتائجها في مشروعه التنصيري، ولم تكتف الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالقضاء على دور الثقافة وإحلال الفرنسية محال العربية، بل عمدت إلى القضاء على الإسلام باعتباره الحصن الحصين لهذه الأمة، وأساس قوتها وصمودها ووحدتها، فسلمت العديد من المساجد إلى الطوائف النصرانية، وحول البعض الآخر إلى ثكنات للجيش، وهدمت البعض بحجة إعادة البناء أحيانا وتوسيع الطرق أحيانا أخرى، ومن المساجد التي حولت إلى كنائس، مسجد كتشاوة العتيق بالعاصمة سنة 1836م، وجامع القصبة، وجامع علي باشا الذي حول إلى دير سنة 1870م[3].

كما نجحت الإرساليات التنصيرية إلى حد كبير في تعبيد الطريق نحو تنفيذ المشروع الاستعماري الكبير، ودراسة المجتمع الصحراوي من كل الجوانب، وكان دور رجال الدين في هذا قويا، من خلال الأساليب التي وظفها هؤلاء في كسب ولاء بعض زعماء القبائل ورجال الطرق الصوفية، تجلى ذلك في الحماية التي وجدها هؤلاء، والمعلومات التي قدمت لهم عن أهالي الصحراء.

كما أن نتائج دراساتهم أفادت كثيرا في المضي قدما للتوغل نحو الجنوب، إلا أن الدين الإسلامي شكل عائقا كان يقف دائما يقف في طريقهم، باعتبار ما عرف به أهالي الصحراء من قوة التمسك بالدين والدفاع عن عقيدته من الأفكار والعقائد الدينية الدخيلة، وبخاصة السكان الذين كانوا يقطنون الأطراف الشمالية الذين عرفوا بشدة تمسكهم بالدين، لهذا نجد أن قادة الكنيسة وزعمائها عملوا كل ما في وسعهم من أجل تحطيم هذا الحصن المنيع، لإنفاذ المشروع الاستعماري والتمكين للدين النصراني في هذه البلاد.

---

[1] – **مصطلح الاثنوغرافيا:** كلمة معربة تعني بالدراسة الوصفية لأسلوب الحياة و مجموعة التقاليد و العادات والقيم والآداب والفنون، والمؤثرات الشعبية لدى جماعة أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة.

[2] – **مصطلح الاثنولوجيا:** يهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوغرافية دف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات تحدد مختلف النظم الاجتماعية من حيث أصولها وتنوعها. ينظر: حسين مُحَمَّد فهيم، **أدب الرحلات**، الكويت، مؤسسة الرسالة، 1989، ص 120.

[3] – مُحَمَّد بو الروايح، المرجع السابق، ص 114.

الباب الثاني: المقاومة الشعبية 1844-1916

وانعكاسات سياسة الاحتلال الفرنسي بالجنوب الجزائري

الفصل الأول: المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي للجزائر

المبحث الأول: مقاومة أولاد سيدي الشيخ

المبحث الثاني: مقاومة الشيخ بوعمامة

المبحث الثالث: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت

تمهيد:

مع مطلع النصف الثاني للقرن التاسع عشر شهدت الصحراء الجزائرية العديد من الثورات، والتي امتدت من أولاد سيدي الشيخ غربا إلى منطقة وادي سوف شرقا، وكان الوضع يساعد على ذلك، وإنه ليصعب مراعاة التسلسل الزمني لهذه المعارك، لكونها متداخلة ومتزامنة مع بعضها البعض في الكثير من الأحيان، ونفس القادة والثوار كانوا يقومون بثوراتهم في أماكن مختلفة.

المبحث الأول: مقاومة أولاد سيدي الشيخ[1]

أولا: معاهدة لالة مغنية واستمالة أولاد سيدي الشيخ الشراقة

لقد كانت معاهدة لالة مغنية 23 أوت 1845، هي الفاصل بين ذلك النزاع المغربي الفرنسي على الحدود الشرقية للمغرب، وبموجب هذه الاتفاقية حدد مصير بعض القبائل الواقعة على هذه الحدود[2]، ومن بينها قبيلة أولاد سيد الشيخ، التي أعلنت ولاءها للأمير عبد القادر في البداية، ثم الولاء للفرنسيين خاصة فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة عام 1848، وهذا عند مرور كتيبة الجنرال "رونو" بين قصري سيدي الحاج الدين والربوات قرب مدينة الأبيض سيدي الشيخ، وحسب الوثائق الفرنسية أنهم قد قاموا بتقديم ضريبة له قدرت بـ 18 ألف فرنك[3].

ودفع هذا الأمر فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة بزعامة الشيخ بن طيب التوجه إلى حاكم وهران "دار بوفيل" (Darbouville)، قصد الاستفسار حول وضع فرعه ضمن مخطط السلطات الفرنسية التوسعي، فكان رد الحاكم الفرنسي غامضا، مما دفع أولاد سيدي الشيخ بزعامة الشيخ الطيب إلى القيام ببعض التحركات، منها إعلانه ولاءه للمغرب سنة 1849، وادعاءه أنه قد عين من قبل ملك المغرب خليفة على الجنوب الشرقي للمغرب، كما قام بضم بعض القبائل منها قبيلة حميان الشراقة وذلك بالقوة

---

[1] – لقد تناول الكتاب الفرنسيون حياة أولاد سيدي الشيخ حسب العهود والعلاقات معهم، وهي علاقات تارة تتحسن وتارة تسوء، مما انعكس على الكتابات نفسها، ولذلك لا نستطيع أن نرى صورة تاريخية صادقة لحياة هذه العائلة الكبيرة، فهذا ترومبلي وبيزي تناولوهم سياسيا، وهذا رين وديبون وكوبولاني ودوفيرييه تناولوهم دينيا غالبا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية 1860–1900**، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، 2009، ص 180.

[2] – مُحَمَّد خير فارس، **المسألة المغربية**، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1961، ص 68.

[3] – مبخوت بودواية، **الاهتمام الفرنسي بالجنوب الغربي الجزائري وظروف احتلاله**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، ع1، 2009، ص 119.

الجبرية، ومهاجمة وغزو بعض القوافل القادمة من قورارة، وبناء على شكاوى القبائل المتضررة التي رفعتها إلى السلطات الفرنسية، قامت فرنسا بإرسال وفد إلى سلطان المغرب عبد الرحمان بن هشام لمعرفة حقيقة الأمر وما ادعاه زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، فكان رد السلطان استدراج الشيخ بن الطيب إلى المغرب وسجنه فترة قصيرة، ومن حينها لم يقم أولاد سيدي الشيخ فرع الغرابة بأي حركة تمردية ضد الحكومة الفرنسية طيلة خمسة عشر (15) سنة (1849-1864)[1].

ولم تكتف الحكومة الفرنسية بهذا العمل، بل راحت تضرب بقوة أتباع الشيخ بن الطيب بواسطة بعض الجنرالات، أمثال الجنرال ميسيات (Maissiat) الذي غزا فرع الرزانية المنتمي إلى حميان الشراقة، كما قام كل من الجنرال بيليسي (Pilissier) حاكم وهران، والجنرال ماكماهون (Mac-mahon) والكولونيل ميليني (Mellinet) بقيادة قوات عسكرية نحو جنوب تلمسان وسيدي بلعباس وبالضبط نحو قرية بني خليل والعريشة خلال شهر أفريل 1849، وذلك قصد تأديب أتباع سيدي الشيخ بن الطيب من جهة، والسيطرة الكاملة على مناطق الحدود التي كانت تعتبر منفذا رئيسيا لأتباعه من جهة أخرى[2].

أما أولاد سيدي الشيخ الشراقة، والذين كان لهم دورا أساسيا في المنطقة خلال الأعوام الواقعة ما بين 1849-1881 في إعلان الولاء للفرنسيين في البداية، ثم رفض السيطرة ومقاومة الفرنسيين بعد ذلك فقد نصبت السلطات الفرنسية زعمائها حكاما على بعض المناطق التي كان لهم فيها ذلك التأثير الديني واستطاعت الحكومة الفرنسية اكتساب ولاء زعيم هذه القبيلة سي حمزة ولد أبوبكر[3]، وهذا بعد ما كان قد رفض إعلان ولاءه لهم وإلحاح بعض أفراد أسرته وبعض القواد كالقائد قدور ولد الحاج الصحراوي[4]

---

[1] – مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 119.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر خلال القرنين 19 و20، ص 136.

[3] – **سيدي حمزة**: ولد سنة 1814، وهو ينحدر نسبه مباشرة من الصحابي أبي بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله ﷺ، وهو من قبيلة أولاد سيدي الشيخ وهي قبيلة مرابطين مشهورة بالصلاح وكان لهم خداماً في اغلب قبائل الصحراء، وقد تزوج سلاطين المغرب الأقصى من بنات سيدي الشيخ أكثر من مرة، وفي سنة 1844 اختار السلطان عبد الرحمان إحدى أخوات سيدي حمزة **"الياقوت"** زوجة له، وتنقسم قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلى الشراقة والغرابة وهي تسكن جزئياً في الأبيض سيدي الشيخ وفي قلب القصور الخمسة التي تتركب منها موجود ضريح جد سيدي حمزة تحت قبة، وهو الجد الأول والمؤسس لهذه القبيلة. ينظر: س. ترومليي، المصدر السابق، ص ص 113-114.

[4] – أدى هذا القائد دورا أساسيا في الانتصارات التي حققتها السلطات الفرنسية في بسط نفوذها على الجنوب الغربي وهذا طيلة فترة مقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881.

قائد أهالي الأحرار، والمولود بن عبد الله ومُحَّد بن الأعرج على إعلان الولاء والدخول تحت سيطرة السلطات الفرنسية[1].

ومن ضمن الأسباب التي جعلت سي حمزة بن أبو بكر يرفض خضوعه للفرنسيين هو عدم معرفته الدقيقة لنوايا الفرنسيين في السيطرة على المنطقة من جهة، وإفشال تأثير أولاد سيدي الشيخ على أهالي المنطقة، وفي النهاية تفكيك بنية مجتمعه من جهة ثانية[2]، ورغم معرفته هذه فقد استسلم للأمر الواقع وأعلن ولاءه لهم خاصة بعد وصول إشاعات إليهم حول انضمامه إلى ثورة الشريف مُحَّد بن عبد الله الذي ثار على الفرنسيين في الجنوب الشرقي الجزائري وبالضبط بورقلة، حيث استطاع إحراز انتصارات جزئية في مواجهة لبعض الحاميات الفرنسية المتمركزة بالأغواط وجنوب بسكرة عام 1853[3].

وقد أعلن سي حمزة ولاءه تحت تهديد الجنرال دلني (Deligny) له بواسطة قوة عسكرية مكونة من خمسمائة رجل من المشاة وقوة من الصباييحة وعدد قليل من القوم، وذلك في شهر أفريل 1852، فساهم في تهدئة المنطقة التابعة له، وحصل على استسلام قبائل الناحية لفرنسا، ومن بين الخدمات التي قدمها هو وابنه أبو بكر في بداية الستينيات، أنه قد احتل المنيعة باسم فرنسا سنة 1861 بأمر من الحاكم العام بيليسيي، أما ابنه أبو بكر فهو الذي قبض على الشريف مُحَّد بن عبد الله شريف ورقلة سنة 1861، وسلمه للفرنسيين فسجنوه حتى مات في سجنه، وسي حمزة هو الذي أعطى رسائل الحماية لدوفيريي سنة 1859 لكي يمر من المنيعة إلى غدامس[4].

وهذا يدل على الطرق التي كانت تستعملها السلطات الفرنسية في إخضاع زعماء القبائل سواء كانوا دينيين أو دنيويين، وبالفعل أخضع الزعيم سي حمزة للسلطات الفرنسية ومنحته لقب خليفة على أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة وأغواط الكسل وحميان الشراقة، وهذا لفترة قصيرة إذ سرعان ما قامت السلطات الفرنسية بتنصيب شقيقه سي النعيمي مكانه، وأوكلت له مهمة مرافقة الجنرالات في بسط سيطرتهم على المناطق التي لم تخضع بعد[5].

[1] - Charles André Julien, **Histoire De l'Algerie comtemporaine**, Paris, 1964, p 429.

[2] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص 185.

[3] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر خلال القرنين 19 و20، ص 125.

[4] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص 181.

[5] – مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ص 119– 120.

ثانيا: أصول أولاد سيدي الشيخ

إن الجد الأول لأولاد سيدي الشيخ هو عبد القادر بن مُحَّد المجدوب (1530-1615)، الذي استقر بعسلة غرب قصر الشلالة الظهرانية، شاع اسمه في كامل الجنوب الغربي والجزء الشرقي من المغرب الأقصى، كان له العديد من الأتباع والإخوان، وبعد وفاته دفن في الأبيض، الذي أصبح يطلق عليه منذ ذلك الحين اسم الأبيض سيدي الشيخ[1].

خلف سيدي عبد القادر عددا كبيرا من الأولاد، الذين تنازعوا فيما بينهم على الزعامة الدينية والقيادة السياسية بعد وفاة والدهم، فانقسموا إلى قسمين: قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم بزعامة الابن الأكبر الحاج أبي حفص، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، وقسم استقر في الناحية الغربية من القصر بزعامة الابن الثالث سيدي الحاج عبد الكريم، وعددهم أكبر من القسم الأول، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة[2].

ورث سيدي حمزة ولد أبي بكر السيطرة الروحية والدينية لأولاد سيدي الشيخ، لأنه سليل الحاج أبو الحفص الابن الأكبر للولي، حيث أن هذا الفرع من هذه الأسرة يتمتع باحترام وتقدير سلاطين المغرب الأقصى، الذين ارتبطوا بهم منذ القدم بالمصاهرة، ذلك أن في سنة 1844 وقع اختيار السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن على السيدة الياقوت شقيقة سي حمزة ليتزوجها[3]، انضوى أولاد سيدي الشيخ الشراقة تحت السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وتم تعيين حمزة ولد أبي بكر خليفة على الجنوب الجزائري من البيض غربا إلى واحات ورقلة شرقا، بقي سيدي حمزة في منصبه مدة 8 سنوات، ثم ارتابت السلطات الفرنسية في إخلاصه فاستدعته إلى الجزائر العاصمة، أين توفي هناك فجأة يوم 11 أوت 1861، ولا يستبعد أنه قتل مسموما[4].

خلف سي حمزة وراءه أخوين، هما سي الأعلى وسي الزوبير وستة أبنائهم: بوبكر، سليمان مُحَّد، أحمد، قدور والدين، هذا وقد عينت السلطات الفرنسية الابن الأكبر بوبكر في مكان أبيه، ولكن برتبة باشا آغا التي هي أقل من رتبة الخليفة، ولم يلبث أن توفي هو الآخر سنة 1862، فعين الفرنسيون مكانه

[1] - Trumlet C, **Les Français dans le désert,** 2 eme édition, Paris, 1885, p p 82-83.
[2] - Ibid, p 84.
[3] - Ibid, p 85.
[4] - Sidi Hamza Boubakeur, **Origines de la gerre du sud-Oranais centre la France 1864-1900,** revue historique Maghribine, Tunis, N 6, 1976, p 136.

أخاه سي سليمان بن حمزة بنفس اللقب والرتبة، وعينوا معه سي الأعلى قائدا على آغوية ورقلة في مكان سي الزوبير، الذي كان يشكو من مرض العضال، وكان سي الأعلى صاحب طموح وحيوية ونشاط فأخذ يسعى ويحاول أن يدفع ابن أخيه سي سليمان إلى الثورة والتمرد ضد الفرنسيين، مستغلا في ذلك عدة ظروف مثل رحيل القوات الفرنسية إلى الحروب والغزو الاستعماري في المكسيك و"**الكوشين شين**" بالهند الصينية، ولم يتوقف عن محاولاته حتى نجح في رميه في خضم الثورة في أوائل عام 1864[1].

ثالثا: أسباب مقاومة أولاد سيدي الشيخ

– التجاهل الدائم لزعماء ورؤساء أولاد سيدي الشيخ وعدم استشارتهم في أمور القبائل بالرغم من أنهم الوسيط المباشر معهم، مثلما حدث مع سي حمزة عندما لم يعلم بتعيين عمه سي الأعلى خلفا لعمه سي الزوبير على أغوية ورقلة سنة 1862.

– اتهامات بالتجاوزات المالية والتعسف الضريبي على إثر شكاوى القبائل خاصة بورقلة ضد زعماء أولاد سيدي الشيخ كل من حمزة وسي الأعلى وحتى سي سليمان[2].

– صدور مرسوم 1863 حول الأرض العرشية وتمليكها للأفراد لضرب وحدة القبيلة والتي مست بمصالح سي سليمان.

– أما "لويس رين" فيذهب إلى أن سبب الثورة هو مسألة الإهانة التي لحقت بالعائلة من جراء تخفيض اللقب الإداري المتوارث من "**خليفة**" إلى "باش آغا" الأقل قيمة بعد وفاة سي حمزة سنة 1861.

– أما السبب الرئيسي الذي أدى إلى إشعال فتيل المقاومة هو حادث 29 جانفي 1864، حينما اجتمع عددا من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ في ساحة البيض، وكان معهم سي الفضيل كاتب الباش آغا سي سليمان، وأخذوا يلعبون لعبة "**الهف**" أو "**الخربقة**"، وهي لعبة تشبه لعبة الشطرنج، تتطلب الكثير من التفكير والبراعة، وانضم إليهم عدد من الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض، وخلال اللعب تدخل أحد الصبايحية إثر تحريك بيدق (كلب) بطريقة غير صحيحة، ما أدى إلى حصول

[1] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 140.

[2] – فاطمة حباش، **رسالة شكوى سي سليمان بن حمزة إلى حاكم البيض الضابط بيران**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، ع 11، 2014، ص 331.

مشاجرة بينه وبين سي الفضيل، انتهت بتدخل كل الصبايحية فاقتادوه إلى مقر المكتب العربي بأمر من الملازم بوران (Burin)[1] وعوقب بالضرب والحبس[2].

ولما علم سي سليمان بالحادث أسرع إلى المكتب العربي وأطلق سراح كاتبه بعد أن توعد الضابط الفرنسي ثم رجع إلى منزله وأعتبر سي سليمان هذا الحادث إهانة له ولعائلته، لذلك أخذ يستعد لإشعال الثورة في وجه الاستعمار الفرنسي فاجتمع مع مجلس الجماعة وتشاوروا في الأمر ثم قرروا الجهاد من أجل طرد المستعمر الغاشم على أرض الأجداد الطيبة، وكلفوا سي الفضيل بإبلاغ كل القبائل والعروش والمقاديم والإخوان والتابعين للزاوية بهذا القرار الحاسم[3].

رابعا: بداية مقاومة أولاد سيدي الشيخ

مباشرة بعد هذه الحادثة، بدأ سي سليمان الاستعداد للثورة التي اشتعلت نيرانها يوم 8 أفريل 1864، حينما باغت مخيم الجيش الفرنسي في هضبة عوينة بوبكر شرق البيض، فأثار هذا الهجوم المفاجئ الهلع والاضطراب والفوضى في صفوف القوات الفرنسية، وأسرع سي سليمان قائد الثورة إلى خيمة العقيد بوبريتر (Beaupretre)[4] وقتله، لكن حراس العقيد قتلوه في نفس اللحظة، رغم ذلك استمرت المعركة وانتصرت قوات سي سليمان، أثار هذا الانتصار إعجاب الجميع فنهضت الجزائر من أقصاها إلى أقصاها وبدأت القبائل تنضوي تحت لواء هذه الثورة خاصة من الجنوب الوهراني، واستمرت هذه الثورة سنوات عديدة تحت زعامة أولاد سيدي حمزة[5].

---

[1] – **بوران**: ولد في 25 سبتمبر 1823 بكلارمو فرناند، تطوع في فرقة خط 52 سنة1841 التحق بمصلحة الإدارة الأهلية في 10 ديسمبر 1853 كعون متدرب بدائرة زمورة ثم رقي إلى عون درجة ثانية ثم درجة أولى سنة 1855 بسيدي بلعباس، ليعين بعدها رئيس مكتب البيض. ينظر: Peyronnet. R, **Livre d'Or des officiers des affaires indigènes 1830-1930,** T 1, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930, p 449

[2] - Si Hamza Boubakeur, Op-Cit, p 137.

[3] - Ibid, p 138.

[4] – **بوبريتر Beauprêtre**: جاء إلى الجزائر وهو شاب ودخل صفوف فرقة الزواف، وكان لا يكاد يقرأ أو يكتب وتدرج مع ذلك في المنصب العسكرية والمسؤوليات حتى نال الأوسمة، وتولى المكتب العربي في السور وضرب ثورة أولاد نايل، وبعد ثورة القشطولة عينوه على النزليوة في ذراع الميزان 1851، وفي 1855 عينوه على مركز تيزي وزو وشارك هناك في قمع الثورة سنة 1857، نقل إلى الغزوات بتلمسان ثم أرسل إلى تيهرت وأصبح عقيدا إلى أن وقعت ثورة 1864. ينظر:

Beaussier, **Notice sommaire sur le Colonel Beauprêtre**, R A, N 14, 1870, pp 441-444.

[5] - Si Hamza Boubakeur, Op-Cit, p 144.

خلف سي سليمان أخوه سي مُحَّد بن حمزة وامتدت الثورة إلى عدة مناطق من أرض الوطن قادها كل من سي الأعلى بالصحراء الشرقية في ورقلة وسي الأزرق بلحاج بالونشريس والنعيمي ولد جديد ببوغار، بالإضافة إلى فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة في أحداث هذه الثورة وقاموا بمهاجمة المراكز الفرنسية[1]، ومن أهم الشخصيات التي أدت دورا هاما في هذه الأحداث هي:

- سيدي الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة وتوفي عام 1870.

- سيدي سليمان بن قدور وهو أخ لسيدي الشيخ بن الطيب ودخل في منافسة شديدة مع أبناء عمومته الشراقة.

- الحاج العربي بن سيدي الشيخ بن الطيب الذي قتل عام 1871 مع أخيه سي سليمان إثر صدام ضد سي قدور بن حمزة زعيم الشراقة.

- سي معمر بن سيدي الشيخ بن الطيب الذي قتل عام 1874 إثرا معركة ضد القوات الفرنسية وأعوانهم في "نفيش" جنوب جبال المالحة على حدود الشط الشرقي[2].

زادت رقعة الثورة اتساعا في كل من المشرية والأغواط وسعيدة، وانضم إليها بن ناصر بن شهرة في ورقلة، وكرد فعل قام الجيش الفرنسي بتدمير القرى ومصادرة ممتلكات القبائل الثورية، وفي 22 فيفري 1865 استشهد الزعيم الثاني للثورة في معركة سيدي الشيخ متأثرا بجروحه، وذلك خلال مواجهة قواته للعدو الفرنسي بقيادة الجنرال "دولين"، فخلفه أخوه سي أحمد ولد حمزة، ولكن القائد الحقيقي كان عمه سي الأعلى، وهذا نظرا لصغر سي أحمد، وخاض الاثنان عدة معارك ضد الاستعمار[3] من بينها معركة حاسي بن العتاب وغار القيفور عام 1866 تكبد خلالها الطرفان خسائر في الأرواح والعتاد[4].

واستمرت الثورة في عهد أحمد بن حمزة، ولكنها أصبحت محاصرة من الشمال والشرق في وضع شبيه بما آلت إليه مقاومة الأمير 1847، ومع ذلك بقي أحمد يشن الغارات على المخالفين الذين أجبرهم الفرنسيون على الخضوع مثل حميان بنواحي سبدو، الذي شن ضدهم غارة في شهر ديسمبر

[1] – العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 212.

[2] - L. Voinot, **La situation sur la Frontiére Algérie-Marocaine du tell lors de l'insurrection des Oulads Sidi Cheikh dans le sud-Oranais 1864-1870**, Extrait de la R A, N 300, Alger, 1919, pp 5-6.

[3] – ينظر جدول أهم المعارك التي خاضها أولاد سيدي الشيخ ضد الفرنسيين الموجود بالملاحق.

[4] – العربي منور، المرجع السابق، ص ص 212-213.

1867[1]، وفي شهر أكتوبر 1868 توفي الزعيم الثالث للثورة سي أحمد بمرض الكوليرا، فتحمل المسؤولية أخوه سي قدور ولد حمزة[2] إلى جانب عمه سي الأعلى، فقاموا بمهاجمة القبائل المعارضة والمتواطئة مع الاستعمار الفرنسي[3]، ويعتبر "لويس رين" أنه بوفاة أحمد بن حمزة انتهت الثورة، ولم يبق لفرنسا إلا ضرورة تملك الصحراء من أجل التل والكولون[4].

بقيت نيران الثورة مشتعلة ولم تخمدها القوات الفرنسية حتى بعد تعيين سي سليمان بن قدور زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة آغا على البيض وحميان سنة 1868، ثم تدعيم قواتها وإرسال عدَّة بعثات إلى الجنوب لإنهاء هذه الثورة، ومنها بعثة ويمفن (Wimpfen) وشانزي (Chanzy) إلى وادي قير سنة 1870، وتم توقيف سي سليمان من منصبه في نهاية سنة 1871، واعتقل بناحية عين تموشنت، ثم لاذ بالفرار مع عائلته إلى المغرب الأقصى يوم 12 أفريل 1873، وبعد ذلك التحق بأبناء عمومته ليقاوم الاحتلال الفرنسي للجزائر[5].

استمر قدور بن حمزة في حرب الكر والفر طيلة 1869-1870، رغم أن الفرنسيين قالوا إن هدوءا تاما قد ساد المنطقة خلال ربيع 1870، وفي الصيف وقع تغيير في النظام الإداري ومثل كل الجزائريين أحس أولاد سيدي الشيخ الهزيمة الفرنسية في الراين وتتبعوا أخبار أسر نابليون وسقوط نظامه، كما أحسوا بالفراغ الفرنسي العسكري، فتطلعوا في كل مكان إلى التخلص من الاستعمار، ولكن لم تكن هناك قيادة موحدة للثورة في كل الجزائر[6].

كما دارت معركة عنيفة في 17 أفريل 1871 بين قوات سي قدور ولد حمزة وجيش الضابط الفرنسي "دي ميلوزا" في منطقة سعيدة تضرر فيها الجانبان[7]، وفي 23 ديسمبر 1871 حدثت معركة المنقوب على بعد 40 كلم من المكان المسمى بن عود (Benoued)، والتي جرح فيها قدور بن حمزة

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 189.

[2] – كان الأبناء الأربع (بوبكر وسليمان ومُحَمَّد وأحمد) أولاد سي حمزة من زوجته رقية بنت الحرمة التي قيل أنها كانت وراء جميع الانتفاضات، أما قدور فكانت أمه سودانية، وابن الدين كانت أمه أثيوبية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص ص 198-199.

[3] – العربي منور، المرجع السابق، ص ص 212-213.

[4] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 189.

[5] - R. Ageron, **Les Algériens Musulmans et la France,** T 1, Paris, 1968, pp 63-64.

[6] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص ص 200-201.

[7] – العربي منور، المرجع السابق، ص 213.

جرحا خفيفا، كما جرح عمه سي الأعلى، وبعد هذه المعركة لجأ إلى عقلة السدرة وتمون بالحبوب من الضفة اليمنى لوادي ملوية، لكن السلطان منعه من دخول الحدود المغربية، فابتعد نحو بني قيل[1].

وقد وقع سوء تفاهم بين زعماء أولاد سيدي الشيخ، مما أدى إلى مقتل أخوين لزعيم الغرابة، وهما الحاج العربي وسليمان بن الشيخ، واتجه قدور بن حمزة وسي الأعلى (الشراقة) نحو الجنوب إلى قورارة، بينما بقي معمر بن الطيب (الغرابة) في حيرة من أمره، ويقول "فوانو" إن معمر لجأ إلى الفرنسيين منتظرا أخذ ثأره من الشراقة دون شرح الأسباب التي أدت إلى الخلاف بينهما[2].

استمرت ثورة أولاد سيدي الشيخ خلال السبعينيات تتصاعد مرة وتخفت مرة أخرى، وذلك حسب الظروف والاستعدادات، وقد واكبت هذه الثورة ثورات أخرى كثورة الشريف بوشوشة، وثورة واحة العمري، ثم ثورة الأوراس، ورغم المحاولات الفرنسية المتكررة للدخول في مفاوضات مع أولاد سيدي الشيخ لوقف القتال، إلا أنها لم تنجح وبقي الوضع هكذا حتى تقلص نشاط الثورة شيء فشيء، ليفسح المجال من جديد لثائر آخر من أولاد سيدي الشيخ أكثر صمود وشجاعة، وهو الشيخ بوعمامة الذي كرس حياته مجاهدا ضد الكفر والطغيان[3].

خامسا: خصائص ثورة أولاد سيدي الشيخ

1- اتساع النطاق الجغرافي للثورة:

مما لا شك فيه أن الإدارة الاستعمارية قد أدركت منذ 1840 بفضل التقارير التي تصلها من المكاتب العربية في المناطق الغربية الداخلية، المكانة التي كانت تحتلها قبيلة أولاد سيدي الشيخ بفرعيها الشرقي والغربي واتساع نفوذها السياسي والديني إلى كل الصحراء الجزائرية والجنوب المغربي، وعليه راحت تعمل الإدارة الاستعمارية على تفكيكها وإضعافها من خلال معاهدة لالة مغنية 1845 مع المغرب والتي اعترف فيها الطرفان بحدود البلدين والقبائل التي تخضع لكل جانب، إلا أن ثورة 8 أفريل 1864 أثبتت عدم نجاح هذه المخططات، فمباشرة بعد المعركة الأولى انضمت إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ قبائل جبل الكسل بالبيض، وبريزينة، وجبل العمور، والأغواط، والمنيعة، ومتليلي وبوغار، وبوسعادة،

[1] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 203.

[2] - المرجع نفسه، ص 204.

[3] - العربي منور، المرجع السابق، ص 213.

وقبائل فليتة بقيادة سي لزرق بمنطقة غليزان، وقبائل الظهرة، ومستغانم، وبلعباس وفرندة، وتلمسان، ومعسكر، وامتدت الثورة في صيف 1864 إلى منطقة الشرقية وإلى الميلية، وفي ربيع 1865 بلغت بجاية، وجيجل، وصولا إلى منطقة الشمال القسنطيني والأوراس[1].

2- طول المدة الزمنية للثورة:

بعد المرحلة الأولى للثورة 1864-1867، والتي شهدت وقوع عدة معارك بمنطقة البيضن كان بعضها لصالح الثوار والبعض الآخر لصالح الآلة العسكرية الفرنسية، خفت المقاومة نوعا ما لتندلع من جديد سنة 1869 في معركة عين ماضي، وبقيت الأوضاع بين الهدوء والحرب في كل منطقة الجنوب الغربي وعبر الحدود الغربية، إلى أن قامت الثورة الثانية على يد أولاد سيدي الشيخ الشراقة سنة 1881 بقيادة الشيخ بوعمامة. وعليه يمكن القول أن ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى والثانية هي أطول مقاومة شعبية ضد الغزو الفرنسي بالجزائر دامت 43 سنة، لا تضاهيها في ذلك إلا مقاومة الشيخ أمود بالهقار والطاسيلي[2].

3- التنظيم القيادي للثورة:

تختلف ثورة أولاد سيدي الشيخ عن المقاومات الشعبية التي شهدها القرن التسع عشر الميلادي، في أنها لم يكن لها زعيما واحدا أو فردا يقود ويدفع المقاومة، وإنما كانت عائلة أو بالأحرى قبيلة من أشرف وأعرق قبائل الجزائر، فقامت الثورة بإعلان شيخها سي سليمان الدخول في الجهاد، ولم تتوقف عندما استشهد في اليوم الموالي، بل حملت راية المقاومة القبيلة كلها، كما لم تتوقف باستشهاد سي مُحَمَّد في 22 فيفري 1865 متأثرا بجراحه بعد معركة قارة سيدي الشيخ، بل تواصلت مع أخيه سي أحمد بن حمزة[3].

4- التنظيم السياسي والعسكري للثورة:

لم تحصر مقاومة أولاد سيدي الشيخ القيادة السياسية-الدينية والقيادة العسكرية في فرد واحد بل أوجدت قيادتين، قيادة سياسية دينية انتقلت بين أولاد سي حمزة بن بوبكر الصغير في العصر الأول

[1] - بوعلام بلقاسمي، **خصائص ومميزات ثورة أولاد سيدي الشيخ**، مجلة عصور، جامعة وهران، ع1، جوان 2002، ص ص 10-11.

[2] - بوعلام بلقاسمي، المرجع السابق، ص 12.

[3] - المرجع نفسه، ص 13.

وقيادة عسكرية تمثلت في رجل يمتلك كل شروط الجنرال الحربي من شخصية قوية ونسب شريف وشجاعة وذكاء وحنكة، والتي توفرت في سي الأعلى أخ سي حمزة، الذي كان بمثابة قائد الأركان ومستشار القيادة، وعلى الرغم من صغر سن أبناء أخيه فإنه لم يحاول أن يستحوذ على زعامة الثورة أو القبيلة، بل التزم بدوره كوصي عليهم فقط[1].

5- القوة العسكرية الفرنسية المستخدمة:

جنَّدت فرنسا جيوشا ضخمة لمواجهة مقاومة القبائل الصحراوية الثائرة تحت لواء أولاد سيدي الشيخ فاقت 200000 عسكري، مؤطرين من طرف عدد كبير من كبار الضباط الفرنسيين (ماريشاليين وجنرالات والكولونيل) المدربين على كل الخطط الحربية والمجهزين بأحدث الأسلحة، مثل بندقية (Chassepot) ذات الطلقات النارية المتعددة[2].

المبحث الثاني: مقاومة الشيخ بوعمامة

أولا: مولده ونشأته

هو مُحَمَّد بن العربي بن إبراهيم المدعو "بوعمامة"، ينحدر من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، ولد حوالي 1838 أو 1840 بفيقيق في قصر الحمام الفوقاني، وهو سليل أولاد سيدي الشيخ التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ، كان جده إبراهيم يزور الجزائر كل عام لجمع أموال الزيارات من أتباع أسرة أولاد سيدي الشيخ في التل الوهراني والصحراء، وفي إحدى الزيارات توفي ودفن لدى بني إسماعيل في سبدو، أما أبوه العربي بن الحرمة فكان يشتغل في تجارة البرانس والحلي في أسواق فيقيق وفي المغرار إلى غاية وفاته عام 1879[3].

وتجمع الوثائق التاريخية على أن بوعمامة غادر فيقيق نهائيا سنة 1875، ليستقر بمغرار التحتاني الذي أسس به زاوية على غرار أجداده، ومن هناك بدأ نشاطه الذي أزعج السلطات الفرنسية تزايد عدد زواره من مختلف القبائل وكان يعدهم بقرب خلاصهم من الاحتلال وأنه سوف يشعل الحرب ضدهم ويخلص البلاد من ظلمهم[4].

---

[1] - بوعلام بلقاسمي، المرجع السابق، ص 14.

[2] - المرجع نفسه، ص 14.

[3] - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ...، ص 236.

[4] - إبراهيم مياسي، التوسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 93.

وبعد أن تمكنت فرنسا من القضاء على ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة سنة 1864، بدأت قواتها تتقدم في الصحراء ونفوذها يزداد بين القبائل، عندها رفع الشيخ بوعمامة راية الجهاد وأظهر مقدرة فائقة في القيادة والتنظيم، حتى قال فيه سواييه Soyer القائد العسكري لدائرة البيض إثر مقابلته له بزاويته بمقره التحتاني: "**إن أحاديثه تنم عن سعة في الأفكار، وملكة سياسية، وطاقة عقلية، لم تعهد عند غيره**[1]".

كما وصف هذا الثائر بعبد القادر الجزائري الثاني، وذلك بسبب قدرته على محاربة الفرنسيين لمدة 23 سنة (1881-1904)، ومثل الأمير عبد القادر الذي ينتمي إلى عائلة عريقة وذات سمعة شعبية، اشتهر الشيخ بوعمامة بقدراته على هزم الفرنسيين والفشل في إلقاء القبض عليه، وقد حاولت فرنسا منذ 1845 أن تقسم عائلة أولاد سيدي الشيخ بين الجزائر والمغرب وتخلق صراعات بينهم، لكن الشيخ بوعمامة استغل فرصة تواجد أفراد عائلته في المغرب والجزائر وأصبح يتنقل بين البلدين ويقاتل الفرنسيين متى شاء[2].

ثانيا: أسباب مقاومة بوعمامة

لقد تضافرت عدَّة أسباب مترابطة وجملة من العوامل المتداخلة أدت إلى تفجير الثورة يمكن إيجازها فيما يلي[3]:

1- المجاعة التي أصابت السكان في هذه الفترة بسبب استهداف النظام الاستعماري حرمان السكان من جميع وسائل الرزق حتى يخضعه لسلطته، كما حدث مع قبائل أفلو والبيض التي منعت من التنقل بمواشيها إلى الجنوب خلال موسم الترحال في فصلي شتاء 1879 -1880 و1880-1881، مما أدى إلى موت مواشيها بأعداد كبيرة من شدة البرودة.

2- محاولة أولاد سيدي الشيخ الدفاع عن مجال نفوذهم، خاصة بعد عزم فرنسا على إقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر تيوت الذي هو بجوار المغرار التحتاني مقر زاوية بوعمامة وإصرار الفرع الأصغر لأولاد سيدي الشيخ بأن تكون له الزعامة بقيادة بوعمامة.

[1] - عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881-1908**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 6.

[2] - عمار بحوش، المرجع السابق، ص 150.

[3] - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ...، ص 238.

3- صدى غزو فرنسا لتونس مطلع سنة 1881م، وتحول جزء من الجيش الفرنسي المرابط في الناحية الغربية من البلاد إلى تونس ليساهم في الحملة ضدها، أدى إلى خلو البلاد من القوات العسكرية وهو ما ساعد على القيام بالحركة ونجاحها.

4- وصول أخبار الطريقة السنوسية الداعية إلى مقاومة الاحتلال الأوربي والمنتشرة في الصحراء عن طريق الحاج المهدي ولد باجودة التي شجعت بوعمامة ورجاله على الوقوف في وجه الاستعمار الأوربي، شجعت بوعمامة على الاستقرار بالمناطق الصحراوية ذات الصلة بدعاتها الذين كانوا يجوبون الصحراء من الحدود المصرية شرقا إلى الشواطئ الموريطانية غرب وإلى أعماق الصحراء جنوبا[1].

5- تأثير دعوة جمال الدين الأفغاني وحركة السلطان عبد الحميد العثماني، الداعيتين إلى جمع شمل المسلمين في إطار الخلافة الإسلامية على تفكير بوعمامة باعتباره رجل دين متحمس، فسعى هو بدوره أيضا إلى جمع شمل الجزائريين لمواجهة الفرنسيين[2].

6- مد وتطبيق المشروع الخاص بالسكة الحديدية عبر الصحراء في الجنوب الغربي المعلن عنه عام 1879، والذي لم ينجز، بل على العكس من ذلك توغلت قوات الاحتلال إلى قصر تيوت الذي يقع بالقرب من زاوية بوعمامة، الأمر الذي رفضه الشيخ بوعمامة والقبائل المساندة له لرفضها للسيطرة الاستعمارية[3].

7- أما السبب المباشر للمقاومة، فيتمثل في مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم وهو وانبرونر (Weinbrenner) نائب رئيس المكتب العربي لمدينة البيض يوم 22 أفريل 1881م مع أربعة صبايحية من حراسه، حينما حاول إيقاف نشاط بوعمامة واعتقال مبعوثيه لدى الجرامنة بوادي الحجل، وهما الطيب بن الجرماني ومرزوق السروري، وهو ما أرغم بوعمامة على إشعال نار الثورة حتى وإن كان قبل ذلك بقليل موسم الحصاد، وبدأت المواجهة بعد أن استنفر بوعمامة القبائل الصحراوية خاصة قبائل ترافي، عمور، الشرفة، أولاد سيدي أحمد المجدوب، حميان والشعانبة فضلا عن أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين وعدوه بإرسال المدد والدعم له خلال مواجهته للفرنسيين[4].

[1] - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ...، ص 238.

[2] - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 94.

[3] - منور العربي، المرجع السابق، ص 266. ينظر أيضا: بشير بلاح، المرجع السابق، ص 306.

[4] - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 95.

ثالثا: مراحل مقاومة الشيخ بوعمامة

بعد أن تضافرت تلك الأسباب وغيرها اندلعت الثورة، فأجبر الشيخ بوعمامة على إشعال فتيل الثورة حتى وإن كان ذلك قبل موسم الحصاد لأن الأهالي قد نفذ صبرهم، حيث التزموا بتعليمات الشيخ التي أبلغهم بها منذ بداية شهر أفريل والمتمثلة أساسا في جمع السلاح والذخيرة والمؤن ومرت مقاومته بمرحلتين هامتين هما:

1- المرحلة الأولى 1881-1883:

وقعت أولى المواجهات العسكرية بين الشيخ بوعمامة والقوات الفرنسية في 27 أفريل 1881 بمنطقة سفيسيفة[1]، والتي حشد لها الشيخ أكثر من 3000 مجاهد بين فرسان ومشاة، أسفرت المعركة عن انهزام الجيش الفرنسي، وخسر أكثر من 100 جندي واستشهاد بعض رجال الشيخ منهم قائد المعاليف والرزاينة، وغنم المجاهدون كميات مهمة من الأسلحة والذخيرة والعتاد الحربي[2].

أمام خطورة الوضع سارع الجنرال كوينيون دانسي إلى إرسال أكثر من عشرة (10) آلاف عسكري لجيش الاحتلال إلى المنطقة لقمع الثورة والقضاء عليها، ووقعت المواجهة الثانية بين الطرفين في 19ماي 1881 بالمكان المسمى المويلك (El-Mouellek) الواقعة قرب قصور الشلالة بجبال القصور، وافتك فيها جيش بوعمامة النصر من العدو رغم عدده وعدته، وفقد خلالها خسائر بشرية هامة تمثلت في 60 قتيلا و22 جريحا بالنسبة للفرنسيين، مقابل 200 شهيدا في صفوف الشيخ بوعمامة[3]، أما العقيد إينوسنتي (Innocenti) في تقريره إلى وزير الحربية الفرنسي فقدرها بـ 37 قتيلا و16 جريحا من بينهم ضابط وأربع مفقودين من الجانب الفرنسي في حين قدر عدد ضحايا الشيخ بوعمامة بما يقارب 300 قتيل، بعد هذه المعركة عملت السلطات الفرنسية على التقليل من شأن بوعمامة وأتباعه وكلفت قاضي البيض بإصدار فتوى تعتبر الثوار خارجين عن القانون[4].

امتدت ثورة الشيخ بوعمامة إلى ناحية وهران في شمال البلاد، لكن نجاحه الكبير كان في الصحراء حينما أسر الجزائريون في عهده بعثة عسكرية فرنسية كانت متواجدة في الهقار بقصد اكتشاف مجاهل

[1] – **سفيسيفة:** تقع هذه المنطقة بولاية البيض، على بعد ثلاثون كلم غرب عين الصفراء.

[2] – العربي منور، المرجع السابق، ص 268.

[3] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في ...، ص ص283 -284.

[4] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 95.

الصحراء، وقتلوا قائد البعثة الكولونيل (فلاترز) وفي معركة أخرى استطاع بوعمامة أن يأسر ثلاثمائة 300 فرنسي[1].

وظل بوعمامة طيلة هذه المدة سيد الموقف، وقد توجه إلى الأبيض سيدي الشيخ للاستعداد والتهيئة للمسيرة الطويلة التي حيرت الجيش الفرنسي، وجعلته يتيه في تلك الفيافي بدون دليل قام الثوار خلالها بقطع خطوط التلغراف الرابطة ما بين فرندة والبيض، ومهاجمة مراكز الشركة الفرنسية-الجزائرية للحلفاء، وقتل العديد من العمال الإسبان الذين يشتغلون بهذه الشركة، كما أحرقوا وأتلفوا الكثير من العتاد، واستولوا أيضا على قطعان كثيرة لبعض أعوان الفرنسيين، لذلك اتخذت السلطات الفرنسية إجراءات حازمة وسريعة لمواجهة الثوار الزاحفين نحو الشمال[2].

جعلت انتصارات بوعمامة عدة قبائل تنضم إليه الواحدة تلو الأخرى، منها قبائل الأغواط الكسل[3] التي وضعتها فرنسا تحت قيادة الدين العموري آغا آفلو، فثارت وحاولت الانضمام إلى الثورة لتشارك في هجوم فرندة مع بوعمامة، لكنها تعرضت لهجوم من طرف قوم أحرار تيارت بقيادة الآغا الحاج قدور الصحراوي يوم 14 جوان 1881 بواد خروف، فاضطرت إلى الرجوع على أعقابها، وتعرضت مرة أخرى يوم 16 جوان إلى هجوم قبائل أرباع الأغواط تحت قيادة سي باحوس بن قدور المدعم من طرف الرائد بولا (Belin) مع أربع فرق خيالة خسر فيها الأغواط الكسل 150 قتيل، واشتهرت هذه الواقعة الشنعاء بين الأشقاء بموقعة قارة الغشوي، والتي تقع على بعد 20 كلم شمال شرق استيتن[4].

ومن التطورات التي حصلت خلال هذه الفترة انضمام سي سليمان بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى حركة بوعمامة على رأس 300 فارس، واتجه مع رجاله إلى جنوب غرب عين الصفراء ثم إلى منطقة البكاكرة الحميانيين، ومن هناك غادر المنقب يوم 16 نوفمبر إلى جبل عمران لمواجهة

[1] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 150.

[2] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 98.

[3] – **قبائل أغواط الكسل**: أخذت هذا الاسم من المنطقة الجبلية ومنها جبال الكسل بجبال عمور شمال غرب مدينة الأغواط وهم بدو من خمسة أقسام: الرزيقات، أولا مومن، قرارجة، أولاد عيسى، أولاد عمران، وبذلك يمكن أن نميزهم عن قبائل الأغواط الأرباع المرتبطين بالأغواط المعلوم. ينظر: إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في ...، ص 176.

[4] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 99.

القبائل الموالية للاحتلال الفرنسي[1]، أما الفرنسيون فقاموا في أواخر شهر جوان بإعداد أربعة كتائب عسكرية وركزوها في نقاط حساسة:

1- فرقة برأس الماء بقيادة اليوطنان كولونيل جانين (Janin).

2- فرقة بخيثر بقيادة الضابط الكولونيل زويني (Zwiney).

3- فرقة بتيارت بقيادة الضابط الكولونيل برونتيير (Brunetiére).

4- فرقة بالبيض بقيادة الحاكم تاديو (Tadieu) ثم نيقريي (Negrier).

أما بوعمامة فقد غادر "تواجورة" يوم 04 جويلية واتجه إلى مركز خثير على رأس 300 محارب واشتبك مع القوات الفرنسية يوم 09 جويلية، ومن هناك انتقل إلى بدروس فسفسوح الشط نحو نقطة الزيادي جنوب تيارت، ثم إلى أوقلت سيدي عبد الرحمن، وأخيرا إلى عين أولاسي، حيث خاض معركة أخرى ضد الفرنسيين، ومن هنا إلى مدنة ودبدب البوقر واضطر الرزانية أن يهاجروا من الجنوب الوهراني إلى وادي قير بالمغرب الأقصى بسبب اشتداد الضغط عليهم[2].

واضطرت القوات الفرنسية أن تلاحقه مع ثواره خلال ما بقي من شهر نوفمبر وكل ديسمبر وركزت قواتها في عين الصفراء، عين خليل، العريشة، رأس الماء، مشرية، البيض، سبدو الضاية، سعيدة، خيثير وفرندة لوضع شبه حاجز على التل الوهراني من أجل حمايته[3].

وفي 16 أفريل 1882 حدثت معركة حامية الوطيس بين قوات الشيخ بوعمامة وجيش الاحتلال في شط تقري، سرعان ما تحولت إلى ملحمة كبيرة تكبد فيها الجانبان العديد من القتلى والجرحى[4]، اضطر بوعمامة إلى الانسحاب متجها إلى منطقة فيقيق داخل المغرب الأقصى، فقل نشاطه وتشتت أتباعه وأنصاره، وانضم البعض منهم إلى سي قدور بن حمزة رئيس الشراقة، والبعض الآخر انضوى تحت قيادة سي سليمان رئيس الغرابة، وجزء ثالث من الثوار رابطوا بفيقيق بقيت فرنسا خلال سنة 1882

[1] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 101. ينظر أيضا: العربي منور، المرجع السابق، ص 273.

[2] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ...، ص 243.

[3] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 102.

[4] – العربي منور، الرجع السابق، ص 274.

تلاحق الثوار وتعاقب القبائل التي وقفت في وجه توسعها وآزرت بوعمامة في ثورته[1]، عملت فرنسا بعدها على استمالة أولاد سيدي الشيخ وتفاوضت مع سي قدور بن حمزة عن طريق بوحفص لغواطي وتم الاتفاق بين الطرفين في شهر ماي 1883م، وينص هذا الاتفاق على ما يلي:

1- أن تقوم السلطات الفرنسية بتجديد بناء ضريح سيدي الشيخ الذي نسفه القائد العسكري دين يقري في أوت 1881.

2- أن تقدم السلطات الفرنسية تعويضا سنويا بمبلغ 60 ألف فرنك لسي قدور وأفراد عائلته عما صودر منهم منذ عام 1864.

3- تعيين سي قدور على رأس قيادة كبيرة بالبيض وتعيين عدد من أفراد عائلته في مناصب أخرى تحته.

4- يقوم سي قدور وأفراد عائلته بإقناع كل أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ الموجودين بالمغرب الأقصى بالعودة إلى الجزائر[2].

2- المرحلة الثانية 1883-1908:

عرفت المقاومة في هذه المرحلة فتورا ملحوظا بعد استقرار بوعمامة في مسقط رأسه بالحمام الفوقاني بفيقيق التي بلغها في جويلية 1883، حتى يتمكن من تنظيم صفوفه مستقبلا، وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية تتخوف من تحركاته الكثيفة، لذلك سارعت في إرسال برقية موقعه من طرف الجنرال سوسييه (Saussier)[3] قائد الفيلق 19 إلى حكومته في باريس، يدعوها إلى الضغط على السلطان المغربي لطرد الشيخ بوعمامة من الأراضي المغربية لأنه يشكل خطرا على المصالح الفرنسية بالمنطقة[4]، فاضطر بوعمامة

---

[1] - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 102.

[2] - المرجع نفسه، ص 103.

[3] - **فليكس قوستاف سوسييه** (Felix Gustave Sauaaier): ولد سنة 1828 بتورويس بقصر تميكورت، تخرج من المدرسة العسكرية سان سير سنة 1850 فرقة مشاة، شارك في جميع الحملات التي قامت بها الإمبراطورية الثانية، فر من موقعة ماتز (Metz) سنة 1879 بعد أن قاد فرقة عسكرية لوار، كما قاد حملة تونس 1881، وفي سنة 1884 تم تعيينه حاكم باريس ثم استقال سنة 1886 ليصبح بعدها نائب رئيس المجلس الأعلى للحرب. ينظر: إبراهيم مياسي، **دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ع1، 1990، ص 176.

[4] - إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، ص ص277 - 278.

إلى مغادرة فيقيق واحتمى بسكان توات واستقر أخيرا بدلدول بواحة قورارة إلى غاية 1894 وبها انضم إليه أنصار جدد واصل معهم الجهاد[1].

بدأ الشيخ بوعمامة بعد عام 1896 يستعيد قوته رغم تقدمه في السن وخيانات الأشقاء والأصدقاء، فحضَّر الأتباع، وجمع الأموال، ونظم الرجال، وسعى إلى إقناع المتخاذلين الذين لمت بهم المهانة والردة، فصارت قواته مشكلة من 500 فارس، وقرابة 1500 مشاة، وأكثر من 150 مهري، وزاد في همته بعثات السلطان العثماني وحامي الحرمين الشريفين، وسلطان المغرب مولاي عبد العزيز اعترافا له بخلافته على الصحراء الجزائرية، ما عزز موقفه السياسي والشرعي وزاد من مقامه أمام القبائل المساندة له[2].

لكن عين الاستعمار لم تنم قط، ما دامت خططه في التوسع نحو الجنوب قد تعرقل من قبل الشيخ بوعمامة، ما دفع الوالي العام الفرنسي لا فريان (La Virian) خلال أكتوبر 1899 إلى منح الشيخ بوعمامة الأمان التام بدون شرط أو قيد، بهدف ربح الوقت لإتمام المشاريع التعميرية في الجنوب خاصة مشروع الخط الحديدي، كما أنه في عام 1900 دعا الحاكم العام الفرنسي بالجزائر إلى لقاء الشيخ بوعمامة إلا أنه رفض هذا لمعرفته الجيدة خدع الاستعمار[3].

واستفاد الشيخ بوعمامة من انضمام القبائل الزناتية البربرية وقبائل الشعانبة العربية إليه، فقدموا له الحماية والدعم المادي والمعنوي، واجتمعت له هناك قوة مسلحة أحسن تسليح، خاض بواسطتها هجوم يوم 11 سبتمبر 1904م على دورية من الكتيبة الصحراوية لقوراره، لكن رد فرنسا على هذه القبائل كان كبيرا، حيث فاجأتهم الهجومات في بداية 1906 لوضع حد لعملياتهم التي كانت تتعرض لمراكز وقوافل القوات الفرنسية [4].

رابعا: نهاية ثورة الشيخ بوعمامة ووفاته

بعد هذه الحوادث عسكر بوعمامة في "بني بوزقر" وبقي عندهم عدة شهور دون نشاط وهاجمه الفرنسيون في وادي نسلي عام 1906 ولم ينالوا منه، غير أنه أصبح يشعر بالتعب والإرهاق بعد أن

[1] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 104.

[2] – العربي منور، المرجع السابق، ص 278.

[3] – المرجع نفسه، ص 279.

[4] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في ...، ص 105.

تقدمت به السن، فأخذ يكتب إلى السلطات الفرنسية طالبا العفو والأمان له والتوسط لدى سلطان المغرب ليطلق سراح ابنه سي الطيب[1]، فلبت رغبته ولكنها وضعت ابنه تحت الإقامة الجبرية بالأغواط[2].

فضل الشيخ بوعمامة الرجوع إلى المغرب الأقصى والاستقرار في عيون سيدي ملوك بالقرب من وجدة والاهتمام بالإصلاح والوعظ وتعليم القرآن والسنة المحمدية، ما جعل السلطات الفرنسية تتنفس الصعداء بتخلصها من مقاومته في الصحراء لمدة ثلاثة وعشرين (23) عاما، إلا أنها لم تتمكن من القضاء عليه بقي الشيخ في المغرب إلى أن وافته المنية 07 أكتوبر 1908 رحمه الله ،ليتولى ابنه سي الطيب بعده أمور الزاوية وأن يحل مشاكلها المعقدة ويضمن الأمن لكل أتباعها الذين ساندوا والده ورافقوه في كفاحه [3].

خامسا: نتائج ثورة الشيخ بوعمامة

1- تعتبر ثورة بوعمامة من أعنف الثورات التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر الميلادي في الجزائر بعد ثورة الأمير عبد القادر، وأطولها من 1881-1908، وبها ختمت مرحلة المقاومة الشعبية في تاريخ الجزائر الجهادي، فأوقف جور البندقية ليحل محلها أسلوب البعث الحضاري والوعي الفكري ضمن النضال السياسي في الحركة الوطنية[4].

2- تميز شخصية بوعمامة بالشجاعة والإقدام والتحدي في مواجهة القوات الفرنسية، حيث تفتقت مواهبه الحربية وقدراته القتالية، كالتفطن لمكائد الأعداء وتفهم العمليات العسكرية، مما جعله ينتصر على أشهر جنرالات فرنسا والمتخرجين من أكبر المدارس العسكرية.

---

[1] – ظل سي الطيب سجين مدينة فاس طيلة سنة تقريبا من جويلية 1905 إلى أن نقله الفرنسيون إلى الجزائر خلال شهر جوان 1906، ومنها نقل إلى مدينة الأغواط مكان إقامته برفقة ابن عمه سي الشيخ بوحفص بتاريخ 10 جويلية 1906، وبها تزوج بفرحوح بنت سي مُحَمَّد بن سي مبروك بن عزوز المنتسب إلى الطريقة الرحمانية بدائرة الأغواط، وعندما شعر الفرنسيون بأن رجوع سي الطيب إلى منطقة الحدود يخدم قضيتهم سمحوا له بالرجوع أواخر شهر جويلية سنة 1907. ينظر: عبد الحميد زوزو، **ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1908، ج2**، ص ص 39-40.

[2] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ...، ص 250.

[3] – عمار بحوش، المرجع السابق، ص 151.

[4] – إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي ...، ص 170.

3- انطلاق الثورة من الزاوية باعتبار الشيخ بوعمامة زعيما دينيا وقطبا ربانيا اشتهر بالورع والتقى وحب وطنه وشعبه، فكانت حركته دينية سياسية والعمل على جمع كلمة المسلمين كصف واحد لدحض الاستعمار والاستغلال والاستعباد.

4- أظهرت ثورة بوعمامة تحديا كبيرا لسياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة، والتي كانت تهدف إلى إتمام عمليات الاحتلال الشامل للبلاد وجعل الجزائر –لاسيما جنوبها- همزة وصل للتوسع، ثم تطورت أكثر مع مطلع القرن العشرين الميلادي لتحدد موقفها من الصراعات الدولية خاصة اتجاه النزاع القائم على مراكش.

5- غلب على المرحلة الثانية من الثورة 1883-1908 الطابع السياسي وطغت عليها قضية الأمان من خلال المراسلات والمفاوضات بين الشيخ بوعمامة والأوساط الفرنسية واستطاع بذلك أن يكسب الدعم المادي والمعنوي عند مختلف القبائل زادت من تقوية نفوذه ومركزه، وبذلك كانت هذه المقاومة بما تخللتها من مفاوضات ومراسلات رسمية أقرب إلى مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي.

6- عجلت الثورة بإتمام مشاريع السكة الحديدية في المنطقة وربط الشمال الغربي الجزائري بجنوبه، لأنها وسيلة سهلة وسريعة للمبادلات، كما أنها تساعد قوات الاحتلال بالتحرك في التوغل نحو الجنوب ونجدة وتدعيم الحاميات المزروعة هنا وهناك[1].

المبحث الثالث: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت

بدأ الزحف الفرنسي على منطقة تيديكلت[2] في وقت مبكر، بعد أن أقامت قواتها ببرج مريبال (Maribel) سنة 1883م بين عين صالح والمنيعة، على بعد 140 كلم عن هذه الأخيرة من الناحية الجنوبية الغربية، بسبب موقعها الاستراتيجي إذ أنها تعتبر نقطة التقاء القوافل التجارية، ومعبرا هاما نحو الصحراء الإفريقية، لأجل ذلك تم توجيه بعثات استكشافية وتجسسية عديدة إليها، منها البعثة التي تكونت من خمسة أفراد وعلى رأسها قائد عسكري والتي دخلت إلى القصر، وقد صادف دخولها وليمة

[1] - إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي ...، ص 171-172.

[2] - **تيديكلت:** تقع هذه المنطقة في أقصى الجنوب الجزائري بين خطي 25° و30° شمالا وخطي طول 01° غربا و06 شرقا، تحدها هضبة تادميت من الشمال ومنطقة الهقار من الجنوب، وهي كلمة بربرية يقصد بها كف اليد وهي كناية عن انخفاض المنطقة، وهو الأمر الذي يفسر قرب المياه الجوفية من السطح، كما أنها أحد المقاطعات الثلاث المكونة لإقليم توات. ينظر: عبد القادر بوية **تيدكلت وثائق ومخطوطات**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 49.

عرس فاتجهوا إليها متنكرين بأزياء شعبية فألقي عليهم القبض، ثم تم افتداءهم بأسرى من عين صالح كانوا عند قائد القوات الفرنسية بغرداية، ولتحذير الفرنسيين أرسل الشيخ المهدي باجودة رسالة إنذار للفرنسيين يحذرهم فيها من مغبة الاستمرار في مثل هذه الأعمال[1].

وقد زادت هذه الحادثة في تأزيم الأمور بين الطرفين بسرعة، خاصة وأن المهدي ووالده الحاج عبد القادر باجودة كانا قد رفضا السماح للبعثات الاستكشافية الفرنسية بالمرور في أراضيهم، لإدراكهم خطورتها وغرضها التجسسي، كما أن قبائل الطوارق في المنطقة كانوا يقتلون أي شخص يشتبه في أنه على صلة بتلك البعثات، حاولت القيادة العسكرية الفرنسية إخضاع المنطقة سلميا عن طريق الترغيب فأرسلت أحد عملائها العرب وهو السيد مُحَمَّد بن الطيب مقدم الطريقة القادرية بورقلة سنة 1896 لاستمالة الحاج المهدي باجودة، هذا الأخير رفض مجرد التعامل معه وقام بطرده، عندها بدأت سياسة الترهيب لإخضاع المنطقة[2].

وأصبحت مسألة احتلال أقصى الجنوب الغربي الجزائري أمرا استراتيجيا لفرنسا، وأصبح الإشراف عليها بيد لافرير (Lafferrir) نفسه، حيث أمر بتشكيل حملة فلامون (G.B .Flamend) التي كانت مهمتها ظاهريا استكشاف طبوغرافية هضبة تادميت، ولكنها سريا كانت تجر وراءها طابورا عسكريا، مهمته احتلال المناطق الجنوبية لتوات والمعروفة بمنطقة تيديكلت كخطوة أولى، إلاّ أن المتتبع لخط سير الحملة يلاحظ أنها لم تعبر هضبة تادميت، أي حسب الهدف المصرح به، وإنما انطلقت من ورقلة إلى المنيعة ومنها انعطفت بمحاذاة الحدود الشرقية للهضبة، لتصل قصر إقسطن أولى قصور تيديكلت من ناحية الشرق، ومنها مباشرة إلى عين صالح عاصمة المنطقة[3].

وقد انطلقت الحملة يوم 28 نوفمبر 1899م ووضعت تحت قيادة النقيب بان Pein رئيس المكتب العربي بورقلة، ومعه فرقة القومية المكونة من القبائل العربية بقيادة مُحَمَّد بن الطيب، نائب مقدم الطريقة

[1] – مُحَمَّد باي بلعالم، **الرحلة العلمية إلى منطقة توات**، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 05.

[2] - Martin AGP, **Quatre Siècles d'histoire Marocaine au Sahara,** Libririe Lélix Alcan, Paris, 1923, p 296.

[3] – محفوظ رموم، **الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية**، مجلة الحوار الفكري، أدرار، ع 11، 2016، ص 60.

القادرية بالمدينة، وكان مجموع قواتها مائة وثلاثون 130 مهاريا[1] وخمسة عشر 15 فارسا مدعمين بفرقة الصبايحية بقيادة النقيب جيرمان Germain مهمتها الدعم اللوجيستي وحماية مؤخرة الحملة والتدخل إذا لزم الأمر، حيث بلغ مجموع هذه القوات حوالي سبعمائة 700 جندي[2].

أولا: معركة إقِسطن (الفقِيْقِرَة)[3] 28 ديسمبر 1899

واصلت حملة النقيب "بان" السير على طول الحدود الشرقية لهضبة تادمايت إلى أن وصلت إلى المنعطف الجنوبي، حيث التفت على الحدود الجنوبية للإقليم، وبذلك عسكرت بمنطقة الشبابة في 27 ديسمبر 1899، ثم تقدمت باتجاه القصر، واتخذت من فقارة الحاج عبد القادر بجوار القصر مقرا لها ولاستطلاع الأوضاع ومعرفة حجم الاستعدادات، بعث بان برسالة إلى الحاج المهدي يطلب منه تسهيل عبور أربعون فرنسيا من بعثة فلامون، لكن مجلس الأعيان رفض هذا الطلب واعتبره تحديا ومطلبا استفزازيا[4].

رد الفرنسيون بإطلاق النار الكثيف في الهواء لإرهاب السكان في هذه الأثناء كانت أخبار الطابور خلف بعثة فلامون، تصل سكان المنطقة الذين بدأوا استعداداتهم، وتجمعوا من مختلف قصور المنطقة، كقصر أولاد دحان وأولاد ماحي وحاسي لحجر والساهلة الفوقانية والتحتانية وفقارة الزوا والبركة، حتى وصل عددهم ألفي 2000 مقاتل تحت قيادة الحاج مهدي باجودة، شيخ قبيلة أولاد باجودة، فخطب في الناس ودعا إلى الجهاد، وأثار فيهم النخوة، ودعاهم إلى تأديب الحملة، وذكرهم بأمجادهم، وبما فعلوه ببعثة فلاترز (Flatters) سابقا.

---

[1] – **المهاري**: هم فرقة الجمالة (يستخدمون الجمال) من القبائل العربية الموجودة بالمنطقة، جندتهم فرنسا بسبب معرفتهم بطرق الصحراء، ولضمان أمن وطاعة السكان بعد أن تم لها احتلال المنطقة.

[2] – نيكلو عبد القادر، **المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي لتوات**، مجلة النخلة، بشار، ع 1، مارس 2005، ص 115.

[3] – تقع الفقيقرة غرب فقارة الزوى، تبعد عن عين صالح حوالي 20 كلم، وتقع بالقرب من قرية إقسطن التي تقع شرق مدينة عين صالح، وقد قاد معركة الفقيقرة الحاج المهدي باجودة وأخيه بوعمامة وابن أخيه رفقة سيدي بابا من المرابطين، وكانت جثثهم إلى وقت قريب لا تزال مبعثرة في الصحراء غير مدفونة، حيث غمرت الرمال عدد منهم، وتارة تعرى جثثهم نتيجة الزوابع الرملية أو عن طريق النبش، وقد تم مؤخرا تغطية قبور هؤلاء الشهداء رحمة الله عليهم جميعا. ينظر: صالح بوسليم، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر وبداية المقاومة الشعبية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 21، ديسمبر 2014، تهميش رقم 20 ص 50.

[4] – نيكلو عبد القادر، المرجع السابق، ص 116.

انطلقت المعركة صبيحة يوم 28 من شهر ديسمبر على الساعة السابعة صباحا، أبلى السكان خلالها بلاء حسنا، تقدموا نحو الفرنسيين المتحصنين بالكثبان تحت أصوات التهليل والتكبير[1]، حيث كانت الخطة هي الاقتراب نحو العدو وكأنهم يريدون الصلح لتفعيل استخدام البنادق والسيوف، وبالفعل انطلت الحيلة لولا أنه حدث ما عجل بنشوب المعركة قبل إتمام الخطة، حيث كان بينهم رجل يدعى "قوفة" لم يتمالك نفسه حين رأى المحتلين فصاح في المجاهدين **"جنود الروم تتقدم نحونا"** وفجأة لمست أصابعه زناد بندقية "الشفر" التي كانت بيده فخرجت الطلقة (لعمارة) سميت "بعمارة قوفة"[2].

استخدم المجاهدون كل الوسائل التي وقعت عليها أيديهم، لكن استخدام العدو لسلاح المدفعية ومقتل زعيم المقاومة الحاج مهدي زاد الوضع سوءا، فخارت القوى، وانهارت المقاومة عند الساعة العاشرة من صبيحة اليوم نفسه، بعد أن تكبد المجاهدون خسائر كبيرة يمكن حصرها حسب المصادر الفرنسية[3]:

– حوالي خمسون (50) شهيدا منهم قائد المقاومة الشيخ المهدي وابنه وأخوه بوعمامة والحاج بابا زعيم أولاد عزي وديدي مُحَّد العربي ومُحَّد الدهانا.

– حوالي مائة وخمسون (150) جريحا.

–حوالي أربعة وستون (64) أسيرا منهم 11 أسيرا من كبار أعيان القبائل منهم الشيخ بكاتي باجودة

في حين لم تتعد خسائر العدو قتيلا واحدا و14 جريحا حسب المصادر الفرنسية التي تسعى دائما للتقليل من خسائرها في مقابل تضخيم خسائر المجاهدين، للنيل من الجانب السيكولوجي لدى السكان ودفعهم إلى الاستسلام، وكما هي عادة قوات الاحتلال لم يفوت رجاله فرصة العقاب الجماعي حيث أستبيح القصر بما فيه وصودرت ثروته الحيوانية التي بلغت 99 جملا، وهي معاش السكان ووسيلتهم الوحيدة للنقل. [4]

اقتضت إستراتيجية المجابهة تجمع حاميات القصور المجاورة للدفاع عن إقسطن، لكون أن مواجهة كل قصر بمفرده للفرنسيين فرادى صعب، خاصة وأن السكان كانوا يدركون اختلال التوازن في التسليح

[1] - Martin AGP, **Les Oasis Saharienne,** édition de l'imprimerie Algérienne, Alger, 1908, p 136.

[2] – محفوظ رموم، المرجع السابق، ص 62.

[3] - Voinot. L, **Le Tidikelt**, Ed imprimerie Typographique et Lithographique , Oran, 1909, p 91.

[4] – قلوم المكي، **الغزو العسكري الاستعماري لأقصى الجنوب والمقاومات المسلحة الشعبية لمنطقة توات وتيديكلت وتينجورارين في مجابهة هذا الغزو**، مجلة آفاق التنمية، أدرار، 1987، ص 38.

بين الطرفين، كما أن إقسطن يعتبر بوابة عاصمة منطقة تيديكلت وواحة عين صالح، ولذلك عقدت الآمال على هذه المعركة لدحر قوة المعتدي، كما اعتقد السكان أنها ستجبره على العودة من حيث أتى والعكس صحيح. وبعد هزيمة المقاومة في إقسطن أصبح الطريق إلى واحة عين صالح تحصيل حاصل، ولما كانت معظم القصور الصغيرة المحيطة قد شاركت في القتال في المعركة السابقة، فقد أصبحت بلا غطاء يحميها، وهذا خطأ كبير لأن الإستراتيجية العسكرية تقتضي ترك حامية في قصر، مما مكن العدو من دخول عين صالح في اليوم الموالي (**30 ديسمبر 1899**) دون مقاومة تذكر[1].

وبسقوطها وضع الاستعمار الفرنسي يده على عاصمة مناطق الجزء الجنوبي من إقليم توات ذات البعد الاستراتيجي والاقتصادي، فهي مركز عبور تجارة الشمال وإفريقيا جنوب الصحراء، وملتقى الطرق التجارية التي تربط شمال إفريقيا بالسودان الغربي، كما أن عين صالح ذاتها سوق كبيرة، ومركز تموين مهم لكافة سكان وسط الصحراء الكبرى، وبسيطرته عليها يكون قد وضع قدمه الأولى في إقليم توات الكبرى، حيث سيتمكن من السيطرة على بقية مناطق توات الجنوبية و الوسطى.

فرض العدو على سكان واحة عين صالح دفع غرامة تعادل عشرة 10 آلاف فرنك فرنسي قديم جمعت خلال يومين، وقسمت على فرق القومية والصبايحية التي لعبت الدور الأكبر في دخول واحتلال المدينة، كما فرض عليهم المساهمة في إقامة تحصينات للقوات الفرنسية في قصبة باجودة، التي اتخذ منها العدو مركزا لقواته وسجنا للأسرى، وطالب السكان المحليين بتقديم مبالغ مالية لفدائهم وأجبر البعض على إخلاء سكناته لصالح ضباط الجيش[2].

ثانيا: معركة الدغامشة[3] 05 جانفي 1900

ما إن تمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى عين صالح واتخاذ قصبة باجودة مركزا لها، رأى سكان إينغر وبقية القصور المجاورة لها أن الخطر مشترك فقاموا بالانضمام إلى بقية الأهالي لصد العدوان الفرنسي والدفاع عن ممتلكاتهم، ووصلت النجدات من كل جهة بعدما سمعوا بوحشية المعركة الأولى

[1] – محفوظ رموم، المرجع السابق، ص 63.

[2] – المرجع السابق، ص 63. ينظر أيضا: صالح بوسليم، المرجع السابق، ص 47.

[3] – تقع هذه المنطقة على بعد 04 كلم غرب مدينة عين صالح، وهي التي شهدت معركة مع الاستعمار الفرنسي تعرف باسم موقعها "معركة الدغامشة"، ولا تزال هذه المنطقة تضم جثثا عديدة للشهداء، البعض منهم بني له قبر من الطوب والحجارة، والبعض الآخر دفنته الرمال، ويقصدها اليوم السكان والزوار للترحم على الشهداء. ينظر: صالح بوسليم، المرجع السابق، تهميش 29 ص 51.

تجمع المقاومون قرب قصر الدغامشة بالمكان المسمى **"البركة"** على بعد خمسة (5) كم جنوب عين صالح، وبدأ الزحف بقيادة مولاي عبد الله الرقاني يوم 04 جانفي 1900 بقوة تقدر بأكثر من ألف مجاهد وفي اليوم الموالي (05 جانفي) انطلق المجاهدون عازمين على تحرير عين صالح وطرد العدو منها[1].

وفي أثناء تدارس الخطة، اتفق الجميع على مباغتة الحامية الفرنسية في قصبة باجودة، لكن العدو علم بما يحضر عن طريق جواسيسه، فانسحب وتموقع في الدغامشة خلف الكثبان القريبة، بعد أن درس المكان واتخذ الوضعية المناسبة، أما المجاهدون الذين انطلقوا كرجل واحد صبيحة يوم الخامس من جانفي 1900 فقد تفاجئوا بقوات العدو أمامهم الذي باغتهم بنيرانه قبل أن يصلوا إلى القصر، فشبت معركة ضارية أظهر فيها الأبطال الشجعان مقدرة قتالية فائقة وإقداما رائعا على التضحية، غير أن وجود المقاومين في منطقة مكشوفة وعدم تكافؤ الأسلحة رجح كفة الفرنسيين، ونتيجة لغدر العملاء، وقلة التجربة، وبدائية الأسلحة انكسرت صفوف المقاومة[2].

وأمام اشتداد ضربات العدو وكثافة نيرانه وتزايد أعداد القتلى والجرحى وعدم قدرة المجاهدين على اختراق الكثبان العالية للوصول إلى العدو، اضطر للانسحاب وإعادة تنظيم خطوط الدفاع ثم تواصل القتال مجددا طيلة النهار لكن دون جدوى، حيث انكسر المجاهدون بعد أن فقدوا مائة وخمسون 150 شهيدا بينهم قائدهم عبد الله الرقاني، وأربعمائة 400، ولم تشر المصادر إلى الخسائر في صفوف العدو[3].

ويبدو أن ضعف التكوين الحربي للمجاهدين، كان سببا في الهزيمة التي لحقتهم، فقد اختلفوا بداية في توقيت شن الهجوم، هل يكون ليلا أو نهارا، كما أن معركة الدغامشة تمت في أرض مكشوفة، وبدون غطاء عسكري ولا طبيعي، مما سهل على العدو اقتناص المقاتلين، خاصة وأنه كان يفوقهم في كثافة النيران، ومن ثم كان من الخطأ الاستراتيجي مجابهة العدو في ظروف كهذه، وكان الأولى مهاجمته ليلا، أو تحصين القصر والدفاع عنه، وخوض معارك داخل البيوت والممرات، أو استدراج العدو إلى منطقة تساعد طبوغرافيتها على مثل هذه المواجهات، الغير متكافئة في نوعية العدة والعدد[4].

---

[1] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء ...، ص ص 463-464.

[2] - Voinot. L, Op-Cit, p 93.

[3] - Martin AGP, Quetre Siécles, Op-Cit, p 326.

[4] – محفوظ رموم، المرجع السابق، ص ص 66-67.

الفصل الثاني: المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي للجزائر

المبحث الأول: ثورة الزعاطشة 1849

المبحث الثاني: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851-1871

المبحث الثالث: مقاومة بن ناصر بن شهرة 1851-1875

المبحث الرابع: مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1874

المبحث الخامس: مقاومة الطوارق1900-1916

تمهيد:

شهدت الصحراء الجزائرية أحداث وملاحم بطولية ما زالت شواهدها ومعالمها بارزة للعيان تذكر الأجيال بعظمة الشعب الجزائري وتضحياته، إلا أن الكثير من هذه الأحداث والملاحم التاريخية لا تزال يلفها النسيان ويكتنفها الغموض وربما حتى الإهمال، ولعل مرد ذلك اهتمام مؤرخينا بتاريخ مناطق دون أخرى لقلة المصادر التاريخية التي تساعد الباحثين في هذا المجال، أو لبعد هذه المناطق عن مراكز البحث وضعف الوسائل المادية المسخرة لذلك.

ومن جملة هذه الأحداث تلك المقاومة الباسلة والمشرفة التي خاضها سكان الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية في مواجهة الغزو الاستعماري لهذه المنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي شاركت فيها معظم قبائل وعشائر التوارق تحت قيادة زعمائها وأمناء عقالها، وهي المقاومة التي كلفت فرنسا تجنيد كامل قواتها المادية والبشرية المرابطة في الشمال الصحراوي للقضاء عليها لتأمين سيطرتها على الصحراء الجزائرية، التي بدأت تتطلع إليها عدة قوى أوربية منافسة لفرنسا.

المبحث الأول: ثورة الزعاطشة[1] 1849

أولا: بداية مقاومة الشيخ بوزيان

استولى الفرنسيون على منطقة الزيبان سنة 1844، حيث عرف خلالها السكان الحكم الاستبدادي لسلطات الاحتلال الفرنسي، فهب هؤلاء بقيادة الشيخ بوزيان[2] لمقاومته ورده رغم التفاوت البعيد بين الجانبين في العدد والعدة، واستطاع أن يعبأ قومه بواحة الزعاطشة بالزيبان وأن يعلن ثورته في

[1] – تقع منطقة الزعاطشة بمنطقة الزاب الظهراوي على بعد 35 كلم جنوب غرب بسكرة، ذكر أنها واحة صغيرة تملك من السحر ما يعجز اللسان عن وصفه محاطة ببساتين النخيل والأشجار المثمرة تمتد على مساحة 12 كلم، تلفها أسوار مشيدة من مادة الطوب المكوي، تشق أراضيها سواقي ذات مياه غزيرة وعذبة، سقطت في يد الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال دومال سنة 1844. ينظر: المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام، **كيف تحررت الجزائر (الذكرى 35 لثورة نوفمبر)**، الجزائر، 1989 ص 20.

[2] – **الشيخ بوزيان:** هو أحمد بوزيان بن اسماعيل ولد عام 1799، ينحدر من أسرة مشهورة في بسكرة وهي عرش الدواودة، درس في زاوية بالجزائر العاصمة وبعد سقوطها عاد إلى الزيبان، والتقى بالأمير عبد القادر أين أصبح من موظفيه بالمنطقة بلقب **"شيخ"** على واحة الزعاطشة، وإن بعض المصادر تذكر أنه كان من المرابطين والأشراف، وأنه كان محاربا شجاعا ومن أحسن الرماة، وأن سمعته كانت واسعة ومحترمة، كما كان طاعن في السن ومن نفوذه أنه استطاع أن يجند للثورة عددا من المرابطين والمجاهدين في أماكن بعيدة مثل الخنقة وبوسعادة وأولاد جلال ومسعد. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص ص 331-332. وينظر أيضا: Halim Cherfa, **l'héroique bataille de Zaatcha,** Imprimerie el maraaf, Alger, 2007, p 53.

الوقت الذي كانت فرنسا تعتقد أنه بقضائها على مقاومة الأمير والحاج أحمد باي تكون قد وضعت يدها على أرض الجزائر إلى الأبد، فتفاجأت بهذه الثورة إلى درجة عجزها على إخمادها بسرعة وظن العقيد "كاربوسيا" (Carbuccia) قائد قسمة باتنة خلال شهر جويلية أنه يستطيع القضاء عليها بسهولة، ولكنه فقد الأمل أمام هؤلاء المجاهدين، وكتب قائلاً: **"تسقط الأسوار تحت ضرباتهم"**[1].

هناك من ذهب إلى القول أن بوعزيز بن قانة وحفيده قد غضا الطرف عنها قصد حمل الفرنسيين على ترك الصحراء لحكومتهما، وهو الحلم الذي كان دائما يراود تفكير هذه العائلة، ورغم الدوافع الدينية والوطنية للثورة، فإن بعض الكتاب الفرنسيين أرجعوها إلى حرمان الشيخ بوزيان من منصب في إدارة الأهالي تحت السلطة الفرنسية، إلى جانب ارتفاع قيمة الضرائب على النخيل من 0.25 فرنك إلى 0.40 فرنك، وفرض ضريبة جديدة على الزوايا، وهي دوافع مادية في مجملها[2].

ثانيا: التوسع في منطقة الزيبان ومحاولة إلقاء القبض على الشيخ بوزيان

ظن الضابط سيروكا (Seroka) حاكم المكتب العربي في بسكرة أنه بإمكانه القيام بمبادرة إلقاء على الشيخ بوزيان والقضاء على ثورته في المهد، فانتقل إلى الزعاطشة بصحبة ثمانية فرسان وشيخ طولقة ابن ميهوب، وعند وصولهم إلى الواحة وجدوا الشيخ بوزيان يقوم بجولة في البطحة، فأمره سيروك ابركوب البغلة المعدة لنقله إلى بسكرة ووضعه في السجن بتهمة التشويش، إلا أن محاولته باءت بالفشل، وسرعان ما انطلق صوت الرصاص معلنا عن وصول الثوار وبداية الرفض الرسمي والقاطع للعدو وسياسته[3].

وظن القادة الفرنسيون أن حجم القوات القليلة التي اصطحبها سيروكا معه هي سبب عدم امتثال الشيخ بوزيان لمطالب الضابط الفرنسي، بوعد أيام قليلة حاول الملازم ديبوسكي (Dubosquet) ومعه خمسين (50) فارسا إقناع سكان المنطقة بالتراجع عن نصرة الشيخ بوزيان وتسليمه له، إلا أنه لاقى نفس مصير سالفه[4]، وسرعان ما اشتعل لهيب الثورة فأعلن كل من سكان فرفار وفوغالة وشيوخ

[1] – صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية** ...، ص 290.

[2] – العربي بلعزوز، **مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849 على ضوء الكتابات الأجنبية**، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، مج 8، ع 1، 2018، ص 129.

[3] – أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 121.

[4] – العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 131.

بوشقرون تحالفهم مع الشيخ بوزيان، ورأى سيروكا أنه من الضروري العدول عن كل الترتيبات السابقة وإيقاف الهجوم المقرر والعودة إلى مدينة بسكرة[1].

ثالثا: مراحل مقاومة الزعاطشة

1- المرحلة الأولى: مرحلة القوة والمواجهة

تمكن العقيد كاربوسيا من جمع ما تعداده 1680 عسكري من قسنطينة وسطيف وباتنة واتجه إلى بسكرة على أن يتولى أمر القبائل الثائرة في طريقه، وكانت أولى ضحاياه قبيلة أولاد سحنون الثائرة التي كان أهلها يقيمون قرب متكوك بالحضنة، حيث ارتكب مجزرة رهيبة في حق النساء والأطفال والشيوخ واستولى على 2000 رأس من الإبل و15000 رأس من الغنم، أتم العقيد مسيرته إلى أن وصل إلى الزعاطشة بتاريخ 16 جويلية، أين وجد صلحاء وشيوخ الزوايا بالمنطقة يتفقون على وجوب الاتحاد والجهاد لرد الاعتداء[2].

عسكر القائد كاربوسيا بعدها في غابات فرفار، حيث قرر تقسيم قواته إلى فوجين أحدهما تحت قيادة العقيد لونوار (Le Noir)، والأخر تحت قيادة سان جرمان، وتمثلت خطته في توجيه هجوم خاطف على الواحة قبل وصول المتطوعين وتقديم العون لسكانها، وما إن اقترب الفوجان من الواحة حتى انهال عليهما الثوار بوابل من الرصاص، وبعد ساعات من الاقتتال تأكدت هزيمة كاربوسيا فوجه أمرا لجنوده بالانسحاب والتراجع، ولكن قراره جاء متأخرا حيث وجد نفسه محاصرا من طرف قوات المتطوعين القادمين من (مسيلة، بوسعادة، أولاد نايل)[3].

وقد تكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، حيث قتل 32 جنديا من بينهم العقيد لونوار وجرح ما قارب 117 جندي، وبفضل دهاء كاربوسيا تمكنوا من مخادعة الثوار والتملص والفرار منهم، ووجه أوامر لمن بقي من جنوده بالتخلص من أسلحتهم والانبطاح إلى جانب القتلى دون حراك لإيهام القوات الثائرة بقضائهم على العدو، وعندما تأكد كاربوسيا من مغادرة الثوار، أمر جنده بالقيام والهرب إلى مدينة بسكرة، تاركين وراءهم جثث قتلاهم لأنهم لم يتمكنوا حتى من حملهم[4].

---

[1] - صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية** ...، ص 64.

[2] - العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 133.

[3] - إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص 81.

[4] - سعيد بورنان، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)**، ج1، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2004، ص 113.

ولم يحن شهر سبتمبر حتى أخذت الثورة منعطفا جديدا بإعلان الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الجهاد وتقدمه بقوة ضخمة نحو سريانة، وكان القائد على بسكرة عندئذ هو سان جيرمان (Saint Germain) ودارت بين الطرفين معركة تاريخية قتل فيها العقيد الفرنسي، كما استشهد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي كانت هذه المواجهة هي الفشل الثاني للفرنسيين في القضاء على الثورة[1].

وقد اعترف الفرنسيون بعجزهم حسب ما صرح به القائد دو نفو (De-Neuveu) قائلا: "**إن الحالة بالزيبان بدأت تسوء بل أن الخطر بدأ يتزايد هناك ، لقد فقدنا عز قوتنا في أعين جل الأهالي نتيجة ما يروجونه من أخبار في هذا الاتجاه كما أن المخلصين لنا من رؤساء الأهالي قد انجذبوا وتأثروا باتجاه الرأي العام المناهض لفرنسا**"[2].

2- المرحلة الثانية: حصار الزعاطشة

أما الفشل الثالث، فكان خلال شهر أكتوبر، حيث استعد الجنرال هيربيون[3] (Herbillon) الحاكم العسكري لإقليم قسنطينة للهجوم الذي ظن أنه سيكون قاضيا على الثورة، فجاء على رأس قوة عسكرية قدرت بـ 4500 يضاف إليهم فرق عديدة من المرتزقة المشار إليهم خصوصا القومية يوم 07 أكتوبر، وبعد أن رتب حراسة قواته ووضع مخطط يمنع وصول السلاح والمؤونة والمساعدة للثوار، قام بالهجوم يوم 20 أكتوبر، ولكنه رد على أعقابه مثل زميله كاربوسيا وتكبد خسائر بشرية فادحة 35 قتيلا و147 جريحا على الأقل حسب المصادر الفرنسية[4].

كانت منطقة واحة الزعاطشة تمتاز بالانبساط والاتساع فرضت على العدو وضع خطط مناسبة لإنجاح الهجوم على الواحة، فاختار القائد الفرنسي أن يكون الهجوم على الواحة من موقع الزاوية التي تبعد عن كدية المائدة بمسافة نصف كيلومتر تقريباً، بدأت القوة الفرنسية يوم 07 أكتوبر بعمليات قصف

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 334.

[2] – صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية** ...، ص 51.

[3] – **الجنرال هيربيون إيميل**: من مواليد 1794م شارك كجندي متطوع في الجيش الفرنسي سنة 1813م خلال معركة واترلو، ثم أصبح بعد عودة الملكية ملازم سنة 1820م، ثم نقيباً سنة 1825م، ثم شارك في حرب إسبانيا سنة 1828م ثم استقدمه الجنرال بيجو ليتقلد رتبة مقدم سنة 1841م ثم رتبة عقيد سنة 1846م ثم أصبح قائد مقاطعة قسنطينة، ساهم في احتلال القبائل والأوراس ثم قاد حملته ضد الزعاطشة وكتب مؤلف "مركز الزعاطشة" سنة 1863م، ثم رجع إلى فرنسا حيث رقي إلى جنرال وقاد معركة القرم إلى جانب العثمانيين، ينظر: كمال بيرم، المرجع السابق، تهميش ص97.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 334-335.

لأسوار البساتين، ومحاولة اختراقها بخلق ثغرات بها، ثم حاولت اختراقها بالهجوم على الزاوية، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل بعد تصدي الثوار القوي للهجوم الذي ترك ورائه خمسة وعشرين 25 قتيل وسبعة 07 جرحى، في نفس اليوم أمر القائد هيربيون ابن قانة بتجهيز قومه لمحاصرة الواحة والزاوية من الجنوب، في انتظار وصول القوات الأخرى، كما حاولت قوة فرنسية أخرى منع أنصار الشيخ بوزيان من الاتجاه إلى الواحة بحصار طولقة وليشانة، وكان الصمود الأول للثوار وردهم للهجوم الأول ليوم 07 أكتوبر عاملاً هاماً في رفع معنوياتهم والتحام الأعراش المجاورة بهم، وتوافد الأنصار من الأوراس والواحات المجاورة[1].

أخذ هيربيون وجنوده المرتزقة في انتظار النجدة يتفننون في التخريب فقطعوا جميع أشجار النخيل بطريقة منظمة حتى لا يبقى شيء في طريقهم، كما أمرت السلطات الفرنسية شيخ العرب ابن قانة بأن يجمع شيوخه وقادته لمحاصرة الواحة والزاوية في انتظار لحاق باقي القوات الفرنسية، بينما حاصرت قوات أخرى واحة طولقة حتى لا يتجه منها الأنصار إلى الشيخ بوزيان في الزعاطشة، وكذلك الحال بالنسبة لليشانة وفرفار[2].

استمر حصار واحة الزعاطشة والواحات المجاورة لها طيلة شهر أكتوبر ونوفمبر، وفي 28 أكتوبر استقدم الفرنسيون 5152 جنديا لتنشب بينهم وبين الثوار معارك متعددة في الزعاطشة وفرفار وطولقة، انتهت بمقتل عدد من الضباط والجنود الفرنسيين لأن عدد الثوار في هذه المعارك كان يربو على الستة آلاف رجل بقيادة عدد من الزعماء والشيوخ، وفي 05 نوفمبر حاول ثوار الزعاطشة مهاجمة مركز العدو، واجتمع الشيخ بوزيان برفاقه لدراسة الوضع وتحديد الخطط الجديدة، بعد أن ارتفع عدد القوات الفرنسية المحاصرة للواحة إلى 11000 رجل، ويوم 08 نوفمبر دعمت بقوات إضافية تزيد عن 1000 شخص برئاسة **"كانروبير"**، ثم بقوات خليفة مجانة أحمد المقراني، وخاض الثوار معركة سيدي مغزى يوم 12 نوفمبر واستطاعوا أن يفسدوا للعدو خططه المبنية على الدس والخديعة[3].

---

[1] – كمال بيرم، **توسع الاحتلال والمقاومة الشعبية بالصحراء الشرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية (تقرير مخطوط الضابطان بورال وهيربيون)**، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، ع 1، مارس 2017، ، ص 97.

[2] – يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 61.

[3] – المرجع نفسه، ص 63.

وفي ظل اشتباكات عنيفة ومقاومة باسلة للرجال والنساء، حالت دون تقدم قوات الجنرال هيربيون كتب قائلاً:"**شعرنا بهذه الأحداث البائسة شعوراً عميقاً وأدركنا أهمية التستر من نيران القرية المحاصرة في أسرع وقت ممكن فإن هؤلاء الثوار قد أعطونا دليلاً قاسياً على مهارتهم في القتال**"[1]، كما اعترف الجنرال أن الثوار مكافحون حيويون نشطون وصبورون، وقد نقل عن بعضهم أنه من الحرام أن تطأ أقدام الفرنسيين أرض واحة الزعاطشة كما تحرم مكة على المسحيين[2].

3- المرحلة الثالثة: مرحلة الضعف والانهزام

في ظل هذه الظروف الصعبة التي أصبحت تمر بها الواحة وفشل المناطق المجاورة في تقديم العون، كانت القوات الفرنسية قد استكملت كل الاستعدادات للقيام بالهجوم الكاسح، حيث احتلت واحة بوشقرون وقامت بتخريبها، وذلك لقطع الإمدادات عن واحة الزعاطشة، كما واصلت أعمال حفر الخندق المؤدي إلى القلعة وتصويب المدفعيات نحو أهم مراكز الواحة، وأعطيت الأوامر بإبادة الواحة فبدأ صوت المدافع يصل إلى أسوار المنازل ويحولها إلى ركام، مكن هذا القوات الفرنسية من التوغل فيها على مسافة ستين (60) مترا من الجسر المؤدي إليها[3].

ورغم عنف الهجوم، إلا أن اليأس لم يتمكن من الوصول إلى نفوس الثوار رغم قلة وبساطة عتادهم، بل هاجموا القوات الفرنسية بكل صبر وإيمان فاقتحموا خندق العدو وقتلوا كل حراسه، كما اشتبكوا مع القوات الفرنسية بالأسلحة البيضاء، وتمكنوا من قتل 11 جندي من بينهم الضابط جيورين (Guerin) وجرح 42 من بينهم الضابط "لومباز"، فأسرع الجنرال هيربون إلى تقسيم قواته لثلاث فرق قصد تشديد الخناق أكثر ومنع وصول أي إمدادات إلى الواحة، وقد نجحت فرقة لورباكي في قتل جماعة من الثوار الذين أرسلهم الشيخ بوزيان لطلب النجدة [4].

وابتداء من يوم 17 نوفمبر استكمل الفرنسيون استعداداتهم وعزموا على القيام بهجوم واسع ومركز وحاسم على الواحة، ومنذ يوم 20 نوفمبر شرعوا في قذف جدران القرية بصورة مركزة لإحداث الثغرات

---

[1] - Herbillon, **Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849**, siege de Zaatcha, Paris, 1863, p 25. نقلا عن كمال بيرم

[2] – كمال بيرم، المرجع السابق، ص 97.

[3] – مُحَمَّد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1976، ص 70.

[4] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين ...، ص 67.

التي تساعدهم على الدخول إليها، واهتموا بالتعرف على منزل الشيخ بوزيان زعيم الثورة ومنزل رفيقه بن عزوز، وفي يوم 26 نوفمبر بات سقوط الواحة وشيكا، واستمر الضرب بشكل مهول من الصباح الباكر إلى منتصف النهار، ثم اقتحم الفرنسيون القرية واحتلوها دارا فدار، بشكل مرعب يذكر بأحداث قسنطينة عام 1837 مع الحاج أحمد باي[1].

دافع الشيخ بوزيان وابنه ورفيقه الحاج موسى الدرقاوي[2] (بوعمار) ببسالة إلى أن ألقي القبض عليهم، فجيء بالشيخ بوزيان مكتوف الأيدي، ثم قيل له:"**إنك ستموت، فابتسم ورفع رأسه إلى السماء، وقال إنني مستعد لقد كنتم الأقوياء ولكن الله اكبر**"، وما كاد البطل يلفظ هذه الكلمات حتى سقط قتيلا على الأرض مصابا بأربع رصاصات في رأسه، واحتفظ برأسه ليعرض أمام الناس حتى يكون العقاب مثالا لمن تراوده نفسه على الثورة ضد الغزاة، بل الأبشع من ذلك، وهو قتل ابن بوزيان وهو شاب لا يتجاوز من العمر 16 ومُثِّل برأسه ورأس أبيه أمام الناس وحملت إلى بسكرة وعلقوها على إحدى أبوابها عدة أيام للانتقام والتشفي[3].

فقد الفرنسيون حسب بعض الإحصاءات عشر 10 ضباط وستين 60 جريحا، أما من الجنود فخسروا 165 قتيل و790 جريح، وأما سكان الواحة فقد قتلوا عن آخرهم حتى الرضع، ويصف غفريل الوضع فيقول: "**لقد اشتبك الثوار مع العدو بالسلاح الأبيض وصارعوه جسدا لجسد، كما قامت المرأة بدور فعال عندئذ، أما الكوليرا فكانت تحصد يوميابين 30 و40 شخصا، وأن الجيف كانت تملأ الطرق، وأن الفرنسيين كانوا يعلقون الجرحى المسلمين على النخيل نكاية يهم وتحديا للمقاومين**"[4].

---

[1] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا ...، ص 65.

[2] – **الحاج موسى الدرقاوي**: هو سي موسى بن حسن المصري الملقب بوحمار، ولد بمصر وتربى فيها قام بالعديد من الرحلات أهمها رحلته إلى سوريا والقسطنطينية والجزائر وطرابلس حيث التقى في هذه الأخيرة بسي مُحَمَّد بن حمزة مؤسس الطريقة الشاذلية، الذي أقنعه بإتباعها فانشقت عنها الطريقة الدرقاوية فأصبحت الأولى خاصة بتونس وليبيا والثانية بالجزائر وفي سنة 1829 زار سي موسى مدينة الأغواط وكسب فيها العديد من المريدين وأسس زاوية ببلدة مسعد، وفي 1835 تقابل مع الأمير عبد القادر، كان من المدافعين عن الصحراء من التواجد الفرنسي، يعتبر أحد أقطاب ثورة الزعاطشة. ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص13.

[3] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 290.

[4] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ص ص 335-336.

رابعا: نتائج ثورة الزعاطشة

– استشهاد الشيخ بوزيان وابنه ونائبه الحاج موسى الدرقاوي وحوالي ثلاثمائة 300 شهيد إلى جانب حوالي ألف 1000 شهيد دفنوا تحت الأنقاض وغمروا بالمياه.

– تدمير الواحة عن آخرها بعد قطع حوالي عشرة آلاف نخلة، والاستيلاء على ثروة الساكنة وإزهاق الأرواح والتنكيل بالجثث، فهذه امرأة طريحة عبثوا بقطع حلمة ثديها وهي لا تطلب سوى الإجهاض عليها لتخليصها من العذاب، وهذا طفل حملوه من رجليه ثم ضربوا برأسه الحائط[1].

– الشك في ولاء العائلتين المتعاملتين مع العدو، عائلة بوعكاز بقيادة ابن شنوف الذي كان على أولاد صولة، وعائلة بن قانة بقيادة شيخ العرب مُحَّد الصغير بن قانة ابن أخ بوعزيز بن قانة، رغم أن العائلتين قدمت خيالتها إلى الحملة الفرنسية ضد الزعاطشة، فقام الفرنسيون بتقسيم مناطق نفوذهما إضعافا لهما[2].

– احتلال واحة بوسعادة في مطلع سنة 1850، بعد وقوع ثورة بقيادة الشيخ مُحَّد بن علي بن شبيرة، الذي دعا إلى الجهاد أثناء ثورة الزعاطشة، وأرسل النجدة إلى الشيخ بوزيان وهاجم الحامية الفرنسية منذ 1843.

– حرق واحة "نارة" على يد "كاروبير" الذي ترقى إلى رتبة جنرال على إثرها، بحيث ادعى كانروبير أن أهلها رفضوا دفع الضرائب المفروضة فتقدم منتشيا بانتصاره الدامي على الزعاطشة، فأشعل النار في القرية وقلع وحرق أشجارها ثم هدم دورها، بقيادة ثلاث فيالق عسكرية في 05 جانفي 1850 وقد خسر الفرنسيون حسب إحصاءاتهم ثمانية 08 قتلى من بينهم الضابط "بوكوتو" وحوالي 30 جريحا[3].

استطاع الفرنسيون خلال سنتي 1856-1857 تعزيز مواقعهم بالمنطقة وإرساء قواعد الإدارة الاستعمارية، في حين ضعفت سلطة بن قانة ولم يبق لها سوى طابعها الاقتصادي، فالعديد من القبائل انتزعت من دائرة نفوذها، مثل أولاد نايل الشراقة وأولاد جلال، وبعد وفاة شيخ العرب بقسنطينة في يوم 10 أوت 1864، قام الجنرال ديفو بموافقة الحكومة على إلغاء هذا المنصب الشرفي بسبب الخلافات

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ص 337.

[2] – المرجع نفسه، ص 338.

[3] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 97.

الكبيرة حول هذا المنصب، وتم تعيين سي مُحَمَّد بن بوعزيز بن قانة ولكن بلقب جديد هو "باش اغا الزيبان" الذي كان أداة لينة بيد المستعمر[1].

المبحث الثاني: ثورة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله (1851-1871)

ظهر ثائر آخر بالصحراء عام 1852، وهو الشريف مُحَمَّد بن عبد الله[2]، من عائلة أولاد سيدي الشيخ، والمعروف أن نسبهم يعود لأبي بكر الصديق –ﷺ– ومركزهم زاوية سيدي عبد القادر بن مُحَمَّد الملقب بسيدي الشيخ الأبيض[3]، كما ينسب الشريف مُحَمَّد بن عبد الله إلى بلدة العرينة بمعتمدية نفزاوة في تونس وينتمي للمزاريق، ذهب إلى الحج وعند عودته شرع مباشرة في الاستعداد لكفاح المحتل الفرنسي، في كل من الأغواط وتقرت وورقلة، وبايعه سكانها وانضموا إلى ثورته، وخاضوا عدة معارك[4].

لم يكن للشريف مُحَمَّد بن عبد الله تحصيل علمي كبير، بدليل عدم حصوله على إجازات علمية من جامع الأزهر بمصر أو الزيتونة بتونس أو القرويين بالمغرب الأقصى، وهي المنارات العلمية البارزة في ذلك الوقت[5]، بالإضافة إلى أنه لم يخلف تأليفا أو كتبا في الفقه أو الحديث أو غيرها من العلوم الشرعية أو الوضعية على حد سواء، ولم يؤسس مكتبة أو زاوية أو مركزا علميا، ولم يكن له تلاميذ يأخذون عنه العلم كغيره ممن تتلمذ على يدي الشيخ مُحَمَّد علي السنوسي كأحمد زروق الذي توفي في مسراتة قرب طرابلس

---

[1] – صالح فركوس، المرجع السابق، ص 304.

[2] – **الشريف مُحَمَّد بن عبد الله:** كان مُحَمَّد بن عبد الله مرابطا بسيطا وغامضا من أولاد سيدي أحمد بن يوسف، وهي فرقة من قبيلة الغسول التي تبني خيامها شمال تلمسان، وكان رجلا صالحا تميز بشدة التدين والممارسة الصارمة لتعاليم الدين، درس في زاوية سيدي يعقوب لأولاد سيدي الشيخ ولكن شهرته لم تتجاوز الزاوية، ويقول أبو القاسم سعد الله أن اسمه هو إبراهيم بن أبي فارس عبد العزيز وكان يضاف له كلمة المدني لتوقيعه الرسمي وذلك إشارة إلى المدينة المنورة. ينظر: س. ترومليي، **الفرنسيون في الصحراء "يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: مُحَمَّد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، غرناطة للنشر والتوزيع، 2013، ص 70. وأبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 357.

[3] – **سيدي الشيخ الأبيض 1533-1616**: هو العالم والولي الصالح عبد القادر بن مُحَمَّد بن سلمان بن بوسماحة تعود أصوله إلى أبي بكر الصديق –ﷺ– ولد يقصر العرباوات بين البيض والأبيض سيدي الشيخ وقد دفن بالأبيض التي سميت منذ ذلك الحين بالأبيض سيدي الشيخ نسبة إليه. ينظر: إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء...**، ص ص 210-211.

[4] – يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 101-116.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 352.

الغرب 1893[1]، ولكنه قد حصل على قدر لا بأس به من العلم أهله لأن يكون معلما للقرآن الكريم في زاوية سيدي يعقوب المنتمية لأولاد سيدي الشيخ، مما يدل على أنه كان حافظا للقرآن الكريم[2].

أولا: مُحَمَّد بن عبد الله وموالاته للفرنسيين

كانت العلاقة متوترة بين مولاي الشيخ علي آغا الغسول والأمير عبد القادر سنة 1841 فقرر الخروج عليه، ولإنهاء ارتداده بحث عن تأثير يمكنه أن يواجه به تأثير الأمير، ووجد ضالته في مُحَمَّد بن عبد الله، ومنذ ذلك الوقت جعل كل جهوده لتضخيمه ومنحه الاعتبار الذي كان ينقصه وترك المرتبة الأولى دائما له، وللتقرب من فرنسا اتصل بالعقيد "طامبور" الذي كان يحكم وهران وقتئذٍ وتعجل بالدخول في حملة لدعم حليفه الجديد[3]، وفي 15 ديسمبر 1841 تم اللقاء عند قبيلة بني عامر[4] في نواحي عين تموشنت وبحضور مولاي الشيخ بن علي والجنرال مصطفى بن سماعيل[5]، وشيع مُحَمَّد بن عبد الله مائتا فارس وهم لا يمثلون إلا جزءا قليلا حسبه من **"القَوْمْ"** الذين تركهم في سبعة شيوخ وتم عقد نوع من التحالف الهجومي والدفاعي بين العقيد طامبور ومُحَمَّد بن عبد الله[6].

وفي هذا الصدد يقول س. ترومليي "...وحتى لا نفقد ثمار المهزلة التي تخيلها مولاي الشيخ واصلنا في وصف مُحَمَّد بن عبد الله بالسلطان، وفي انتظار أن يكون سلطانا وحتى نجعله يصبر عيناه خليفة على قبائل الغرب، فمرابط الغسول المسكين لم يتأخر في أخذ نفسه مأخذ الجد وأن يعتبر نفسه فعلا مؤثراً، ولاحظنا كيف صار مع كرامة النعامة أنه يترك الناس يقبلون ركبته أو قطعة من برنسه"[7].

---

[1] – يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من** ...، ص 218.

[2] – يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص 103.

[3] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 70.

[4] – **قبائل بني عامر**: من أقوى القبائل في منطقة وهران تمتلك أراضي واسعة يشتهر رجالها بزراعة الحبوب وتربية جميع أنواع الحيوانات أخلصت للأمير وحاربت الفرنسيين من أبرز زعمائها مُحَمَّد ولد الطامي.ينظر:عائشة بن ساعد، **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص 234.

[5] – **مصطفى بن سماعيل**: قائد وشيخ قبيلة الدواوير والزمالة، ينتسب إلى أولاد ابن عفان من محال أولاد بوبكر كان لخيانته أشد الوقع على مقاومة الأمير عبد القادر، وقد استعد على رأس قوات عظيمة لضرب الأمير مع حاكم تلمسان سي حمادي. ينظر: إتين برونو، **الأمير عبد القادر الجزائري**، تر: ميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1998، ص 199.

[6] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 71.

[7] – المصدر نفسه، ص 71.

أعطيت القيادة العليا فيما بعد للجنرال بيدو[1]، فقام باستدعاء كل قادة الأسلاك والخدمات في الثكنة يريد إعطاء بعض الأبهة لحفل قسم الولاء لفرنسا، الذي كان مطلوبا من الخليفة الجديد أن يدلي به، رفض الخليفة مُحَمَّد بن عبد الله القسم في البداية، ولكن أمام إلحاح الجنرال قام بالقسم وبطريقة غير جدية، حيث وضع أربع أصابع على المصحف بدل وضع يده كلها[2].

تم تنظيم مخزنا مركبا من الكراغلة تحت قيادة مُحَمَّد بن عبد الله واتخذت المجموعة اسم **الميليشيا الأهلية لتلمسان**، إلا أن الخليفة كان يرغب في تضخيم المخزن بعناصر من اختياره حتى يستطيع في أي وقت شاء أن يطرد الفرنسيين من تلمسان ومن البلاد كلها، إلا أن الذين قام بإغوائهم خانوه واخبروا الفرنسيين بكل شيء وأصبح تحت مراقبتهم، كان مُحَمَّد بن عبد الله يعتقد بأنه مدعو لأن يكون له دورا كبيرا في البلاد وكان يقول للعرب **"أن الله هو الذي بعثني هنا لأكون واسطة بينكم وبين المسيحيين، اعملوا ولا تبتعدوا أبدا عن سبيل الله لم أقم بالتحالف مع الفرنسيين إلا طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وضعني في الحلم فوق فرس، وهو علامة القيادة، اصبروا فاليوم قريب"**[3].

ثانيا: مراحل مقاومة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله

1- مرحلة الإعداد والتحضير:

كانت ورقلة في هذه الفترة التاريخية محط أطماع الباحثين عن الحكم، خاصة مشيخة آل بابية التي استفادت من الأوضاع السائدة في المنطقة، ووقعت تحالفات جديدة، كانت تسعى من خلالها إلى السيطرة على حوض ورقلة، إلا أن مجموعة من العقلاء بقصر ورقلة عملت على الابتعاد عن هذه التحالفات السياسية مع المستعمر الفرنسي وحلفائه الجدد في المنطقة، وتحالفت مع زعماء المقاومة

[1] **- بيدو (Marie Alphons Bedeau):** جنرال فرنسي ولد في فيرتو (Vertou) سنة 1804، قاد العديد من الحملات في منطقة تلمسان وشرشال اوالمدية وملیانة، شغل منصب الحاكم العام لمدة من الزمن، وتوفي سنة 1863. ينظر: بسام العسيلي، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، بيروت، ط خ، 2010، ص 141.

[2] - س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 73- 75.

[3] - المصدر نفسه، ص ص 73- 75.

الشعبية الذين وجدوا في ورقلة مستقراً ضد الاستعمار الفرنسي، بحكم البعد الجغرافي وسهولة الحركة وقبرها من ليبيا وتونس والجنوب الكبير[1].

وبعد وفاة الحاج بن بابية ظن الورقليون أنهم تحرروا وتخلصوا من سيفه، إلا أن هذا الفرح لم يدم طويلا، حيث عين ابنه الأكبر الشيخ بوحفص لخلافته، وفهم الورقليون أنه عليهم أن يتحضروا من جديد للكفاح ولن يكون هذا إلا بتوحيد الأحياء الثلاثة تحت قائد واحد، واتجهت أنظارهم إلى مُحَمَّد بن عبد الله الذي كان يعيش منعزلا ومشهورا بالتقوى، وفي منتصف شهر أوت 1851 جاء وفد من الأحياء ومن القصور المجاورة والبدو لمنح السلطة لمحمد بن عبد الله، الذي كان في الصلاة عند وصولهم، وبالفعل تم ذلك وأصبح مُحَمَّد بن عبد الله سلطان ورقلة، وترك المنزل المتواضع لصاحبه وذهب ليسكن القصبة"[2].

كما استطاع مُحَمَّد بن عبد الله أن يكسب تأييد شيوخ بعض القبائل الصحراوية، مثل شيخ قبيلة الأرباع بن ناصر بن شهرة، وسي النعيمي من أولاد سيدي الشيخ، كما استطاع استمالة قبيلة سعيد عتبة والمخادمة والشعانبة[3] وبني ثور[4]، وانضم سكان ورقلة بدواً وحضراً إلى مقاومة الشريف بن عبد الله، وتحالفت المشائخ الدينية من الزوايا والعزابة والمشائخ السياسية، مثل آل علاهم بورقلة وآل بابية الرافضين الخضوع للمستعمر[5].

---

[1] – الأزهاري عباز، **نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603–1884**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2014/2013، ص 58.

[2] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص84_87.

[3] – **الشعانبة أو الشعامبة:** مفردها شعانبي وهم يشكلون قبيلة كبيرة يشغلون المنطقة الصحراوية الكبيرة من ورقلة والمنيعة ومتليلي، يتفرعون إلى أربع أقسام، قسمين هما شعانبة المخادمة وشعانبة الرياح، وهم موجودين بورقلة، وشعانبة موهادي شرق المنيعة، والرابعة هم شعانبة برازقا بمتليلي، وقد تعرف صولييه أثناء إقامته بالأغواط وبني مزاب بشخصيات مهمة من هذه القبيلة التي تملك الطريق التجاري من الجزائر إلى تيدكلت، وقبائل الشعامبة هم رحل، ولديهم قطعان كثيرة ولا يبتعدون كثيرا عن المدن التي يتواجدون بها، وهم يرتحلون مرتين في السنة للتخييم حول الواحات الأولى عند زج صوف الأغنام، والثانية عند قطاف التمر. ينظر:

Paul Soleillet, Op-Cit, pp 85-87.

[4] – **بني ثور:** إحدى قبائل المخادمة كان مجال تنقلها جنوب شرق ورقلة في اتجاه قاسي الطويل وغدامس. ينظر: عبد الحميد زوزو، **الوضع في منطقة ورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي**، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، مج 16، 2011، ص 110.

[5] – الأزهاري عباز، المرجع السابق، ص 58.

2- مرحلة التوسع والقوة:

لعل أول ما قام به مُحَّد الشريف بن عبد الله هو استعماله لسلطته في الغزو دون شفقة لتقرت التي عانت تحت رعاية حكم أسرة بن جلاب[1]، حيث دخل إلى ورقلة وهو يحمل الغنائم، وبعد هذا قام أهل متليلي بإرسال قادة له (وهو حصان يقوده رجل في الأمام وهو رمز الاستسلام والتبعية في إفريقيا)، وهذا النجاح أخاف الشيخ بوحفص ودفع به للفرار إلى الشمال، حيث وصل إلى تيهرت يوم 12 ديسمبر 1851، وأكد للفرنسيين خبر الغزوة الأولى للسلطان على أولاد مولات[2].

وبعد التفوق الذي حازه على أهل تقرت بفضل التفوق العددي لجنوده، لم يعد سلطان ورقلة يشك في أي شيء، وفي ديسمبر 1851 وقبل أن يذهب إلى حملة جديدة وليكون متأكدا أنه لم يترك وراءه أي عنصر عداوة قبض على عائلة الشيخ نقوسة، وبعد زمن قليل ألقي القبض على بوحفص نفسه وعلى أخويه وأرسلوا إلى الرويسات، وهو قصر صغير يبعد عن ورقلة بأربع كيلومترات وبما أن محاولته نحو الشمال لم يكن النجاح الذي وعد به نفسه، غار الشريف لدى مروره وبصفة تعويضية أحد دواوير أولاد ساعد بن سالم من قبيلة أولاد نايل، ثم اتجه إلى بريان وهو قصر من ميزاب[3].

رجع الشريف بن عبد الله إلى ورقلة وعين الشيخ الطيب بن بابية رئيسا لنقوسة عوضا عن أخيه بوحفص، الذي رفض الاعتراف به، وحسب ما أورده ترومللي فإن الشريف مُحَّد بن عبد الله كان يدعي بأنه سحر القائد المسيحي لتيهرت بحيث لا يستطيع لا هو ولا قومه الخروج من المكان الذي هم فيه لأنهم مربوطون بأربطة خفية[4].

---

[1] – **بني جلاب**: أسسوا سلطتهم بمدينة تقرت في القرن العاشر أواخر العهد الزياني واستولوا على وادي ريغ، اتسعت تقرت واشتهرت على عهد بني جلاب فأقيمت بها القصور والجوامع التي أسسها بعض المهندسين التونسيين. ينظر: عثمان كعاك، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 301.

[2] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 92.

[3] – **وادي ميزاب**: وهي عبارة عن كونفديرالية مكونة من سبعة قصور تقع في أربع واحات، تقع على بعد 600 كلم جنوب الجزائر تحدها الأغواط من الشمال ومتليلي من الجنوب، أولى واحاتها من الشمال هي بريان التي تبعد عنها بحوالي 40 كلم، موقعها الفلكي حدد سنة 1850 من طرف م.رونو (M.Renou) يوجد بها حوالي 4 إلى 5 آلاف ساكن تنتج أحسن أنواع التمور في كل ميزاب، وهي مقسمة على أربع قصور يبعد كل قصر عن الآخر بـ 4 إلى 6 كلم، وهي تشكل مربع ومبنية فوق رابية، وهذه القصور هي غارداية، بن يزقن، بونورة، مليكة، العطف، القرارة وبريان ينظر: Paul soleillet, Op-cit, p 69.

[4] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 95- 97.

وقد صعد السلطان إلى الشمال في فيفري 1852 ليبحث عن الحظ، والتقى بحلف الآغا سيدي الشريف من أولاد نايل وهو أحد أولاد "**الدين**" خليفة الأغواط بجبل العمور، طرد على إثرها إلى الجنوب فاستحى أن يعود فارغ الوضاب، فقاد هجوما على ميزاب وتحصل فيها على بعض الغنائم وخسر فيها خليفته الذي أصيب فيها برصاصة قاتلة، وفي شهر مارس حاول التسلل مجددا إلى الشمال، ولكن تواجد مفرزة فرنسية في نواحي الأغواط[1] جعلت مشاريعه تتبخر، فارتمى إلى الغرب لغزو أولاد يعقوب الزرارة الذين باغتهم وهم على وادي زرقون[2].

وعندما رأى الشريف أنه لا يستطيع شيئا جنوب مدينة الجزائر، ارتمى على الزيبان على أمل أن يستقر في واحات هذا الجزء من مقاطعة قسنطينة وبما أنه كان عاجزا أمام جدران تقرت، رأى بأنه من المفيد لسياسته أن يجعل من شيخ هذا القصر حليفا له وادخله في المصالحة. وفي يوم 22 ماي 1852 ظهر مُحَمَّد بن عبد الله ومعه 600 فارس و2500 من المشاة على الجمال أمام متليلي وهو قصر صغير يقع على بعد ست 06 فراسخ جنوب بسكرة، وقام الرائد **كولينيو** بمفاجأته وانتصر عليه وقتل له 150 رجلا ورمى به في الجنوب واختل نظام السلطان وفر إلى ورقلة، كان هذا أول احتكاك بين الشريف بن عبد الله والقوات الفرنسية ما دفع به إلى إعادة التفكير في إخراج الفرنسيين من التل[3].

كان لابد للشريف مُحَمَّد بن عبد الله من أخذ الثأر ليرفع من معنويات أنصاره، وليحافظ على أولويته، وأصبح لا يفكر إلا في انتزاع الأغواط من أولاد الخليفة أحمد بن سالم لذا نصب خيامه في قصر الحيران، والتجأ إليه يحي بن مُحَمَّد واقترح عليه الاستيلاء على الموقع بتظافر الوسائل التي كانت بحوزة الشريف بن عبد الله مع مجهودات الأنصار المنتمين إلى يحي في المدينة، قبل الشريف بسرعة هذا الاقتراح الذي وفره له أخ الخليفة أحمد بن سالم، وجاء يوم سبتمبر 1852 إلى غاية أسوار الأغواط، ولكن تحرك الجنرال يوسف قلب كل مشاريع يحي بن مُحَمَّد وسلطان ورقلة، الذي تحتم عليه مرة أخرى الرجوع إلى الجنوب، وعند وصوله إلى مقروبة من القرارة استطاع مُحَمَّد بن عبد الله أن يجمع ما بين 1200 إلى 1500 فارس من الأرباع وأولاد نايل المتمردين، وبخطى سريعة ذهب في أكتوبر 1852 إلى جبل العمور وانقض

[1] – **الأغواط**: وهي جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين، ويرى ابن خلدون أنهم فخذ من قبيلة مغراوة في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصور مشهورة بهم، لهذا يطلق على سكان هذه المنطقة ببني الأغواط، إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء ...، ص43.

[2] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 97.

[3] – المصدر نفسه، ص 98.

على الآغا جلول، آغا قبيلة العجلات مثل العقاب وغزاها وعاد من جديد إلى الجنوب وهو يحمل غنيمته[1].

فاجأ الجنرال يوسف في 04 أكتوبر 1852 الشريف بن عبد الله عند أطراف **"عين الرق"** في منطقة غدير وادي مزي، فقتل له 200 رجل، وأخذ منه 2000 جمل و20 ألف رأس غنم[2]، وكي ينجو الشريف من مطاردة الفرنسيين لجأ إلى الأغواط، أين تم استقباله بحماس من قبل السكان اللذين انهوا تواطؤهم مع الفرنسيين وطردوا أولاد سالم من المدينة[3].

تقدم الجنرال يوسف أمام المدينة وطلب الدخول، لكن السكان استقبلوه بإطلاق النار، وقام الجنرال بالرد على هذا وقتل منهم ما يقرب مائة 100 ولكن الضعف العددي لمفرزته لم يسمح له بالاستيلاء على المدينة، فقام قائد مقاطعة المدية بالاستنجاد بالجنرال بيليسيه الذي انتقل من البيض يوم27 نوفمبر 1852 على رأس 08 كتائب و08 سرايا من الخيالة ومدفعيته وصل يوم 02 ديسمبر إلى أسوار الأغواط وأخذ قيادة كل القوات المتجمعة حول القصر[4].

وفي يوم 03 ديسمبر من نفس السنة قام بعملية استطلاع حول أسوار المدينة، وفي يوم 04 ديسمبر تعرض الجنرال بوسكران إلى نيران المحاصرين وهو قرب الجنرال بيليسيه[5]، فأصيب برصاصة كسرت عظم فخذه فوق الركبة وبعد خمسة عشر 15 يوم تم بتر الرجل ما أدى إلى وفاته، قامت المدافع

---

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 99- 100.

[2] – هنا يورد ترومللي بأن الجنرال يوسف هزم الشريف مُحَمَّد بن عبد الله وقتل حوالي 200 شخص من رجاله وغنم منهم 2000 جمل و20 ألف رأس غنم، في حين يحي بوعزيز يقول العكس أي أن الشريف مُحَمَّد بن عبد الله هو الذي انتصر وغنم من الفرنسيين، والصحيح هو أن الفرنسيين هم الذين غنموا لأنه من المستحيل أن يأتوا بـ 2000 جمل و20 ألف رأس غنم نحو الجنوب وهم في حالة حرب. ينظر: يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص 107.

[3] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 101.

[4] – المصدر نفسه، ص 102.

[5] – **بيليسي (Pelissier Aimable Jean Jaques)**: هو من مواليد Maromme قرب Rouen في 16 نوفمبر 1794، تخرج من مدرسة سانت سير في 1815 برتبة ضابط في فرقة المقاتلين في بيت الملك، ثم بعد 100 يوم أصبح ضمن الفرقة 57 وشارك في عدة حروب بإسبانيا سنة 1823 وفي 1828، عين قائد الأركان بوهران في 2 فيفري 1839 ثم نائب قائد الأركان العامة بالجزائر، ثم عين حاكما عاما للجزائر سنة 1860، توفي سنة 1869. ينظر: فاطمة حباش، **المكاتب العربية ودرها في المد الاستعماري** ...، تهميش ص 31.

بفتح فجوات في أسوار المدينة وتم الاقتحام على إثرها وقتل حوالي 12 ألف في هذه المعركة التي أفزعت نتائجها الصحراء، أما الشريف بن عبد الله فقد استطاع أن يفر من المدينة[1].

وبعد هذه الهزيمة، لم تعد شؤون شريف ورقلة لديها صدى، وبدأ أنصاره يشكون فيه، والقبائل التي خضعت له بدأت تشعر بخطر الفرنسيين يحوم حولها، فقزموا أنفسهم وتجنبوا الحديث عن الجنود الذين رافقوا الشريف في معارك الأغواط، وبعد مدة علم الشريف من جواسيسه تراجع الفرنسيين عن بعض المناطق، فانتقل بسرعة إلى الشمال ووصل إلى غاية عقلة المنيعة[2]، دون أن يثير الانتباه وانقض مثل البرق على أولاد سيدي طيفور بجبل العمور، الذين جردهم من خمس قطعان من الغنم وأربعين بعيرا وخمسين ثوراً[3].

انسحب الشريف بعد هذه الغارة إلى تاجرونة التي استقبلته ببنادقها، وهو مارا على شرق الأغواط غار على فرقة من أولاد نايل وأخذ لهم 12 قطيعاً من الغنم[4] دون أن يسأل إن كانوا أصدقاءه أو أعداءه[5]، وعندما علم الفرنسيون بهذه الأعمال خرج جيريفيل مع مائة 100 قناص أهلي وخمسين 50 رجلاً من الكتيبة الأولى الخفيفة للمشاة الأفارقة على الجمال وذهب إلى سيدي طيفور، والآغا جلول من جبل العمور توجه نحو الخنق[6] على رأس 500 فارس من "القوم" لملقاة الشريف بن عبد الله، ولكنه لم يلقه فرجع على خطاه، ولتفادي الرجوع لمثل هذه المفاجآت أحدثت مراكز للحراسة ووضعت محطات على قمم جبل العمور لإشعال النيران وإخبار القبائل بقدوم العدو، وتجنيد الآغا جلول وإلزامه بحراسة إقليمه جيداً[7].

---

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 102- 103.

[2] – **عقلة**: هي مجموعة آبار في الصحراء، ويسمى كذلك عقلة الفضاء الذي نجد فيه الماء بالتأكيد في أي نقطة تزيح الرمل عنها وذلك على عمق صغير، فعقلة المنيعة تنتمي إلى هذا النوع الأخير.

[3] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 104- 105.

[4] – قطيع الغنم يتألف من 400 رأس ويسمى بالعربية غنم أو عصا ويفهم من عصا عدد الأغنام التي تعطي لرعاية راعٍ.

[5] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 106.

[6] – **الخنق**: خنق واختناق وهو تقارب لضفتين من سيل جارف لنهر يغلق ممرا ضيقا، وخنق الملح سمي هكذا لوجود صخرة من الملح على الضفة اليمنى لهذا الوادي.

[7] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 106.

3- مرحلة التراجع والضعف:

إن الخرجات المتكررة لمحمد الشريف بن عبد الله قد أثارت حفيظة الفرنسيين وقرروا وضع حد لغاراته المتواصلة بقيادة الوالي العام الجديد راندون[1] (Randon) 1852-1853 والقيام بهجوم كبير على واحات أقصى الصحراء بجنود من المقاطعات الثلاث تتبعهم مفرزات متحركة من شأنها حمايتهم في حالة الهزيمة، واتخاذ مجموعة من الإجراءات للحد من نشاط لمقاومة، وهي كالتالي:

- ضرورة التحكم في الصحراء باعتبارها مصدر القلاقل والاضطرابات.
- العمل على ربط علاقات تجارية مع إفريقيا الغربية ومنافسة السلع الإنجليزية التي تصل إلى غينيا والمغرب وليبيا ومصر، وكذا احتكار المغرب وليبيا للتجارة مع السودان.
- دعم الشيوخ والباشاغاوات والطرق الصوفية مالياً ومادياً ومعنوياً لمحاربة الفكر الجهادي الذي تنشره الحركة السنوسية، وعلى رأسها الشيخ الإمام السنوسي الذي كان الداعم الأكبر لجهاد الشريف مُحَّد بن عبد الله[2].

استطاع العقيد دوريو إقناع الجنرال راندون بتوجيه حملة للقضاء على الشريف بن عبد الله وإسناد قيادتها إلى سيدي حمزة، الذي بدأ بتنفيذ المخطط بدون تأجيل إلى جانب قائد حصن جيريفيل، وبداية من شهر نوفمبر 1853 بدأ جنود دائرة معسكر، وتيهرت، وفرسان قبائل أغواط الكسل، والقصور والأرباع، والشلالة، والغسول، وبريزينة للاجتماع في جيريفيل، وانتظار الخليفة سيدي حمزة لقيادة هذا الجيش الذي بلغ ألف فارس وألف من المشاة، إلا أن سيدي حمزة كان مترددا في قيادة هذه الحملة وغير متأكد من نجاحها، ولكن المقدم م. دو. سي[3] استطاع إقناعه بانتصاره على الشريف وأنه سيرجع مجددا مجددا حاملا الغنائم[4].

---

[1] – **راندون:** ولد بقرونبيل Grenoble في 25 مارس 1795، قاد عدة حملات عسكرية ضد القبائل الثائرة في كل من منطقة القبائل والأغواط، عين حاكما على الجزائر سنة 1852 على إثر سقوط الجمهورية الثانية. ينظر: حباش فاطمة، المرجع السابق، تهميش ص 89.

[2] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 100.

[3] – **م. دو. سي:** هو ضابط وكاتب فرنسي يمتلك موهبة كبيرة على الإقناع وقول الأمور ببساطة كان يرافق الخليفة سي حمزة لإقناعه بالمخططات الفرنسية ومكلفا بتسييره وتدجينه وحراسته وترقيع العلاقة مع عائلته ومع ابنه بوبكر. ينظر: س. ترومليي، المصدر السابق، ص 130.

[4] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص ص 131-134.

وطبقا لهذه الخطة، تم احتلال الأغواط بقيادة الجنرال بيليسيه في 02 ديسمبر 1952 وعوقب السكان ونكل بهم وأباحوا البلاد للجنود فعاثوا فيها سلبا ونهبا، وبعد احتلال الأغواط سارعت فرنسا إلى مطالبة بني ميزاب بتوضيح موقفهم من السلطة الفرنسية، خاصة وأنها كانت تعلم بأن أسواق ميزاب كانت مصدر تمويل الثوار، ولهذا بعث الوالي العام برسالة إلى جماعة بني ميزاب يوم 24 أكتوبر 1852 لعقد معاهدة تضمن اعتراف السكان بالسلطة الفرنسية، وانطلق وفد ممثل للقرى والعشائر المزابية ووقع معاهدة مع الكومندان ديباري (Dibari) يوم 22 أفريل 1853 تضمنت الاعتراف بالسلطة الفرنسية وحقها في بسط حمايتها على الميزابيين مقابل دفع لازمة سنوية، وتتعهد فرنسا بضمان حريتهم التجارية وبقاء عوائدهم وأعرافهم وشؤونهم الدينية والقضائية بأيديهم[1].

وصل سي حمزة إلى بريزينة يوم 05 نوفمبر 1853، ثم وادي زقار، وفي 09 نوفمبر خرج منها متوجها إلى متليلي، حيث دخلها بدون مشاكل تذكر وبدون مقاومة أنصار شريف، بل صرخوا له بكل قوة: **"مرحبا بك بيننا"** واستطاع سي حمزة أن يفصل قبيلة قوية عن قضية الشريف، كما قام بتجاهل تهديدات الشريف الذي كتب له "**تخلى عن مشروعك يا حمزة المارق وإلا فانك ستموت ملعونا بالهرب أمامي"**، وبقي في متليلي ثمانية عشر 18 يوما لدراسة الأوضاع بها[2].

وعندما أحس سلطان ورقلة باقتراب العدو بدأ يتحرك ويجوب الدواوير والقصور قائما بنداء أسمى للمسلمين وهو يحاول أن يلهب شجاعة ذوي الأكباد وإثارة حماس الفاترين بوعود قابلة للانجاز في هذه الدنيا وفي الآخرة، لاحظ الشريف أن الفراغ بدأ من حواليه وأنه لم يعد يشك بأن الشعانبة بوروبة والمخادمة وأولاد سعيد سيتخلون عنه[3].

استطاع الشريف مُحَمَّد بن عبد الله بجهد كبير أن يجمع أربعة آلاف رجل تقريبا تحت إمرته وعلى سبيل الاحتياط، قام بإرسال الأمتعة نحو الجنوب التي لا يمكن لقصبة الرويسات حمايتها بفعالية بعد أن طلق النساء اللائي تزوجهن في البلاد وهو يريد جعلهن في مأمن بإرسالهن في اتجاه أمتعته مع الإبل وقطعان القبائل، وتم إخبار سيدي حمزة بهذه الهجرة من قبل جواسيسه، فقرر أن يخفف من مؤنه التي يتركها في نقوسة تحت حراسة 600 من المشاة وأن يلحق بسرعة بقطعان وأمتعة الشريف.

[1] – الحاج سعيد يوسف، **تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين**، المطبعة العربية ، غرداية، ص98 .

[2] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 136-137.

[3] – المصدر نفسه، ص 139.

بينما كان سيدي حمزة يقوم بهذه الحركة أخذ مُحَّد بن عبد الله تدابيره ليفاجئ خصمه الذي ما زال يظن أنه في نقوسة، فانطلق على العاشرة مساءا إلى شجرة وهم يزحفون مثل الثعابين إلى غاية الحدود الداخلية التي تغطي القصر شرقا [1]، وعلى مسافة 100 متر من التحصينات وأمام مؤونة العدو غير المحروسة وفي ظل عدم وجود أي سلاح يلمع أو برنس أبيض أعطى الشريف إشارته لبدأ الهجوم، فهبوا رجاله كلهم بتهور نحو التحصين الذي كان ارتفاعه على (1.30 م)، ولكن فجأة قام 200 نقوسي كانوا نائمين على بطونهم، وهم يصيحون وبدأو في إطلاق النار على رجاله، ومن وسط الغرائر[2] حيث كانوا مختفين بمهارة خرجت حشود من المدافعين وهم يطلقون النار عليهم، فانسحب رجال الشريف باتجاه حدائق النخيل مواصلين إطلاق النار على النقوسيين المحتمين بأسوارهم ولكن بدون نتيجة[3].

إن الإجراءات التي اتخذها الشريف كانت منظمة بدقة، وكانت له حظوظ كبيرة للنجاح لكن امرأة كبيرة من أقارب سيدي حمزة استطاعت أن تهرب من ورقلة وأن تحذر أهل نقوسة من مشاريعه، وبعد أن توقفت البنادق من إطلاق النار وانتهى البارود، ظهر اضطراب في صفوف الشريف، وبعد مدة فهم رجاله أنهم لم يواجهوا إلا عددا قليلا من مشاة سيدي حمزة بينما أغلب رجاله يهددون عائلتهم وأموالهم، فدبَّ الذعر بينهم ولم تنجح دعوات بن عبد الله وتوسلاته لتهدئتهم وتوحيدهم، وتوجه أهل ورقلة إلى مدينتهم للدفاع عنها، وأولاد سعيد عتبة[4] والشعانبة بوروبة والمخادمة ذهبوا إلى مخيماتهم حول القصر بينما الأرباع وأولاد نايل والحرازلة فإنهم حملوا الشريف إلى الجنوب معهم نحو قطعانهم ودواويرهم المهددة[5].

وسيدي حمزة دون أن ينشغل بما يجري خلفه تبع بثبات آثار الهجرة لفترة طويلة، التقى بعدها بفرسان أولاد زياد والشريف بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة، لكنه لم يهاجمهم خوفا من الأضرار التي تنجم عن معركة الليل واكتفى بمراقبة الشريف ومتابعت خطواته ومناوشته بدون انقطاع إلى غاية الفجر

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 140.

[2] – **الغرائر**: وهي أكياس من الصوف وشعر الماعز.

[3] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 141.

[4] – **سعيد عتبة**: ظهرت هذه القبيلة في القرن 13م، وخلال العهد العثماني تفرعت إلى فرعين الأول يضم أولاد مولود بنواحي تقرت، أما الثاني فيضم عشيرة سعيد عمر بتماسين والحجيرة والمخادمة المنتشرة بين ورقلة والرويسات. ينظر: عبد الحميد زوزو، **الوضع في منطقة ورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي**، ص 102.

[5] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 141-143.

أما الشريف بن عبد الله فكان يدفع مشاته بنشاط ليصلوا إلى كثبتين عظيمتين تسمى بوسروال[1] قد أبرزهما عن بعد نور ضئيل من الليل في الاتجاه الذي كان يتبعه وتعجل في انتهاز الوقت الذي بقي له قبل طلوع الفجر لينظم جنوده[2].

وحول هذه المعركة يقول ترومليي: **"سنرى على ميدان هذه المعركة وقائع حرب غريبة لا تمنح لنّا حروبنا الأوربية نموذجا منها، كفاح قاس في وسط الصحراء، لا شاهد فيها إلا الله والشيطان، فريقان تائهان في شساعة الصحراء يجب أن يصطدما، مسلم ضد مسلم وهذا لصالح فرنسا، التي بواسطة سيدي حمزة سيعطي مقدار قوة ذراعها لهؤلاء السكان الذين لا يعرفونها إلا بالاسم تقريبا"**[3].

أمر سيدي حمزة "القّوْم" بمناوشة العدو وإقلاقه من أسفل الكثبان، بحيث يجعلونه يعتقد بأن ذلك هجوما جديا وجعلهم يستهلكون ذخيرتهم، ومع طلوع النهار انطلق سيدي حمزة على رأس مشاته لتسلق كثيب رملي مثل الزوبعة، ترك مشاة الشريف أهل ستيتن[4] يصلون دون إعطاء أي إشارة وحتى تنهك صعوبات الصعود حماس المهاجمين وأن يكونوا متوغلين في الرمال، ثم فجأة استضاءت قمة الكثيب بتاج من النيران وأصبح الرمل يشرب الدم بشراهة وامتلأ الكثيب بالجثث وضعفت مشاة سيدي حمزة بسبب الصعوبات[5].

حاول مشاة الخليفة مجهودا كبيرا مرة أخرى، ولكن هجومهم كان مرتخيا فتقهقروا وأداروا ظهورهم وانسحبوا في فوضى يبحثون عن ملجأ وراء الفرسان، حاول الخليفة أن يحضرهم ويشجعهم على العودة للقتال واتبعه قريبه سي قدور ليغطيه، وانطلق المشاة بعد تحريضهم في الهجوم دون أي كلام ودون إطلاق أي رصاصة واستطاعوا الصعود إلى أعلى الكثب رغم نيران المحاصرين وسيدي حمزة على رأسهم وصار القتال بينهما بأخمص البنادق وبالسيوف[6].

---

[1] – **بوسروال:** منطقة رملية تقع شمال غرب مدينة ورقلة على بعد 70 كلم. ينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 100.

[2] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 144.

[3] – المصدر نفسه، ص 146.

[4] – **ستيتن أو استيتن:** هي مدينة تقع بولاية البيض لا يعرف أصل تسميتها مثل كثير من المناطق أو المدن الجزائرية والراجح أن التسمية بربرية قديمة وهي أرض الحجارة نظرا لموقعها أسفل جبلين، وسكانها لم يطلق عليهم كلمة "عرش" إلا خلال فترة المستعمر الفرنسي وتحديد الفروع الحالة المدنية وتبني الألقاب سنة 1939 وتم ضبط 08 فروع : بني زروال، هوارين، نكاكعة نخاختة، مناصير، مهيدات، أولاد احمد، شنايف.

[5] – س. ترومليي، المصدر السابق، ص 147.

[6] – لمصدر نفسه، ص 148.

تم التعرف على سيدي حمزة من الحاج الطيب من بني مايدة، الذي بعد أن أفرغ عليه سلاحه مباشرة شده من برنسه وحاول إسقاطه فتخلص منه الخليفة بتفجير رأسه بمسدسه، وفي نفس الوقت تلقى ضربة عصا كسرت له السنتين القاطعتين من الفك العلوي، وبقي على حصانه وهو يعجن الجثث باستمرار، جاءت رصاصة لتكسر قدم حصانه فتكور مع فارسه في وحل من الدم والرمل، وقام أهل ستيتن بإنقاذ سيدي حمزة بعد أن تكسرت بندقيته وثقب برنسه، وبعد مدة من الثبات انسحب أنصار الشريف بعد أن أنهكهم التعب وأرهقهم الضرب[1].

كان اللقاء قاسيا وفتاكا وكانت الخسائر ملموسة من كل جانب، فقدْ فقَدَ كل من أهل ستيتن وبريزينة وقوم أولاد زياد والرزيقات والدراقة أشجع فرسانهم ومغاويرهم، أما الشريف فقدْ فقَدَ أحد رجاله المتميزين الحاج الطيب الذي قتله سيدي حمزة، وأحد قادته الأكثر تأثيراً بن ناصر بن شهرة الذي كان مردوما تحت جثث أهله بعد أن ثقب فخذه برصاصتين، بدأ سيدي حمزة يتهيأ للقتال مرة أخرى وهو يبحث عن حل لتجميع جنوده مرة ثانية ولكنه لم ينجح، وبعد جهد جهيد استطاع أن يشكل جنوده، وعند إعطاء إشارة معاودة القتال وإذ بثمانية رجال على الأقدام يتقدمون نحوه وهم يقودون حصان الاستسلام وهم يصيحون: "**باسم الله وباسم العدالة يا سيدي حمزة نطلب منك الأمان، نحن نطلب أن نأتي تحت رايتك وتحت راية فرنسا**"[2].

وافق سيدي حمزة على إعطائهم الأمان بشرط أن يأتوا بعد عشرة أيام مع عائلاتهم وقطعانهم ليخيموا جوار نقوسة ليخضعوا لكل ما تفرضه عليهم السلطات الفرنسية، ورافق رجل من المقربين الوفد إلى غاية معسكرهم للتأكد من قبول بن الناصر بن شهرة المجروح على الشروط المفروضة، باختصار فان استسلام الشريف كان حدثا سعيدا لأن موقعه كان يسمح له بمواصلة القتال لفترة معينة، خاصة وأن المهاجمين كان عليهم الانسحاب إلى نقوسة بعد فقدانهم للماء إلا أن هذا لم يحدث[3].

انطلق سيدي حمزة إلى نقوسة وهو يحمل موتاه، وعندما وصل إلى غاية البكرات على ثلاث فراسخ جنوب ورقلة رأى جمهورا كثيرا يتقدم في اتجاهه وهم المخادمة، وأولاد السعيد عطية، والشعانبة الذين حملوا له أحصنة الاستسلام، وتدافعت الحشود أمام الخليفة من أجل تقبيل ركابه أو ركبتة وهم

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 149.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 150-151.

[3] – المصدر نفسه، ص 152.

يصيحون بكل قوة **"الله يرفعك نحن خاضعون ونحتمي تحت رايتك"**. أما عن الشريف فقد أكد البعض أنه هرب بعد المعركة وقد تبعه في ذلك فارسان أو ثلاثة فقط متجها ناحية نفطة بتونس، ولكن الأكيد هو أن سيدي حمزة قد ترك الشريف يفر، لأن أحد حفدة سيدي الشيخ والوارث لسلطته الدينية لا يستطيع بكل إدراك أن يلقي القبض على مرابط ويسلمه للفرنسيين دون أن يتعرض للوم الردة الذي رماه على وجهه[1].

انتهت سلطنة ورقلة على يد حمزة بن بوبكر، ودخلت تحت النفوذ الفرنسي بتاريخ 27 جانفي 1854، وقد توافق مع دخول الكولونيل دوريان (Durrien) إلى المنطقة لتسلمها من سي حمزة بن بوبكر إيذانا بخضوعها للفرنسيين، والتزام السكان بدفع ضريبة سنوية قدرت بـ 2000 فرنك، وبموجب هذا الانتصار عين سي حمزة خليفة على الصحراء الكبرى من البيض إلى ورقلة، وعين أخوه سي الزبير آغا على ورقلة[2].

استطاع الشريف بن عبد الله في شهر سبتمبر 1854 أن يجمع قَوْماً من مائة حصان وخمسة أو ستمائة من المشاة المسلحين، ومعهم شيخ تقرت سلمان بن عايل بن جلاب حليفه الجديد، فأرسله إلى كونفدرالية ورقلة التي استقبلته، ولكن عند الإعلان عن اقتراب وصول آغا الفرنسيين السيد **الزوبير** قرر الشريف الذهاب إلى وادي ريغ، وعندما انهزم سلمان ومُحَمَّد بن عبد الله في مقرين من طرف مفرزة فرنسية في الأيام الأخيرة من نوفمبر فرا إلى تونس، واستطاعت القوات الفرنسية الدخول إلى تقرت في 02 ديسمبر 1854، وعينت علي بن فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز حاكما على تقرت وسوف[3].

أما الشريف فقد بقي في تونس إلى غاية 1858 حيث كان تحت الإقامة الجبرية ثم أفلت من الحراسة وتوجه إلى توات[4] أين استطاع جمع بعض المئات من المتطوعين الذين دخل بهم نواحي الأغواط

---

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص ص 153-154.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 176.

[3] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 46.

[4] **– توات**: اختلف المؤرخون حول أصل تسمية "توات" فحسب عبد الرحمن السعدي أن سلطان مالي كنكان موسى اتجه للحج رفقة جماعة من أهل بلده، ولما وصلوا لهذه المنطقة أصيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فسميت بذلك، أما أحمد العماري فيقول أن اسم توات بربري الأصل ويعني الواحات، خاصة وأن معظم قصور توات اسمها بربري الأصل مثل تمنطيط، تميمون، ينظر: زهرة مسعودي، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م**، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار السنة الجامعية: 2010/2009، ص ص29-30.

14 سبتمبر 1861 وطارده سيدي بوبكر بن سيدي حمزة على رأس 300 حصان فأصيب وتم حصاره في العروق (الكثبان) فأسر وحمل إلى فرنسا وسجن[1].

لكن الشريف مُحَمَّد بن عبد الله لم يلبث أن ظهر على مسرح الأحداث من جديد يوم 10 سبتمبر 1864 مشتركا بالهجوم على واحة ليانة في الزاب الشرقي مع قبيلة أولاد خليفة، ثم توجهوا إلى نفطة بتونس أين التقوا بثوار أولاد سيدي عبيد وقادوهم في 20 سبتمبر إلى اقتحام مقرين[2]، وبعد اندلاع ثورة المقراني سنة 1871 انضم إليها، ولم يلبث الشريف مُحَمَّد كثيرا بمنطقة نفطة ونفزاوة ليغادر في 12 أكتوبر 1871 متجها نحو واد بودوخان ثم منطقة الكاف التونسية بعد أن ضعف نفوذه وقل أتباعه[3]، وهناك اعتقله باي تونس وسجنه عام 1876 بعد حادثة مقتل العربي المملوك حاكم سوف، وبعد احتلال تونس عام 1881 غادر بن عبد الله قريته إلى الحدود الشرقية الجنوبية بجوار طرابلس مدة ثم عاد مع باقي المهاجرين إلى الجنوب التونسي إلى أن توفي عام 1895 ودفن بقرية دوز التونسية[4].

المبحث الثالث: مقاومة بن ناصر بن شهرة[5]

أولا: بداية مقاومته 1851

ارتقى بن ناصر بن شهرة عرش السيادة على قبائل الأرباع سنة 1846[6]، حيث كان يُكن منذ صغره كرها شديدا للفرنسيين، لذلك راح يتطلع إلى مقاومتهم وتحريض القبائل والأعراش الصحراوية ضدهم، وكانت أول خطوة سلكها في هذا الاتجاه هو البحث عن حلفاء أقوياء يقفون إلى جانبه، فتزوج

[1] – س. ترومللي، المصدر السابق، ص 153.

[2] – دحدي سعود، **ثورة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية**، مجلة الباحث، جامعة الوادي، ع 1، 2011، ص 111.

[3] – المرجع نفسه، ص 143.

[4] – بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 199.

[5] – هو ابن ناصر واسم أبيه ابن شهرة ابن فرحات ولد سنة 1804 بقرية المخرق جنوب الأغواط، ينحدر من فرقة أولاد سي عيسى من عرش المعامرة المنتمية بدورها إلى قبيلة الأرباع الكبرى التي تسكن تلك المضارب، وهو من عائلة توارثت المجد والقيادة، وقد تربى في وسط يتفاخر فيه الناس بالشهامة والبطولة والفروسية، فنشأ فارسا شجاعا واشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم مما أهله لأن يكون قائدا على قبائل الأرباع كلها. ينظر: أحمد بن أبي زيد قصيبة، **ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871**، مجلة الأصالة، ع 06 جانفي 1972، ص 56.

[6] – كان زعيم الأرباع هو قندوز بن علي من أجداد بن شهرة تقلد عدة مناصب تحت سلطة العثمانيين، وظهر بعده ابنه أحمد الشاوي، وذلك ما يدل على أن ابن ناصر و أحمد بن الشاوي بينهما علاقة قرابة، وأيضا أنهم منذ القدم وهم من قادة قبيلة الأرباع. ينظر: Charles Féraud, **Le Sahara de Constantine,** Notes et Souvenirs, Alger, 1887, pp 133-134.

من ابنة أحمد بن سالم شيخ الأغواط[1]، الذي أراد بمصاهرته تقوية صفه ضد أعدائه حيث أنجب بنتا، ولما اصطدم بالنفوذ الفرنسي في المنطقة ورفض الخضوع لهم طلب من زوجته أن ترحل معه إلى أعماق الصحراء للهجرة والجهاد، فلما رفضت طلقها، وتوفيت ابنته منها بعد ذلك [2].

تزوج ثانية الياقوت بنت مُحَّد بن عبد الله شريف[3] ورقلة عندما تحالف معه على الجهاد في الصحراء منذ 1851، وقد أنجبت له ولدين الأول يدعى مُحَّد والثاني يدعى بن شهرة على اسم جده، وبعد وفاة زوجته الياقوت تزوج مرة ثالثة بالمرابطة **"نوة"** أخت السيد مولاي عبد القادر الإدريسي من أولاد سيدي الشيخ، وقد أنجبت له ولدان فرحات ويحي وثلاث بنات، وهي التي رافقته إلى المشرق سنة 1875 وبعد وفاته رجعت بأبنائها إلى الجزائر وبالضبط إلى مسقط رأس أبيهم، لم ترتاح سلطات الاحتلال لنشاطاته المبكرة فألقت عليه القبض وفرضت عليه الإقامة الجبرية بمعسكر قرب بوغار، لكنه تمكن من الفرار منها يوم 05 سبتمبر 1851 وفي طريق عودتهَ لحِقت به فرقة عسكرية تحت إمرة الملازم "كروز"، لكن بفضل حنكته وخبرته تمكن من تلقينها درسا في البطولة والشهامة بمنطقة الشهبوينة رفقة الثوار الفارين معه[4].

منذ ذلك الحين بات بن ناصر بن شهرة مطاردا من طرف قوات العدو الفرنسي، وللحيلولة دون وقوعه مرة أخرى في الأسر قام بتحريك أتباعه من المعامرة، الحجاج، الحرازلية[5] وغيرهم وأعلنها ثورة عارمة عارمة على الوجود الفرنسي بالمنطقة، فاستقر في منطقة قصر الحيران وعمل على تحصينها، في الوقت الذي راح يخطب فيهُ ود بعض الزعماء والشيوخ كالشريف مُحَّد بن لحرش لكن دون جدوى، وفي هذه الأثناء تمكن الجيش الفرنسي من احتلال الأغواط وورقلة سنة 1853 بمساعدة سي حمزة ولد سيدي الشيخ، مما أجبر بن شهرة على اللجوء إلى تونس حيث استقر فتَّرة بنفطة وتوزر بمنطقة الجريد، أين

[1] – أصبح أحمد بن سالم شيخا على الأغواط منذ سنة 1828 متفردا بالسلطة بعد أن أزاح من طريقه بن شهرة بن فرحات.

[2] – أحمد قصيبة، المرجع السابق، ص 57.

[3] – مُحَّد قيل أنه قتل مسموما في قرية الإدريسية من طرف الدوائر الاستعمارية بعد رجوعه من بيروت، وبعدما وعدته فرنسا بمنصب قائد، أما ابن شهرة بعدما رجع من الشام اشترك مع السنوسيين في ليبيا ضد الاحتلال الايطالي و استشهد سنة 1912. ينظر: إبراهيم مياسي، **أطماع فرنسا في الأغواط**، مجلة الرؤية، عدد .1996 ،ص 02.

[4] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص 178.

[5] – عيسى بوقرين، **انتفاضة بن ناصر بن شهرة 1851–1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2009–2010، ص 57.

استطاع هناك ربط علاقات جيدة مع إخوانه من اللاجئين الجزائريين بتونس، في الوقت الذي كان يقوم فيه بشن غارات على الجيش الفرنسي بالجزائر بين الحين والآخر[1].

رفض بن ناصر بن شهرة التعامل أو الاتفاق مع الاستعمار الفرنسي بالرغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية الجنرال لادميرول (Ladmirault) يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين، وكان أخر هذه العروض تلك التي حملها إليه "الملازم كاروس" (Carrus)[2] بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالقرب من بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية[3]، وعلى غير العادة كانت في لهجة المبعوث" كاروس" وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد، إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار، فحضر هو وأخوه أبو بكر كمينا لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته، فجرد المبعوث "كاروس" وجنده من أسلحتهم ونزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم، ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤوا[4] وليبلغوا من بعثهم بأن ابن ناصر بن شهرة سيلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال، وهو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة مُحَّد بن عبد الله [5].

مباشرة بعد ذلك انسحب ابن ناصر بن شهرة جنوبا، وقد لاحقته حينها القوات الفرنسية، التي استطاعت أن تجرد زمالته من بعض رؤوس مواشيها في الشهبونية، وقد وجهت نداء لكل الوحدات

---

[1] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ...، ص 179.

[2] – الملازم كاروس Carrus من مواليد مارسيليا، يهودي الأصل، يتكلم العربية بطلاقة كلف منذ سنة 1849 بمهمة مراقبة قبيلة الأرباع خاصة بعد ورود معلومات عن تمردها غير المعلن ضد السلطة الفرنسية، ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب، لكن كل محاولته من أجل اخضاع الأرباع باءت بالفشل. ينظر:

Du Baril, **Mes Souvenirs**, T 2, 4 éme éd, Librairie plon, Paris, 1895, P 11

[3] – هناك اختلاف حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة في عدة مصادر فرنسية منها مثلا :أن لويس رين louis Rinn ادعى أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم و رفض الفرنسيون أن يعينوه أغا على الأرباع عام 1846خلفا لأبيه غضب و تمرد و حمل لواء الثورة منذ سنة 1851ولذلك اعتقلوه ووضعوه وعدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار. ينظر: louis Rinn, Op-Cit. pp 663. 666

[4] – جريدة المبشر: عدد 98 بتاريخ 01 أكتوبر 1851، ص 3.

[5] - J. Barbier, **Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie,** Librairie De L. Hachette, Paris, 1855, P334.

الفرنسية في تلك المناطق رفقة العملاء باعتراض قافلة ابن ناصر بن شهرة ومحاولة القبض عليه[1]، توجه ابن ناصر جنوبا نحو الأغواط وتحصن بقصر الحيران بعد أن تموّن بالشكل الكافي، كما اتصل بشريف ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله، الذي كان قد رجع آن ذاك من المشرق واستقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري، وتفاهما على العمل والتنسيق المشترك بينهما، وكان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851، كما اتصل سكان المدينة بابن ناصر بن شهرة وخاصة أعيانها للتعاون معه[2].

ثانيا: تحالفه مع الشريف مُحَمَّد بن عبد الله

إن اتصال شريف ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله بابن ناصر بن شهرة في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب المدية شمالا إلى غاية جنوب ورقلة وعين صالح في الجنوب وإلى تقرت وبسكرة وتبسة شرقا وحتى البيض وتيارت غربا، وضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة كالمخادمة وسعيد عتبة والأرباع وأولاد نايل والشّعانبة وغيرهم، تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب.

ففي رسالة بعث بها ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش أغا أولاد نايل يؤكد التحاقه بالشريف مُحَمَّد بن عبد الله وعزمه على مقاومة الاستعمار ويدعوه لذلك، ومما جاء فيها: "محبنا وغاية ودنا السيد مُحَمَّد الشريف ...السيد مُحَمَّد بن عبد الله قدم وميعاد المخادمة والشعانبة معه... ولم تبق لنا طمعة في بلاد الفرنصيص ... وأنت حسبناك منا وإلينا وحسبنا نحن لك وعليك، وأنت في موضعنا... الوصاية "[3] ولم يكلف سي الشريف بالأحرش نفسه الرد على هذه الرسالة، بل حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية [4].

بتحالف ابن ناصر بن شهرة مع شريف ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله تشجع هذا الأخير وازداد نفوذه وعزم فعلا على التحرك ضد الاستعمار وأعوانه، فزحف بتاريخ 11 ديسمبر 1851 على رأس جيش

[1] – عيسى بوقرين، **ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850–1875**، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، ع 17، 2016، ص 219.

[2] - Louis Rinn, Op-Cit, pp 276-277.

[3] – رسالة من ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش آغا أولاد نايل بدون تاريخ و قد تكون كتبت في شهر أكتوبر 1851 والدليل على ذلك أن سي الشريف بالأحرش حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية. ينظر: عيسى بوقرين، **ابن ناصر بن شهرة رمز...**، ص 219.

[4]- Mangin, **Note Sur L'Histoire de Laghouat,** Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895, P40.

متكون من قبائل سعيد عتبة، وشعانبة بوروبة (ورقلة)، وشعانبة المواضي الذين قدموا من المنيعة لتدعيم صفوفه، وكانت وجهة الشريف هذه المرة "عقلة المقاديم"[1] قرب الأغواط حيث تقطن أغلبية قبيلة أولاد سعد بن سالم[2]، الذين سارعوا إلى حمل أسلحتهم، كما استنفرت القوات الفرنسية وأعطيت الأوامر لسي الشريف بالأحرش للتحرك نحو عقلة المقاديم، مدعوما بقبيلة أولاد نايل بقوات قدرها 500 فارس، وبني الأغواط بقيادة الشيخ علي ابن أحمد بن سالم بقوة قدرها 150 فارس، وجبل عمور بقوة قدرها 150 فارس تحت قيادة الدين بن يحي [3].

لكن الشريف استطاع أن ينتصر عليهم، وقتل منهم حوالي 386 رجل، كما غنم منهم الكثير من البنادق بالإضافة 500 رأس من الإبل و400 رأس من البقر وأكثر من 4000 رأس من الغنم[4]، بعد ذلك أخذ الشريف مُحَّد بن عبد الله يستعد لغزو مدينة بريان وكاتب بقية المدن الميزابية يطلب منهم الخضوع وتقديم فروض الولاء والطاعة لسلطته، غير أنهم رفضوا ذلك بل إنهم أعلنوا استعدادهم لمحاربته وتحدوه قائلين له: "**إذا أردت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد**"، في هذه الأثناء انسحب سي الشريف بالأحرش نحو بني يزقن بغرداية الذين استقبلوه بحفاوة ومنحوه ما احتاجه لهذه المهمة، لكن وقع ما لم يكن في حسبانه بحيث اتصل كل من "بوزيان" و"بجرة" قادة بني الأغواط بالشريف مُحَّد بن عبد الله في متليلي ووعدوه بانضمامهم إليه بتقديم حوالي خمسمائة 500 من المشاة لتدعيم صفوفه [5].

التقى الجميع في مساء يوم 17 جانفي 1852 في منطقة العقرب، حيث هاجم سي الشريف بالأحرش قوات الشريف مُحَّد بن عبد الله، لكنه اكتشف خيانة بني الأغواط وجزء من أولاد يعقوب الذين انسحبوا إلى ضفة وادي جدي جنوب جبل بوكحيل، هذه الخيانة دفعت بسي الشريف بالأحرش إلى طلب النجدة من القائد العام لمنطقة بوغار، حيث جاء في رسالته: "**إذا كنتم فرنسيين كما أعرف بعصبيتكم وشجاعتكم ... فلتثأروا لهذه الخيانة**"، وفي الحال أمرت السلطة الفرنسية النقيب بيتي (Capitaine Petit) القائد الأعلى لمنطقة بوسعادة بنجدته والتوجه حالا إلى وادي جدي [6].

---

[1] – عقلة المقاديم: منطقة تقع بين بريان والأغواط

[2] – جريدة المبشر: عدد 104 بتاريخ 01 جانفي 1852.

[3] - Lehuraux, **Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens), L'Armée D'Afrique** N° 54, 6éme Année 1929, p 123.

[4] - Charles Féraud, Op-Cit, p 491

[5] - Mangin, Op-Cit, p 41.

[6] - J. Barbier, Op-Cit, p357.

سار الشريف مُحَّد بن عبد الله بتاريخ 25 مارس 1852 بالقرب من الأغواط، واتجه نحو قصر للماية[1] حيث قام بمهاجمة أولاد يعقوب، ومنها انتقل إلى وادي زرقون أين عسكر بالقرب من أولاد سيدي الشيخ، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث قام سي حمزة بإرسال ثلاث فرسان للشريف مُحَّد بن عبد الله لتبليغه الدخول تحت قيادته[2]، ولما علم الجنرال "لادميرول" بما حدث غادر الأغواط باتجاه تاجرونة[3] واستقر عند منابع وادي صقر ليقترب من الشريف، هذا الأخير الذي أخذ الطريق نحو الجنوب، أما سي حمزة فقد كان قلق فالتف نحو وادي صقر وتوقف عند أسوار بريزينة، وبتاريخ 02 أفريل وبسبب هذه التطورات غير الرائد دولييني من مساره واتجه نحو ستيتن، من أجل مراقبة قصور بريزينة والغاسول واحتواء مشتريات أولاد سيدي الشيخ الغرابة والأغواط اكسل، ودخل في مفاوضات مع سي حمزة الذي وقع في ضغط بسبب حصاره من قبل قوات دولييني وقوات لادميرول فاضطر إلى الاستسلام[4]. الاستسلام[4].

أخذ الرائد دولييني بتاريخ 07 أفريل طريقه نحو الشمال، مصحوبا بسي حمزة الذي قدم له ثلاث رسائل استلمها من الشريف مُحَّد بن عبد الله لكي يرسلها إلى ثلاث شخصيات مهمة في الغرب الأولى إلى سي الشيخ بن الطيب زعيم بني معطر قرب وهران، والثانية إلى سيدي مُحَّد بن مكي رجل يملك نفوذ عند بني سناسن والمغاربة على الحدود، والثالثة لسيدي مُحَّد بن ملوك مقدم زاوية سي امُحَّد بن زيعن مرسلة لكافة شرفاء الغرب، وكانت هذه الرسائل تحمل في معانيها الحماس الديني والدعوة إلى الجهاد، وكانت بالنسبة لقوات الاحتلال مؤامرة دينية تحاك ليس فقط عند قبائل جبل العمور ومقاطعة المدية بل كل سكان الحدود من الغرب وإلى الجنوب [5].

ومن أبرز المعارك التي قادها ابن ناصر بن شهرة رفقة الشريف مُحَّد بن عبد الله في هذه الفترة تلك التي وقعت بتاريخ 22 ماي 1852 جنوب واد جدي، ويسميها الفرنسيون بعملية" الكومندان كولينو"

[1] – قصر للماية: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 80 كلم.

[2] - E. Mangin, Op-Cit, p 42.

[3] – **تاجرونة:** قصر قديم يقع غرب الأغواط تابعة إلى أفلو تقع في الطريق الرابط بين سعيدة وورقلة وتبعد بـ 36 كلم عن عين ماضي وبـ 283 كلم عن سعيدة. ينظر: فاطمة حباش، **سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820–1896)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2004–2005، ص 67.

[4] - E. Mangin, Op-Cit, p 42.

[5] - Ibid, p 43.

حيث زحفا الاثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين[1] دون مقاومة فانضمت لهما أعداد من ثوار واد ريغ والشعانبة وسعيد عتبة[2]، كما حاولا دخول تقرت بمساعدة سلمان الجلابي أحد منافسي سلطان تقرت عبد الرحمن الجلابي، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، فاتصلا بابن الأحرش في الجلفة للحصول على مساندته إلا أن المفاوضات معه فشلت هي الأخرى[3].

أصبح الاثنان يهددان المركز الفرنسي في بسكرة الذي كان تحت قيادة " كولينو"، فما كان من الأخير سوى توجيه ضربة إلى هؤلاء المقاومين، حيث قام بتوجيه قواته بشكل سريع في مساء يوم 20 ماي تتكون من أكثر من 200 بين فارس وصبايحية وقناصين، وفي اليوم الثاني 21 ماي جمع حوالي 700 فارس من قوم تلك المناطق، كما تلقى مساعدات من بوسعادة بقيادة الكومندان "بان" ومن باتنة بقيادة "الكولونيل ديفو"، والتقى الجمعان صبيحة 22 من ماي[4] فحول "الكومندان كولينو" توجيه ضربة جريئة وسريعة للثوار لكن حن كة ابن ناصر ومُحَمَّد بن عبد الله جعلته يفشل ويتكبد خسائر كبيرة في صفوفه وذلك من خلال حرب الكر والفر نظرا لقلة العدد والعدة مقارنة بالقوة الفرنسية، وتذكر المصادر الفرنسية هنا أن الثوار خلفوا 150 قتيلا والكثير من العتاد [5].

وبعد هذه المعركة انسحب كل من ابن ناصر ومُحَمَّد بن عبد الله جنوبا إلى ورقلة، وبالضبط إلى الرويسات، حيث تم عقد اجتماع بين شهري جوان وجويلية قصد تقييم الوضع ورسم خطة حرب جديدة تتلاءم مع الوضع، فتم الاتفاق على جعل مدينة الأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار، وقد شرع في تنفيذ هذه الخطة مع نهاية شهر جويلية، حيث دخل ابن ناصر ابن شهرة قصر الحيران بتاريخ 31 جويلية 1852[6] واستقبل استقبال الأبطال من أهلها فأقام بها التحصينات ونظم التموين، وكان هدفه من تحصين قصر الحيران[7] هو جعلها مركز لجمع المجاهدين والثوار من كل المناطق المجاورة.

---

[1] – نقوسة وتماسين واحات تقع إلى الشمال من ورقلة على ضفاف وادي ريغ.

[2] – سعيد عتبة قبيلة كبرى من قبائل ورقلة.

[3] – عيسى بوقرين، ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة ...، ص 225.

[4] – تعتبر هذه المعركة أول معركة حقيقية قادها ابن ناصر ابن شهرة ضد القوات الفرنسية رفقة مُحَمَّد ابن عبد الله.

[5] – عادة ما تكتفي المصادر الفرنسية بذكر الخسائر البشرية في صفوف المقاومة و تتحاشى ذكر الخسائر الفرنسية . ينظر:
Randon, Op- Cit, p 80.

[6] – أحمد بن أبي زيد قصيبة، المرجع السابق، ص 58.

[7] – **قصر الحيران:** مدينة تبعد أربعين كم إلى جنوب الأغواط اتخذها ابن ناصر ابن شهرة أول مركز قيادة متقدم بالنسبة للمناطق الجنوبية وقاعدة خلفية لمدينة الأغواط.

و بالفعل، فقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار 09 سبتمبر 1852 وكان أول الوافدين الثائر "التلي بالأكحل" ومعه عدد كبير من سكان منطقة بوسعادة (أولاد نائل) وبتاريخ 24 سبتمبر وصل "يحي بن معمر" رفقة وفد عظيم من الأغواط، والذين رفضوا تواجد الحامية العسكرية الفرنسية بمنطقتهم وأيدوا سياسة ابن ناصر الثورية[1]، كما انظم له يحي بن سالم شقيق أحمد بن سالم، ثم التحق به شريف ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله، فاتجها من قصر الحيران إلى مدينة القرارة[2] للتسليح والتموين.[3]

وفور وصول هذه الأخبار إلى السلطات الفرنسية، أدركت أهمية المنطقة وضرورة السيطرة عليها لذلك عزم "الجنرال يوسف" القائد العام لمنطقة المدية –والذي خلف الجنرال لادميرول– على مراقبة الوضع عن قرب فشرع في بناء مركز قيادة جديد في مدينة الجلفة، وقد اختار هذه المنطقة لكونها النقطة الرابطة بين بوغار والأغواط وهي قريبة من هذه الأخيرة تسمح بمراقبة الثائرين بها[4].

ولما علم "الجنرال يوسف" بقدوم قوة ابن ناصر بن شهرة ومُحَمَّد بن عبد الله باتجاه الأغواط، سار جنوبا على رأس قوة كبيرة لصدهم عنها، وكان قبل سيره ذاك قد بعث برسائل إلى سكان الأغواط يحثهم فيها على عدم استقبال المقاومين لأنهم يشكلون خطرا عليهم، لكن هذه الحملة باءت بالفشل بالرغم من وصولها لمدينة الأغواط، حيث تم ترتيب بعض الأمور الخاصة بالحامية الفرنسية هناك، ثم رجع الجنرال بحملته إلى الجلفة يوم 17 أكتوبر مبررا فشله بعدم المجازفة في منطقة يجهلها، وهي بعيدة عن أقرب مركز للقيادة الموجود بالمدية ولأن مركز الجلفة ما زال في طور البناء[5].

وبعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر ابن شهرة أخيه سي النعيمي[6] رفقة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله نحو نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور، وذلك لجمع أكبر عدد ممكن من الثوار تطبيقا للخطة المتفق عليها في تلك الصائفة، حيث كانا على رأس قوة تتألف من 500 فارس و300 جندي مشاة واستطاعا

[1] – أحمد بوزيد قصيبة، المرجع السابق، ص 58.

[2] – القرارة : واحة تقع إلى الشرق من غرداية وهي النقطة الوسط بينها وبين ورقلة ووادي سوف.

[3] – تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ص 225.

[4] - Randon, Op-Cit, p 108.

[5]- Ibid, p 109.

[6] – الثائر سي النعيمي لا نعلم عنه الكثير سوى أنه أخ لابن ناصر ابن شهرة وأحد أبطال انتفاضته و قد لازمه كثيرا، وهو الذي أرسله ابن ناصر يحمل رسالة إلى باي تونس مُحَمَّد باشا أنظر : يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 154.

من خلال هذه الحملة أن يحرضا كل قبائل منطقة وهران وخاصة سكان العمور والأحرار، وأغواط الكسل[1] الذين انتفضوا في تلك المناطق [2].

وكان سكان الأغواط، وعلى رأسهم ابن ناصر بن شهرة مستعدين لتنفيذ هذه الخطة، فهم في انتظار وصول القوافل القادمة من التل والمحملة بالقمح والمؤون قبل القيام بأي عمل ضد الاستعمار وكان ذلك من القضايا ذات الطابع الاستراتيجي، والتي اتسم بها تفكير ابن ناصر ابن شهرة[3]، وبعد وصول الإمدادات وبتاريخ 29 أكتوبر 1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية الفرنسية بالمدينة وعلى رأسهم الملازم بن أحميدة[4]، وجردتهم من أسلحتهم وطردتهم من المدينة بتاريخ 31 أكتوبر 1852[5]. [5]1852.

وصل ابن أحميدة إلى مركز القيادة الفرنسية بالجلفة يوم 01 نوفمبر 1852، وأصبح الوضع بذلك مقلقا جدا ومهدد للوجود الفرنسي في مناطق كان قد وصلها هذا الأخير منذ مدة، لذلك زود الحاكم العام قوات "الجنرال يوسف" بسريتين من القناصة، وسريتين من الصبايحية، وكتيبة للرماة وكلفه بتعقب المقاومين ابن ناصر ابن شهرة ومُحَّد بن عبد الله، كما زود قائد مقاطعة إقليم قسنطينة بقوات عهد لقائد الحامية في بوسعادة بقيادتها رفقة مؤونتها اللازمة ووضعها تحت تصرف "الجنرال يوسف"، كما تشكل طابور سريع التحرك في بسكرة بعناية" الجنرال مكماهون" كلف بملاحقة ابن ناصر ومُحَّد بن عبد الله الذين سيطرا على مناطق في الشرق [6].

وللضغط أكثر على ابن ناصر بن شهرة، والشريف مُحَّد بن عبد الله والثائرون معهم، ومن أجل إعادة الثقة إلى سكان الصحراء وطمأنتهم حاولت السلطات الاستعمارية محاصرة الحدود التي ينشطان

[1] – **العمور**: هم سكان نواحي آفلو، **والأحرار**: هم سكان نواحي تيارت.**الأغواط أكسل**: هم سكان مدينة البيض.

[2] - Randon, Op- Cit, p 110.

[3] – نلاحظ هنا دراية ابن ناصر ابن شهرة بإستراتيجيات الحرب، فهو يدرك تماما أن مواجهة فرنسا دون وصول قوافل المؤونة القادمة من الشمال، يمكن أن يعرض المدينة للخطر خاصة إذا ضربت القوات الفرنسية حصارا عليها.

[4] – **ابن أحميدة:** عينته القوات الفرنسية قائدا لفرقة الصبايحية التي شكلت بالأغواط سنة 1851 وقد قدم خدمات كبيرة للاستعمار. ينظر: Du Barail, Op- Cit, pp 30-31.

[5] – تعتبر هذه الحادثة هي الحجة التي اعتمدتها فرنسا للسيطرة على المدينة ففي ظل تمرد هذه الأخيرة عزمت فرنسا على القضاء نهائيا على ابن ناصر ابن شهرة و احتلال الأغواط.

[6] - Randon, Op-Cit, p 111

بها، فبالإضافة إلى تجنيد القوات التي سبق ذكرها توجه "الجنرال بيليسي" قائد مقاطعة وهران رفقة "الجنرال بوسكارين" إلى البيض على رأس قوة مؤلفة من :

- كتيبتين من الزواف 1250
- كتيبة الخط الخمسين 600
- نصف الكتيبة الأولى الإفريقية 600
- ثلاث سريات قناصة 330
- سرية واحدة من الصبايحية.....110

بلغ مجموع هذه القوات 2890 جندي، وقاما ببناء مركز قيادة هناك يؤمن المؤونة للعمليات العسكرية في الجنوب، وقد عين الحاكم العام "المارشال راندون Randon" الجنرال بيليسي Pélissier" قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب [1].

وفور سماع "الجنرال يوسف" ما حدث من ثورة سكان الأغواط على جنود الحامية حتى تجهز من مركز قيادته الجديد بالجلفة وقصد الأغواط على رأس قوة كبيرة تقدر بعشرين ألف جندي[2]، وفي تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد ابن ناصر ابن شهرة في قصر الحيران، فحاول الجنرال يوسف قطع الطريق على هذه الوفود فعسكر في "ميروسة" على بعد خمسة عشر 15 ميل من قوات ابن ناصر بتاريخ 18 نوفمبر، وفي اليوم الثاني واصل زحفه حتى لم يبق له سوى ميلين.

وأمام هذا التصعيد قرر ابن ناصر ابن شهرة، ومُحَّد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة آنذاك يوم 21 نوفمبر، والتي تكبد فيها العدو الفرنسي خسائر كبيرة، إضافة إلى بعض قادته كالنقيب" أشطايل" [3]، وهو الأمر الذي جعل الجنرال يوسف ينسحب إلى قصر العسافية[4]، في حين دخل الثوار إلى مدينة الأغواط تحت تكبيرات وتهليل

[1]- Randon, Op-Cit, pp 111 -112

[2] – كانت هذه الحملة محاولة لاحتلال المدينة لكن المقاومين ابن ناصر ابن شهرة و مُحَّد ابن عبد الله تصديا له قبل وصوله لها. ينظر: Randon, Op- Cit, p 112

[3] - Du Barail, Op-Cit, pp 32-33.

[4] – **قصر العسافية**: يقع إلى الشرق من مدينة الأغواط و يبعد عنها حوالي 14كم. يعرف اليوم بالعسافية

السكان، وقد بدأوا على الفور في عمليات التحصين والتحضير للمواجهة الحاسمة مع العدو[1]، وللإشارة هنا فإن قصر العسافية كان مستودع الذخيرة لابن ناصر ابن شهرة، حيث أقام فيه مصنعا للبارود تحت الأرض، لكن القوات الفرنسية لم تنتبه لذلك.

ثالثا: دور بن ناصر بن شهرة في انتفاضة مدينة الأغواط

عملت الإدارة الاستعمارية على بث روح النزاع والفرقة بين القادة والزعماء من القبائل وشيوخ الزوايا، مما أدى إلى زعزعة المنطقة ونشوب اضطرابات في غاية الخطورة في الوقت الذي اشتعل فيه فتيل مقاومة الزعاطشة 1849، وهي كلها معطيات أقنعت فرنسا بضرورة شن حملة على الأغواط التي شهدت اندلاع انتفاضتها وظهور قيادات مقاومة بها، وكان الاستعمار الفرنسي حريص على احتلال هذه النقطة بالذات، لأنها ذات موقع استراتيجي هام وأحد الأعمدة الأساسية للسياسة الاستعمارية ذات الأهداف بعيدة المدى لاحتلال الصحراء الكبرى، وجزء كبير من إفريقيا جنوب الصحراء فالأغواط تشكل[2]:

- مركز متقدم لجنود الحراسة.
- بوابة للصحراء وقاعدة عسكرية يمكن التوسع منها إلى مناطق صحراوية أخرى.
- نقطة إستراتيجية متساوية البعد بين الجزائر والقليعة وورقلة وقريبة من البيض وأولاد سيدي الشيخ وتسمح بأخذ جبال العمور من الخلف وهي أقرب نقطة إستراتيجية صحراوية إلى مدينة الجزائر.
- مركز تموين الجيوش وإيوائها ومحطة للمياه.
- نقطة مراقبة تجارة الميزاب نحو التل ونقطة ارتكاز وحماية القوافل مثل معاهدة 1853 [3].
- قاعدة عسكرية وموقع جيد لكل التحركات

[1] – يذكر "الجنرال راندون" أن قوات ابن ناصر قد فقدت مئات الرجال بينما ذكر أن القوات الفرنسية. شهدت قتلى وجرحى دون ذكر الأرقام لكن من المؤكد أن انسحاب القوات الفرنسية إلى الخلف دليل خسارتها للمعركة. ينظر:.Randon, Op- Cit, p113

[2] - Mangin, Op- Cit, p172.

[3] – تعرف هذه المعاهدة باسم معاهدة الحماية التي تم توقيعها بتاريخ 29 ماي 1853، وهي عبارة عن نصب حماية تضمن للطرفين واجبات وحقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب، وتنص على دفع أهل ميزاب ضريبة سنوية للفرنسيين تقدر بـ 45 ألف فرنك، مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهم، واستمرار تجارتهم مع المغرب وتونس، ومن بين شروط الاتفاق أن تحمي فرنسا أهل ميزاب في المدن والتل، على أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء فرنسا، وكان هدف فرنسا من توقيع هذه الاتفاقية هو تحييد بني ميزاب من تأييد الثورة في الجنوب. ينظر: Koyne, **Le Mzab**, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879 , p 200.

- الموقع العسكري للأغواط يسمح بملاحظة ومراقبة وتحديد تحركات السكان إلى إفريقيا جنوب الصحراء.
- تشكل الأغواط وبسكرة وبوسعادة والبيض حزاما للأمن لكل شمال الجزائر.
- من الأغواط وفي حالة أي عصيان مدني على بعد 400 كم فإن القوات العسكرية يمكن أن تتدخل في كل الاتجاهات من عين الصفراء إلى تقرت إلى القليعة.
- منتجات الأغواط الفلاحية وتجارتها تسمح لفرنسا أن تراقب كل حركات العرب الرحل وإرغام السكان على الاتصال بالنظام الاستعماري .

كل هذه العوامل كانت تدركها السلطات الاستعمارية بشكل جيد، كما كان يدركها أيضا ابن ناصر بن شهرة لذلك فان الصراع كان على أشده للسيطرة على هذه المنطقة، وعليه فان الاستعمار لم يستطع أن يسيطر عليها إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله وبأعداد كبيرة[1]، فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل جوانبها شمال وجنوب، شرق وغرب[2].

وقد حدثت عدة مواجهات بين 21 نوفمبر و02 ديسمبر تاريخ الهجوم المكثف، والذي استعمل فيه الفرنسيون تلك الأعداد الضخمة من الجنود، وجرت المعركة الفاصلة من 02 إلى 04 ديسمبر 1852 تاريخ سقوط مدينة الأغواط بعد استماتة عظيمة ومقاومة عنيدة جدا من قبل المقاومين، وعلى رأسهم ابن ناصر ابن شهرة والشريف مُحَّد بن عبد الله، حيث جرح هذا الأخير وأخرجه ابن ناصر ابن شهر من الحصار المفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي[3].

ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة، فقد قتلت ثلثي سكانها أي حوالي 2500 شهيد من أصل 3600 ساكن في ذلك الوقت، كما عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت، ويطلقون النار دون أي تمييز وينهبون ويسلبون الأثاث والنقود والحلي[4] ويحرقون المؤونة، ولم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد هذه الأخيرة التي دمر اثنان منها، وحول

[1] – الشيء الملفت للانتباه أن فرنسا عند احتلالها لمدينة الأغواط جهزت قوات كبيرة لذلك، وهذا لعلمها بحصانة المدينة من جهة وعدم استسلام سكانها بسهولة ولوجود قيادة بها تعلم جيدا فنون القتال من جهة أخرى، وهي بذلك احتلت جزائر أخرى بحسب قول أحد القادة الفرنسيين.

[2] - Du Barail, Op- Cit, p 47.

[3] - L.Le Saint, E.Ardant, **Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne**, Limoge, 1873, pp113-114.

[4] - Ch. A .Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine.** Paris , 1964, pp390-393.

الثالث إلى إسطبل للحيوانات، أما الرابع فقد حول إلى كنيسة، أما من بقي حيا من السكان فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع والمرض والمهانة كأنهم حيوانات وهناك منهم من استطاع الفرار[1].

أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية، فهي جمعها لأعيان المدينة ووضعتهم في أكياس أغلقت عليهم، ثم أحرقتهم قرب وادي مزي ورمت ما يقارب 256 جثة في آبار، هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم[2]، ومما جاء في مذكرات "النقيب دوبراي" (Du Barail) أن الجنرال بيليسيه اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة واقتلاع نخيلها وترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر[3].

كما يصف الكاتب الفرنسي فرومنتان عند زيارته لمدينة الأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها ويواصل قائلا: **"جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد والأسلحة والحلي ... فيمكن القول أنه لم يبقى منها شيء في الأغواط...كل البيوت فارغة، من أفقرها إلى أغناها وتخالها مدينة رحل كل ساكنيها"**[4].

انضم بن ناصر بن شهرة إلى ثورة المقراني عام 1871، وجاهد في الصحراء الشمالية الشرقية والوسطى للجزائر، وبعد فشل الثورة لجأ مرة أخرى إلى تونس، وأخذ من هناك يناوش المحتلين وأعوانهم إلى أن أرغمه باي تونس على الرحيل، فغادرها في 02 جوان 1875 برفقة الشيخ المجاهد مُحَّد الكبلوتي إلى بيروت، ومنها انتقل إلى دمشق التي استقر بها إلى أن وافاه الأجل سنة 1884[5].

---

[1] - Du Barail, Op-Cit, p 51.

[2] - Journal des marches de la colonne expéditionnaire du sud, G. Pélissier (siège et prise de Laghouat) A.M.G décembre 1852 ; 2H 14 . Voir aussi Randon, Op-Cit, p 11.

[3] – **النقيب دوبراي:** وهو الذي قتل قاضي الأغواط أثناء هذه الحملة ثم رقي فيما بعد إلى رتبة جنرال كما رقي الجنرال بيليسي قائد الحملة إلى رتبة ماريشال وذلك كله بفضل ما قاموا به في الأغواط.

[4] - Eugène Fromentin, **Un été dans le Sahara,** 3ème édition, Librairie Plon, Paris, 1877, p 87.

[5] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص 132.

المبحث الرابع: مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1874

أولا: بداية مقاومة الشريف بوشوشة

كانت حركة الشريف بن التومي بوشوشة[1] في سنة 1870 تتوسع وتنتشر في المناطق الجنوبية خاصة في الصحراء الشرقية بين واحات غرداية ومتليلي وورقلة، وقد استقر هذا الثائر في ورقلة بين عامي 1870-1875 رغم ما قيل حول مقاومته إلا أنه يحتاج إلى الكثير من البحث والتقصي حول خلفيات قيامه بهذه الثورة وكثرة المشككين في مقاومته للاستعمار.

وعلى الرغم من أن مراجع كثيرة تتهمه بأنه وراء تشكيل جماعة المداقنة بتيديكلت التي كان أفرادها ينشطون كقطاع طرق في منطقة توات، ويجوبون الصحراء بحثا عن المؤن، بسبب الضائقة المالية، والجفاف والمجاعة التي عصفت بالجزائر سنة 1867، إلا أنه تحول إلى زعيم وطني عندما أعلن الثورة ضد فرنسا، فاتخذ من عاصمة تيديكلت مقرا لجماعته وبويع زعيما بعين صالح في فيفري 1870[2].

وهناك رواية شائعة عند بعض الشيوخ الرواة لتاريخ ورقلة، وعلى رأسهم الشيخ الحاج علي بن البشير بن الحاج مُحَّد الشريف، والذي نقل الرواية عن جده الحاج بوحفص القبيلي الذي أخذ عنه المؤرخ والباحث الفرنسي **"آلان رومي"** في كتابه تاريخ نقوسة، إذ يقول الشيخ الحاج علي: **"أن بوشوشة كان يدرس في زاوية الهامل في بوسعادة، وأنه قد تحصل على كتاب من مكتبة الزاوية يتناول علم التمائم والسحر، وعندما اكتشف أمره طرد من الزاوية"**[3].

واتجه بوشوشة إلى منطقة البيض واستقر لدى أولاد عيسى، ثم اتجه بعد ذلك إلى منطقة فقيق لجمع الأموال والمؤن والأسلحة الضرورية لتنقلاته وحركته، واستولى في طريقه على أموال بعض خصومه،

---

[1] – اسمه الحقيقي أحمد بن التومي بن إبراهيم ولقب **"بوشوشة"** لكثافة شعر رأسه أو لخصلة بارزة منه، أما يحي بوعزيز فيذهب إلى القول بأن بوشوشة معناه "الفارس"، ولد في قرية الغيشة بجبال العمور التي كانت آغوية خاضعة للمكتب العربي بأفلو التابعة لقسمة مدينة معسكر، ولا يعرف تاريخ مولده بالضبط ولكن بالتقريب يكون بين سنتي 1826-1827، كان والده فقيرا يتجول بين القرى والأسواق كمداح شعبي للحصول على قوت عائلته، ومنذ صغره تعلم حياة الرعي والفروسية، وتنقل في أطراف الصحراء صحبة أحد المؤدبين الذين كانوا يعلمون الصبيان القرآن وكتابة التمائم التي تدخل في إطار الطب والعلاج التقليدي. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ص 278. ينظر أيضا: يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص 26.

[2] – يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر**...، ص 71.

[3] – الأزهاري عباز، المرجع السابق، ص 66.

فأوقفه قائد البيض وقدم إلى محكمة تأديبية، حكمت عليه يوم 22 ديسمبر 1862 بعام سجنا قضاها في زمالة بوخنيفيس[1].

ثانيا: مراحل مقاومة الشريف بوشوشة

1- مرحلة الإعداد والتحضير 1863-1869:

بعد خروج شريف بوشوشة من سجن بوخنيفيس لجأ إلى فقيق بعيدا عن عيون الفرنسيين، ولكنه لم يبقى طويلا فيها حيث غادرها إلى نواحي توات وهناك شرع في جمع الأنصار وإعدادهم لتحضيرهم لحركة المقاومة، وفي تلك الأثناء اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864 فكان هناك دوره للإغارة على العدو والقوافل والقبائل التي تتعامل معه وكان يشجعه سي الأعلى كبير أولاد سيدي الشيخ، قبل تعيين سي الزوبير في قوات أولاد سيدي الشيخ[2].

وفي نفس السنة انتقل إلى تونس وطرابلس لأسباب غير معروفة قد تكون البحث عن المال والسلاح أو تلقى تعليمات من السنوسية على اعتبار أنه أحد أتباعها وخلال هذه الرحلة زار نفطة، ثم عاد إلى الجزائر ومن خلالها زار العديد من المناطق مثل وادي ريغ وورقلة، وخلال ذلك الوقت حمل رسائل إلى بعض الشخصيات من المخادمة وبني ثور والشعانبة الذين كانت لهم روابط مع الزاوية السنوسية والقادرية منذ ثورة مُحَّد بن عبد الله ومنهم لخضر المخدمي والشائب من الشعانبة والمصطفى بني ثور والخازن من عجاجة، كما أقام علاقات طيبة مع الزاوية الرحمانية في عين البيضاء وعجاجة ثم انتقل إلى الأغواط.[3]

عاد إلى مركز تجمع ثوار أولاد سيدي الشيخ بفيقيق في مطلع 1865، وتنقل في واحة توات داعيا للثورة، وحيثما ذهب استقبل بحفاوة، كما متن علاقته بالزوايا والطرق الصوفية[4]، وبعدها اتجه إلى عين صالح واتخذها مقرا لبدء حركته وإعلان نفسه شريفا فيها، ويعود اختياره لها إلى بعدها عن عيون العدو

[1] – **بوخنيفيس:** منطقة تقع على الضفة اليسرى لوادي مكرة، تبعد عن سيدي بلعباس 15 كم.

[2] – عبد الله مقلاتي، **موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية**، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 113.

[3] – لخضر عواريب، **بعض الحقائق عن مقاومة شريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية أملاها بوشوشة على سجانه**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ع 17، 2014، ص 298.

[4] – عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 578.

وعدم خضوع أهلها له فهذا يمكنه من التحرك والإعداد دون أي تخوف من الفرنسيين وأعوانهم الذين كانوا يسيطرون على المناطق الصحراوية الواقعة إلى الشمال من عين صالح كالأغواط وورقلة وتقرت[1].

وخلال تواجده في عين صالح اتصلت به مجموعة من الثوار، وهم معطا الله بن بوبكر، وبوخشابة وهم من شعانبة ورقلة يصفهم لوشاتولييبي بالمداقنة[2]، وتعود العلاقة بين بوشوشة وجماعة المداقنة إلى مجاعة 1867 بالجزائر حين اشتد الكرب على السكان ودفعهم إلى أكل جذور الأعشاب والحيوانات، واضطر الكثير منهم إلى الهجرة خارج منطقتهم، ومنهم أهالي بوخينفيس الذين هاجروا إلى المنيعة، ومارس البعض الآخر الإعارة على أملاك الغير، حيث دأبت هذه المجموعة على ممارسة السطو والنهب وكان بوشوشة معهم، وهو ما جعل الأقلام الفرنسية تكتب عن بوشوشة وثورته وتضعه في إطار جماعة قطاع الطرق واللصوص ومتمردا على السلطة الفرنسية[3].

2- مرحلة المقاومة والانتصار 1870-1872:

كان هذا القائد العملاق من الرجال الجزائريين الذين تعاونوا مع ثوار أولاد سيدي الشيخ، ومن المؤسسين لحركة التوارق بالصحراء الذين قرروا حمل السلاح ضد الاستعمار الفرنسي، وفي شهر أفريل 1870 هاجم مدينة المنيعة وألقى القبض على القائد جعفر وسجنه، واستولى في 05 ماي 1870 على مدينة متليلي[4]، التي لم يقاومه أهلها، بل على العكس قدمت له العديد من الهدايا، وبعدها غادر وعاد إلى "سبسب" بعد أسبوع أي في 12 ماي، وهناك لحقت به كوكبة من قوم الأرباع تحت قيادة قائد مخزن الأغواط لخضر بن مُحَمَّد واشتبك معه ومع سكان الأرباع، ولكن استطاع المقاومون الانتصار على هذه الكوكبة وبعد هذا التحرك الخاطف الذي كان بمثابة الإعلان عن الثورة واختبار القوة[5].

---

[1] - مُحَمَّد بن معمر، **الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871 بالصحراء**، مجلة عصور، جامعة وهران، ع1، جوان 2002، ص 108.

[2] - **المداقنة:** نسبة إلى رجل ترقي، وأول من أطلق هذه التسمية أحد كبار شعانبة ورقلة وهو "معطي الله بوبكر" الذي كان في ضيافة الشعانبة المواضي، فقدم له زعيمهم "بوبكر بن عبد الحكم" في مجاعة 1867عنزة مشوية، ولكن بدون سمن ولا ملح فقال له بوبكر مازحا (التوارق مداقنات) أي صعاليك، وبقيت التسمية بعد ذلك على الجماعة التي اتخذت من السطو والقتل عملا لها في الصحراء والتي تكونت عام 1868 أنظر:

Alfred Le chatelier, Les Medaganat, in *R.A*, N° 30, 1886 ,pp 39- 40

[3] - **Alfred Le chatelier,**Op-Cit, p 40.

[4] - عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 145.

[5] - لخضر عواريب، المرجع السابق، ص 298.

ومن هناك واصل بوشوشة طريقه نحو عين صالح، وأقام فيها مدة عشرة شهور قضاها في جمع الأنصار ومواصلة تأليب الشعانبة وتحريضهم ضد العدو دون أن يقوم بنشاط عسكري يذكر من ماي 1870 إلى مارس 1871، وخلال هذه الفترة أرسل جماعة من سكان ورقلة رسالة إلى الثوار جاء فيها **"لا تبقوا يوما واحدا أقدموا بخيامكم، أحضروا بوشوشة معكم، لم يبقى فرنسي واحد، لا أحد يحكم إلا قيادنا يعاملونا بظلم تعالوا لتخلصونا"**[1].

أ- حلول الشريف بشوشة بورقلة:

اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد تاريخ موحد لقدوم بشوشة إلى ورقلة، فالتقارير الفرنسية تؤكّد على أن بوشوشة كان متواجدا بورقلة منذ سنة 1870، حينما عاد من طرابلس وقالت أنه حمل رسائل إلى بعض الشخصيات من الشعانبة والمخادمة وبني ثور، الذين كانت لهم روابط مع الحركة السنوسية من ثورة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله، كما أن له علاقات جيدة مع الزاوية الرحمانية التي يوجد له فرع في منطقة لعجاجة وعين البيضاء بورقلة، ومن هذه الشخصيات: لخضر المخادمي، واحمد الشايب الشعانبي، ومصطفي من بني ثور، والخازن من لعجاجة، هذا بالإضافة إلى أن مائة 100 فارس قد شاركوا مع الشريف بشوشة في هجومه على المنيعة في أفريل 1870، بجيش قدره مائتين 200 فارس من الشعانبة ومائتين وستين 260 من التوارق [2].

ويذهب أيضا صاحب كتاب **"غصن البان"** إلى أن الشريف حل بورقلة سنة 1870، إذ يقول: **"وذلك أنه لما كانت الدولة الفرنسوية منشغلة في حركها مع المانيا سنة 1870م قدم لورجلان (ورقلة) بشوشة"**[3]، على خلاف رأي لويس رين (L. Rinn) الذي يذكر أن بشوشة حل بورقلة سنة 1871 من أجل القضاء على علي باي لتسهيل مهمة انتقال المقرانيين إلى تونس[4]، وهو نفس الطرح يؤكده لوشتليه (Le chatelier) بأن بشوشة قدم إلى ورقلة سنة 1871، بعدما كان ينوي الاستيلاء على تقرت والقضاء على علي باي، إلا أنه فشل فاتجه نحو ورقلة وهذا ما ذكره أبو القاسم سعد الله أيضا[5].

---

[1] – مُحَمَّد بن معمر، المرجع السابق، ص 109.

[2] - **Rapport, Notes pour servir…, Op.Cit**, p 429.

[3] – أعزام بابا حمو إبراهيم بن صالح، **غصن البان في تاريخ ورجلان**، تح: سليمان أبو معقل وإبراهيم بحاز، مطبعة العالمية، غرداية (الجزائر)، 2013، ص 68.

[4]- L. Rinn , **Histoire De L' insurrection De 1871 en Algérie** ,Alger, 1891, p p612-613

[5] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج1، ص 279-278.

ب- بوشوشة يحرر ورقلة ويجدد المقاومة:

بعد مدة أقام فيها الشريف بوشوشة بعين صالح توجه بعدها إلى واحة الرويسات بورقلة لتحريرها من قبضة علي باي من عائلة بوعكاز الموالي للفرنسيين، وقبل انطلاقه اجتمع بأنصاره وأتباعه وبين لهم الهدف الحقيقي من المقاومة، وأخبرهم بأن فرنسا قد حانت ساعة خلاصها ويجب عليهم مساعدته فقال: "**إذا كنتم ترغبون في الغزو والنهب فقط فلست منكم، وأما إذا عاهدتموني على أن تعطوني السيادة على ورقلة فإني أقبل قيادتكم شريطة أن تعاهدوني على أن تكونوا معي حتى النصر أو الموت**"[1].

هاجم حامية ورقلة في يوم 05 مارس 1871 فهزمها واستولى عليها بمساعدة أنصاره الكثيرين الموجودين داخلها (الذواودة، المخادمة)، وعين بن ناصر بن شهرة خليفة عليها لكي تكون قاعدة للثورة، ثم قاد هجوم على قمار يوم 08 مارس 1871 بقوة قدرت بـ 900 مقاتل، إلا أن الزاوية التجانية بزعامة شيخها السيد مُحَمَّد الصغير بن الحاج بقمار قدمت الحماية لعائلة علي باي وأولاده فسلمت الزمالة[2].

وقام في 13 ماي بمهاجمة تقرت وانتصر على القوات الفرنسية المرابطة بها، حينما كان علي باي في حاسي الناقة[3] وعين بوشمال بن قوبي أغا[4]، وبعد سقوط تقرت كان ذلك نهاية حتمية لحكم علي باي ووقوع منطقة سوف التابعة لتقرت تحت حكم بوشوشة، حاول علي باي الاحتجاج لدى المحاكم الفرنسية ببسكرة شاكيا أولاد ابن قانة باعتبارهم حسب ظنه مؤازرين لبوشوشة على غزو ورقلة وتقرت غير أن الحاكم الفرنسي اتهمه بالإهمال والتقصير وتوعدوه بتقديمه للعدالة فتوجه إلى تقرت، لكنه فشل في مقاومة بوشوشة ليعود إلى بسكرة يوم 13 جويلية 1871 مسلما في مقاطعته وادي ريغ والمنطقة الجنوبية لها أي وادي سوف[5].

لم يكتف بوشوشة بهذا، بل حاول تأديب قبيلة أولاد زكري التي كانت أكبر مساند لعلي باي مرسلا إليهم ناصر بن شهرة يقود جيشا من الشعانبة، ولم يكد يوم 13 جويلية 1871 ينقضي حتى

[1] - رضوان شافو، المرجع السابق، ص 155.

[2] - Louis Rinn, **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie,** Alger, 1891, p 486.

[3] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ...، ص 187.

[4] - Louis Rinn, Op-Cit, p 488.

[5] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ...، ص 187.

صار بوشوشة المتحكم في الصحراء الجنوبية من نفطة إلى تقرت بمؤازرة القوى الشعبية المختلفة لسكان الصحراء[1].

ج- أسباب اختيار بوشوشة لورقلة:

- يعود إلى أن الجنوب يعتبر دائما الملجأ الآمن للمقاومين حينما تفشل مقاومتهم في الشمال.

- قرب الحدود الجغرافية مع تونس والتي كانت دائما ملجأ للانسحاب واسترجاع الأنفاس وتجديد روح المقاومة.

- الرغبة في مواصلة مسيرة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله في الجهاد والمقاومة بعدما ألقي عليه القبض1861 .

- تواجد المقرانيين في منطقة ورقلة وعلى رأسهم بومزراق المقراني شجع بشوشة على التواجد بالمنطقة لمساعدتهم وتسهيل مهمة انسحابهم إلى تونس، وخاصة بعدما استولى الفرنسيون على زمالة بومزراق المقراني في الحضنة[2].

د- معارضة الميزابيين لبوشوشة:

بعدما اتخذ بوشوشة ورقلة عاصمة له، وعين عليها بن الناصر بن شهرة[3] ، وجه حملة عسكرية بتاريخ 04 سبتمبر 1871 نحو بني يزقن، طالبا من سكانها الخضوع والمبايعة له، ودفع الإتاوات، كبرهان على الطاعة ، فرفضوا ذلك وصمموا على مقاومته، ولكي يسهل عليهم مقاومة أنصار بوشوشة رحلوا عائلاتهم وأطفالهم إلى القصور في الجبال المجاورة لإبعادهم عن الأخطار ، واتجه القادرون منهم إلى بني يزقن في جو من الحماس الشديد والتغني بالأناشيد الحماسية، وخاف بوشوشة من مغبة هذا الأمر فتظاهر بإعطائهم مهلة ليتدبروا أمرهم، وعاد إلى ورقلة عبر زلفانة[4]، وقسم قواته إلى ثلاث فرق:

- فرقة اتجهت إلى تاجرونة غرب الأغواط.

- وفرقة اتجهت إلى وادي شبكة شمال ميزاب.

---

[1] - Louis Rinn, Op-Cit, p 612.

[2] - رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد** ...، ص 152.

[3] - عبد السايح ، **صفحات من تاريخ ورقلة**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص120 .

[4] - **زلفانة:** منطقة رعوية تقع بين ورقلة وغرداية تمثل بلدية سياحية في ولاية غرداية.

– وفرقة بقيادته أغارت على غرداية وبريان وعندما وصل إلى ورقلة وجد في استقباله صهره سي الزبير وبن ناصر بن شهرة والشريف مُحَّد بن عبد الله وعددا آخر من زعماء أولاد خليفة[1].

وبالرغم مما حققه بوشوشة من انتصارات ونكبات في الكثير من محطاته، في سبيل إخضاع خصومه وقيادة المنطقة والتصدي إلى التوسع الاستعماري، إلا أنه واجه صعوبات عدة، تمثلت في عدم طاعة بعض عروش القرى الواقعة بين العلية والقرارة حين اصطدم ببعضها يوم 07 نوفمبر 1871م وتعرف إلى اليوم بموقعة العريش، والتي قتل فيها 56 من رجاله، أما القبائل الرافضة له فقد سقط منها 40 رجلا[2].

هـ– انسحاب بوشوشة من ورقلة:

عاد بوشوشة في مطلع ديسمبر 1871 إلى نشاطه وألف خمس كتائب صغيرة للعمل وضم لها المقرانيين الهاربين من الشمال، وواجهوا القوات الفرنسية في منطقة حاسي قدور التي نجحت في مطاردتهم وتشتيت أنصاره، وتمكنت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال دولاكروا من استعادة مدينة تقرت من أنصار بوشوشة بتاريخ 27 ديسمبر1871 ودخلوها يوم 02 جانفي 1872، وبعد أسبوع حدثت معارك عنيفة بين القوات الفرنسية وأنصار بوشوشة، استطاعت القوات الفرنسية من خلالها الاستيلاء على زمالة بوشوشة بما فيها من الأغنام والجمال والحبوب والتمور...، وقتل في المعركة عدد كبير من الثوار، وألقي القبض على شخصين من المقرانيين هما: عبد العزيز بن مُحَّد قاضي الساحل القبلي، ومُحَّد بن حمودة قاضي مجانة، واستولوا على جزء كبير من أموال السعيد بن بودواو المقراني، قائد الحضنة، وعلى إثر هذه المعركة الفاصلة تشتت شمل الثوار، فاتجه بوشوشة نحو قرد عيش واتجه الآخرون إلى عين الطيبة[3] واتجهت الجماعة الباقية نحو الحدود التونسية[4].

أخرج بوشوشة وجماعته من ورقلة مع نهاية شهر جانفي على يد الجنرال دو لاكروا (De Lacroix) تاركة الحكم إلى الآغا ابن إدريس بن قانة[5] الذي قام بإنشاء ثكنة عسكرية على ربوة تقع شمال غرب قصر ورقلة، تحميه من جماعة المدقنات التي خلفها بوشوشة في المنطقة وهي مجموعات صغيرة

[1] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص34

[2] – الأزهاري عباز، المرجع السابق، ص 69.

[3] – قرد عيش، عين الطيبة، مراع صحراوية توجد بها أبار للمياه تقع جنوب غرب ورقلة.

[4] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص37

[5] - Alain romey, **les said otba de Ngoussa l'harmattan** , paris, 1973 , p 32.

تقوم بقطع الطرق على القوافل التجارية والنهب والسلب ومحاربة المستعمر والمتعاونين معه، ولا زالت أنقاض هذه الثكنة ماثلة للعيان[1] .

أما بوشوشة، فقد تخاصم مع المقرانيين واتهمهم بضياع زمالته ومحاولة اغتياله واتجه إلى عين صالح، ومن هناك إلى نواحي الساورة في كرزاز، واستمر في ممارسة الإغارات على خصومه في أنحاء كثيرة من الصحراء، وفي جويلية 1873م ظهر بوشوشة في المنيعة وأغار على قطعان أولاد يعقوب واقترب من ورقلة، فتعرض له الآغا الجديد وكلف أخاه السعيد بن ادريس بملاحقته في الصحراء فانتزع منه زمالته وزوجته التي أعادها إلى أولاد سيدي الشيخ[2].

3- المرحلة الثالثة: اعتقال بوشوشة ونهاية حركته

عمل بوشوشة على تنسيق ثورته مع الشريف مُحَّد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة مما مكنه من تحقيق انتصارات باهرة، لكن القدر لم يمهله، حيث كانت فرنسا قد قضت على ثورة المقراني 1871-1872م وتفرغت للقضاء عليه، واستعادت تقرت بعد هجوم عنيف يوم 02 جانفي 1872م[3]، فاضطر إلى التراجع نحو وسط الصحراء، حيث اقتصر نشاطه على توات بقصوره المختلفة كتيديكلت وتيميمون وموديدير وشروين وطلمين وأوقروت ودلدول وتاغوزي، وقاد منها حرب عصابات ضد الوجود الفرنسي على مشارف وحدود إقليم توات، حيث كانت القوات الفرنسية ترابط هناك في المنيعة وتسير البعثات والطوابير العسكرية استعدادا لاحتلال الإقليم[4].

بعد وصول معلومات إلى بوشوشة بأن زوجته "**زينب بنت جلول**" قد سلمت إلى أعدائه التجانيين اتجه إلى هناك على رأس 250 فارسا واستولى على 150 هودجا عثر عليها في المراعي المحيطة بتماسين، وبعد بلوغ الأمر إلى أغا ورقلة خرج السعيد بن إدريس لملاحقته ودعمته السلطات الفرنسية بقوات أخرى ووقعت معركة يوم 04 مارس 1874م في منطقة وادي لعقارب واستطاع السعيد بن إدريس محاصرة بوشوشة في معركة الميلوك جنوب عين صالح يوم 31 مارس 1874م.

---

[1] – الأزهاري عباز، المرجع السابق، ص 70.

[2] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص38.

[3] – صالح فركوس، **تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم، الجزائر ،2005، ص 25.

[4] – أحمد عبد العزيز، **صحراؤنا في مواجهة الاستعمار**، دار الرحاب، الجزائر، ص 4.

اقتيد بوشوشة وغيره من المعتقلين إلى ورقلة عاصمته الأولى في بداية الثورة، ومن هناك وجه إلى قسنطينة لأن المعارك والأحداث تمت في إقليم قسنطينة وأودع السجن لعدة شهور، ثم قدم إلى المحكمة وصدر ضده الحكم بالإعدام ونفذ فيه صباح يوم 29 جوان 1875م بمعسكر الزيتون بضواحي قسنطينة[1]، ولكن المقاومة الشعبية لم تخمد، فقد واصل أنصاره والذين عرفوا بالمداقنات الجهاد والوقوف في وجه القوافل التي تجوب الصحراء بزعامة سالم بن شرير، أما الباقية الأخرى من الثوار اجتمعوا في منطقة عين صالح، وساهموا في مقاومة سكان عين صالح ضد التوسع الاستعماري في هذه المنطقة من الصحراء الجزائرية الكبرى[2].

نجح بوشوشة في استهداف الوجود الفرنسي في وسط الصحراء الجزائرية، من خلال استهداف قواتها وعملائها، مما جعلها لا تدخر جهدا في القضاء عليه، وما كان لها أن تتمكن من ذلك لولا عملائها الكثر بالمنطقة، مما جعل ثورته تستنفد جل مجهوداتها ضد أعدائه من العملاء، ومن ثم استنفد قوته في المعارك الجانبية، ولو أن ذلك لا ينقص من عمله شيئا فحسبه أنه حارب ضد القوات الفرنسية كما حارب أعوانها العملاء.

ثالثا: تقييم حركة الشريف بوشوشة

1- كانت حركة بوشوشة حركة ذات طابع شخصي وأهداف خاصة بصورة عامة، ولم تكن تستهدف على ما يظهر من الحوادث سوى تحقيق الأغراض الخاصة مثل الثراء والانتقام من الخصوم والحصول على مركز اجتماعي وسياسي.

2- معظم جهود هذه الحركة استنفدت في المعارك الجانبية والهامشية ضد الجزائريين وفيما بينهم وليس ضد الإدارة الاستعمارية وجيش الاحتلال الفرنسي، ما عدا بعض الفترات الخاصة عام 1871 الذي هو عام الثورة الكبرى بالجزائر الشمالية الوسطى والشرقية.

3- كان للإدارة الاستعمارية دور بارز ورئيسي في إثارة هذه الحركة وذلك لأنها طبقت سياسة قاسية ضد السكان، وحرمت الشعب الجزائري من كل الحقوق السياسية ومنعته من ممارسة أبسط الحقوق وحولته إلى شبه جالية في بلاده ووطنه.

[1] - يحي بو عزيز، مرجع سابق، ص39 .

[2] - عبد الله سايح، مرجع سابق، ص120 .

4- كان للظروف الاقتصادية السيئة والمتردية دور في خلق هذه الحركة خاصة بعد مجاعة عامي 1867-1868، فقد أفقرت الإدارة الاستعمارية المجتمع الجزائري إفقارا لا نظير له، واضطرته إلى ممارسة أعمال العنف على غرار حركة بوشوشة ورفاقه للرد على سياسة الإفقار ومواجهة الحيف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي مارسته وطبقته ضده[1].

المبحث الخامس: مقاومة التوارق

أولا: الأوضاع الداخلية لتوارق الهقار نهاية القرن 19م وبداية اهتمام الفرنسيين

يرجع سبب اهتمام الفرنسيين بالواحات الصحراوية ومنطقة الهقار إلى تحولها إلى معاقل للثوار والمجاهدين، الذين كانوا يفرون من الشمال إليها للاعتصام بها والاستعداد مرة ثانية للمقاومة، وقد بدأ هذا الاهتمام يطغى على عقولهم منذ أحداث ثورة سكان الزعاطشة بمنطقة بسكرة، وحركة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله بواحات الأغواط وورقلة وتقرت وثورة سكان الجنوب الوهراني بزعامة أولاد سيدي الشيخ[2].

واشتد هذا الاهتمام أكثر في عقدي الثمانينيات والتسعينيات، بعد أن استعمروا غرب إفريقيا من أجل ربط مستعمراتها ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط، وجاء تعرض حملاتهم وبعثاتهم العسكرية التوسعية والاستكشافية إلى هجمات الجزائريين في أعماق الصحراء ليقوي عزمهم ويحفزهم أكثر إلى التوسع والسيطرة على كل الواحات الجنوبية، ومنها منطقة الهقار ووضع حاميات عسكرية بها أو في بعضها تضمن لهم الأمن والاستغلال بحرية[3].

كان لنظام الاحتلال الفرنسي مخطط محكم للتوسع في المناطق الصحراوية، لذا فقد تعامل بذكاء مع القوى المؤثرة في المنطقة، ومزج بين أسلوب القوة والمهادنة في تعاملها مع المقاومة، وتخلت جزئيا عن الأسلوب الدبلوماسي لأنها كانت تخرق الاتفاقات حالما تشعر بالقوة وإمكانية السيطرة على الأوضاع في تلك المنطقة أو كان هدفها في بعض الأحيان تجنيب فئة أو تحيين الصراع معها لحين الفراغ من أخرى أو لفك أواصر التعاون المحتمل ضدها[4].

---

[1] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في ...، ص 82.

[2] – المرجع نفسه، ص 279.

[3] – المرجع نفسه، ص 280.

[4] – كديده مُحَمَّد مبارك، **النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب**، مجلة الباحث، جامعة الوادي، ع4، ديسمبر 2014، ص 21.

واستمرت البعثات الفرنسية خاصة بعد مؤتمر برلين الثاني 1884-1885 والذي أفضى إلى تقسيم إفريقيا بين مختلف القوى الأوربية، وتزامن هذا مع إنشاء مركز عسكري بالمنيعة والذي أقلق توارق آزجر، حيث قرروا زيارة السلطات الفرنسية بمدينة الجزائر لمعرفة مصير تبادلهم التجاري مع تجار عين صالح في 16 نوفمبر 1892 وباحتلال واحة عين صالح تحت قيادة الضابط بان[1] (Capitaine Pein) سنة 1899 فتحت أبواب الصحراء من جديد وأنشأت فرنسا أبراجا عسكرية لحماية الواحات من التوارق، كبرج تيماسنين سنة 1898 الذي أقامه لامي (Lamy) ما بين غدامس[2] وعين صالح وبسكرة وأقادز[3] (Agadez)، وحصن الجيش الفرنسي المنطقة الجنوبية، بذلك وأسرع لربط العلاقات مع القبائل الأخرى مع عدم السماح لهم بالانضمام إلى قبائل الهقار المتمردة، وهو ما مكَّنهم من التوغل نحو الأيير[4] (Air)، وبعد احتلال فرنسا لعين صالح بقيت أمامهم مشكلة التوارق فقط[5].

استمرت جهود الفرنسيين في القرن العشرين لاختراق الصحراء، واستطاعت فرنسا بعدها أن تمد خطوطا حديدية في الصحراء، وتعبر الطريق الذي كانت تسلكه القوافل في غرب القارة بين الساحل الجزائري وتنبكتو على حوض النيجر في جمهورية مالي الحالية. وفي عام 1922م تمكنت قافلة من

---

[1] – **لويس أوغست ثيودور بان (Louis Auguste Theodore Pein):** ولد في 30 جوان 1867م في فرنسا، درس بالمدرسة العسكرية سانت سير سنة 1887م، ثم بعث كضابط عسكري إلى بوسعادة ثم نقل إلى ورقلة، قتل في 09 ماي 1915. ينظر: Léon Lehuraux**, Le Conquérant des Oasis, Colonel Théodore Pein**, Typographie Plon, Paris, 1935, pp 1-9.

[2] – **غدامس:** تقع في ليبيا على حدود أراضي توارق أزجار كانت تحت الحكم العثماني 1862م، وهي من أهم المدن التجارية، ضف إلى ذلك أنها مدينة عتيقة لها آثار مختلفة ومتنوعة نتيجة مرورها بمراحل تاريخية هامة منها الإغريقية، أصل سكانها بربر أطلق عليهم الملثمين، عرف سكانها بصناعة الجلود، بها مساكن ودكاكين بنيت على الطراز البربري يقام بها سوق أسبوعي كل يوم جمعة، تتوفر على كمية من المياه العذبة. ينظر:

Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord,** Editeur Challamel Ainé, Paris, 1864, pp 249-266.

[3] – **أقادز:** تقع على بعد 491 كلم شمال عين قزام و582 كلم جنوب زندر أي جنوب مرتفعات الأيير، تعتبر أقادز مركزا أساسيا بإفريقيا الغربية، تسكنها قبائل التوارق وقبائل الهاوسا، في تاريخ 28 جويلية 1899م دخلها فورو لامي وفرض على سلطانها الاعتراف بالاحتلال الفرنسي. ينظر: Georges Gorrée, **Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld**, B.Arthaud, Paris,T 1, 1946, pp 295-296.

[4] – **الأيير:** مرتفع صلب يقع جنوب شرق الهقار، أهم مرتفعاته هو تامنقاك (Tamangak) ارتفاعه 1800م، تعرف المنطقة بالرطوة الشديدة وسقوط الأمطار السنوية التي جعلت المنطقة رعوية لتوفر الأعشاب والنباتات، سكانها من المقيمين يطلق عليهم كل أيير أي سكان الأيير. ينظر: Georges Gorrée, Op-Cit, pp300-301.

[5] – هاشمي آمال، المرجع السابق، ص 266.

السيارات الفرنسية من عبور الصحراء الكبرى لأول مرة، انطلاقا من الساحل الشمالي للبحر المتوسط حتى بلغت تنبكتو بعد شهر واحد، وما لبثت البعثات الاستكشافية بالصحراء أن انتقلت بعد ذلك إلى مرحلة جديدة، هي التعرف على آثار حضارات سكان الصحراء في العصور الغابرة، خصوصا وأن الجفاف يعتبر عاملا رئيسيا في الاحتفاظ بها، وأدت الكشوف إلى تأكيد النظرية التي ترى أن الصحراء كانت منذ 40 ألف سنة مضت مدارية غزيرة الأمطار تجري بها الأنهار والبحيرات[1].

وقد عاش التوارق اضطرابات داخلية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي نظرا لكبر سن حاكمهم العام أَهِيتَغَالْ "مُحَّد أق بسكة"، وعدم تمكنه من التحكم بزمام الأمور، وإثر وفاته تضاعفت المشاكل والخلافات حول من يخلفه ومن يتولى جمع الضرائب التي كان يستولي عليها بعض شيوخ العشائر، فتفرق سادة التوارق ونبلائهم، فمنهم من اختفى سرا لأنه غير قادر على تحمل مسؤولية الحكم، ومنهم من هاجر إلى تازروق[2] (Tazrouk) والتزم الصمت، ومنهم من كان شيخا هرما غير قادر على الحكم والسيطرة، لكن في المقابل تكون حزبا آخر تحت قيادة موسى أق أمستان[3] الذي عمل على جمع صفوف التوارق وإعادة الروابط الأخوية بينهم[4].

وقد زادت الأوضاع سوءا حين تمكن الشيخ عابدين الكنتي[5] بتحريض التوارق لإيقاف كل الاتصالات التجارية التي تربطهم بسكان توات وتيديكلت وسلب القوافل الفرنسية، والكف عن أكل التمور المقتناة من واحات الشمال وهذا خلال سنة 1900، ولكن في سنة 1901 وجدت بعض القوافل التجارية التابعة لقبائل "تيطوق" و"كل أهنات" صعوبات تجارية لواحة عين صالح وتيديكلت

---

[1] – عيسى علي إبراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 204.

[2] – **تازروق**: منطقة جد مهمة من حيث أراضيها الخصبة التي يهتم بزراعتها والاعتناء ببساتينها الحراطين تبعد عن تمنغاست بـ 188 كلم: ينظر: Georges Gorrée,Op-Cit, 326.

[3] – **موسى أق أمستان**: كان من بين النبلاء وأشراف التوارق ولد سنة 1867م عرف بالذكاء توفي سنة 1920 ينظر:
Metois, La Soumission des Touareg du Nord 1900-1904, Editions Jacques Gandini, Paris, 1995, pp 10-11.

[4] – هاشمي آمال، المرجع السابق، ص 267.

[5] – **الشيخ الكنتي عابدين**: هو سي العابدين ابن مُحَّد الكونتي ولد سنة 1840م من المرابطين، تابع لقبيلة كنته التي تتوزع في مناطق عدة من الساحل إلى الأزواد أين أنشأ أفرادها قرى وهي الهالو (El Hallo)، مبروك والمامون، ثم انتقلت هذه القبيلة نحو جنوب إيفوغاس أين استقرت بتمبوكتو وضواحيها، أما العابدين فهو يقطن بالهقار ثم هاجر نحو منطقة درعة، كان يرسل المحاربين لغزو جنوب أدرار وتيمترين. ينظر:
H.Bissuel, **Le Sahara Français**, Imprimerie Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, pp 36-37.

فأجبروا على الإذعان للسلطات الفرنسية وطلب الحماية منها، استلم لابرين[1] (Laperrine) قيادة الفيالق العسكرية بالجنوب بهدف تكوين الأهالي وتدريبهم على القتال باستعمال الأسلحة المتطورة وضمهم إلى الجيش الفرنسي بغرض التوغل في الصحراء واحتلال الواحات المتبقية[2].

ثانيا: توغل الفرنسيين في منطقة الهقار

حاولت فرنسا بسط سيطرتها على تجارة الصحراء والسودان أن تضع التوارق تحت نفوذها، وبعد التجارب التي دفعت ثمنها غاليا بدأت تحاول الدخول من جهة الجنوب مع القوات الإفريقية السوداء، فاختلفت في هذا المخطط عن مشيئة سلطات الجزائر، وقام الجيولوجي فلامون (Flamand) برحلة إلى في 28 نوفمبر 1899 إلى عين صالح بهدف احتلال المنطقة المتبقية من مناطق تيديكلت والهقار[3]، وكان يقوم على حراسته النقيب بان (Pien) مع 140 شخصا من الشعانبة وقد استولت هذه القوة على قصور عين صالح في 29 ديسمبر 1899م، آثار هذا الخبر القلق في باريس والجزائر في البداية، ولكن عندما تبين أن احتلال الفرنسيين لعين صالح قد تم بمبادرة من السلطات المحلية، وأن مشكلة التوارق يمكن أن تحل عن هذا الطريق لذا أرسلت قوات دعم للنقيب، بينما قامت فرنسا بعدها بدراسة وضع توارق الهقار والأزجر، وبعد التجسس علمت بأن الهقار يملكون 1000 فارس والأزجر 300 فارس، وأنه لا يمكن تجمع هؤلاء لقلة المياه والمراعي، فقررت السيطرة عليهم ببضع مئات من الجنود المسلحين الأوربيين وتقرر تأسيس قوات محلية بدلا من الجيش النظامي لكثرة كلفته[4].

وبعد استيلاء الفرنسيين على عين صالح توفي الزعيم الهقاري إيتيكال أق مُحَّد وتولى محله ابن أخيه أتيسي (Attissi)، الذي كان له يد في قتل فلاترز، وأثناء تهنئة قائد عين صالح له خاطبه قائلا: **"سأقتلك بالقوة أو بالخديعة إن جئت إلى الهقار وإن مانعت مرور قوافلنا بتيدكلت فسأقطع أشجار النخيل في الواحات"**، وبذلك علم الفرنسيون بأن الهقار لن يخضعوا للحكم الفرنسي عن طريق السلام

[1] – **لابرين:** ولد بتاريخ 29 سبتمبر 1860 بكاستل نوداري (Castelnaudary) فرنسا، زاول دراسته بالمدرسة العسكرية سانت سير وكان زميلا لشارل دو فوكو، أرسل إلى الجزائر ومات في حادث طائرة بالصحراء في 20 مارس 1920. ينظر:
M.H.Lelong, **Le Sahara Aux Cent Visage,** Editions Alsatia, Paris, 1945, p 268.

[2] – هاشمي آمال، المرجع السابق، ص 267.

[3] – كديده مُحَّد مبارك، المرجع السابق، ص 21.

[4] – عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص 207.

ولم تكن سلطات باريس والجزائر راغبة في الاشتباك مع التوارق، بل إن السلطات المحلية تحركت نشيطة حرة وقضت على المشكلة كما حدث في عين صالح[1].

ثالثا: توارق الهقار في معركة تيط (TIT)

أمنت فرنسا موقعها في الجزائر من ناحية الجنوب، ولكن من الناحية الشرقية والغربية فلم يكن لديها ضمانات، خاصة بعد إصرار سكان الجنوب على المقاومة فكانت تزداد انغلاقا في وجهها، فضربت عليهم حصارا اقتصاديا انطلاقا من المناطق التي احتلتها في شمال الصحراء، وأمام هذه الوضعية التي عليها المنطقة ازداد تخوف فرنسا من احتمال تطور المقاومة ضدها إذا ما وجدت الدعم والمساعدة من البلدان المجاورة وانتقال شرارتها إلى المناطق الشمالية للبلاد، ما جعلها تقرر حسم المسألة بواسطة الحملات العسكرية[2].

1- أسباب المعركة:

اختلقت قوات الاحتلال الفرنسي في عين صالح الأسباب لخوض معركة تيت[3]، فحسب تقرير الملازم كوتيناست[4] (Lieutenant Cottenest) أنه في 15 مارس 1902 تعرض مُحَّد بن بسيس وهو تاجر من "أينغر" كان يقود خمس جمال محملة بالسلع لبيعها للتوارق للسرقة من طرف ثلاث أشراف من التوارق، وفي 23 مارس تعرضت فاطمة بنت بسيس وهي أخت مُحَّد للغزو من طرف بعض التوارق، فوصلت هذه الأخبار إلى قائد ملحقة عين صالح قاستون كوفي[5] (Capitaine Cauvet) ليجد الفرصة سانحة لاحتلال الهقار وتجنيد أهالي شرق تيدكلت للانتقام من الثوار الذين طالما سلبوا قوافلهم التجارية،

---

[1] – عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص 208.

[2] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 146.

[3] – **تيط**: هي منطقة تقع على ضفاف واد تيط تبعد عن تمنغاست بـ 50 كلم تعرف بكثرة الجفاف وقلة السكان عدد أكواخها حوالي 15 كوخ (زريبة) ومعظم سكانها من الحراطين. ينظر: Georges Gorrée, Op-Cit, p 331.

[4] – **كوتيناست**: ولد ببارغ (Bergues) في 26 مارس 1870، وفي سنة 1898 عين قائدا على مكتب العرب بتقرت، وفي سنة 1900 غير مكان عمله إلى عين صالح تحت قيادة الحاكم أو الضابط كوفي قتل إثر الحرب العالمية الأولى. ينظر:
Georges Gorrée, Op-Cit, pp 12-19.

[5] – **قاستون كوفي**: ولد بتاريخ 23 ماي 1860م دخل المدرسة العسكرية سانت سير في 29 أكتوبر 1878م، ثم بعث إلى الجزائر في أواخر سنة 1881م نحو بوسعادة، عين بعدها قائد بملحقة الشلالة وقام باستكشاف منطقة جانت، ولما تحصل على التقاعد قام بأبحاث علمية في لصحراء الجزائر خلال سنة 1908 سواء في علم البيولوجيا أو الحيوانات الصحراوية ألف عدة مؤلفات في التاريخ القديم ورسومات الطاسيلي. ينظر: Georges Gorrée, Op-Cit,T 2, pp 7-9.

فشكل النقيب فرقة عسكرية من القوم تتألف من مائة وثلاثين 130 جندي تحت قيادة "كوتينست" موزعة كما يلي[1]:

- السرية الأولى مكونة من 40 مخزني من شعانبة مخزن الملحق.
- السرية الثانية مكونة من 30 من أولاد دحمان مع كبيرهم بابا قائد السرية.
- السرية الثالثة مكونة من 20 من أولاد يحي مع كبيرهم دورو و10 من أولاد باحمو.
- السرية الرابعة مكونة من 10 من أهل عزي وكبيرهم عبد القادر بن عبد الكريم قائد السرية وعشرة من أولاد مختار وعشرة زوا.

التقى الطرفان في 07 ماي 1902، وتقدم مجاهدي التوارق بسرعة وانتظام في فرق متراصة رافعة أصواتها ومدوية بالتهليل والتكبير وهم حوالي 300 مجاهد، والتحم فيها الجمعان في معركة ضارية حتى احتكت الأجسام ببعضها البعض، وتحولت المعركة بالسلاح الأبيض ما جعل قائد الفرقة الفرنسية يعطي أوامره بالتراجع والصعود إلى المداشر المجاورة والتحصن بالمرتفعات، قتل الخوجة المترجم ومختار بلحاج بوحفص وتواصل إطلاق النار ببطء، ثم باغت أحد التوارق قائد الفرقة كوتيناست وكاد يقتله لولا تلقى مُحَّد بن سليمان بن مرزيق الرصاصة بدل منه في ذراعه اليسرى، ولكن تهاطل الأمطار دفع المجاهدين التوارق إلى التراجع، وبدأ الفرنسيون هجوم معاكس بضرب التوارق بمؤخرة بنادقهم وإطلاق الرصاص عليهم، وانتهت المعركة بعد مضي ساعتين ونصف، حيث أفرغت القوات الفرنسية أغلب ذخيرتها وقدرت خسائر المجاهدين التوارق بحوالي 96 شهيدا، أما الجانب الفرنسي فقد سقط كل من سي عبد المجيد بن سي إسماعيل من تقرت، ومختار بن الحاج بوحفص من عين صالح، والحاج مختار من أولاد دالا، وعشرات الجرحى تمت معالجتهم طوال الليل، كما قتل 18 مهري أحسن المهاري[2].

لقد حطمت هذه الهزيمة أساطير التوارق فلم يكادوا يدخلون معركة أخرى مع الفرنسيين إلا وهزموا فيها، كما تيقن الفرنسيون أن التوغل والتوسع في صحراء الهقار لن يتم إلا بالطرق الهادئة والسلمية، فقام كوفي بالتفاوض مع موسى أق أماستان نظرا لنفوذه لدى توارق الشمال، وتم تعيينه في 20 جانفي 1904 رئيسا على الهقار تحت حكم الفرنسيين[3].

[1] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء ...، ص 517.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 523-524.

[3] – عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص 208.

توالت القبائل الطارقية في طلب الصلح والأمان من السلطات الفرنسية، واستطاع لابرين أن يقيم رحلات عسكرية نحو الهقار ما بين 1902-1903 بكل حرية، فعمل على زيارة المخيمات والقبائل الطارقية بغرض إخضاعهم للسلطات الفرنسية، وقامت بعدها حملات عسكرية أخرى بقيادة الضابط قييو لوهان (Guillot Lohan)، الذي انطلق من عين صلح سنة 1903 مرورا بإميدير[1](Immidir) وتفْدَسْت[2] (Tafedest) والكودية إلى أبَلسَه[3] (Abalessa)، إذ عمل على جلب عدة معلومات جغرافية وطبوغرافية مهمة بتاريخ 17 نوفمبر 1902، واستمر الفرنسيون في استمالة القبائل الطارقية بمساعدة موسى أق أمِستانْ الذي وعدهم بتأمين الطرقات وأصبح من الثقاة الذين يعتمد عليهم في نشر السلم والأمان[4]، وقبل أن يتوغل الاحتلال الفرنسي في الصحراء جددت السلطات العسكرية التنظيم الإقليمي للجنوب حسب الترتيب التالي:

1- نقل مركز الدائرة من المنيعة إلى غرداية بعد أن فقدت المنيعة أهميتها العسكرية والإستراتيجية وبعد خضوع كل الواحات المقابلة لها وهذا تماشيا مع مرسوم 30 ديسمبر 1903 المتعلق بتوظيف ميزانية الأقاليم الجنوبية.

2- ضرورة تجميع ملحقات بني عباس، تاغيت، بني ونيف تحت قيادة موحدة وذلك بإنشاء مركز كولومب (بشار حاليا).

3- إنشاء محطة بتاغيت.

4- تحويل عين الصفراء من دائرة إلى ملحقة.

5- نزع الدائرة من تاغيت وتحويلها إلى كولومب ووضع ملحقة بني ونيف تحت الأوامر المباشرة للجنرال قائد الشعبة العسكرية[5].

---

[1] – **إميدير**: يطلق عليها بالطماهق أمدير أو مويدير (Mouydir) هي منطقة شاسعة بها مرتفعات وجبال تقع بين الهقار وتيدكلت وهي عبارة عن أراضي رعوية. ينظر: Georges Gorrée, Op-Cit,p 318.

[2] – **تفدست**: هي عبارة عن سلسلة من المرتفعات تمتد من الشمال نحو الجنوب أكبر قمة بها هو جبل أودان (Oudane) تلقب بغارة الجنون ارتفاعها 2375م. ينظر: Henri Duveyrier, Op-Cit, p 13.

[3] – **أبلسه**: قرية تقع قرب واد إتاراس (Itarass) تبعد عن تمنغاست بـ100 كلم غرباً و47 كلم جنوب غرب تيط بها أبار إرتوازية تساعد الحراطين على زراعة القمح والخضر والفواكه. ينظر: Georges Gorrée, Op-Cit, pp 293-294.

[4] – هاشمي آمال، المرجع السابق، ص 268.

[5] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء ...، ص 533.

كما بدأت فرنسا في تنفيذ مشاريعها الاقتصادية بالصحراء كحفر الآبار الارتوازية بتماسينين وإنشاء خطوط تيليغرافية من تيديكلت إلى غاية الهقار، وبحلول سنة 1905 عرفت منطقة الهقار هدوءا نسبياً، ورغم النجاح الذي حققته السلطات الفرنسية فإن فكرة الإذعان لم تشمل كل التوارق، إذ نجد أن توارق آزجر قد رفضوا الرضوخ والطاعة، وفروا نحو ليبيا منضمين إلى توارق غدامس وغات وفزان بتحريض من الحركة السنوسية، من بينهم نجد السلطان الشيخ أمود[1] وأق ألقوي وعائلة أتيسي وعائلة أبي بكر، ونظرا للمساعدات التي قدمها موسى أق أمستان للجيش الفرنسي نصب بصفة أمنوكال (الحاكم العام) وقدم له برنوس أحمر سنة 1907 رمزا للحكم[2].

وبحلول سنة 1910 حقق لابرين انتصارا كبيرا على التوارق مكنه من التوغل نحو جنوب الصحراء، وبهذا استطاعت فرنسا أن تغير مجرى حياة التوارق مستغلة مشاكلهم الداخلية وتقهقرهم وعدم صمودهم أمام الجيش الفرنسي، حيث حولتهم فرنسا من أسياد إلى مطيعين يطالبون بالأمان، كما أفقدتهم حرياتهم وأوقفت تجارتهم وقطعت عنهم سبل الحياة، وهكذا استتب الأمر لفرنسا في صحراء الجزائر وهو ما سيفتح لها الأبواب نحو إفريقيا[3].

رابعا: التوسع في إقليم التاسيلي (جانت)[4]

عندما بدأ الوجود العثماني يشهد انكماشا وانحصارا على ولاية طرابلس (ليبيا)، استغل القادة الفرنسيون هذا الظرف العصيب الذي كانت تعاني منه السلطة العثمانية فراحوا يمدون ويوسعون من

[1] – **الشيخ آمود 1859–1928**: ينتسب الشيخ آمود إلى قبيلة (إيمانان) التي استوطنت منطقة فاس المغربية، بعد أن هاجرت إليها من منطقة الساقية الحمراء .لكن لا ندري شيئا عن الأسباب التي دفعت أفراد هذه القبيلة إلى الانتقال إلى مدينة جانت لكن هذا الأصل أكسبها مكانة مرموقة ونفوذا واسعا حتى أصبحت من أشهر قبائل التوارق ذات التأثير المادي والمعنوي، وازدادت أهمية هذه الأسرة لما دخل زعيمها الشيخ آمود في علاقات مع الأتراك ثم مع زعماء الطريقة السنوسية، ومما يلاحظ أن الشيخ آمود لم يكن رجلا عسكريا فحسب بل كان رجل علم ومعرفة إذ تلقى تعليمه الأول في مدينة جانت حيث حفظ القرآن الكريم وأستوعب مبادئ اللغة العربية، لم يكتف الشيخ آمود بما أخذه على أيدي علماء مدينة جانت بل انتقل إلى مدينة تامنغست وعين صالح لاستزادة من مختلف علوم عصره، وكان لهذه الثقافة الدينية تأثير بالغ الأثر على أتباعه ومناصريه من بقية القبائل التوارقية، الذين لبوا نداء الجهاد الذي أعلنه على الفرنسيين. ينظر: غالي الغربي، المرجع السابق، ص 107.

[2] – هاشمي آمال، المرجع السابق، ص 268.

[3] – المرجع نفسه، ص 269.

[4] – **جانت**: هي عبارة عن واحة بها مركز عسكري، تقع جنوب شرق طاسيلي أزجر على بعد 776 كلم شمال شرق تمنغاست و280 كلم جنوب غرب غات. ينظر: Georges Gorrée, Op-Cit, p 305.

نفوذهم في أقصى الجنوب الشرقي للجزائر، وبعد أن دخلت قواتهم مدينة عين صالح في مطلع القرن العشرين الميلادي، ومدينة تمنغاست في سنة 1904م، وإيليزي في سنة 1908، وتمكنوا من الوصول إلى مدينة جانت في مطلع 1909م، وفي هذه الأخيرة اصطدم الفرنسيون مع قوات الشيخ آمود الذي رفض الصلح وأصر على الجهاد وقال قولته الشهيرة: "... **لن أضع يدي في يد الكفار، لأنني أقسمت بالله ألا أنظر إليه إلا بالقتال...**"[1].

لكن ميزان القوة كان هذه المرة لصالح الفرنسيين، وقد بقيت المدينة تحت النفوذ الفرنسي حتى عام 1911، بسبب انشغال الشيخ آمود بالحرب الدائرة بين السنوسيين والإيطاليين، إذ انسحبت قواته إلى داخل الأراضي الليبية لمد يد المساعدة والعون للمقاومة الليبية، وبعد الانتصار على الإيطاليين عاد الثوار إلى مدينة جانت يدعمهم في ذلك رجال الطريقة السنوسية، وشددوا الخناق على المدينة، ولم تستمر مقاومة الفرنسيين هذه المرة طويلا، إذ ما فتئت أن انهارت أمام إصرار الثوار وعزيمتهم، وبدأوا في الانسحاب، وراح الثوار يتتبعون الجنود الفرنسيين الهاربين الذين كانت خسائرهم المادية والبشرية كبيرة[2].

خاض الشيخ آمود طوال حياته معارك عدة ضد الجيش الفرنسي، وكان الانتصار حليفه في أغلبها ولم تكن هذه المعارك مقتصرة على بقعة جغرافية معينة، بل شملت كامل منطقة الجنوب الشرقي من الصحراء وامتدت رقعة هذه المعارك داخل الأراضي النيجرية والتشادية والليبية، مما أفقد القوات الفرنسية زمام المبادرة والسيطرة على الصحراء، وكانت النتيجة أن انحصر تواجد هذه القوات في داخل المدن الكبرى مثل عين صالح وورقلة، ولم تتجرأ القوات الفرنسية على التوغل في مناطق التوارق الذين أحكموا حصارهم على تنقلات الجيش الفرنسي إلا بعد الاستعانة بخبرة السكان المحليين بشتى الوسائل الممكنة، من خلال إجبارهم مثلا على الانخراط ضمن وحدات الجيش الفرنسي كأدلاء وخيالة، ورغم هذا فإن الأمور لم تستقر لفرنسا إلا بعد العشرينات من هذا القرن[3].

وبقيت مدينة جانت مستعصية على الفرنسيين حتى سنة 1916، عندما أدخلت وزارة الدفاع الفرنسي تغييرات وإصلاحات تمكنها من استعادة نفوذها وهيبتها على الصحراء، وخاصة عندما عينت

[1] – إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 126.

[2] – غالي الغربي، **ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية**، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع1، 1996، ص 108.

[3] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص 107.

الجنرال لابيرين (Laperrine) قائدا عاما للجيش الفرنسي في الصحراء، ورغم استعادة الفرنسيين للمبادرة العسكرية في الصحراء الشرقية مؤقتا باحتلال مدينة جانت 1916م، إلا أن تصعيد العمليات العسكرية المسلحة من جانب التوارق آزجر في منطقة الطاسيلي على الحاميات والمراكز الفرنسية، كان له أثر عميق على معنويات الجيش الفرنسي، الذي تيقن في استحالة إخضاع التوارق وإسكات مقاومتهم خاصة وأنهم من خلال تعاملهم مع الهجمة الاستعمارية، اكتسبوا خبرة ودراية في إيجاد الخطط التي تعرقل التوسع والتوغل الفرنسي[1].

اتجه الجنود التارقيين وهم مسلحين بالبنادق والمدفعية التي انتزعوها من الجنود الإيطاليين الذين احتلوا ليبيا عام 1912 نحو واحة جانت وحاصروها لمدة ثمانية عشر (18) يوم، ابتداء من 06 مارس 1916، وقبل بدء الهجوم بعث الشيخ عبد السلام برسالة إلى الضابط الفرنسي لابيرين يحثه فيها على الاستسلام، إلا أنه رفض فأمر الشيخ بمهاجمة الحصن بالرصاص والمدفعية، وتبادل الطرفان إطلاق النار إلا أن الغلبة في النهاية كانت للثوار الجزائريين، إذ تمكنوا من دخول الحصن في 24 مارس 1916 وانسحب لابيرين رفقة الجنود الذين بقوا معه من الفرنسيين والصبايحية نحو حصن بولينياك الموجود بإليزي وعندما وصلوا إلى منطقة "تباركت" سمعوا بأن قافلة نجدة فرنسية في الطريق إلى جانت فقرر الضابط العودة، وفي طريقهم فوجئوا بثوار الشيخ عبد السلام يحاصرونهم من كل جانب، فاستسلم الضابط لابيرين والتحق معظم الصبايحية الذين كانوا معه بالثوار، وكرد فعل على هذه العملية سيرت السلطات العسكرية الفرنسية جنودها بقيادة الضابط مينيي (Meynier) لاسترجاع حصن جانت، ولم يتمكن من الاستيلاء عليه إلا بعد معركة دامية انسحب على إثرها الشيخ عبد السلام وأحمد سلطان رفقة جنوده إلى تاغيت[2].

كما اهتدى الشيخ آمود إلى أسلوب حربي تكتيكي مكنه من التغلب على عامل كبر الرقعة الجغرافية التي تدور عليها المعارك، وذلك من خلال تقسيم المهام العسكرية بين قادته وأعوانه، وكان هؤلاء القادة يمثلون مختلف القبائل التوارقية، وكانت خطته الإستراتيجية تعتمد على أسلوب الكر والفر، واستخدام الكمائن باعتراض القوافل الفرنسية التموينية منها أو الفرق العسكرية ومباغتتها وتحاشي الدخول معها في مواجهات مباشرة، لأن ميزان القوة غير متكافئ بين الطرفين، كانت نتيجة هذا الأسلوب في المقاومة تكبد الجيش الفرنسي لخسائر بشرية ومادية معتبرة، فعين على منطقة عمر إدريس

[1] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص 110.

[2] – عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ "ما قبل التاريخ إلى 1962"**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 297.

كل من القائدين الشيخ العايب من قبيلة إيفوغاس[1] بمساعدة أخاه "حبة تول"، ومن أهم المعارك التي شارك فيها هذان القائدان معركة تازروفت سنة 1917 وتابنكورت ووادي أوال، أما على منطقة إيليزي وضواحيها، فقد عين القائد "إبراهيم أق بدة" بمعية الشيخ التومي، وكانت أول معركة لهما معركة وادي إيميهور زيادة على معركة تين هضان التي استشهد فيها عدد كبير من الثوار[2].

وكإجراء انتقامي وتخويفي ألقت السلطات الفرنسية القبض على سبعة من أعيان مدينة إيليزي وأعدمتهم، ومن المعارك الشهيرة التي خاضها الثوار ضد الجيش الفرنسي نذكر معركة في عين الحجاج التي غنم فيها الثوار، غنائم معتبرة من العدة والعتاد وقتل فيها الضابط الفرنسي (Des Logis) مع ثمانية عشر من القناصة والعشرات من الأسرى من بينهم ضابط فصيلة، ولم ينج من المعركة سوى ثلاثة جنود تمكنوا من الفرار[3].

أما عن المنطقة الواقعة بين جانت وسلسلة جبال الهقار، فقد عين الشيخ آمود القائد (أبة غابلي) ومن أشهر معاركه معركة (وادي تهراق) وإيلامان و(ترهاوهاوت)[4] بين عين صالح وتامنغست والتي قادها (متيتة شبكي)، وانتهت بدحر القوة الفرنسية، ومن المعارك البارزة أيضا نذكر معركة (عين إيمجن) في 13 جويلية 1916م، التي تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر كبيرة، وأرغم الثوار الضابط الفرنسي (Le Quitot) على الانسحاب من ساحة المعركة واللجوء إلى برج فلاترز، بعد أن ترك وراءه حوالي 13 قتيلا.

ومن النتائج المترتبة على هذه الهزيمة الفرنسية نفاذ مخزون المئونة المخصصة للجنرال (Meynier) القائد العام للجيش الصحراوي لشهري جويلية وأوت، أمام تصعيد العمليات العسكرية من جانب المقاومين التوارق، بدأت السلطات الفرنسية في التفكير في التراجع والانسحاب من أقصى الجنوب

[1] – الإيفوغاس (Ifoughas): تعود جذور هذه القبيلة إلى أضاع وهم يتوزعون في مختلف مناطق الأزجر، تماسنين، جانت، أغارغارن، تيوط. ينظر: حسن مرموري، **الطوراق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص384.

[2] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص 111.

[3] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص 112.

[4] – **ترهاوهاوت** (Tarhaouhaout): تقع هاته المنطقة جنوب شرق تمنغاست على بعد 60 كلم و270 كلم شمال غرب اين عزاوة (In Azaoua) تسكن هاته المنطقة قبيلة أجوه ان طهلي، كان يعيش بها حوالي 96 من الحراطين، حيث اهتموا بزراعة وغرس الأشجار بنى بها لابرين برجا عسكريا سنة 1908 الذي لقب ببرج موتلانسكي (Motylinski). ينظر:
Georges Gorrée,Op-Cit, 325.

الشرقي للجزائر، إلا أنها تبدي مخاوفها من هذا الإجراء، لأنه يحول منطقة الهقار والطاسيلي إلى مرتعا لانتشار الأفكار المعادية للوجود الفرنسي، ومرتعا للفرق السنوسية يقصدها الثوار[1].

وفي غضون هذه الأثناء الحرجة والعصيبة التي كان يمر بها الاحتلال الفرنسي في المنطقة، قرر الثوار التوارق بقيادة الشيخ آمود استعادة مدينة جانت، واستخدم الثوار سلاح المدفعية وأسلحة حديثة أخرى، وبتعداد قدر بـ 400 مجاهد، وبعد حصار دام عدة أيام سقطت المدينة بيد الثوار، وتشتت شمل الحامية الفرنسية التي سقط قائدها (Le Marechal Des Logis) أسيرا وهو تائه في الصحراء[2] .

وأمام هذا الانكسار للجيش الفرنسين، بدأت الحكومة العامة بالجزائر في التفكير والبحث عن صيغ جديدة لتكسير الصمود التارقي، وكانت أولى الخطوات إعادة ترتيب الجيش الصحراوي وتجميعه بعد تشتته وتزويده بكميات أكبر من الأسلحة والعتاد وبفرق القناصة والصبايحية الذين يتميزون بقدرات قتالية ممتازة، وزيادة حجم التموين في الغذاء واللباس وربط المراكز والحاميات الفرنسية بالخطوط البرقية وتشجيع الأهالي على الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي[3].

كما أثمرت هذه الإجراءات وخاصة وأن الثوار فقدوا حليفا قويا متمثلا في السنوسيين الذين كانوا يمدونهم بالأسلحة ويسمحون لهم باستخدام الأراضي الليبية كقواعد خلفية، بعد رجحان الكفة لصالح الإيطاليين الذين أبرموا مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات الأمنية مع فرنسا لخنق المقاومة الشعبية في كل من ليبيا والجزائر، ورغم هذه الترتيبات الفعالة من جانب فرنسا إلا أن السلطات الفرنسية كانت على دراية تامة بأن هذه الأخيرة كانت غير كافية لجعل التوارق آزجر يضعون السلاح ويسلمون بالواقع الاستعماري[4].

لهذا دخلت فرنسا في مفاوضات مع الشيخ آمود لإبرام الصلح وإقناعه بحسن النوايا الفرنسية، أرسلت له بعض الشخصيات ذات النفوذ المعنوي والروحي على توارق الصحراء الذين استقدمتهم من ورقلة وعين صالح والمنيعة والوادي وتقرت، وكان طلب فرنسا الوحيد إلقاء السلاح مقابل اعتراف فرنسي

[1] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص ص 112- 113.

[2] – إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، ص 133.

[3] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص 114.

[4] – مُحَمَّد سعيد القشاط، **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، القاهرة، ط2، 1989، ص ص 185-191،

بتبعية منطقتي الهقار والطاسيلي لشيخ آمود، وتعيينه سلطانا على قبائل التوارق، إلا أن الشيخ آمود رفض العرض الفرنسي، رغم مغرياته وأختار المقاومة عن الاستسلام والرضوخ لإرادة المستعمر ولما ضاقت به السبل اختار المنفى على أن يعيش على أرض يدنسها المستعمر الكافر[1].

لم تتوقف ردود فعل سكان الهقار من التواجد الفرنسي واستمرت على شكل حرب العصابات ضد قوافل التموين الفرنسية بالمنطقة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، حينها أخذت المقاومة تضعف تدريجيا بعدما استطاعت فرنسا أن تضمن لنفسها في شمال الوطن مرحلة التهدئة وفتح المجال للعمل السياسي الذي أخذ به الجزائريون، وبذلك ركزت أكثر من أي وقت مضى على طروحاتها العسكرية في الجنوب خصوصا بعد القضاء على المقاومة التارقية[2].

خامسا: تقييم مقاومة التوارق

تميزت المقاومة الشعبية للتوارق بعدة خصائص ميزتها عن مثيلاتها التي شهدتها الجزائر في الحقبة الاستعمارية، ويمكن إيجازها فيما يلي[3]:

1- كبر المساحة الجغرافية التي غطتها المقاومة إذ امتدت من مدينة غات على الحدود غربا بما فيها منطقتي طاسيلي أزجر والهقار، ومن تمنراست الليبية الجزائرية شرقا، إلى مدينة ورقلة شمالا إلى حدود النيجر جنوبا.

2- المساهمة الواسعة والتأييد الشعبي الذي وجدته المقاومة من كل قبائل وفصائل التوارق القاطنين ضمن هذه الرقعة الجغرافية، فقد شاركت فيها قبيلة (كلا غلا) التي ينتمي إليها الثائر (أهتيغال) وقبيلة (إيمانان) التي ينتمي إليها الثائر 'الشيخ آمود)، بالإضافة إلى قبائل (كلا طايتوك) (إيفوغاس نهقار) (إرقاناتن) (تدجاح ملات) (إيهضانارن) ولا يخفى على أحد مدى قوة شكيمة هذه القبائل وسرعة تكيفيها مع الظروف المناخية والطبيعية، لهذا استحال على القوات الفرنسية الغازية الغريبة عن ظروف الصحراء من إخمادها أو القضاء عليها بسهولة.

[1] - غالي الغربي، المرجع السابق، ص 114.

[2] - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 140.

[3] - غالي الغربي، المرجع السابق، ص 97. ينظر أيضا: عبد الرحمان تشايجي، المرجع السابق، ص 118.

3- البعد الدولي الذي كسبته المقاومة باعتبار أن المنطقة التي اجتاحها كانت مطمع عدة قوى دولية آنذاك مثل بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا والدولة العثمانية التي كانت تتحكم في إقليم طرابلس وبرقة الليبيتين ،وتعتبر الجزء الشرقي من الصحراء الجزائرية مازال تحت سيادتها وفي هذا الإطار برزت مشكلة مدينة جانت للوجود وأصبحت من أشهر المصطلحات السياسية المتداولة في ميدان العلاقات الدبلوماسية وبالخصوص بين الأتراك والفرنسيين، إذ راح كل طرف يطالب بأحقيته في السيطرة على المنطقة وكان كل من القائدين (أهتيغال) (والشيخ أمود) من المؤيدين للمطالب العثمانية.

4- الدور الإيجابي الذي لعبته الطريقة السنوسية في دعم ومساندة المقاومة الشعبية ورموزها بمدهم بالمؤن والعتاد، وتضمنت التقارير الفرنسية وبعض كتب الرحالة الفرنسيين والأوربيين عامة الكثير من المعلومات التي توضح هذا التحالف والتعاون والتضامن، وتذكر طبيعة العلاقة بين التوارق وزعماء الطريقة السنوسية ونستشف من قراءة هذه التقارير والمذكرات أن الطريقة السنوسية كان لها دورا أساسيا في استنهاض الهمم في المنطقة والدعوة إلى رفض كل وجود أجنبي وذلك بواسطة زاويتها في مدينة جانت ومبعوثيها إلى مختلف المناطق، ويمكن تفسير طبيعة العلاقة بين الطرفين بقرب منطقة المقاومة من الحدود الليبية وتأثر زعماء المقامة من الجزائريين بصدى الحرب الإيطالية الليبية منذ سنة 1911 ومساهمتهم فيها، زيادة على انتشار أفكار الجامعة الإسلامية التي تسربت إلى المنطقة عن طريق القوافل التجارية وبواسطة الحجاج[1].

مما تقدم يمكن القول:

أن بن ناصر بن شهرة ساهم بشكل كبير في الكثير من المقاومات والانتفاضات كمقاومة الشريف مُحَّد بن عبد الله بورقلة 1851، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864، وبوشوشة في الصحراء 1869، وثورة المقراني والحداد سنة 1871، جاب كل الصحراء من الشرق إلى الغرب قصد استنفار الهمم والحث على الجهاد، فشكل بذلك أول قيادة جماعية للمقاومة[2]، وكان بحق الرابطة الحقيقية وهمزة وصل بين كل الثورات والانتفاضات التي اشتعل فتيلها ابتداء من خمسينيات القرن التاسع عشر وإلى غاية 02 جوان

[1] - M. Bernard, **Deuxieme Mission Flaters, historique et raport,** rediges au service central des affaires indigenes, A. Jordan, Alger, 1882, pp 156-157.

[2] – القيادة الجماعية التي شكلها ابن ناصر ابن شهرة لقيادة المقاومة في تلك المرحلة، تعني مشاركة القيادة مع مُحَّد بن عبد الله شريف ورقلة وأولاد سيدي الشيخ في نواحي البيض، ثم مع بوشوشة في الجنوب وأخيرا مع آل المقراني في نهاية ثورتهم.

1875، حيث نفي من قبل باي تونس والذي أذن له بالركوب من مرسى حلق الوادي إلى بيروت، ومنها إلى دمشق حيث أمضى بقية حياته مجاورا للأمير عبد القادر إلى أن توفي سنة 1884 [1].

أن منطقة الهقار برغم بعديها الجغرافي والزمني عن مجريات الأحداث التي شهدها الشمال الجزائري منذ بداية الاحتلال إلى غاية مطلع القرن العشرين الميلادي، فإن سكان المنطقة لم يكونوا بمعزل عن تلك الأحداث، بل كانوا طرفا في العديد منها، خاصة التي جرت في المناطق الصحراوية، وكل ذلك هيأ الهقاريين بالتعاون مع حركة الجهاد الإسلامي الذي قادته الحركة السنوسية للإعلان عن ثورة 1916 ضد الفرنسيين[2].

[1] – يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص 156.

[2] – أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 141.

الفصل الثالث: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية والإدارية بالجنوب الجزائري

المبحث الأول: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية

المبحث الثاني: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الإدارية

تمهيد:

كان تصور الفرنسيين عن الصحراء وعن أهمية تجارتها وثرائها يكتنفه الكثير من الخيال والمبالغة، فالرحلات الاستكشافية التي قام بها بعض الأوربيين منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في المناطق الصحراوية، رسخ الاعتقاد حول أهمية التجارة الصحراوية لدى رجال الأعمال والساسة الفرنسيين، الذين بدأو يحلمون باليوم الذي سيتمكنون فيه من النفاذ إليها والسيطرة عليها، وقد عبرت الأدبيات الفرنسية حول الحملة ضد الجزائر عن أهمية هذه الأخيرة ومكانتها في التجارة عبر الصحراء من جهة، وميزة موقعها الذي سيمكن فرنسا عند احتلالها من التوغل إلى قطب القارة الإفريقية والاستئثار بتجارة غرب إفريقيا من جهة أخرى، وكان من بين المهام التي اضطلعت بها لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر التي تشكلت عام 1837م، القيام بدراسة التجارة الصحراوية عبر الصحراء، من أوجهها المختلفة: المبادلات وأنواعها، أنواع السلع ووسائل الدفع والمراكز والطرق التجارية ومنافذها خارج الصحراء إلى غير ذلك، مثل الدراسة التي وضعها "كاريت"[1] (Carette) عام 1845 [2].

المبحث الأول: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية بالجنوب الجزائري

أولا: السياسة التجارية الفرنسية بالجنوب الجزائري

عملت فرنسا على إتباع سياسة اقتصادية تخدم الاقتصاد الفرنسي بالدرجة الأولى والمعمرين بالدرجة الثانية، ومن الوهلة الأولى تبين لها بأنّ مدينة المنيعة تتوفر على إمكانيات اقتصادية هائلة، بما فيها الموقع الاستراتيجي كونها تتوسط الصحراء، وطبيعة مناخها الذي يساعد على إنتاج البواكر من المنتجات الفلاحية خاصة الفاكهة، وتتوفر على مياه جوفية باطنية عذبة على طول مجرى "وادي صغير "الذي ينطلق من جهة جبال الأطلس الصحراوي ومنطقة البيض حتى المنيعة التي تعد مصبا له[3].

1- الاتفاقيات والمعاهدات:

تعد كل من الاتفاقيات والمعاهدات وسيلة لاحتكار التجارة والتحكم في الطرق الرئيسية للتجارة من أجل أن تحقق فرنسا مبتغاها في الصحراء وإفريقيا الغربية، حيث تضمن هذه المعاهدات عدم وقوع

[1] - Carette, **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algerie méridionale**, Paris, 1844 .

[2] - جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر** ...، ص 139.

[3] - Geneviève Capot-Rey, Op-Cit, pp 83-126.

مشاكل بين الأطراف، إذ تمثل وثيقة حماية ومن بين هذه المعاهدات والاتفاقيات ما يلي:

أ- معاهدة الحماية مع بني ميزاب في 19 أفريل 1853، والتي نصت على حق الفرنسيين في التحكم وبسط نفوذها على الميزابيين، مع دفعهم ضريبة سنوية لفرنسا مقابل أن تعهد فرنسا بمنحهم حريتهم التجارية مع التل والصحراء والإبقاء على عاداتهم ومؤسساتهم القضائية[1].

ب- الاتفاقية التي تم عقدها مع زعيم الأزجر وأهم بنودها إقرار الصداقة والتبادل التجاري مع زعماء قبائل الطوارق، والتزام السلطات الفرنسية وزعماء الطوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان وتحديد المكوس (الضريبة)، مما أدى إلى توسيع شبكة النشاط التجاري بين الفرنسيين وسكان الجنوب الجزائري وكذا إفريقيا جنوب الصحراء وفتح أبواب الاستعمار[2].

ج- الاتفاقية التي أبرمتها فرنسا مع الشيخ إيخنوخن، والتي من ضمنها ضمان مرور القوافل التجارية الفرنسية عبر الأزجر، والاتفاق بين طوارق الأزجر وطوارق قبيلة كلوي، ومن أهم بنودها توفير الجو الملائم للقوافل الفرنسية[3].

ومن نتائج هذه الاتفاقيات توسيع عمليات التبادل التجاري بين فرنسا والجنوب الجزائري والصحراء الإفريقية، وفتح أبواب الاستعمار واستغلال المناطق الجديدة للحصول على منتجات أخرى من طرف فرنسا والتي تعاني نقصا في الحصول عليها.

2- الوكالات والمراكز التجارية:

كان الفرنسيون على غرار الإنجليز يقيمون مراكز أو محطات تجارية من أجل التبادل التجاري وتعيين قناصلة للحصول على اتفاقيات مربحة مع شيوخ ورؤساء القبائل، ابتداء من ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي حددت فرنسا كل من البيض (الأبيض سيدي الشيخ) والأغواط وبسكرة كمراكز انطلاق واستقبال للقوافل، ومن أهم المراكز التجارية التي أحدثتها مركز عين الصفراء الذي أنشأته فرنسا ولاقى إقبالا كبيرا لأهميته التجارية، مركز بني ونيف وبشار، حيث تقدمت التجارة هناك بفعل إيصال المنطقة بخط السكك الحديدية، ومن ثمة تحولت بشار إلى سوق هام يعج بالتجار والسلع من جميع

[1] - سميرة دعاشي، **التجارة الفرنسية عبر الصحراء ودورها في تراجع التجارة التقليدية 1900-1945**، مجلة المعارف، جامعة الوادي، ع 10، 2016، ص 7.

[2] - المرجع نفسه، ص 7.

[3] - إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري الفرنسي ...، ص 83.

الأنواع، كما أنه باحتلال فرنسا لعين صالح جعلها تتحكم في هذا السوق لموقعه الاستراتيجي، حيث أنها تتوسط المسافة بين الجزائر شمالا و تنبكتو جنوبا، وموغادور غربا وطرابلس شرقا، وبالتالي فهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط ببلاد السودان فضلا على أنها مركز ممتاز لتمويل الطوارق[1].

3- الاهتمام بالمحاصيل النقدية:

بعد احتلال المدن الصحراوية والإفريقية سعت فرنسا إلى منح الشركات الاستعمارية الفرنسية امتيازات واسعة لملكية الأرض، التي اعتبرت بدون مالك شرعي ففي الجنوب الجزائري استهوى المعمرين النخيل وإنتاجه مثل دقلة نور التي لها رواج في الأسواق الأوربية، لذلك أصبحت الفلاحة الصحراوية هي النشاط الرئيسي للفرنسيين، فبدأت الرأسمالية في امتلاك النخيل الذي وصل عام 1950 إلى أكثر من 160.000 نخلة موزعة على أهم الشركات الأوربية وهي الشركة الفلاحية والصناعية للصحراء الجزائرية بـ 24.200 نخلة، الشركة الفلاحية للصحراء الجزائرية بـ 13.863 نخلة الشركة الاستعمارية لإفريقيا الشمالية بـ 9.823 نخلة، وشركة واحات شمال إفريقيا بـ 24.450 نخلة[2].

وإلى جانب زراعة التمور اهتموا بالزراعة المعاشية كزراعة الخضر والفواكه، ووجدت كذلك زراعة بعض الفواكه كالبطيخ الأحمر وبعض أشجار التين والرمان والمشمش[3]، ووجدت في واحات وادي ريغ سنة 1856 حوالي 40000 شجرة فاكهة[4]، إلى جانب تربية المواشي التي تنتشر خاصة لدى قبائل حميان التي تجوب عين الصفراء، ويذكر دوماس ذلك قائلا: "لقد كان كل منهم يملك قطعانا كثيرة تبلغ 2000 رأس لأكبر الأغنياء من حميان، ترعى موزعة على 400 رأس لكل مجموعة[5]، وتعتبر الماشية موردا رئيسيا للبدو والرحل من ماعز وأغنام وإبل وتشغل لأغراض عديدة كتوفيرها لمادة الصوف والجلود التي تستعمل لعدة أشياء"[6].

---

[1] – دعاشي سميرة، المرجع السابق، ص 12.

[2] – المرجع نفسه ، ص 13.

[3] – أوجين دوماس، المصدر السابق، ص 168.

[4] - Jues, **Les Oasis de l'Oued Rir en 1856 et 1879**, suivies du Résumé de travaux de sondages executes dans le département de Costantine de 1878 à 1879, imprimerie de Lmarle, Paris,1879, p 10.

[5] – حمزة بن قيطون، **المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882–1914)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والعاصر، جامعة وهران، 2016/2015، ص 78.

[6] - Victor Largeau, Op-cit, p 24.

4- الشركات الاحتكارية:

عملت الشركات الاحتكاري على استنزاف موارد الصحراء، التي كانت تصدر وتستورد بين الشمال والجنوب ومختلف الأقطار، أسست الإدارة الفرنسية العديد من الجمعيات والشركات الاحتكارية لتسهيل مهمة التغلغل فيها، وكذا البنوك التجارية نذكر منها:

- شركة النقل: تأسست سنة 1890 على يد ديفيك مارسال في وادي ريغ تحت اسم الشركة الصحراوية للسيارات بعقد يدوم 99 سنة لنقل البضائع من شمالها نحو جنوبها مرورا بتقرت والتي عرفت ازدهارا بعد إنشاء سكة الحديد في تقرت سنة 1914[1].

- شركة الفلاحة والصناعة لصحراء الجنوب: والتي كانت تسيطر على 24000 نخلة في الجنوب.

- شركة باتنة والصحراء الجزائرية للزراعة الصناعية: التي أنشأت تحت قيادة جورج رولاند الأكبر والذي قام بعدة دراسات حول الثورة المائية بوادي ريغ[2].

بدأ الكولون الأوربيون منذ سنة 1878م بالاستقرار في منطقة وادي ريغ، وكان عددهم قليل لا يتعدى العشرة، حيث كان بضعة أنفار منهم قد أنشأوا أولى الشركات في المنطقة "شركة وادي ريغ" المعروفة باسم "التيستغدو Ettisghdou"، وهي تتربع على 1500 هكتار وتشمل على 50 ألف نخلة بالإضافة إلى شركة باتنة، والصحراء الجزائرية للزراعة والصناعة التي أسست عام 1880م[3]، وقام المستوطنون بغراسة النخيل كما أمر الجنرال ديفو بحفر الآبار الارتوازية.

5- وسائل التبادل التجاري:

غيرت فرنسا من طرق المعاملة بين التجار بتغيير المكاييل والموازين التي تواجدت في المنطقة منذ فترات طويلة، وعوضوها بمكاييلهم وموازينهم وفرضوها على الجزائريين مرجعين ذلك إلى أن الأحجار والأوزان تختلف باختلاف المنطقة[4]، أما فيما يخص النظام النقدي، فقد ادخل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وكانت حكومات المستعمرات تشجع على استخدام النقود الحديثة، ذلك من خلال

[1] - يمينة بن صغير حضري، **سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، مج 7، ع 2، 2014، ص 34.

[2] - المرجع نفسه، ص 35.

[3] - رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وجوارها** ...، ص 123.

[4] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ص ص 71-72.

إصرارها على دفع أجور العمال بالنقود المعدنية الأوربية، والإصرار على تحصيل الضرائب نقدا مع حرص الشركات الأوربية على تطوير التجارة النقدية نظرا للأرباح التي كانت تحصل عليها[1].

وما يدل على استعمال الفرنك الفرنسي بالصحراء الجزائرية، هو وجود بعض النصوص لاتفاقيات تظهر استعمال عملة الفرنك الفرنسي عند بني ميزاب من خلال تقييدات مالية للشيخ القطب الحاج مُحَمَّد بن يوسف أطفيش[2]، كما فرض على توات بعد احتلالها التعامل بالفرنك بالإضافة إلى النقود المغربية التي كانت موجودة بالمنطقة[3].

ثانيا: التحولات الاقتصادية في الصحراء الجزائرية

كانت للسياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري انعكاسات خطيرة على السكان من الناحية الاقتصادية، حيث لم يترك المستوطنون للوطنيين أي مورد للرزق فاستحوذوا على الأراضي واحتكروا التجارة ووسائل النقل وطرق المواصلات، ووجد الجزائريون أنفسهم بعد خروجهم من معركة المقاومة ضد المحتل الغاصب، مشردين ومبعدين عن أراضيهم وممتلكاتهم غرباء في وطنهم عمالا سخرة عند أعدائهم، ولم يبق لهم إلا الأراضي الفقيرة والقاحلة التي لم تطلها أيديهم[4].

وقبل التطرق إلى هذه النتائج، نود الإشارة ولو بقليل إلى الوضع الاقتصادي الذي كان سائدا في المنطقة، فأندري نوشي أورد وصفا لأهل القصور قائلا: "... ولقد كان القصوريون يتعهدون بمهمة السواقي الموزعة انطلاقا من الأودية أو العيون ويفلحون قطع الأرض البدوية، فيغرسونها أشجارا مثمرة

---

[1] – أ. ج. هوبكنز، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تق: عبد الغني سعودي، تر: أحمد فؤاد بليع، المطابع الأميرية، القاهرة، 1998، ص 412.

[2] – **الشيخ أطفيش**: هو مُحَمَّد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى أطفيش المولود سنة 1236هـ/1820 والمعروف بقطب الأئمة فقيه، مجتهد من كبار علماء الإباضية ودعاتها إلى النهضة والإصلاح، مفسر للقرآن الكريم، ومتكلم أصولي مناظر، بحاثة محقق، مهتم بالمنطق والفلسفة، العلوم، التاريخ، السياسة، وأديب لغوي شاعر، له مؤلفات منها في التفسير" هيمان الزاد ليوم الميعاد، وتيسير التفسير"، وفي الحديث والسيرة" الضمانة بأداء الأمانة، وترتيب التريب، وجامع الشمل في حديث خاتم الرسل" وفي التاريخ والسير"كشف الغمة في شرح لامية ابن النظر مخطوط "(وكذلك كتب في التوحيد وعلم الكلام والفلسفة، وكتب في اللغة والأدب والأخلاق توفي سنة 1914 –1332. ينظر: حمو مُحَمَّد عيسى النوري، المرجع السابق، ص ص 74-78.

[3] – مُحَمَّد الصالح حوتية ، **توات والأزواد**، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 163.

[4] – عبد الله مقلاتي، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830–1962**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص ص 146-147.

مختلفة على السهول الكبرى ونخيلا وأشجارا في جنوب الأطلس ... وأما الواحات الشمالية فكان المناخ يسمح لهم بالزراعة البعلية للشعير في العروش ..."[1].

لقد تميزت الصحراء الجزائرية بإقامة علاقات تجارية واسعة ونشاط تجاري رائج مع العديد من دول وسكان المناطق المجاورة، مثل تنبكتو وتونس وطرابلس وبلاد السودان، ومن أهم السلع التي تستوردها حسب إحصاءات بول صولييه هي الشمع، العاج القرون، الكركدن، وجلد النمر الجاف الذي يصل إلى 14 كلغ وثمنه في عين صالح خمس 05 فرنكات، إضافة إلى التبر الذي يوضع في أنابيب ريش مغلق بالشمع[2]، ويستوردونه أيضا من غدامس ويصل من خمسة إلى ستمائة مثقال ذهب، أما الصادرات فتتمثل في الألبسة المصنعة والتمور والتبغ والحبوب والشعير الذي يعتبر نادرا في غدامس، أما قابس (تونس) فيستورد منها حجارة البنادق والكبريت والرحي والمعاول وأفخاخ الغزال ... إلخ[3].

أما في القطاع الصناعي، فيذكر دوماس في هذا الشأن قائلا: **"كانت الصناعة التقليدية منتشرة في جل القصور وفي الشوارع والأحياء كالحدادين وباعة الأسلحة وتجار المجوهرات من يهود فيقيق القاطنين بالأبيض سيدي الشيخ والصباغين والحدادين والنجترين من شلالة ..."**[4]، إلى جانب هذا فقد انتشرت حرفة نسيج الصوف في الواحات، ويتم تبادل هذه السلع في أسواق التل وصحراء غدامس، وتتم هذه العملية برصد الصوف وتجفيفه في الشمس، ثم تقوم النساء بحياكته أو غزله وذلك بوضع عمودين على الأرض ثابتين، وتكون هناك امرأتان على كل طرف وتبدأ كل منهما بعملية الغزل يدويا ثم يصبح في قمة الجودة بعد الحياكة[5]، فالسياسة الفرنسية كانت نقمة كبرى وكارثة أعظم على اقتصاد أراضي الصحراء، فعواقبه الوخيمة أدت إلى انهيار التجارة عبر الصحراء ويتجلى ذلك من خلال:

1- انهيار تجارة القوافل:

تعتبر عملية نقل التجارة بالقوافل طريقة عالمية قديمة أشير إليها في الكتابات القديمة، إذ تعتبر الأساس الذي يُعتمد عليه في شق فيافي الصحراء، لأنها أضمن وآمن وسيلة لمجابهة مخاطر الطريق والحفاظ

[1] – أندري نوشي وآخرون، المصدر السابق، ص 382.

[2] – عثمان حساني، المرجع السابق، ص 97.

[3] - Henry Duverier, Op-Cit, p 182.

[4] - Eugène Daumas, Op-Cit, pp 225-230.

[5] - Paul Soleillet, **L'Afrique de la France en Afrique,** Challanel Ainé libraire Ed, Paris, 1876, p p 19- 20.

على حياة التاجر وأمواله وأمتعته، لذلك يتم الالتجاء إلى نظام القوافل[1] والقافلة تعني الرفقة القفال في السفر وقد ذكر بعض علماء اللغة أن القافلة تعني العير كذلك كما ذكر البعض الآخر أن العير يُقصد بها الإبل، فكلمة العير استخدمت للدلالة على القافلة والإبل وهو دليل تلازمهما[2].

كما ساهمت القوافل التجارية بشكل فعال في حجم المبادلات التجارية سواء كانت تلك القوافل مدفوعة من قبل سكان المدن أو من طرف حكامها، كما أنها مثلت شريان الحياة بالنسبة لقبائل وشعوب كثيرة من سكان الصحراء الجزائرية وسكان إفريقيا الغربية على حد سواء، كما تجاوزت منافعها الحدود الإفريقية لتسهم بشكل فعال في حجم المبادلات الدولية[3].

كما ظهرت عدة مشاريع للسيطرة والتوغل في الصحراء، منها ربط مدينة الجزائر بتنبكتو، لأن سكان الجنوب في حاجة ماسة إلى المواد الغذائية التي تأتيهم من الشمال، وهذه الضرورة ستجعلهم أكثر اعتدال في تعاملهم مع فرنسا، وسيكونون أقل عداء لها، كما سيفتح لهم هذا الربط التجارة عبر الصحراء وهي تجارة مربحة والعناصر المكونة لها خفيفة الوزن وعظيمة القيمة كريش النعام والعاج والتبر[4].

وقد كان بوديشون يرى أن تحقيق هذه الغاية لن يتم إلا عن طريق تنظيم قوافل تجارية وعسكرية تتكون من بضع مئات من الجنود الفرنسيين بصحبة عدد من تجار المناطق الجنوبية، وتعيين وكيل في كل مركز تجاري بالصحراء للقيام بشؤون هذه التجارة، ويرى أن كسب تعاون سكان الجنوب وخاصة سكان منطقة الهقار الذين يتحكمون في معابر هذه التجارة مع السودان ليس بشيء صعب خاصة إذا أدركوا المصالح التي تربطهم مع فرنسا وربما حتى أصولهم المشتركة معها[5].

---

[1] – عثمان المنصوري، **التجارة في المغرب في القرن السادس عشر (مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي)**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص ص 150-151.

[2] – علي جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7، بغداد، ط2، 1993، ص 319.

[3] – بشار قويدر، المرجع السابق، ص 13.

[4] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 141.

[5] – ليس هنا محل مناقشة هذه الافتراضات التي فندتها الأحداث بشكل حاسم، وإنما الذي يهمنا هو معرفة تصور الفرنسيين وانطباعاتهم الأولى عن سكان المناطق الجنوبية من البلاد، وبطبيعة الحال فمشروع الدكتور بوديشون كان من الناحية العملية غير قابل للتنفيذ في حينه، غير أن جهود الوالي العام راندون ستتبلور في هذا الاتجاه تمهيدا لتحقيق هذه الغاية. ينظر: جمال قنان، المرجع السابق، ص 142.

لقد بذل جهودا متواصلة في اتجاه النفاذ نحو الجنوب، انطلاقا من الغرب ومن الوسط والشرق والتي لقيت النجاح في البداية، وتمثل ذاك في ظهور عدد من الشخصيات التي أظهرت الاستعداد التام لمساعدة فرنسا، فاستطاعوا إرسال عدد من البعثات في شكل قوافل تجارية في الاتجاهات الثلاثة والتي توغلت بعض الشيء في أعماق الجنوب "في الغرب حتى منطقة قورارة وفي الوسط قرب عين صالح وفي الشرق إلى غدامس وغات"، ولقد توجت هذه المحاولات بتوقيع معاهدة غدامس 1862م، ما جعل الفرنسيون يأملون في النفاذ إلى السودان حتى نهر النيجر ومنه إلى إفريقيا الوسطى، غير أن هذه الآمال لم تتحقق بسبب تحفظ السكان وتشككهم في النوايا الفرنسية[1].

ولكن تجارة القوافل انهارت بعد إنشاء العديد من الطرق بجانب خطوط سكة الحديد، حيث أصبح يتم نقل البضائع والسلع الصحراوية عن طريق الشاحنات والعربات، واستبدلت بالدكاكين المتركزة في شمال الصحراء[2]، وبعد أن كان التمر المنتوج الرئيسي في هذه الأراضي أصبح لا يجد له أي مشتري بعد أن سدت في وجهه أسواق السودان، والمنتجات التقليدية لم تعد رائجة وقل عدد الصناع فمثلا صانعي الزرابي في ميزاب أصبح عددهم 1500 صانع، بعد أن كان حوالي 6000، وظهر منتوج آخر للتصدير نحو الخارج وهو الحلفاء خاصة بعد أن اكتشفت فرنسا أهميته في صناعة الورق[3].

ومنذ سنة 1871 إلى غاية 1890 قامت السلطات الاستعمارية في الجزائر بتحويل وجهة رحلة القوافل التجارية عن بلاد السودان، وأهملت المسالك التجارية بين وادي ريغ وميزاب لصالح طرقات طرابلس مرورا بغدامس، والمغرب مرورا بالساورة[4]، فهذه الطرق تلتقي في البلدان المجاورة التي لم تخضع للاستعمار الأوربي، لذلك عجل الفرنسيون في وضع الحواجز الجمركية بمقتضى قرار المملكة الفرنسية سنة 1843 والذي تم تعديله وتطبيقه بالأقاليم الجنوبية بداية من 1893 فأثر ذلك على المنتجات الفرنسية الواردة عبر الجزائر والتي ستمر عبر الصحراء إلى بلدان أخرى، ومن الملاحظ أن هذا القانون الجمركي يقضي بمنع الصادرات البرية لحماية التجار الفرنسيين، مما أدى إلى كساد التجارة الصحراوية بالجزائر[5].

---

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 142.

[2] – السويدي مُحَمَّد، **بدو الطوارق بين الثبات والمتغير "دراسة سوسيو أنثربولوجية في التغير الاجتماعي"**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 143.

[3] - E. Daumas, **Le Sahara Algérien**, Paris, 1845, p 94.

[4] - C.P. Zaccone, **Le Commerce du sud,** 2 ème Edition, Constantine, Imp de l.Marle,1876, pp 05-30.

[5] – بن قيطون حمزة، المرجع السابق، ص 112.

وبإدخال الاستعمار الفرنسي هذه الإجراءات بدأ اختلال الأمن يشوب الطرق الصحراوية وانتشر البؤس والحرمان في عديد المناطق، كما دمرت تجارة القوافل التي كانت تشهد نشاطا مزدهرا قبل وصول القوات الفرنسية، وقد أوردت الجمعية الفرنسية لترقية العلوم في المؤتمر المنعقد بوهران مارس 1888 معلومات حول حركة القوافل بالجنوب الوهراني وذكرت على لسان باحثيها: "بأن التجارة كانت نشيطة ما بين وهران وقورارة، وقدرت عدد الإبل المتجهة نحو قورارة بحوالي 14194 جمل محملة بسلع وبضائع متنوعة قيمتها نحو 427.249.70 فرنكا، وقفلت راجعة بالعديد من البضائع الصحراوية كالتمور بالإضافة إلى الألبسة التقليدية والأفرشة وغيرها قدرت بحوالي 975.882.50 فرنكا"[1]، ما دفع المشرفين على هذه الجمعية التفكير في الاستغلال الأمثل لهذه التجارة والتحكم في القوافل وتوجيهها لخدمة مصالح المعمرين وتشجيعهم إلى التوجه نحو الجنوب لربط علاقات تجارية وطيدة وتحقيق أرباح طائلة.

كما شهدت حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء سنة 1907 تذبذبا واضحا، حيث قدرت عدد الإبل التي اتجهت نحو الجنوب حوالي 7783 فقط، وتمكنت من تحقيق أرباح تراوحت ما بين 42 و23 فرنك للجمل الواحد، بينما في سنتي 1908-1909 فقد بلغت عدد الإبل المتجهة إلى الصحراء نحو 2618 فقط محققة أرباحا تراوحت ما بين 36 و46 فرنك للجمل الواحد[2].

أدت هذه السياسة الفرنسية في الأخير إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب وبين الجنوب وبلدان غرب إفريقيا، خدمة لمصالحها وترويجا لمنتجاتها في المناطق الاستعمارية التابعة لها، كما أن بعض المنتجات أصبحت غير رائجة لتنافسها مع بعض السلع الأوربية التي غزت الأسواق الجزائرية وتغيرت وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل بالنقود ما دفع إلى وجود أنماط اقتصادية جديدة لا تعتمد على المقايضة[3].

2- استغلال الثروات الموجودة في الجنوب:

أ- استغلال المياه الجوفية: قبل أن نستعرض الاستغلال الفرنسي للمياه الجوفية في الصحراء، نتعرض للطرق المتبعة من طرف السكان في استخراج المياه الجوفية لاستعمالها للشرب وفي الزراعة، في البداية اعتمدوا على طريقة الفقاقير التي لعبت دورا كبيرا في فترة المملكة الزناتية، فقد وجدت بالقرب من

[1] - Association Française pour l'avancement des Sciences, **Congrès d'Oran 1888, Oran et l'Algérie en 1887,** Notice Historiques, scientifiques et economiques, T 2, p 182.

[2] - حمزة بن قيطون، المرجع السابق، ص 122،

[3] - جمال قنان، المرجع السابق، ص 150.

العرق الغربي تستعمل مياهها في ري حقول منخفضة الأرضية الموجودة في الحمادة، لكن الفقاقير اندثرت بسبب مجيء القبائل العربية للمنيعة واستقرت بها فحفرت الآبار بالقرب منها فضعف منسوب مياهها، وتم التخلي عنها بسبب حفر الفرنسيين للآبار الارتوازية، ومن بين الفقرات التي كانت موجودة بالقرب من منطقة سانت جوزاف (بلبشير) وتمر عبر حقول الأخوات البيض، لذلك فالدراسات الفرنسية تقول أنّ "الفقارات" اندثرت قبل مجيء الفرنسيين الذين وجدوا أثارها وهذا ما أقرته بعثة شوازي سنة 1898[1].

إضافة للفقاقير وجدت آبار تقليدية التي تستخرج مياهها عن طريق اليد أو الدواب بالقرقاز[2] والأمر الذي ساعد على وجودها قرب المياه الجوفية من السطح على عمق ما بين واحد متر إلى أربعة متر على حسب المنطقة تبعا لمجرى الوادي، ووجد منها عدد على حسب الدراسة التي قامت بها بعثة "شوازي"، بداية من منطقة سانت جوزاف في (بلبشير) حتى حاسي الغارة[3].

قامت فرنسا بدراسة معمقة للشبكة الهيدروغرافية للعديد من المناطق بما فيها المنيعة متتبعة بداية وادي صغر من الأطلس الصحراوي حتى مصبه بمدية المنيعة، فوجدت بأنها تتوفر على مخزون هائل، بل من خيرة المياه العذبة الجوفية، وهذه المياه الجوفية تتوفر على ضغط باطني يمكنها من الصعود إلى السطح دون آلة، وهذا يوفر عليها مصاريف الطاقة فشرعت في وضع مخطط لحفر الآبار الارتوازية بداية من سنة 1891في منطقة بلعيد وبلبشير وحاسي القارة في عهد الحاكم العسكري لامي (Lamy) واستمرت في الحفر بين الحين والآخر حتى سنة 1955 فبلغ عدد الآبار المحفورة 23 بئر والجدول الآتي يوضح ذلك[4].

ولعل هذه الإمكانيات الزراعية من وفرة للمياه والتربة الزراعية التي قامت مياه الوادي على تسميدها عند جرياتها المفاجئ، ووجود هذه المساحة الزراعية في مستوى منخفض ما بين العرق الغربي غربا والجبل شرقا وشمالا، وفر لها درعا طبيعيا واقيا من الرياح المضرة للمحاصيل الزراعية، كل هذا شجع

[1] – عبد الرحمان نواصر، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873–1962 "منطقة المنيعة أنموذجا"**، مجلة روافد، غرداية، ع1، ديسمبر 2016، ص 117.

[2] – **القرقاز**: كلمة زناتية، وهو وسيلة تستعمل لاستخراج الماء من البئر، مصنوع من خشبة طويلة مزودة بحبل في نهايته دلو لسحب الماء، والخشبة مثبتة على عمودين من الطوب أو الحجر.

[3] – عبد الرحمان نواصر، المرجع السابق، ص 118.

[4] - Geneviève Capot-Rey, Op-Cit, p 125.

فرنسا على أن تركز مجهوداتها على إتباع سياسة زراعية خاصة بمدينة المنيعة، وجعلت منها مركز تجار مثل منطقة الواجدة والمزرعة البلدية ببدريان وحقول سانت جوزاف ببلبشير وأنشأت مشتلة بلعيد.

كما قامت فرنسا بتعيير للتربة الزراعية لمعرفة درجة خصوبتها، وما ينبغي إضافته لاستدراك النقائص، ومن بين هذه الدراسات الخاصة بالزراعة دراسة شوفاليي (G.Chovalier) سنة 1934 ووضعت خريطة خاصة بحفر من أجل امتصاص الماء الزائد عن التربة وهذا ما قاله السيد ديرون (Durand) في جميع الأحوال هناك ضرورة استخدام الخنادق drainage لامتصاص الماء الزائد ونبعد تركيز الأملاح للمزروعات"، لأن المياه بتبخرها تزيد من كمية الأملاح مشكلة في النهاية بما يعرف بالسبخة، لذلك تداركت هذا لوضع من البداية بوضع هذه الخطة المحكمة، والتي تعدّ بالفعل تأسيسية للزراعة في مدينة المنيعة، وتضمن استمرارية وحماية لها[1].

استنزفت الثروات الباطنية وذلك بالتنقيب عن المياه عن طريق حفر الآبار الارتوازية من طرف المعمرين والمستثمرات الأجنبية بنسبة كبيرة خاصة في منطقة وادي ريغ والزيبان، حيث ارتفع عدد النخيل لدى الشركات الاستعمارية فازدهرت مغروساتهم وأتلفت أشجار النخيل كما لم يحل محلها أشجار أخرى، وبالمقابل الفلاحين لم يستطيعوا استصلاح أراضيهم البور التي لم تفرنس، ولنقص الأموال لحفر آبار أخرى فمثلا في سنة 1930 في الأغواط تضاءلت المساحة الفلاحية وماتت حوالي 3000 شجرة[2].

ب- استغلال الثروات الباطنية:

كما اهتمت السلطات العسكرية بعمليات التنقيب على الموارد الباطنية بالجنوب، وبعد البحث الذي قام به السيد إيدير بداية من سبتمبر 1901 تمكنت من الحصول على أحقية التنقيب على النحاس بضواحي بن حنجير (14 كلم غرب عين الصفراء) بقرار حكومي صادر في 25 جويلية 1904، ومن ثم أوكلت المهمة إلى الشركة الجزائرية الصناعية للنحاس والمعادن في 01 مارس 1905، وبعد هذا الإجراء سارعت العديد من الشركات الرأسمالية إلى البحث والتنقيب عن المعادن بالجنوب بهدف الحصول على امتيازات الإدارة العسكرية للظفر بحصة الأسد من هذه الثروات[3].

[1] - Geneviève Capot-Rey, Op-Cit, p 98.
[2] - E. Daumas, Op-Cit, p 221.
[3] - C.Meissner, Op-Cit, pp 100-101.

كما تم استغلال الفحم الحجري الموجود في القنادسة (بشار) والذي بدأ العمل به منذ سنة 1920 حيث بلغ إنتاجه حوالي 2000 طن، وهي كمية كبيرة زادت وتضاعفت خلال الحرب العالمية الأولى وما بين الحربين، وهو ما دفع بسكان بالابتعاد عن التجارة[1]، والجدول التالي يكشف جزء من الاستغلال الاستعماري لثروات البلاد[2]:

السنة	1922	1923	1924	1925	1926
الإنتاج بالطن	8875	4227	9228	10037	13731

لم ينحصر الاستغلال الاستعماري على الثروات الباطنية فقط بل شملت كل الثروات التي تزخر بها المنطقة خاصة نبات الحلفاء الذي شهد استنزافا لا مثيل له ومثل ثروة طائلة لدى العديد من الشركات الفرنسية، يأتي على رأسها الشركة الفرنسية- الجزائرية التي تمكنت من الحصول على 700.000 هكتار من حقول الحلفاء، وبدأت صادرات الحلفاء ترتفع سنويا حسب الطلب في الأسواق العالمية دون مراعاة المخاطر التي يشكلها الاستغلال العشوائي خاصة على قطاع تربية المواشي بالجنوب، وقد قدرت الكميات المرسلة عبر ميناء وهران وأرزيو كالآتي:

1904	73000 طن	**1909**	57000 طن
1905	75000 طن	**1910**	76000 طن
1906	85000 طن	**1911**	88000 طن
1907	87000 طن	**1912**	97000 طن
1908	77000 طن	**1913**	94000 طن

وقد انعكس هذا الاستغلال المفرط سلبا على الثروة الحيوانية، التي تراجعت بنسبة 80%، بالإضافة إلى عوامل أخرى كنظام العشابة الذي فرضته فرنسا على مربي المواشي، هكذا كانت تحمي فرنسا أراضي المعمرين الرعوية المقيمين في المراعي الصيفية، هذا النظام ترك البدو لا ينتقلون إلا باحثين عن العمل بعد فقدانهم لقطعانهم حيث بلغ النقص أقصى حد له في الحيوان سنة 1910 في المناطق الجنوبية[3]، كما أن سنوات القحط والجفاف التي كانت تصيب المنطقة من وقت إلى آخر وكذا الأوبئة فتكت بالماشية،

[1] – أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص 400.

[2] – حمزة بن قيطون، المرجع السابق، ص 119.

[3] – عبد الحميد زوزو، **ثورة الأوراس**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 52.

فالجفاف الذي اجتاح الأقاليم الجنوبية بين 1920-1924 أدى إلى فقدان ثلثي الماشية وثلث قطعان الإبل[1]، والجدول الآتي يوضح تراجع رؤوس المواشي بإقليم عين الصفراء بالجنوب الغربي[2]: (الوحدة رأس)

السنوات / المناطق	1905	1906	1907	1908	1909	1911	1912
بوقطب	22.813	27.479	35.825	11.995	16.591	24.107	18.860
مشرية	12.903	23.761	11.310	20.753	6.047	15.145	9.661
مكاليس	1.125	14.612	-	70	3.892	4.431	1.715
عين الصفراء	25.313	21.692	18.039	5.888	6.620	3.129	4.465
بني ونيف	1.395	2.514	2.116	1.071	975	196	490
بشار	-	2.561	6.341	6.544	6.660	2.030	2.845

ج- الاستثمار في زراعة النخيل:

بعد الاستحواذ على أجود الأراضي من طرف المعمرين، نما قطاع زراعي جديد من حيث هياكله ووسائله وطبيعة إنتاجه بما يخدم الاقتصاد الفرنسي، ويتجلى ذلك من خلال طبيعة الإنتاج الأساسي الذي صار مركزا على محاصيل تجارية مثل التمور، فعلى سبيل المثال اهتم المستعمر بالنخلة لما كانت تمثله من ثروة غذائية هامة لدى الأهالي، والمعمر بالخصوص من خلال نوع "دقلة نور"، وما شهدته هذه الثروة من احتكار من طرف مرابين أوربيين نتيجة الاهتمام بغراستها وتشجيع المعمر، قصد تصديرها إلى فرنسا واستخدام التقنيات العلمية الحديثة في الفلاحة وحفر الآبار الارتوازية وتطوير نظام السقي والري[3].

وصل عدد النخيل في منطقة واد سوف سنة 1865 إلى 135000 نخلة[4]، وفي سنة 1900 وصل إلى 30000 نخلة[5]، وبلغ في تقرت 180000 نخلة[6]، وفي وادي ريغ بلغ 359000 نخلة[7]، وهذه الأخيرة

[1] - أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص 405.

[2] - C.Meissner, Op-Cit, p 250.

[3] - عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 270.

[4] - عبد القادر ميهي، المرجع السابق، ص 61.

[5] - المرجع نفسه، ص 113.

[6] - Henry Duverier, Op-Cit, p 160.

[7] - Jues,Op-Cit, p 10.

الأخيرة تؤثر على مردودية إنتاج التمر، وبلغت الكمية خلال سنة 1916 حوالي 7500 طن بمنطقة الزيبان، وحوالي 6000 طن بمنطقة وادي سوف، أما وادي ريغ فقد بلغ إنتاجها حوالي 4000 طن[1]، وكانت فرنسا تبني سياستها الضريبية عن طريق الاعتماد على هذه الإحصاءات وهذا ما يؤكده "كات" في قوله: "إن قيمة الحدائق في سوق كبيرة جدا وتتناسب مع عدد النخيل يصل ثمنها في كثير من الأحيان إلى 5000 فرنك للنخلة الواحدة، وحتى ثمن الأرض غير المغروسة أو القابلة لذلك"[2].

ويتم سقي هذا النخيل عن طريق الآبار الارتوازية التي يتم حفرها على عمق 70 إلى 80 مترا تحت سطح الأرض، ويكون ذلك من قبل عمال يتم تدريبهم منذ الصغر على هذا العمل الشاق ومع ذلك فإن الكثير منهم قد لقوا حتفهم لأن الأمر صعب، فهو يتطلب اختراق ثلاث طبقات من الأرض وطبقتين من الماء[3].

د- زراعة القمح والشعير:

عرفت الجزائر خلال فترة 1881-1912 تكثيف عمليات التعمير للأوربيين على حساب السكان الأصليين وكذلك نجد أن الأراضي المخصصة لزراعة الأهالي قد تناقصت وانخفض إنتاجهم وارتفعت الضرائب عليهم وتعددت، ففي سنة 1890 كانت مساحة الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب تقدر بحوالي 2.442.679 هكتار لتتحول سنة 1900 إلى 2.391.236 هكتار أي أن 51.443 هكتار قد فقدها أهل البلاد خلال عشر سنوات[4].

كما تناقصت المساحات المخصصة لزراعة القمح الصلب والشعير من طرف الجزائريين بسبب العوامل الطبيعية والبشرية كالجفاف واستعمال الطرق التقليدية، غير أن الأسباب الحقيقية هي حرمان الفلاح الجزائري من كل دعم وحماية ومساعدة بالأموال والتجهيزات من سدود وقناطر وآلات حديثة وذلك حتى يكل ويمل ويترك أرضه للأجنبي الذي يتلقى كل المساعدات من طرف الإدارة الاستعمارية غير أن إنتاج الفلاحين الجزائريين تحسن مطلع القرن العشرين الميلادي، والجدول التالي يوضح محصول القمح والشعير بالقنطار[5]:

---

[1] - عبد القادر ميهي، المرجع السابق، ص 113.

[2] - المرجع نفسه، ص 71.

[3] - أندري جيد، **رحلة إلى شمال إفريقيا**، تر: مُحَمَّد عبد الغني، دار المعرفة، ط1، 2012، ص 146.

[4] - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي...، ص 140.

[5] - المرجع نفسه، ص 142.

السنة الزراعية	قمح صلب	مردود الهكتار 1	شعير	مردود الهكتار 1	قمح لين	مردود الهكتار 1
1901	5.716.695	6.1	9.149.902	7.2	457.802	6.3
1902	6.095.656	6.8	9.056.363	6.9	513.140	6.9
1903	5.920.731	5.8	7.218.456	5.6	407.432	5
1904	4.241.644	4.6	6.809.696	5.9	432.670	5
1905	4.352.479	4.6	5.074.498	4.3	320.135	3.6
1906	5.584.104	6.2	8.874.528	7.5	519.756	6.4
1907	4.521.419	5.3	7.731.421	6.7	623.944	7
1908	4.235.496	4.7	6.860.727	5.4	565.561	4.7
1909	4.542.418	5.3	8.225.245	6.7	697.153	7.5
1910	5.491.170	6	8.698.566	7.3	550.513	5.8
1911	5.540.485	6.5	8.425.245	6.8	697.153	7.4
1912	3.712.035	4.2	5.909.145	4.8	379.132	3.9
1913	4.895.693	5.8	9.188.082	7.7	586.363	6.4
1914	4.312.594	4.9	6.823.924	5.8	588.790	6

لم يقتصر نشاط المستعمرين على المجالات الزراعية بنهب الأراضي من الأهالي وامتلاك الغابات، بل امتد نشاطهم إلى كافة النواحي الاقتصادية الأخرى، فاستثمروا أموالهم في الصناعة وشركات التعدين واستغلال المناجم والتجارة والنقل، وبرز من المستوطنين مجموعات تشبه التروست، مثل مجموعة باستوس (Bastos) التي تحتكر صناعة وتجارة التبغ، ومجموعة بورجو (Borgeaud) التي تسيطر على الاعتمادات العقارية، ومجموعة لافارج (Lafarge) في احتكار الاسمنت وغيرهم من المعمرين الذين يسيطرون على الجهاز الحكومي والهيئات الاقتصادية[1].

[1] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي...، ص 143.

هـ- زراعة الدخان:

تعد زراعته من الزراعات الأكثر انتشارا في الجنوب، وتعتبر سوف من بين المراكز الرئيسية لإنتاجه، وهو تبغ غني بالنيكوتين ومطلوب بكثرة في هذه المناطق، وإنتاجه السنوي يتأرجح ما بين 500 و800 قنطار، سوف لوحدها بلغ إنتاجه فيها سنة 1910 حوالي 150 قنطار[1]. كان يتم تصديره إلى المناطق التلية وتونس، وقد ساهمت تونس بقوة في بداية القرن العشرين الميلادي في توسيع زراعته بسوف بفضل ما تستورده من كميات معتبرة حتى أنها قامت سنة 1906 ببناء برج في قمار موجه لتخزين منتوج التبغ لنقله إلى تونس[2]، والجدول التالي يبرز تطور مشتريات الحكومة التونسية من التبغ بسوف ما بين 1906-1910[3]: (الوحدة كلغ)

السنوات	1906	1907	1908	1909	1910
الكميات المستوردة	50869	60424	106555	105344	84992

3- سياسة الضرائب والجمركة:

أ- الضرائب:

إن فرنسا لم تكتف بحرمان الشعب الجزائري بما فيهم سكان الجنوب من مصادر الرزق، بل لجأت إلى إثقاله بالضرائب الجائرة مثل:

- ضريبة الدخل العام وتؤخذ بنسب معينة من المداخيل والمرتبات.
- ضريبة العشر أي تقديم عشر المحصول الفلاحي إذا كانت الأرض لا تسقى، و20/1 منه إذا كانت مروية، ونصيبا معينا عن المواشي.
- ضريبة السخرة كالحراسة الليلية بدون آجر[4].

لم يكتف المستعمر بسلب الأراضي وحرمان السكان من المساهمة في الحياة الاقتصادية، بل فرض عليهم مجموعة من الضرائب المجحفة والتي كانت تسمى الضرائب العربية (Impots Arabes)، والتي هي

[1] - M. CH. Lutaud, **Situation générale des territoires du sud d'Algérie pendant l' Année 1910,** Imprimerie librairie, Edition Jordan, 1916, Op-Cit, pp 83-84.

[2] - leonard Roger, **Les territoire du sud d'Algérie (compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952),** Imprimerie officielle, Alger, 1945, p 96.

[3] - Lutaud, Année 1910, Op-Cit, p 84.

[4] - بشير بلاح، **موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1989**، دار المعرفة، الجزائر، 2000، ص 58-59.

تشريع ضرائبي خاص يخضع لها الأهالي بدون أن تصاحبها امتيازات مقابلة، إذ كان على الأهالي أن يدفعوا الضرائب الفرنسية، ثم مجموعة أخرى من الضرائب العربية التي تشتمل على الأرض والإنتاج والثروة الحيوانية، والعشور، والزكاة، وضريبة على الأفراد في بعض مناطق القبائل والصحراء وهي ضريبة الرأس المسماة اللزمة، بالإضافة إلى فرض السخرة والعمل مجانا في أراضي المستوطنين ولحساب المجالس المحلية[1].

ارتفعت الضرائب الاستهلاكية من 4500 فرنك سنة 1853 إلى 13500 فرنك سنة 1919 وذلك بحجة توحيد الضرائب، وهو ما يخالف الاتفاقية مع الميزابيين سنة 1853، ولم يتوقف عند هذا الحد بل زاد إلى أن طال الخماسين حيث فرضت عليهم غرامات مالية تصل إلى 12.50 فرنك للمحراث الواحد الذي لا يحرث سوى 15 هكتار، وتوسعت هذه الضرائب إلى أن شملت الزكاة والعشر على المحاصيل الزراعية والأنفس والحيوانات[2]، أثرت هذه الضرائب والغرامات على حياة السكان الذين أصبحوا عاجزين عن نشاطهم الفلاحي والتجاري، وأصبح العديد منهم مدين لأصحاب النفوذ بسبب القروض التي كانوا يأخذونها، ولم يستطيعوا تسديدها فاضطروا إلى بيع أملاكهم بأثمان زهيدة أو رهنها[3].

أدى هذا الارتفاع الكبير في الضرائب الجمركية إلى انهيار التجارة، وتم تنظيم الضريبة على المنتجات الفرنسية وتعديلها في سنتي 1903 و1907، ولكن هذا التنظيم ساهم في خلق عوائق جمركية كانت سببا في عدم توحيد السوق، حيث كانت تمثل ثلث الضرائب غير المباشرة أي ربع الموارد المالية في المناطق الصحراوية[4].

تحمل سكان الأقاليم الجنوبية أعباء مالية ثقيلة كما أنهم عانوا من تدهور اقتصادي وكوارث طبيعية، ورغم كل هذه الخسائر نلاحظ أن الميزانية كانت تسجل فائض كل سنة، هذا الفائض كان يستخدم في إنشاء منشآت عسكرية وإدارية لا تخدم مصالح الأهالي بل كان تزايد النفقات نتيجة زيادة رواتب العمال والموظفين والعسكريين وكذلك استغلال المساحات المزروعة وإنشاء مختلف العمال والبناءات المخططة والمبرمج إنجازها والتي تخدم مصالح الفرنسيين[5].

---

[1] – إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي ...، ص 143.

[2] – صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم، عنابة (الجزائر)، 2003، ص 205.

[3] – احميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، ص 165.

[4] – أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص 398.

[5] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 153.

وسنكتفي في هذا الموضع بإيراد بعض الأرقام لتوضيح المسألة إذ أن الموارد العادية للميزانية من الضرائب والمداخيل، كان في سنة 1924 حوالي 2.519.140 فرنك ليقفز هذا الرقم سنة 1927 إلى 13.967.576 فرانك، وهذا قبل تخفيض قيمة الفرنك في سنة 1928

السنة / موارد الضرائب	1904	1927
الضريبة العربية	1.966.515	4.803.455
الضريبة على المباني	31.743	62.301
الضريبة على المهنة	19.227	76.783
مكوس أخرى	4.971	106.759

الجدول يوضح أنواع الضرائب و مداخيلها (1904–1927)[1] القيمة :الفرنك

وما نلاحظه من خلال هذا الجدول هو التزايد والارتفاع الملحوظ في المبلغ المخصص للضرائب من 1904إلى غاية 1927م، كما أن قيمة الضريبة العربية مرتفعة مقارنة بالضرائب الأخرى، وهي ضريبة مفروضة على الأهالي، مما يؤدي بنا إلى استنتاج مدى ثقل الأعباء المالية المفروضة على سكان الجنوب.

وقد كانت الإدارة الفرنسية تشدد على استخلاص الضرائب السنوية في وقتها المحدد، وتشدد الإجراءات العقابية ضد الممتنعين أو الغير قادرين على أداءها، فكانت تؤمم أراضيهم وتباع أو يسخروا للعمل لدى المستوطنين أو المجالس المحلية، أو يسجنوا، الأمر الذي يدل على قسوة النظام الضريبي المسلط على الجزائريين فرغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها سكان أقاليم الجنوب من جميع الجوانب من ركود الاقتصادي، كوارث طبيعية تصيب الموارد التقليدية وغيرها إلا أن الميزانية كانت تسجل فائضا كل سنة، يستخدم في إقامة المنشآت العسكرية والإدارية أي في غير مصلحة السكان والنشاطات الاقتصادية المفيدة لهده المناطق، وليس هذا فقط، فإدارة الاحتلال اختارت السنوات العجاف 1920-1921 لإعادة تقييم ضريبتي الزكاة والعشر وضريبة اللزمة على النخيل في الاتجاه نحو الأعلى، وتأكد هذا بارتفاع فائض الميزانية هذه السنوات و هذا ما يوضحه الجدول الآتي:

[1] – جمال قنان، المرجع السابق ، ص151 .

السنة	1920	1921	1922	1923	1924
المبلغ الفائض من الميزانية	2.144.799	1.243.745	1.761.125	2.203.654	3.633.144

جدول يوضح ارتفاع ميزانية الضرائب خلال (1920–1924)[1] القيمة :الفرنك

نستنتج من خلال هذا الجدول أن الفائض الميزانية في تطور وارتفاع منذ 1920 وفي1921 عرف هبوطا إلا أنه في سنة 1922م سجل ارتفاعا، ليتواصل هذا الارتفاع إلى غاية 1924، فإدارة الاحتلال لم تكن تعير اهتماما لما يعيشه السكان من ظروف صعبة التي ذكرنها آنفا بل كانت تواصل في امتصاص الضرائب من الأهالي بلا رحمة و شفقة.

بالإضافة إلى احتكار الفرنسيين للتجارة والنقل البري والبحري، أدى إلى غزو البضائع الفرنسية لأسواق الجزائر بشكل واسع، وتحطمت الصناعات الأهلية خاصة بعد أن طرد العمال والفلاحون من أراضيهم، فانهارت بذلك القوة الشرائية وتحطم رأسمال التجارة والحرفيين الجزائريين[2] .

ومن أمثله ذلك سكان مدينة ورقلة التي وعلى الرغم من محدودية إنتاجها الفلاحي ومستواها المعيشي المتدني لم تسلم من أسلوب فرض الضرائب مما دفع بسكان ورقلة كل عام إلى بيع أجزاء من أراضيهم الفلاحية لتسديد الضرائب أو لترويج بناتهم، وأهم الضرائب التي فرضت على أهالي ورقلة نجد: **ضريبة اللزمة، ضريبة الزكاة، ضريبة العشور**[3]، ما أدى إلى استنزاف الثروات الباطنية، لأن المستعمرين أخذوا على عاتقهم مهام التنقيب عن المياه عن طريق حفر الآبار الارتوازية في المناطق الصحراوية.

ب– الجمركة:

كان لسيطرة فرنسا سياسيا وعسكريا على الصحراء آثارا اقتصادية عليها تتمثل أساسا في أن المنطقة تعودت على نوع من الاستقلالية في تعاملاتها التجارية ومبادلاتها، ثم وجدت نفسها في نوع من الانضباط والتنظيم أقرب إلى التقنين، مما فرض رقابة أكبر على النشاطات التجارية في الصحراء خاصة في التعامل مع الدول المجاورة والحدودية، مثل مالي، النيجر، ليبيا، وتونس فأصبح هناك شرطة حدودية

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 153.

[2] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 54.

[3] – يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، ص 49.

(جمارك) تضايق باستمرار حركة تجارة القوافل، خاصة التي ترفض الخضوع للإجراءات الضريبية التي كانت ترهق التجار، ومن ثم تؤثر على المستهلكين من خلال غلاء الأسعار وهذا ما كان يشجع على بروز ظاهرة التهريب[1].

ومما يلاحظ أن تجارة القوافل قد تضررت كثيرا ما بين ليبيا ومنطقة وادي سوف بسبب محاولات الفرنسيين الاستيلاء على طريق تجارة القوافل الصحراوية وتحويلها من طرابلس نحو تونس أو التل الجزائري القادمة من بلاد السودان، فأدخلت بذلك سوف في صراع مع الأقاليم الطرابلسية هم في غنى عنه لإضراره بالمصالح الاقتصادية للصحراء عامة ولسوف خاصة[2].

كما قامت فرنسا بفرض ضريبة اللزمة على النخيل، والتي أرهقت الفلاحين محدودي الدخل في الصحراء ورغم هذا فقد شهدت تطورا نسبيا، فمدينة سوف مثلا زاد عدد أشجار النخيل بها من 202300 نخلة سنة 1900[3] إلى 298675 نخلة سنة 1915[4]، كما حاولت فرنسا حفر بعض الآبار الارتوازية في مسالك تجارة القوافل خاصة مع غدامس إلا أنها كانت فاشلة فيما يتعلق بمردودها التجاري لكون أن نية الفرنسيين من إنشائها كان دعم الفرق العسكرية المشكلة من المهارى التي تحرس وتراقب الحدود مع تونس والأقاليم الطرابلسية، فالواقع يؤكد أن نظرة الفرنسيين للصحراء كانت دوما عبارة عن قواعد عسكرية في شكل محميات تؤمن طرق المواصلات للقوافل التجارية من الشمال إلى الجنوب[5].

4- التأثير على المبادلات التجارية

اهتم سكان الصحراء بتجارة العبيد وهي ليست مربحة ولا سهلة لأن العبد قد يمرض وقد يهرب، ومع أنَّ القانون الفرنسي منع تجارة العبيد، إلاَّ أنه ظلَّ يمارس في الجنوب، ولقد لاحظ صوليه القوافل التجارية الخاصة بتجارة العبيد في الصحراء عشرة نساء على مختلف الأعمار لرجل واحد وأطفال صغار

---

[1] – عثمان زقب، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918–1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم التاريخ، 2005–2006، ص ص 24–25.

[2] - Mahmoud Faroua, **Le commerce caravanier de la Tunisie après la première guerre mondiale,** Revue Magrébine, Année 16, N° 55, Décembre 1989, p p 19-24.

[3] – ريمون فيرون، **الصحراء الكبرى**، تر: جمال الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص 105.

[4] - M. CH Lutaud, **Situation générale des territoires du sud d'Algérie pendant l'année 1915**, Imprimerie libraire, ed Jordan, 1916, p 55.

[5] – موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900–1939**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2005–2006، ص 41.

عبيد مع شباب[1]. ومن الإنتاج الأصلي للصحراء نجد دباغة الجلود في تافيلالت والمغرب الحنة تزرع على مساحات كبيرة في توات، وبها تسوق عبر القوافل التجارية لكامل المغرب وثمنها من 0.10 إلى 0.20 سنتيم للرطل (500غ)، أما تجارة جلود الماعز الجافة والمدبوغة، والنعام وصل إلى وادي ميزاب من 30 إلى 50 فرنكا أما التمور الحرير الحلفاء فهي أهم المنتجات التي تستثمر فيها فرنسا[2].

المنتجات الآتية من بلاد السودان: هي الشمع، والعاج، وقرون الكركدن وجلد النمر وجلد الأسد، وجلود بعض الحيوانات المفترسة، وريش النعام والجلد الجاف والمدبوغ للفهد والزرافة والعجل، فيصل وزنها من 8 إلى 14 كلغ وثمنها في عين صالح خمس فرنكات، إضافة إلى الذهب على شكل غبرة ويضعونه في أنابيب من الريش مغلقة بالشمع.

وتكمن أهمية التجارة بالنسبة للجزائر في علاقاتها التجارية مع إفريقيا الوسطى لتمكينها من التغلب على سيطرة الإدارة الفرنسية التي سعى حكام فرنسا لجلبها بمختلف الوسائل لكنهم فشلوا، ففي سنة 1838 حاول المهندس الفرنسي سوتيل[3] (M.Sautil) المقيم بفزان أن يقترح على حكومة الملك لويس فيليب (Louis Philippe) ما يلي:

- جلب القوافل التجارية التي تمر إلى مرزوق على قسنطينة.
- توجيه هجرة السود نحو الجزائر.
- وضع قنصل فرنسي في الصحراء.

كما اقترح الكاتب بول صولييه إنشاء مخازن بالأغواط كمستودع للبضائع الأوروبية التي يحتاجها سكان المناطق الداخلية، لأن الأغواط هي آخر مدينة محتلة من طرف فرنسا، كما أنها قريبة من عين صالح أكثر من غدامس في الشرق[4].

إنَّ ضرورة وأهمية تقارير الرحالة لما يكتبونه من معلومات إيجابية حول الاحتياجات، والإنتاج لهاته التجارة في الصحراء والسودان، كان مهما جدا في معرفة الطرق الرئيسية وأهميتها الاقتصادية، وهذا ما

---

[1] - Paul Soleillet, L'avenir, op- cit, p10.

[2] - Ibid, p 19.

[3] – **سوتيل**: تقرير نشر في مجلة الشرق سنة 1845م بباريس مكون من 03 فقرات، أين استعرض وجهات نظره ومشاريعه وهي كالآتي: (تاريخ عبد الجليل سلطان فزان) المغتال سنة 1842م لاعتبارات سياسية وتجارية لغدامس متبوعة بمسار من طرابلس نحو غدامس– سير القوافل إفريقيا الوسطى –الوسائل المتاحة لجلبها إلى الجزائر.

[4] - Paul Soleillet, L'avenir, Op-Cit , p 20

قام به كل من بول صولييه شخصيا سنة 1872 والدكتور وارنر (Warner) والجنرال ميرشر (Mircher) في مشروع رحلة من الجزائر إلى واحة عين صالح وبالفعل قامت غرفة التجارة بإرسال الطلبات إلى مستودع الأغواط[1]، لكن هذا الشيء لم يرق لكثير من الغرف التجارية الفرنسية، نفس الشيء بالنسبة لإنشاء خط سكة حديد من بين المواضيع المقترحة، والتي طبق جزء منها لكنها فشلت بسبب منها انعدام الأمن وانتهى الحلم باغتيال منفذيه فوصل ناحية الجنوب الغربي حتى تقرت وفي جهة الوسط حتى الجلفة فقط.

ثالثا: مشروع سكة الحديد العابر للصحراء

اهتمت فرنسا بمد السكك الحديدية عبر الصحراء وذلك من أجل استغلال ثرواتها، لكن المشروع اصطدم مع صعوبة التضاريس لوجود مشكلة الرمال، ومن هذه البعثات الاستكشافية العلمية التي وصلت بدراستها إلى مدينة المنيعة بعثة "شوازي" 1879، التي خصت المنيعة بدراسة للأهمية الاستراتيجية وشملت الدراسة المياه الجوفية، الزراعة وتوصلت إلى معلومات قيمة بما فيها معلومات من الناحية التاريخية مكتشفة قبر يعود "للغرمنتيين" مما جعلها ترجح أنّ الذين بنو القصر القديم لهذه المدينة يعود لهؤلاء الآخرين[2].

1- الجمل:

بقي الجمل مطية الصحراء ووسيلة التنقل الناجعة، نظرا لتحمله الجوع والعطش وتغذيه من حشائش الصحراء، وتتراوح حمولته ما بين 80 إلى 100 كلغ وكل القبائل تستعمله للكراء لنقل البضائع، وتحدد الأسعار حسب المسافات، فالحمولة المتوسطة للجمل 250 كلغ ويصل الكراء من بوغار إلى الأغواط إلى 30 فرنك، والمسافة ما بين الأغواط إلى غرداية 309 كلم تقدر بـ 20 فرنك، ومن غرداية إلى متليلي الشعانبة 168 كلم بـ 2.50 فرنك، أي بمعدل 0.10 فرنك للكلم الواحد كلم بحمولة 250 كلغ أي طن تقدر بـ 0.40 فرنك للكلغ الواحد[3].

لذا فكرت فرنسا في إنشاء خط سكة حديد لتسهيل التنقل والإسهام في تطوير الحركات التجارية بدل الاعتماد على الجمل، حيث كتب دي بونشال (Duponchel) تقرير كامل فيما يخص إنشاء خط

[1] - Paul Soleillet, L'avenir, Op-Cit, p 21.
[2] - Geneviève Capot-Rey, **L'Eau et le sol a El-Goléa, Revue Travaux de de l'institut de Recherches Sahariennes,** université d'Alger, Tome XVII, 1er.2me semestre, 1958, pp83-126.
[3] - Ibid, p25.

سكة حديد من الجزائر إلى تنبكتو، وهي فكرة مستقاة من الخط العابر لكندا الذي أنجز ما بين 1878-1886م على مسافة أربعة آلاف وسبعمائة كلم، والخط العابر لسيبيريا ما بين 1891-1898م[1]، والخط العابر لأمريكا لربطها بأكثر من خمسة الآلاف كلم، بينما المسافة من الجزائر إلى تنبكتو أقل من أربعة الآلاف كلم[2]، لكن أمريكا قارة واحدة متكاملة، على عكس فرنسا التي هي جزء من القارة الأوروبية وصحراء الجزائر جزء من القارة الإفريقية كما يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط[3].

لقد اهتدى دي بونشال أن يبدأها من تقرت إلى تنبكتو ورأى أن فريقا واحدا يمكن له أن ينشىء سكة حديد ابتداء من بوغار إلى الأغواط ثم من وادي ميزاب إلى القليعة فعين صالح ثم تنبكتو وصولا إلى السينيغال، وقدر تكلفة الكليومتر الواحد 300.000 فرنكا بما فيها إنشاء المحطات والحقوق الخاصة للتموين بما فيها الماء، والمسافة من عين صالح إلى سانت لويس عن طريق عين صالح وتنبكتو هناك حوالي (3800) إلى (3900) كلم، هذا يعني حصيلة قدرها 1200 مليون بمعدل 02 أو 03 كلم يوميا، هذا يعني 2000 يوميا[4].

2- أهداف مد سكة الحديد:

في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون جادين في الغزو والتوسع إلى جنوب الجزائر والصحراء أولوا اهتمامهم بموضوع المواصلات التي تمثل العنصر الأساسي والفعال، وكان هدفهم من ذلك:

أ- تسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية الغازية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشأوها فعلا أو التي سينشؤنها مستقبلا في الواحات والمناطق الإستراتيجية.

ب- ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط[5] .

ج- تنشيط الاقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وخاصة قطاع الخدمات، وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرة والباطنية التي تزخر بها الصحراء الجزائرية فإقليمي قورارة وتوات غني

[1] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 293.

[2] – Paul Soleillet, L'avenir, op cit, p50.

[3] - محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، ص ص 463-475.

[4] - إبراهيم مياسي، المرجع سابق، ص294 .

[5] - يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر ...، ص 45.

بالمعادن كالفحم الحجري وذلك حسب الدراسة التي قدمتها "دفلامون" وهضبة تاهيت الغنية بمركبات الكبريت حسب ما ذهب إليه "رولان" بالإضافة إلى العديد من المعادن الأخرى كالرصاص والزنك والنحاس والأنتيمون[1].

د– الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء الإفريقية والمحملة بكل أنواع الزينة كالعطور والروائح والمنسوجات الصحراوية وريش النعام وبعض المعادن التنمية كالذهب والفضة والنحاس، ومنافسها في الوصول إلى مصادر هذه الثروة واستغلالها واحتكارها لصالح الشعوب الأوروبية[2]

3– أهم مشاريع مد سكة الحديد:

مشروع خط (Cabanis) دشن الفرنسيون مشاريع النقل الصحراوي باقتراح كاباني خط حديدي يمتد من الجزائر إلى بوسعادة وورقلة، على أن يتفرع بعد ذلك إلى فرعين واحد إلى تونس وطرابلس والآخر إلى عين صالح، والهقار، وذلك منذ عام 1853 واهتم منذ عام 1858 وبرز بعد ذلك المهندس أدولف دوبونشيل[3] (Adolf Duponchel) بدراسة مشاريع المواصلات الحديدية بالصحراء وتأثر كثيرا بالتوسع الاستعماري الإنجليزي في إفريقيا وألح على ضرورة مقاومة المنافسة الانجليزية بمد هذه الخطوط الحديدية، لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض واقترح خطا يمتد إلى الترنسفال في أقصى الجنوب القارة، واستغرقت جهوده قرابة ثلاثة عقود وإليه يرجع الفضل في إقناع البرلمان الفرنسي على اعتماد ثلاثة مشاريع لثلاثة خطوط عام 1880 [4]، بعد ذلك ظهرت عدة مشاريع عقب ذلك من بينها:

– مشروع المهندس بويان (Pouyanne) بمد ثلاثة خطوط حديدية الأول من تيارت إلى المدية والثاني من سعيدة إلى رأس الماء والمشرية، والثالث إلى المغرار والوتيد.

---

[1] – **الأنتيمون:** معدن يستخدم غالبا في أدوات الزينة وهو المعروف عند العامة من الناس بالكحل. ينظر: عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916، ص 78.

[2] – احميدة عميراوي، السياسة الفرنسية ...، ص 78.

[3] – **دوبونشال (Adolf Duponchil)** : ولد سنة 1821م مهندس أول للجسور والطرقات نشر عدة أعمال هامة تحتوي وهو على أفكار أصيلة وممتازة أظهر فيها المؤلف براعة كبيرة، ومن هذه الأعمال كتابه حول مشروع السكة الحديد وأول من خطرت له فكرة السكة الحديدية العابرة للصحراء منذ سنة 1875 الذي لفت انتباه الجميع متأثر إلى حد بعيد بمشاريع السكة الحديدية بالولايات المتحدة الأمريكية. ينظر: إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص294 .

[4] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات ...، ص 78.

– مشروع دوريان (Durien) القاضي بمد خط حديدي من وهران نحو توات عبر تلمسان وسبدو والعريشة وعين بن خليل وعين سفيسة ونخلة إبراهيم.

– مشروع كولونيو (Colognieu) القاضي بمد خط حديدي من مستغانم نحو تيارت وعين صالح والسرسو والمنيعة والقليعة وتيممون[1].

وكانت خلاصة هذه المشاريع كلها في النصف الأول من القرن التاسع عشر وضع نواة لثلاثة خطوط حديدية إلى جنوب الجزائر وأعماق الصحراء، فرعت كلها من الخط العرضي الدولي الرئيسي الذي يخترق الشمال الإفريقي من مدينة تونس شرقا إلى الدار البيضاء غربا على سواحل المحيط الأطلسي وهي كالآتي[2]:

–الخط الأول يمتد من مدينة قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت.

–الخط الثاني يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية.

–الخط الثالث يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار.

ومع حلول 1871 توسعت أشغال شبكة السكة الحديدية لتربط كل من منطقة السهول العليا بالسواحل وبشمال الصحراء، وبعد تنظيم أقاليم الجنوب وإرساء قواعدها العسكرية، بميزانيتها المستقلة خصصتها لانجاز الأشغال الكبرى من شق الطرقات البرية والسكك الحديدية، وانجاز لبعض المطارات العسكرية وغيرها من المشاريع الضخمة المساعدة على التغلغل الفرنسي داخل أعماق الصحراء[3].

4– سياسة إنجاز خطوط السكة الحديدية وأبعادها في الصحراء الجزائرية:

تبنت الإدارة الاستعمارية، منذ سنة 1857م بعد مداولات ونقاش حول مسألة الشروع في إنجاز شبكة وخطوط السكك الحديدية في الجزائر، من خلال التكاليف والنفقات المالية ومدى توافقها مع المصالح الاستعمارية والأهداف الاستيطانية المرسومة، تبنت برنامجا يهدف إلى إنشاء وتجهيز شبكة السكك الحديدية التي مست جميع جهات المستعمرة بالتدريج، حسب مجموعة خرائط ودراسات تقنية

[1] – احميدة عميراوي، الرجع السابق، ص 82.

[2] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق ، ص ص 80–81.

[3] – عبد الحميد نجاح، **منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال** ، دار آمال، الجزائر،2003 ، ص 198.

واقتراحات إنجاز معدة من قبل مهندسين وعسكريين، وبتطور وتوسع الاستيطان وتسلل جذوره في الجزائر شمالا وزحفه نحو الغرب والشرق، استدعى ذلك إنشاء خطين الأول الجزائر– وهران والثاني سكيكدة– قسنطينة، ثم توغل الاستيطان نحو الهضاب العليا والجنوب، وإن اختفت مظاهره وطرقه وأدواته، إلا أنه كان وسيلة هامة لجلب المستوطنين وترسيخ أركان الاستعمار في هذه المناطق.

واصل الاحتلال الفرنسي تنفيذ مشروعه الاستيطاني بإنجاز خطوط الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، حيث نجد التشريع الأول للسكك الحديدية العامة للجزائر صدر بموجب مرسوم 08 أفريل 1857م، وقد تم تعديل ذلك بموجب قوانين مختلفة وخاصة بشبكة السكك الحديدية ذات المصلحة العامة، وتواصل إنجاز خطوط السكك الحديدية في المستعمرة تباعا من عام 1862م إلى عام 1892م[1].

قامت عدة شركات فرنسية وأوربية بإنجاز أشغال هذه الشبكة منها شركة باريس–ليون –المتوسط (Paris-Lyon-Méditérranée) وإنشاء الشركة الفرنسية–الجزائرية (Compagnie Franco-Algérienne) لغرض استغلال المنتجات والثروات منها الحلفاء وتشغيل السكك الحديدية، حيث هناك 300000 هكتار من المرتفعات لضمان تدفق منتجاتها[2]، من خلال دراسة اقتصادية وفنية لمختلف الخطوط المتوقعة منها خط بوقطب – البيض (جيريفيل)، خط الجلفة – الأغواط، خط الأغواط – غرداية، خط طولقة – أولاد جلال، خط جامعة – قمار وخط تقرت–ورقلة[3].

قام الحكام العامين في الجزائر بدور هام في دعم وتثبيت هذا المشروع الاستيطاني، مثلما قام به الحاكم العام راندون (Randon) وكذا الحاكم العام لافريير (La Ferrière) بالمساهمة في مختلف مراحل الأشغال مستخدمين في ذلك اليد العاملة من جنود وسجناء ومحكوم عليهم في الأشغال المختلفة، وذلك كله في صالح المستوطنين، ونجد هذه المشاريع قد اقترنت بتطور الاستيطان في الجزائر، مما أدى إلى نمو الأسواق والتعامل التجاري خاصة الأسواق الداخلية والحركة التجارية نتيجة لذلك[4].

---

[1]- Conseil Supérieur De Gouvernement, **Procès verbaux Des Délibérations Et Exposé De La Situation Générale De L'Algérie**, Imprimerie Administrative, 2- Rue Bruce-2, Alger, Novembre 1899, p03.

[2] - Gouvernement Général De l'Algérie, **Notice sur le chemin de fer Algériens,** Mustapha, GIRALT ? Imprimerie Du Gouvernement Général rue des colons, 17, 1899, p08.

[3] - P-Godefroy, **Programme des chemines de fer Dans les Territoires du Sud,** Imprimeur-Libraire-éditeur, Place du gouvernement, Alger, 1916, p06.

[4] - P-Godefroy, Op-Cit, p06.

كان الهدف من التوسع في المناطق الداخلية والجنوبية استغلال الحلفاء والثروة الخشبية والمنجمية وتدعيم الوجود العسكري، لذا نجد أن شبكة السكك الحديدية قد وفرت خدمات لا مثيل لها للاستعمار الأوربي في نقل السلع والمواد والمنتجات المتنوعة ومختلف الحيوانات والمواشي إلى جانب دعم وإسناد الجيش الاستعماري بنقل أفراده ووحداته العسكرية في إطار التوغل والتوسع الاستعماري ومواجهة ردود الأفعال وحركات المقاومة ونقل المسافرين، إذن هي أداة استيطانية جمعت بين الجانب التجاري والاقتصادي والعسكري لصالح المستوطنين، وتحقيق الأهداف الاستعمارية العامة لخدمة المشروع الاستيطاني في الجزائر، وقد كانت ترى السلطات الاستعمارية ضرورة توجيه السكك الحديدية نحو فيقيق المغربية غربا ومنطقة قورارة جنوبا لتنوع سكانها ولضمان الحركة التجارية الاستعمارية[1].

أ- مد خط السكة الحديدية بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري 1874-1892م:

لجأت السلطات الاستعمارية إلى تشجيع وإغراء المهاجرين الفرنسيين والأوربيين بمد خط السكك الحديدية بموجب مرسوم 29 أفريل 1874م أرزيو-سعيدة، من خلال اتفاق لمدة 99 عاما المؤرخ بتاريخ 20 ديسمبر 1873م بين الحاكم العام للجزائر والهيئة الفرنسية الجزائرية[2]، الذي يمتد ويتواصل نحو الجنوب حيث تم إنجاز خط جنوب وهران بمنطقة الجنوب الغربي لأسباب عسكرية طوله 440 كلم من الخيثر إلى كولومب بشار[3]، إلى جانب تعبيد الطرق نحو الجنوب الوهراني والصحراء الجزائرية، فارتبط الاستيطان بالتوسع في هذه المناطق باستغلال الثروات الطبيعية والمنجمية مثل النحاس في منطقة عين الصفراء والفحم في منطقة القنادسة وبشار وثروة الحلفاء، إلى جانب الاستغلال البشع لليد العاملة الرخيصة التي تتكون من سكان البدو الرحل[4].

وصل خط السكة الحديدية إلى مشرية سنة 1882م وإلى منطقة عين الصفراء 1887م ضمن إستراتيجية ذات بعد عسكري، مع استغلال الحلفاء من طرف الشركة صاحبة الامتياز باستغلال مساحة قدرها 300000 هكتار، وينتشر نبات الحلفاء بشكل كبير في مناطق الهضاب العليا وشمال الصحراء وحتى المناطق شبه الصحراوية وتستغل في تغذية الحيوانات وفي الاستغلال الصناعي، حيث يتم شحنها

[1] - M. Gauchiront, **Bulletin De Société De Géographie Commercial De paris**, 1er Fascicule, 1896, Paris Au Siège De La Société ,8 Rue Du Tournon, p47.

[2] - M-Gauchiront, **Bulletin de Société,** op.cit, p42.

[3] - P-Godefroy, **Programme des chemines de fer**, op.cit,p 06.

[4] – إيزابيل إبرهاردت،**يوميات الطريق "عودة العاشق المنفي"**،تر: ميهي عبد القادر،مطبعة الوليد،الجزائر، 2006، ص 139.

عن طريق السكك الحديدية إلى أرزيو ومنها إلى إنجلترا[1]، وتدعيما لذلك تم إنشاء أسواق أسبوعية في كل من سعيدة، بوقطب، عين الصفراء وبني ونيف وقد رأت السلطة الاستعمارية في هذه الأسواق عمل وطني ومكمل أساسي للسكك الحديدية وذلك لربط مستعمراتها بفرنسا تجاريا[2].

ب- مد خط السكة الحديدية بمنطقة الجنوب الشرقي الجزائري:

أرسلت الحكومة في سنة 1878م المهندس دوبونشال في مهمة رسمية لدراسة الصحراء والبحث عن طريق للسكة الحديدية العابرة للصحراء، وعلى الرغم من أن أسفار المهندس عبر الصحراء لم تتجاوز مدينة الأغواط، فقد وجد مادة كافية لملء مجلد في صورة تقرير عن المشروع بعنوان "**دراسات تمهيدية عن السكة العابرة للصحراء**"، ونظراً لأن وزير الأشغال العمومية آنئذ كان يحلم بالسكة العابرة للصحراء منذ صغره حينما كان يدرس في الكلية (سنة 1848م) ولما قدم تقريراً إلى رئيس الجمهورية عن المشروع الذي اعتمده هو، قال إن السكة الحديدية سوف تربط الجزائر بالسنغال وستفتح سوقاً هائلة لمائة مليون من المستهلكين للمنتجات الفرنسية[3].

وبعد تشكيل لجنة حكومية عليا للمشروع أوفدت ثلاث بعثات، كان آخرها برئاسة الكولونيل فلاترز سنة 1879م، كلفت بوضع تصميم للخط في جنوب قسنطينة يمتد من ورجلة إلى بلاد طوارق أنجار، فكلف الضابط فلاترز[4] الحاكم العسكري السابق لدائرة الأغواط بدراسة خط سير السكة جنوب مدينة ورقلة، فسجل بعض النجاح في رحلته الأولى حيث جمع معلومات طبوغرافية هامة عن المنطقة الواقعة جنوب شرقي ورقلة وعلى مسافة حوالي 1200 كلم، لكنه في رحلته الثانية التي ابتدأها يوم 04 ديسمبر 1880م في اتجاه منطقة الهقار لقي مصرعه هو وأفراد البعثة على إثر الهجوم الذي شنه سكان منطقة الهقار ضدهم في مكان يدعى بئر الغرامة، الواقع في عمق الهقار جنوب شرقي مدينة عين صالح يوم 16 فيفري 1881م[5]، ساهمت عوامل كثيرة في هذه المجزرة:

---

[1] - M-Gauchiront, Bulletin de Société, op.cit, p43.
[2] - Ibid, p46.

[3] – إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى** ...، ص 102.

[4] – **فلاترز** (**Flatters**): عاش ما بين 1832-1881، عين في الجزائر سنة 1880 برتبة عقيد، كما ولي قيادة الوفد الاستكشافي لمشروع السكة الحديدية استنادا إلى رغبته، وفي رحلته الثانية قتله الطوارق في 16 فيفري 1881 كان يعرف اللغة العربية ويفهم اللهجة المحلية، وبما أنه عاش في جنوب قسنطينة فقد كان يعرف التقاليد المحلية. ينظر: عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص 93.

[5] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 144.

1- كون القوات المحافظة على الوفد ضعيفة ولا تحمل سلاحا بل أبقته داخل الصناديق لأن فرنسا كانت تظن أن البعثة ستعبر بلاد الطوارق بعدد قليل من الحراس.

2- عدم حسبان أن الطوارق كبقية القبائل العربية مغرمون بالحرية وأنهم على مدى مئات السنين يتمتعون بالصحراء دون أن يخضعوا لأي حكم كان، فقدوم فرنسا إلى الصحراء قد يكون فيه انتهاء حريتهم ولذلك لن يسمحوا بذلك مهما كلف الأمر من ثمن.

3- تحريض الغدامسيون الطوارق على الفرنسيين خوفا من أن يفقدوا تجارة السودان، إلى جانب وقوف شيوخ الطريقة السنوسية اتجاه النفوذ المسيحي[1].

لقد كان لفشل بعثة فلاترز صدى كبير في فرنسا ولدى المستوطنين في الجزائر، وانعكس هذا الفشل في وقف المحاولات الرامية إلى التغلغل نحو الجنوب مؤقتا، كما انعكس وبصورة مباشرة على مشروع مد خط سكة الحديد عبر الصحراء، لقد قرر المجلس العام للجسور والطرقات في الجلسة التي عقدها يوم 02 جوان 1881م وعلى اعتبار أنه لا يمكن مد خط سكة حديد عبر الصحراء قبل الاحتلال الفعلي والنهائي لها، فإنه من الضروري تأجيل أي مشروع من هذا القبيل في الوقت الراهن[2].

المبحث الثاني: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الإدارية بالجنوب الجزائري

أولا: أسباب التنظيم الإداري لأقاليم الجنوب

إنّ طبيعة الجنوب وجغرافيته الوعرة صعب من عملية التغلغل العسكري الاستعماري إلى هذه المناطق، من ثمّ أضحى النظام العسكري بمنظور السلطات الاستعمارية النموذج الملائم والأنسب للتسريع من عمليات التوّسع من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا النظام يقطع التواصل بين الشمال والجنوب خاصة بما تعلق بمسألة الإمدادات المادية والبشرية التي تلقتها المقاومات في الجنوب من سكان الشمال لأنّ التجربة التاريخية بالنسبة للفرنسيين أثبتت أنّ الارتباط بين شمال الجزائر وجنوبه بقي متواصلا حتى أثناء التوغل الاستعماري في الجزائر[3].

وهذا ما أكدته وجسدته المقاومات الشعبية التي قامت في الشمال، والتي أوجدت قواعد لها في الجنوب، كما أنّ المقاومات التي انطلقت من الجنوب كان لها امتداد وانتشار في الشمال، وهذا ما

[1] - عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص 94.

[2] - جمال قنان، المرجع السابق، ص 144.

[3] - إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري بالجنوب ...، ص 77.

نستشفه من قول الرحالة الألماني "جيرهارد رولفس" (Friedrich Gerhard Rohlfs) الذي زار مناطق الجنوب خاصة منطقة الجنوب الوهراني وعاين أحداثها وتفاصيلها، حيث يشير في نصيحة قدّمها للفرنسيين قصد توسيع دائرة الاحتلال، إذ يقول: "... **قبل كل شيء على الفرنسيين نقل حدودهم إلى غاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تنبعث كلّ المصاعب وكل الفوضى ما دام الفرنسي لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، فلن يكون هناك أيّ هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران**"[1].

وهذا ما يؤكد أنّ المشاكل التي كانت تعاني منها السلطة الاستعمارية في الإقليم الشمالي كان مصدرها الجنوب، وهي إشارة إلى حركات المقاومة التي اتخذت من الجنوب معقلا لها اتخذته كمركز للدعم وإعادة الانبعاث، أدركت فرنسا أنّ هذا الارتباط أضحى يُشكّل خطرا على السياسة الكولونيالية في الجزائر، وصار من العقبات التي يجب إزاحتها بشكل ممنهج ومقنن، ومن جانب آخر شكّلت الحدود الجزائرية مع الدول المجاورة خاصّة الغربية منها هاجسا كبيرا في تنفيذ مشروعها الاستعماري، من خلال احتضانها ودعمها للمقاومة الجزائرية، وتجلى ذلك بشكل واضح في مقاومة الشيخ بوعمامة 1881-1905 التي اتخذت من إقليم فيقيق المغربي معقلا آمنا لها، وبالتالي أصبحت الوضعية الأمنية في الجنوب الوهراني بحسب السلطة الاستعمارية جدُّ خطرة بفعل ما سُمي بالفوضى المغربية.

وهو ما عبّر عنه الجنرال ليوتي (Lyautey) عندما صرّح قائلا: "... **إنّ المشاغبين توغلوا إلينا بسهولة لأنّ معاهدة سنة 1845 المتُفق عليها بين المغرب وفرنسا، تُشير إلى عدم وجود حدود إقليمية مُقامة بين البلدين ما دامت الأراضي في الجنوب غير مزروعة، وقد كان للإعلام المقروء دور كبير في تضخيم قضية تفاقم الوضع الأمني المتدهور بالجنوب الوهراني لاتخاذ ذلك وسيلة لتبرير التدخل العسكري في المنطقة**"[2].

– اشتداد التنافس الأوروبي في شمال المغرب الأقصى والصحراء الغربية خاصة بين فرنسا، ألمانيا واسبانيا، وخوفا من انتقال دائرة التنافس والصراع إلى الصحراء الجزائرية، سارعت السلطة الاستعمارية إلى تسوية الأزمة المغربية والصحراوية عن طريق الحلّ الدبلوماسي، بعقد مؤتمر دولي بالجزيرة الخضراء

[1] – المرجع نفسه، ص 77.

[2] - Pierre Lyautey, **Vers le Maroc "Lettre Du Sud Oranais (1903-1906)",** Librairie Armand Colin , Paris 1937, P. 06.

(Algesiras) سنة 1906 جاء ذلك تتويجا للاتفاقيات السرية المبُرمة مع الدول المعنية لصراع، والتي أطلق عليها" اتفاقيات اللصوص".

– وفي الوقت نفسه، سرّعت فرنسا من عملية احتلال الصحراء الجزائرية وإخضاعها للنظام العسكري توجسا من اعتبارها منطقة خالية، وهو ما أشار إليه المارشال سولت في التقرير الذي قدمه سنة 1845 إلى الملك لويس فليب يقول فيه "... **يجب أن تُؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال صنفا ثالثا من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر فيها للمعمرين ولا تطؤها الجيوش إلا عرضا لقمع الفوضى، أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية، أو توسيعها وهي مناطق تفتح المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة**"[1].

– رفض الكولون بالجزائر تمويل الحملات العسكرية لجنوب الجزائري من ميزانية الجزائر، التي أضحت مُستقلة عن باريس منذ سنة 1900، مُعتبرين ذلك من صلاحيات حكومة باريس، حتى أنّ دوكاستري اعتبر أن الجنوب الجزائري قد ضيّع لحكومة باريس نصف قرن من الزمن، وبددّ الأموال الضخمة التي قُدّرت بالملايين كان من الأجدر استثمارها في توسيع نفوذ فرنسا في مناطق حيوية كالمغرب الأقصى مثلا، خلّف هذا الموقف أزمة بين السلطة السياسية والقيادة العسكرية في باريس نتج عنها نوع من التردد، بل التراجع عن مشروع احتلال الصحراء الجزائرية ولو إلى حين[2].

– يرى شارل أندري جوليان (Ch-A. Julien) في تحليله لهذه الوضعية أنّ احتلال منطقة الجنوب الجزائري عامة والجنوب الوهراني بشكل خاص كان طويلا وصعبا وفي الوقت نفسه، ويُرجع ذلك إلى أسباب دينية وجغرافية، وهي الأسباب التي كلّفت الحكومة الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والأموال، وتسببت في حدوث أزمة سياسية خانقة، وضجة إعلامية صاخبة بفرنسا، حيث طالب البرلمان والصحافة بضرورة انسحاب القوات الفرنسية من العمليات العسكرية التي تخوضها من أجل احتلال الجنوب الصحراء الجزائرية[3].

---

[1] – أندري نوشي وأخرون، المصدر السابق، ص 385.

[2] – المصدر نفسه، ص 387.

[3] - Tillion André, marie joseph, Roger Alfred, **Conquête Des Oasis sahariennes au Tidikelt, au Gourara au touât, dans la zouzfana et dans la Saoura en 1900 et 1901**, Henri Charles – lavauzlle Édition militaire, paris. P. 628.

ومن ثمّ فقد كان الهدف من إنشاء الفرق العسكرية الصحراوية أو ما عُرف بالمخزن للتقليل من النفقات المالية والخسائر البشرية التي واجهتها الحكومة الفرنسية، وتكبدتها قواتها في المنطقة[1]، وتألفت من مجندي القبائل المتعاونة مع السلطات الاستعمارية، وهي مقسمة إلى وحدتين: وحدة المشاة، ووحدة الخيالة والفرسان، وكانت أول شركة صحراوية قد أنشئت إقليم توات سنة 1902 وُظفت قوات المخزن بحكم معرفة عناصرها بخبايا الصحراء وجغرافيتها الصعبة في ملاحقة رجال المقاومة، التي كانت تتخذ من منطقة الجنوب معقلا لها وملاذا آمنا لتجميع قواتها وتنظيم صفوفها.

ولا تختلف المهمة التي أُنيطت بها هذه الفرق شبه العسكرية عن مهمة مكاتب الشؤون العربية Bureaux des Affaires Arabes ودور فرق القوم Goums الأمر الذي جعل القيادة العسكرية الفرنسية تُرافع على مطلب إخضاع الجنوب الجزائري إلى منظومة قانونية خاصّة تتأقلم وطبيعته الأمنية تمهيدا لفصله عن المناطق الشمالية، فتجسدت أوّل خطوة في هذا الإطار عندما احتدم النقاش بين نواب البرلمان حول إصدار قانون يتضمن مشروع تنظيم مناطق الجنوب ووضع ميزانية خاصة لها، هذا القانون اقترحته الحكومة الفرنسية في 21 مارس 1902 وبعد مناقشات حادّة بباريس والجزائر تمّت المصادقة عليه يوم 24 ديسمبر 1902[2].

والواقع أنّ الصحراء الجزائرية لم تكن تُمثل في نظر الحكومة الفرنسية بباريس مخزون اقتصاد فحسب، بل مركزا أمنيا وموقعا استراتيجيا يُؤمن موقعها في القارة الإفريقية عموما والساحل الإفريقي بشكل خاص، من ثمّ حاولت عزلها وفصلها عن باقي أقاليم الجزائر عبر جملة من القوانين والتشريعات الاستثنائية حتى تصبح إقليما فرنسيا خاصا، وهو ما أكده الماريشال صولت في تقريره.

ثانيا: التنظيم العسكري في الجنوب الجزائري

أصدر البرلمان الفرنسي منذ عام 1844م قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب، وإنشاء مراكز عسكرية في المدن التي تتحكم في المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب، وانطلاقا من هذه المراكز يتم التوغل نحو الصحراء الكبرى، فبعد سقوط تقرت تحت سلطة الاحتلال قام الجنرال "ديفو" بترك بعض قواته بالمدينة من أجل الحفاظ على الأمن، بينما واصل طريقه نحو وادي سوف بالقوات القادمة من باتنة والأغواط وبوسعادة[3].

---

[1] - Ibid, p 629.

[2] - Léon Lehuraux, **Le Statut Territorial Des Territoires Du Sud De l'Algérie**, Revue Africaine, N° 81,1937, P.171

[3] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 141.

وبعد سقوط الإمبراطورية بزعامة نابليون الثالث، تم الإعلان عن الجمهورية الرابعة في سبتمبر 1871 واعتبر المستوطنون هذا انتصارا لهم لأنهم تخلصوا من مشروع المملكة العربية، وعكفت على تطبيق الأمر اليومي الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي يوم 09 مارس 1870م، وشرعت في تطبيق محتوى المشروع الذي أعد وفق هذا الأمر من طرف لجنة تحقيق راندون وبيهيك والذي صدر في شكل مرسوم يوم 29 مارس 1871م، ومن أهم ما جاء فيه[1]:

1- تقسيم الجزائر إلى إقليمين: شمال مدني وجنوب عسكري.

2- إسناد حكم الإقليمين إلى حاكم عام مدني واسع السلطات يخضع مباشرة لوزير الداخلية.

3- إنشاء مجالس بلدية وعمالية وفق المعمول به في فرنسا.

4- يحق للمستوطنين الأوربيين انتخاب تسعة نواب في البرلمان وثلاثة في مجلس الشيوخ.

5- إنشاء مجالس استشارية للنظر في شؤون المستوطنين الخاصة.

وظل الجنوب الجزائري موضوع تحت حكم عسكري طوال فترة خضوعه للاستعمار الفرنسي وتأكد هذا بموجب قرار 24 ديسمبر 1902م الذي تضمن عزل المناطق الجنوبية les Territoires du Sud عن الجزائر قهرا، وزالت بذلك مهام المصالح العربية الإدارية[2]، ويقول أوغسطين برنارد (A. Bernard) في ختام دراسته "التوغل في الصحراء الجزائرية" عام 1906م، قائلا: **"من المؤكد أن الصحراء لا تستحق التضحية بالكثير من الرجال ولا بالكثير من الأموال، فهي ذات أهمية ضئيلة إن لم تكن منعدمة سواء باعتبار قيمتها الذاتية نفسها أو على اعتبار كونها منفذا نحو السودان، يجب الاحتراز والحرص على عدم تطوير بعض التظيمات الأولية التي زودناها بها ولقد بينت التجربة أن جهدا محدودا يكفي للقيام بعمل الشرطة وهذا هو الأساس"**[3].

ومثلما ورد في تقرير رسمي لسولت سنة 1945 أن تنظيم أراضي الجنوب دعا إليه نقطتان[4]:

أ- تخفيض المصاريف العسكرية التي يتطلبها الاحتلال إلى أقصى حد ممكن وبالخصوص في الواحات الصحراوية وعلى الحدود المغربية.

---

[1] - يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954**، ص 27.

[2] - أندري نوشي وآخرون، المصدر السابق، ص 397.

[3]- M. Duclos, Op-Cit, p 2.

[4] - أندري نوشي وآخرون، المصدر السابق، ص 396.

ب- تخفيض الموارد الحاصلة من مختلف الضرائب والعوائد في تنمية إصلاح هذه الأراضي.

لقد طرحت مسألة تنظيم المناطق الجنوبية تنظيما خاصا لأول مرة في البرلمان الفرنسي عند مناقشة الاعتمادات المالية المخصصة لتغطية نفقات العمليات العسكرية الجارية في جنوب البلاد، أعدت الحكومة مشروع قانون في ظرف قصير جدا وعرض على البرلمان لمناقشته في دورة الربيع 1902م وصادق عليه بعد تعديلات طفيفة ولكن عندما عرض على مجلس الشيوخ لقي معارضة في بعض أجزائه وطلب أن يعرض قبل البت فيه على الهيئات المنتخبة في إدارة الاحتلال بالجزائر المجلس الأعلى للحكومة والمندوبيات المالية والمجالس العامة للعملات[1].

ردود فعل المستوطنين على السياسة الفرنسية في أقاليم الجنوب

تركزت تحفظات المستوطنين حول المشروع على أربعة نقاط رئيسية:

1- الخوف من أن يؤدي هذا التنظيم الجديد للمناطق الجنوبية، إذا جمعت في يد واحدة إلى تهديد الإدارة المدنية في المناطق الشمالية مما قد يؤدي إلى تصفيتها لصالح الحكم العسكري.

2- خشية المستوطنون من أن يؤدي هذا التنظيم الجديد إلى محاصرة حركة الاستيطان الأوربي وغلق أبواب الجنوب أمامها.

3- الخوف من حرمان الخزينة العامة للعمالات من المداخيل المعتبرة التي تجبيها برسم الضرائب العربية والضرائب الغير المباشرة خاصة من الهضاب العليا.

4- التخوف من تحمل خزينة المستعمرة نفقات القوات العسكرية المتمركزة في الجنوب، خاصة بعد أن أصبحت هاته تتمتع باستقلال مالي منذ سنة 1900م.

حصل المستوطنون على ترضيات عن كل هاته التحفظات، فالجنوب سوف لن يوضع تحت سلطة حاكم عسكري واحد، وإنما سيقسم إلى أربعة أقاليم كل إقليم يحكمه قائد عسكري تحت المراقبة والإشراف المباشر للوالي العام في جميع الشؤون المدنية وعن طريق قائد الفيلق 19 المتمركز في الجزائر بالنسبة للشؤون العسكرية، كما أعطيت ضمانات بخصوص حركة الاستيطان فالحدود الشمالية للأقاليم الجنوبية، ستكون الحدود الجنوبية لمناطق الحكم العسكري في الشمال أي جنوب دائرة مغنية العسكرية

[1] - جمال قنان، المرجع السابق، ص 147.

وملحقة العريشة وسعيدة ودائرة تيارت العسكرية وملحق أفلو ودائرة بوغار العسكرية وملحق الشلالة وسيدي عيسى ودائرة بوسعادة العسكرية، وملحق بريكة ومركز تكوت التابع لدائرة بسكرة العسكرية ودائرة خنشلة وتبسة العسكريتين[1].

كما التزمت الإدارة الاستعمارية بدفع الحدود الشمالية لهذه الأقاليم نحو الجنوب إذا ما دعت ضرورة الاستيطان إلى ذلك، وبالنسبة للمواد فإن ميزانيات العمالات ستعوض عن المداخيل التي ستفقدها من خزينة المستعمرة، والأقاليم الجنوبية من جهتها ستتوفر على ميزانية مستقلة تعتمد على الاكتفاء الذاتي أي على موارد هذه الأقاليم وحدها، وستحصل على مساعدة من وزارة الحربية لتغطية نفقات الحاميات العسكرية المتمركزة بها[2].

في جلسة خريف سنة 1902م صادق مجلس الشيوخ على مشروع القانون الذي أقره البرلمان في شهر مارس بدون تعديل وأصبح ساري المفعول منذ 24 ديسمبر 1902م تحت اسم "تنظيم أقاليم الجنوب الجزائري" وإحداث ميزانية مستقلة خاصة لهذه المناطق ودخل حيز التنفيذ في بداية جانفي 1903م.

ثالثا: التنظيم الإداري في الجنوب الجزائري

1- التنظيم الإداري الأول 1902-1947

هناك جملة من الأسباب جعلت السلطة الفرنسية تقرر إخضاع مناطق الجنوب لنظام عسكري سنة 1900 بينما رفعته عن العمالات الثلاث في الشمال:

أ- الأسباب القريبة :

1- صعوبة التغلغل داخل المناطق الجنوبية جعل النظام العسكري أمثل النظم لتحقيق ذلك.

2- الخوف من مساندة المناطق المتاخمة للمناطق الصحراوية للثوار والمجاهدين.

3- جعلها تحت المراقبة المستمرة وإقامة حاميات بها نظرا لوجود ثورات بالأوراس والمناطق الجنوبية الغربية.

[1] - جمال قنان، المرجع السابق، ص 148.

[2] - المرجع نفسه، ص 148.

4- رفض المعمرين في الشمال إنفاق الميزانية على أراضي الجنوب واعتبار ذلك من صلاحيات الحكومة المركزية[1].

ب- الأسباب المحيطة:

1- الصراع بين بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا حول مناطق النفوذ وخشية فرنسا انتقال الصراع داخل الصحراء الجزائرية، ولم يهدأ لها بال إلا عند توقيع معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1905 واحتلال المغرب 1912.

2- عملت فرنسا على ربط مستعمراتها في جنوب الصحراء فيما بينها وبين الصحراء الجزائرية خوفا من تدخل بريطانية في المنطقة، فحرصت على وجود الجيش الفرنسي بكثافة فيها تحسبا لكل طارئ[2].

أنشأت المناطق الجنوبية بموجب قانون 14 أوت 1902، وحدد وضعها القانوني العسكري وحددت ميزانيتها بقانون 30 ديسمبر 1903، وحددت إدارتها بقانون 04 أوت 1904، ولكن التقسيم الإداري لم يتم إلا في 05 أوت 1920، إن الصحراء من الناحية القانونية هي مستعمرة خاصة لها إدارتها ولها ميزانيتها ولها أملاكها ولها حق عقد الصفقات العمومية، وترتبط مع عمالات الشمال في كونها خاضعة لسلطة الوالي العام في الجزائر الذي هو الرئيس الأعلى للإدارة في الجنوب[3].

2- التقسيم الإداري:

أ- المقاطعات:

لقد صدرت العديد من المراسيم التي تضبط وتنظم سير شؤون الأقاليم الجديدة منها المرسوم الخاص بتحديد صلاحيات الوالي العام وتنظيم إدارة الأقاليم الجنوبية الذي صدر في 14 أوت 1905م الذي يعتبر الجزء الجنوبي من البلاد منطقة حكم عسكري مقسمة إلى أربعة أقاليم: "**إقليم عين الصفراء،**

[1] - عبد المجيد شيخي، **الإدارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 218.

[2] - المرجع نفسه، ص 219.

[3] - المرجع نفسه، ص ص 220-221.

الواحات، غرداية وإقليم توقرت"، على رأس كل إقليم قائد عسكري معين بمرسوم وباقتراح من وزيري الداخلية والحربية بعد ترشيحه من طرف الوالي العام[1].

ب– الدوائر والملحقات: بموجب مرسوم 10 أفريل 1907 كان تنظيم المقاطعات كالتالي:

مقاطعة عين الصفراء وتضم: دائرة جيريفيل، دائرة المشرية، وملحقة عين الصفراء، ملحقة بني ونيف، دائرة كولومب بشار، التي تربط بني عباس والتوات ومركز قورارة.

مقاطعة الواحات وتضم: عين صالح مركزا لها، ملحقة تيديكلت، ملحقة ورقلة، ومركز القليعة.

مقاطعة غرداية مقرها الأغواط وتضم: دائرة الجلفة، ملحقة الأغواط، دائرة غرداية[2].

مقاطعة تقرت مقرها تقرت وتضم: ملحقة بسكرة، ملحقة تقرت، ملحقة الوادي، مركز أولاد جلال[3].

جلال[3].

وكان التنظيم الإداري في هذه الأقاليم مزدوج، بحيث يوجد:

- تنظيم عسكري تمثل في مراكز الحكم من دوائر وملحقات.
- تنظيم إداري مركب من بلديات مختلطة وأخرى أهلية.

والجدول التالي يوضّح عدد البلديات المختلطة والأهلية في إقليم في جانفي 1904[4]:

الإقليم/ البلديات	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	– عين الصفراء، مشرية جيريفيل	– كولومب بشار
إقليم غرداية	– الأغواط، الجلفة	– غرداية، الأغواط، الجلفة
إقليم تقرت		– بسكرة، تقرت
إقليم الواحات		– الواحات الصحراوية

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 149.

[2] - Benakezouh Chabane, Op-Cit, p 50.

[3] - René Valet, Op-Cit, p 40.

[4] - M. Duclos, op-cit, p 618-619.

لم يبق هذا التقسيم على حاله، بل كان هناك تطور بناء على مرسوم 31 ديسمبر 1928 والجدول الآتي يوضح تقسيم البلديات وتصنيفها ابتداء من 01 جانفي 1929:

الإقليم/ البلديات	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	– عين الصفراء، كولومب بشار، مشرية، جيريفيل	– الساورة[1]، توات، قورارة
إقليم غرداية	– الأغواط، الجلفة	– غرداية
إقليم تقرت	– تقرت	– بسكرة، الوادي
إقليم الواحات		– ورقلة، تيديكلت، الهقار

وكتنظيم نهائي صار عدد البلديات المختلطة 10 بلديات في حين صار عدد البلديات الأهلية 9 بلديات سنة 1932 وكان التقسيم كالآتي[2]:

الإقليم/ البلديات	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	– عين الصفراء، كولومب بشار، مشرية، جيريفيل	– الساورة، توات، قورارة ومركز بني عباس، مركز أدرار، مركز تيمون وتندوف
إقليم غرداية	– الأغواط، الجلفة	– غرداية
إقليم تقرت	– تقرت، بسكرة، الوادي، وأولاد جلال	
		– ورقلة، تيديكلت مركزها عين صالح، الأزجر ومركزها جانت، الهقار ومركزها تمنراست

3– تسيير أراضي الجنوب:

[1] – **الساورة:** هي اسم لواد ينبع من الأطلس المغربي ويتجه نحو الصحراء ويغيب في رمالها.

[2] - Benakzouh Chabane, op-cit, p 15.

أ- على مستوى المقاطعات:

أكدت المادة الأولى من هذا المرسوم أن للحاكم العام وحده فقط الحق الاتصال بالوزراء ومن جهته احتفظ قائد الجيش 19 بصلاحية الاتصال بوزير الحرب، ونصت المادة الثانية على أن الموظفين المكلفين بمصلحة شؤون الأهالي في أراضي الجنوب هم أنفسهم موظفو الجزائر، وكما نعلم فان كل هؤلاء الموظفين ضباط عسكريون وضعتهم وزارة الحرب تحت إمرة الحاكم العام لإدارة المناطق العسكرية، أما المادة الثالثة فقد منحت مجلس حكومة الجزائر صلاحيات متعلقة بأراضي الجنوب هي ذاتها الصلاحيات التي تكرسها الإدارة الجزائرية إضافة إلى الحق في إبداء الرأي حول ميزانية هذه المناطق، كما تم تعيين مستشارا مقررا خصيصا لأراضي الجنوب ومكلف بالتفتيش المستمر لشتى المصالح الإدارية فيها[1].

نظم الحاكم العام فيوليت M.Violet مؤتمرا استشاريا في كل إقليم من أراضي الجنوب يترأسه قائد المنطقة العسكرية، وقرر أن تنعقد جلساته قبل الندوة العامة (1903)، التي تتشكل من الضباط قادة الدوائر والملحقات العسكرية ومدراء البلديات وممثلا عن الأوروبيين المقيمين في كل واحدة من لجان البلدية إلى جانب عدد من الزعماء الأهالي المختارين عن مناطقهم، عالجت هذه الندوات شتى المسائل الإدارية المتعلقة بالمصلحة العامة والمحلية، كما قامت بتقديم رغبات واقتراحات[2].

ب- على مستوى البلديات:

1- البلديات المختلطة (Communes-mixtes)**:**

أنشئت بموجب مرسوم 20 ماي 1868م (المادة الثانية من المرسوم)، وتكون رئاسة البلدية المختلطة للقائد الأعلى للوحدة العسكرية في الدائرة، وهو يسير البلدية بكل حرية ويقوم على شؤون المصالح العامة ويعد الميزانية ويسجل كل النفقات ويراقب كل الحسابات ويعين الموظفين الإداريين في البلدية[3].

كما أن لرئيس البلدية الحق في إنشاء أي مشروع ويقرر الأعمال الطارئة ويستدعي المسؤولين الكبار لإعطاء وجهات النظر، ويستطيع الضابط الأول أن ينوب عنه الذي أعطيت له صلاحيات

[1] - M.Duclos, Op-Cit, p22.
[2] - Ibid, pp 23-24.
[3] - E. Sautayra, **Législation de l'algérie,** Maisonneuve et G, Librairies éditeurs, Paris, 1883, p 183.

أخرى مثل الحالة المدنية للأهالي والعامل على تحسين أحوال المراكز وتعيين حراس للمقابر المسيحية والسهر على نظافة الأحياء في المراكز خاصة المقر وأعمال الصيانة والصحة[1].

2-البلديات الأهلية:

وهي تمثل النموذج السائد في الأقاليم الجنوبية وذلك لقلة المستوطنين إن لم نقل انعدامهم وتمثل هذه البلديات الصورة الحقيقية للقهر الذي تمارسه الحكومة الفرنسية من قمع عسكري تجسده السرايا الصحراوية وأحكام الأقاليم والدوائر والملاحق وحتى ضباط المراكز وأعوان الإدارة الاستعمارية من الأهالي خاصة أنهم محرومون من حق التمثيل النيابي[2]، تضم هذه البلديات مجموعة من القبائل لكل قبيلة أرضها الخاصة بها وشخصيتها المميزة لها، يديرها مجلس جماعة يعين من طرف الحاكم العام[3].

وبلغ عدد البلديات الأهلية في الجنوب سبعة 07 ومساحتها نحو 30 مليون و500 ألف هكتار وكل بلدية تشمل كومندان الدائرة بصفة رئيس، وأعضاؤها هم رجال العسكرية والقياد والأغوات يعينهم كومندان الدائرة كل أربعة أعوام، ولكل قبيلة مجلس جماعة يعينه الوالي العام في أراضي الجنوب ولمجلس الجماعة كاتب مكلف بدفاتر الحالة الشخصية[4].

إن برنارد يعترف بأن توغل فرنسا نحو الجنوب أدى إلى انهيار التجارة عبر الصحراء، خاصة عندما قامت فرنسا بالضغط عليها انطلاقا من منافذها في الشمال وفي الجنوب، وقد نجم عن ذلك انهيار تجارة القوافل التي استبدلت بالدكاكين والمغازات المتمركزة في شمال الصحراء، كما تغيرت وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل بالنقود أبعد سكان المناطق الجنوبية من المساهمة بشكل جاد ليس في التجارة عبر الصحراء التي لم تعد قائمة وإنما بالنسبة للتجارة الصحراوية نفسها.

لقد كان لهذا التحول انعكاس خطير على وضعية السكان المعاشية التي تدهورت بشكل مخيف حين أصبحت هذه المناطق ترزخ تحت وطأة المجاعة وبشكل دائم مما نجم عنه تناقص في عدد السكان، لقد سجل سباتيي (Sabatier) وهو واحد من المختصين بشؤون المناطق الجنوبية أن عدد سكان واحات قورارة توات وتيديكلت كان في حدود 400 ألف نسمة عند منتصف الثمانينات من القرن الماضي

---

[1] - René Vallet, Op-Cit, pp 84-85.
[2] - M. Duclos, Op-Cit, p 24.
[3] - Benakzouh Chabane, Op-Cit, p 50.
[4] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر** "تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالاتها الاقتصادية واللغوية والاجتماعية، المطبعة العمبرية، الجزائر، ص 274.

ليصبح عام 1906م لا يتجاوز 60 ألف نسمة معظمهم لا يجد ما يسد به رمقه، فإنتاج التسويق الرئيسي لهذه الأقاليم المتمثل في التمور أصبحت لا تجد مشتري لها بعد أن سدت في وجهها أسواق السودان[1]، وقد يكون الرقم الأول فيه بعض المبالغة ولكن هذا لا ينفي أن الوضع الديمغرافي كان متأزما في عموم أقاليم الجنوب في هذه الفترة حتى سنة 1930م، فالأرقام الرسمية تسجل زيادة أقل من 0.75% على امتداد 30 سنة لقد كان عدد سكان هذه الأقاليم في تعداد 1908م 431.744 ليصبح 532.091 عام 1926 فالأرقام الرسمية لا توضح بالشكل الكافي أثر الجفاف الذي اجتاح الأقاليم الجنوبية في أعوام 1920-1924 والذي أودى بثلثي قطعان الماشية وثلث قطعان الإبل، على الحركة الديمغرافية في هاته المناطق حيث لم تسجل سوى انخفاض قدره 15302 نسمة (الزيادة الطبيعية غير محسوبة في هذا الرقم) في إقليم واحد وهو إقليم عين الصفراء بين تعداد 1921-1926م.

4- التنظيم الإداري الثاني 1947-1957:

وخلال هذه الفترة أخذت السلطات الفرنسية تتبع سياسة إدارية مختلفة تعتمد فيها على إنشاء منظمات محلية تتولى إدارة شؤون المنطقة الجنوبية خاصة في الجانب الاقتصادي، فأنشأت السلطات مكتبا للبحوث المنجمية سنة 1948م، لتواصل عملية التنقيب عن الثروات الطبيعية الموجودة في أرض الجزائر وفي سنة 1949م قامت الإدارة الفرنسية باستطلاع رأي الجمعية الجزائرية حول مشروع إعادة تقسيم المناطق الجنوبية[2]، حيث تقرر في فيفري 1950م إلغاء الارتباط بين المناطق الصحراوية وولايات الشمال، ليتم تنظيم القسم الجنوبي في شكل مناطق صحراوية لها إدارة مدنية[3].

لكن بعد سنة واحدة تم اقتراح مشروع قانون يهدف لإلغاء الصلة النهائية بين أراضي الشمال والجنوب، ومن خلاله يتم تحويل الصحراء الإفريقية الفرنسية إلى إقليم إداري مستقل ذاتيا، وفي سنة 1956م تم اقتراح مشروع إنشاء (منظمة مشتركة للمناطق الصحراوية) بغية الاستثمار في المنطقة وتنميتها اقتصاديا واجتماعيا حيث أعلن عن هذه المنظمة بتاريخ 10 جانفي 1957م. وفي 10 فيفري 1957م صدر قانون فصل الصحراء نهائيا عن الشمال، ولم تعد تحت سلطة الوالي العام في الجزائر بل يعين لها

[1] - جمال قنان، المرجع السابق، 150.

[2] - **مشاريع استعمارية في الصحراء**، جريدة المجاهد، ع 14، 15 سبتمبر 1957، ص 12.

[3] - صالح بوسليم، **جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية 1956-1962**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مج: 2، ع 25، 2015، ص ص 546-548.

وزيرا مكلف بالصحراء، في الوقت الذي يعين فيه وزير مقيم في الشمال، وأول وزير للصحراء كان ماكس لوجون (Max Lejeune)[1].

كانت الصحراء الجزائرية جزأ لا يتجزأ من الجزائر وهذا باعتراف كل القوانين الفرنسية وعلى رأسها القانون الفرنسي الخاص بالجزائر والصادر سنة 1884م الذي نص على **"أن الصحراء جزأ لا يتجزأ من الجزائر"**، وبمقتضاه كان لها ممثلون في المجلس الجزائري، وكانت دائما تتبع الولاية العامة في الجزائر في كل شؤونها السياسية والإدارية والاقتصادية[2].

وفي 24 ديسمبر 1902 سنت السلطات الاستعمارية قانونا ظل طوال نصف قرن هو النظام الأساسي لأراضي الجنوب الجزائري والذي استهدف:

1- تقليد الحاكم العام في الجزائر السلطات اللازمة لإدارة أراضي الجنوب الجزائري، وأوكل غليه حفظ النظام والدفاع عن أرضه، ووضعت تحت تصرفه قوات عسكرية لذلك، وتم تعيين على رأس كل من أراضي الجنوب قائد عسكري يسمى بمرسوم بناء على عرض الحاكم واقتراح وزير الداخلية والحربية.

2- الحد من نظام الإدارة الخاصة المقرر لأراضي الجنوب عن طريق الإبقاء على الوحدة بين الشمال والجنوب في بعض المجالات، وقد أدخل النظام العسكري المقرر بعض التعديلات لتحقيق التجانس الإداري على كافة القطر الجزائري، وفي هذا الإطار اتخذ الحاكم العام جول كارد (J. Carde) عددا من المقررات انتقلت بمقتضاها السلطات البلدية إلى أيدي حكام مدنيين في البلديات المختلطة بعد أن كان يتولى هذه السلطات ضباط عسكريون في بلديات الجلفة، الأغواط، بسكرة، تقرت، المشرية، وعين الصفراء.

---

[1] – **ماكس لوجون**: هو عضو الفرع الفرنسي الأممي الاشتراكي (S.F.I.O)، شغل منصب كاتب دولة للقوات المسلحة مكلف بالشؤون الجزائرية وذلك منذ 16 فيفري 1956، عرف بمواقفه العدوانية وجرائمه النكراء اتجاه الجزائريين والثورة الجزائرية، كما كان مديراً لعمليات إنشاء الخطوط الشائكة المكهربة تحت إشراف وزير الدفاع "أندريه موريس" في جوان 1957. ينظر: دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 100.

[2] – خامس سامية وآخرون، **الإدارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية قبل سنة 1947**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 37.

3- المحافظة على مبدأ الوحدة السياسية بين شمال الجزائر وجنوبها، ويتجلى ذلك من خلال التمثيل النيابي سواء في الجمعية الجزائرية أو في البرلمان الفرنسي، وقد عهد إلى الحاكم العام للجزائر بوضع قرار بالإجراءات اللازمة لتأمين تمثيل أراضي الجنوب في الجمعية الجزائرية[1].

رابعا: التنظيم المالي (السياسة المالية الفرنسية في الصحراء)

إن الاستقلال المالي لأراضي الجنوب يتضح جليا من خلال المادة الخامسة من قانون 24 ديسمبر 1902 وبداية تطبيقه فعليا كان ابتداء من 01 جانفي 1904 ومن خلال ما كان على أرض الميدان اتضحت نوايا الحكومة الفرنسية من هذا التنظيم، حيث تريد استغلال المصادر المتوفرة في هذه الأراضي لإشباع حاجاتها الاقتصادية والإستراتيجية، لكن فرنسا وجدت أنه يجب عليها توفير هياكل لاستغلال هذه الثروات كالطرق، السكك الحديدية، محطات إنتاج الطاقة الكهربائية، شبكة التليغراف وهياكل التعليم التي كانت هذه المنطقة بأكملها محرومة منها، قامت الحكومة الفرنسية بوضع ميزانية لكل المنشآت والتي مصادرها كانت أغلبها محلية وقعت على كاهل الأهالي[2]، ويمكن تلخيص السياسة التي اتبعتها فرنسا في أقاليم الجنوب، منذ إحداثها فيما يأتي:

- إحكام القيد على هذه المناطق والعمل على امتانها ببطء مستخدمة في ذلك سياستها المفضلة التي اختبرت فعاليتها في الجزء الشمالي من البلاد، وبشكل أكثر عنف وقسوة والمتمثلة في الإرهاب والقهر والطغيان بجميع أشكاله وصوره.

- القمع البوليسي الذي مارسته السرايا الصحراوية ذات الشهرة البائسة على كل كائن حي وفي كل واحة وكل قصر بدون وازع ولا رقابة من أي كان، إلى جانب ما يمارسه من ضروب القهر والعنت حكام الأقاليم والدوائر والملاحق وحتى ضباط المراكز وأعوان الإدارة الاستعمارية من الأهالي.

- القمع القضائي ويتمثل في مجموعة الأحكام الاستثنائية التي يرزخ تحتها سكان الأقاليم الجنوبية والتي يشرف على تنفيذها هيئات قضائية استثنائية والمتمثلة في المجالس الحربية ولجان الطاعة والصلاحيات الردعية لقمع بعض المخالفات الخفيفة التي لا تعاقب عليها المجالس الحربية ولجان الطاعة التي يتمتع بها الحكام العسكريون على جميع المستويات وحتى بالنسبة للقضاء المدني الذي بقي في الأقاليم الجنوبية من صلاحيات القضاء الإسلامي، عكس ما هو جار به العمل في الجزء الشمالي من البلاد، له

[1] - المرجع نفسه، ص ص 38-39.

[2] - M. Duclos, Op-Cit, p 572.

هذه الصبغة القمعية في كون القضاة الذين يتم تعيينهم من طرف الوالي العام لا يخضعون للشروط المطلوبة في تعيين القضاء وحتى حق الاستئناف فإنه كان محدودا ومقيدا فليس هناك محاكم استئناف إسلامية بمعنى الكلمة وإنما هناك مجلس يعين الوالي العام أعضائه الثلاثة بالإضافة إلى القاضي الذي أصدر الحكم الأول، وفي حالة نقض المجلس لحكم القاضي أو أن القضية التي بث فيها تجاوزات الإطار المحدد التي تخول القاضي حق النظر فيها فإن حق الاستئناف هذا يفتح الطريق فقط لعرض القضية أمام محكمة دائرة من دوائر المناطق الشمالية للبت فيها نهائيا:

محكمة معسكر بالنسبة لأحكام عين الصفراء، ومحكمة البليدة بالنسبة لإقليم غرداية ومحكمة باتنة بالنسبة لإقليمي توقرت والواحات، أما القضاة المسلمون لا يتقاضون مرتبات من الخزينة وإنما يحصلون فقط على نسبة من حقوق الطابع الضريبي المفروض على كل القضايا المعروضة على المحاكم. وأداة القمع الثالثة تتمثل في الإرهاق المالي والقمع الضريبي وستكتفي بإيراد بعض الأرقام لتوضيح المسألة إن الموارد العادية للميزانية من الضرائب والمداخيل كان في سنة 1904م 140 519 2 فرنك، ليقفز هذا الرقم سنة 1927م إلى 576 967 13 فرنك وهذا قبل تخفيض قيمة الفرنك في سنة 1928م[1].

إن حصة الضرائب العربية من هذا المبلغ كانت 515 966 1 في سنة 1904م و455 803 4 في سنة 1927م والضريبة على المباني كانت في سنة 1904م 743 31 فرنك لتقفز إلى 301 62 فرنك والضريبة على المهنة كانت 227 19 في سنة 1904م و783 76 سنة 1927م ومكوس أخر 4971 فرنك سنة 1904م إلى 759 106 سنة 1927م، من خلال هذه الأرقام يتضح مدى ثقل الأعباء المالية المفروضة على سكان الأقاليم الجنوبية رغم الظروف الصعبة التي كان تعيشها ومن جميع الجوانب: ركود اقتصادي، كوارث طبيعية نضوب الموارد التقليدية وغيرها ورغم هذا فإن الميزانية كانت تسجل فائضا كل سنة يستخدم في إقامة المنشآت العسكرية والإدارية أي في غير مصلحة السكان والنشاطات الاقتصادية المفيدة لهذه المناطق[2]، وليس هذا فقط فإدارة الاحتلال اختارت السنوات العجاف (1920-1924) لإعادة تقييم ضريبتي الزكاة والعشر وضريبة اللزمة على النخيل في الاتجاه نحو الأعلى وتأكد هذا بارتفاع فائض الميزانية خلال هذه السنوات.

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 152.

[2] – المرجع نفسه، ص 153.

إن هذه الإدارة المأسوية التي عليها الأقاليم الجنوبية قد حزت في الضمير الوطني الذي ندد بها عاليا أمام الرأي العام في الجزائر وفي فرنسا عندما سنحت له أول فرصة لذلك، لقد استغل بعض القادة الوطنيين حصولهم على بعض الحقوق السياسية التي حرم منها سكان أقاليم الجنوب، مهما كانت صفتهم لتأسيس صحف تندد بالقهر والقمع المسلط على الجزائريين في جميع مناطق البلاد خاصة في أقاليم الجنوب.

لقد استغل الأمير خالد أول فرصة سنحت له للتعبير عما يدور في خاطره بحرية على إثر نفيه من الجزائر ليندد في محاضرة ألقاها أمام ما يزيد عن 12 ألف مهاجر جزائري في باريس في شهر جويلية عام 1924م ليصبح شاكيا ومستنكرا: **"إن أهالي هذه المناطق (أقاليم الجنوب) هم تحت رحمة حكامهم الطغاة في دوائرهم فهؤلاء الضباط لهم صلاحيات مطلقة يمددونها ويقلصونها حسب هواهم، إن هذا النظام لهو أشنع من قانون الأهالي لا يخضع لرقابة ولا له حدود، إن البدوي الراحل قد دمر وحول إلى متسول أو إلى سارق ليسد رمقه فالوباء لم يغادر هذه المناطق منذ سنة 1920م"**[1].

بعد أن استقر الفرنسيون في الجنوب الجزائري، اتجهوا إلى تنظيم الشؤون السياسية والإدارية فعلى المستوى السياسي عملت السلطة الفرنسية على تدعيم سياسة التفرقة وإذكاء الصراع الداخلي فاستغلت الخلافات التي توجد بين بعض الأسر فغذوها ليخلقوا النفور فيما بينهم، وأوجدوا صفا يساندهم في مقابل امتيازات شخصية وعائلية كالقايد والآغا والباشاغات[2].

أما على المستوى الإداري فقد اعتمدت السلطة الاستعمارية على نظام يمكنها من إحكام قبضتها على المنطقة، فأطاحت بالإمارة الجلابية واستبدلتها بسلطة جديدة وبنظام "القياد" و"الخلفاء"، بحيث أصبح القايد بلقب الحاكم ونواب يساعدونه بلقب الخلفاء، ومن أمثلة ذلك تنصيب علي باي بن فرحات من عائلة بوعكاز برتبة آغا على تقرت ووادي سوف وورقلة، إذ قام العقيد ديفو يوم 26 ديسمبر 1854م بالإعلان عن تنصيبه بالساحة العمومية بقصبة مدينة تقرت، وسلمه برنوس[3] الآغوية

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 154.

[2] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 132.

[3] – **البرنوس (البرنوص)**: لباس تقليدي فضفاض شائع في الجزائر ومدن شمال إفريقيا، عبارة عن ثوب من الصوف أو الوبر أو الملف، يوضع على الأكتاف وله غطاء للرأس، وهو يذكره هنا كرمز للسلطة والحكم، لأن العثمانيين ثم الفرنسيين كانوا إذا ولوا موظفا ساميا أعطوه البرنس ليظهر به أمام الرعية لكي يطيعوه. ينظر: رضوان شافو، المرجع السابق، هامش ص 133.

بحضور المشايخ ورؤساء القبائل بالمسجد الكبير وقرئت الفاتحة، ثم تناول العقيد ديفو الكلمة مذكرا الأهالي بالمحن والصعاب التي واجهتهم تحت حكم الشيخ سلمان الجلابي، والالتفاف حول الآغا الجديد[1].

وبما أن فرنسا كانت تعلم أنه ليس من السهل على هؤلاء القياد أن يمارسوا سلطتهم وسط شعب صعب المراس، أعطت لهم نوعا من القوة التي تسمح لهم بممارسة حكمهم، فخولت لهم إعطاء "تصريح التنقل والسفر إلى خارج البلاد للتجارة والعمل، وقد كان هؤلاء القياد يستعملون ذلك لفرض سلطتهم على الأهالي لأنه بدون هذه الرخصة لا يسمح لهم بممارسة تجارتهم وأعمالهم في المناطق الخاضعة لفرنسا[2].

خامسا: التنظيم القضائي في الجنوب الجزائري

عان سكان أقاليم الجنوب كثيرا من الإدارة الاستعمارية، وظهر هذا الظلم والتعسف في النظام القضائي، فقد كان هناك تمييز بين سكان الشمال والجنوب، ووضعت السلطة القضائية تحت سلطة عسكرية إدارية تسمى المكاتب العربية، وأعطت كل الصلاحيات في يد القائد العسكري الذي كان يطبق قوانينه الخاصة على السكان دون الرجوع إلى القوانين الأصلية، وكذا معاقبة أهالي الجنوب على مخالفات لا يعاقب عليها سكان الشمال، والتكاليف الباهظة للقضايا التي تجعل السكان يقفون عاجزين أمامها وعدم وجود محاكم استئناف إسلامية، وحرمان سكان الجنوب من حقهم في التمثيل النيابي[3].

باستثناء منطقة "**وادي ميزاب**" التي عقدت اتفاق حماية مع الفرنسيين من 1852 إلى 1882 وبموجبه اعترف لهم بإجراء الشريعة الإسلامية تبعا للمذهب الإباضي وتبعا لتقاليدهم ومجالسهم المحلية[4]، وقد أسس الفرنسيون في المكاتب العربية مجالس قضائية، حيث كان يعين في كل مكتب عربي أحد

[1] – عبد الحميد نجاح، **منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**، منشورات الوفاء للشهيد، تقرت، 2003، ص106.

[2] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 135.

[3] - René Vallet, Op-Cit, p 107.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ص 424.

القضاة المسلمين وبعض المساعدين له، أما القاضي ونائبه كان يعينهما الحاكم العام وله راتب شهري حسب ما نص عليه مرسوم نابليون سنة 1866م[1].

وقد عرفت منطقة تقرت تسع محاكم شرعية تتكون من العناصر التالية: القاضي ونائبه (باش عدل) ويشترط فيهما المستوى الثقافي حيث يؤهلون لهذه الوظائف بعد امتحان خاص، ونشرت جريدة المبشر نتائج أو لمسابقة أو لتوظيف للقضاة والباش عدل، والعدول الذين هم بمثابة شهود على إجراءات وأعمال القاضي سواء في الأحكام أو توثيق العقود بين الناس، بالإضافة إلى شاوش يساعد القاضي أثناء عمله ويقوم بتسجيل كل ما يدور في الجلسة، كما يحضر مع القاضي في كل جلسة يعقدها للسهر على الانضباط في قاعة الحكم ويستدعي المتخاصمين للجلسات، ويعد رئيس الملحقة بمثابة القاضي الذي يرتبط أساساً بمحكمة باتنة بموجب قرار 30 جويلية 1887م[2].

وبعد أن أحكمت فرنسا قبضتها على أراضي الجنوب استخدمت القضاء الإسلامي الذي يعتبر ركيزة أساسية في الشريعة الإسلامية ووضعته ضمن مخططاتها الاستعمارية للسيطرة والتحكم في السكان، فقامت بإلغاء منصب القاضي المسلم وحدت من صلاحياته وجعلت أحكامه غير ملزمة، فالنظام القضائي في الجنوب يختلف عن النظام القضائي في الشمال ففرنسا أنشأت 14 محكمة منها اثنان فقط متعلقة بالقانون المدني موجودة في كل من الجلفة والأغواط و12 عبارة عن محاكم عسكرية[3].

والقضاة الذين يعينون في أراضي الجنوب لم يكونوا خاضعين للشروط المطلوب توفرها لتعيين القضاة، كما أنهم لم يكونوا يتقاضون أجورهم من الخزينة، بل يحصلون على نسبة من حقوق الطابع الضريبي المفروض على كل القضايا المعروضة على المحاكم، ما يؤدي إلى زيادة تكاليف القضايا المطروحة على أصحابها[4].

كما أن الحق في الاستئناف كان محدودا ومقيدا فلم تكن هناك محاكم استئناف إسلامية بل كان هناك عبارة عن مجلس مكون من 3 أعضاء بالإضافة إلى القاضي الذي يصدر الحكم الأول، فقضايا الاستئناف كانت تتم عن طريق المجلس، وفي حالة ما إذا قام المجلس بنقض الأمر أو القرار الذي أصدره

[1] – رضوان شافو، المرجع السابق، ص 140.

[2] – المرجع نفسه، ص 140.

[3] - René Valet, Op-cit, pp105-107.

[4] – جمال قنان، المرجع السابق، ص 152.

أو أن القضية التي تجاوزت الصلاحيات المخولة للقاضي للنظر فيها، فالاستئناف يتم بعرض هذه القضية على دائرة من دوائر الشمال للحكم فيها نهائيا، فمثلا بالنسبة لمحكمة معسكر خاصة بإقليم عين الصفراء ومحكمة البليدة بالنسبة لإقليم غرداية ومحكمة باتنة لكل من إقليمي تقرت والواحات[1].

فالقضاء الإسلامي المدني أصبح يتم في المحاكم، أما القضاء العسكري فكان يتم عن طريق أنظمة خاصة، فالأحكام الاستثنائية يشرف على تنفيذها هيئات قضائية استثنائية هي المجالس الحربية ولجان الطاعة، والصلاحيات الردعية التي تعاقب على مخالفات لا يعاقب عليها في الشمال[2]، أما بالنسبة للقضايا الجنائية من مخالفات وجرائم فلا يتم الفصل فيها في المحاكم المدنية الإسلامية سواء كان مرتكبها الأهالي المسلمين أو الأوربيين أو اليهود، بل إن قضاياهم ترجع غلى المحاكم التي في الشمال، وما هذا إلا دليل على وجود تمييز الشمال والجنوب في المحاكم[3].

1- مراكز المحاكم في الجنوب:

كان يوجد في الجنوب الجزائري 27 محكمة شرعية تقع في:

تقرت: موجودة في كل من مليلي سيدي عقبة أولاد جلال طولقة تقرت جامعة والواد وقمار.

غرداية: موجودة في الجلفة وزنينة ومسعد والأغواط والأرباعو غرداية والعطف بونورة وبريان وبن يزقن والقرارة.

عين الصفراء: وموجودة في البيض وترافيس، مشرية، عين الصفراء، وبشار.

ملحق ورقلة: موجودة في ورقلة[4].

سادسا: خصائص الإدارة بالجنوب

انطلاقا من تلك الترسانة القانونية التي خصصتها السلطات الكولونيالية في إدارة الجنوب، أضحت مناطق الجنوب الجزائري من الناحية القانونية مستعمرة خاصّة تتمتع باستقلالها الإداري والمالي، بموجب هذه الاستقلالية أضحى من حقها عقد الصفات العمومية، ومنح امتيازات السكك الحديدية، ولا ترتبط

[1] - المرجع نفسه، ص 152.

[2] - Henry de la Croix Castres, **Questions Saharienne et Transsahariennes,** Librairie Africaine colonial, Paris, 1902, p 70.

[3]- René Valet, Op-Cit, pp 106-107.

[4] - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 347.

مع الجزائر إلاّ كونها تابعة بشكل مباشر لسلطة الحاكم العام في الجزائر، باعتباره هو الرئيس الأعلى للإدارة في الجنوب، كما يُشرف على إعداد مشروع ميزانية الأقاليم العسكرية لجنوب وعرضها على مجلس الإدارة في الولاية العامة، حيث توجد مصالح خاصة دارة الجنوب وتنفذ الميزانية بواسطة قرار بعد عرضه على وزير الداخلية.ومن ثمّ يُمكن القول:

1- أن التنظيم الإداري بأقاليم الجنوب مثّل شكلا ثالثا خاصا بها، فهو يختلف عن التنظيم الإداري المدني الذي طُبق في شمال الجزائر، وعن نظام الحماية الذي فرضه الاستعمار لفرنسي بدول الجوار(تونس،المغرب)، حيث يُجسّد النظام العسكري في الجنوب الجزائري الإدارة المزدوجة والمكُونة من الإدارة الفرنسية والإدارة الأهلية، فالإدارة المحلية في الجنوب كانت تجمع بين السلطة العسكرية والوظائف القضائية، والصلاحيات الإدارية[1]، ووُضعت سلطة التسيير الإداري تحت إشراف قادة عسكريين يخضعون مباشرة لسلطة الحاكم العام، أي أنّ الحاكم العام كان الرئيس الفعلي والأعلى للإدارة في الجنوب الجزائري.

2- أدخل على النظام العسكري لمناطق الجنوب بعض التعديلات لتحقيق التجانس الإداري على كافة القطر الجزائري، وفي هذا الإطار اتخذ الحاكم العام جول كارد Jules Carde عددا من القرارات انتقلت بمقتضاه السلطات البلدية إلى أيدي متصرفين إداريين، وهم حكام مدنيون في البلديات المختلطة بعد أن كان يتولى هذه السلطات ضباط عسكريون في بلديات الجلفة، الأغواط، بسكرة، تقرت، المشرية وعين الصفراء[2].

3- ويُمْكن اختصار خصائص الإدارة في مناطق الجنوب في أنّ أنواع البلديات الموجودة في الشمال غير موجودة في الجنوب ما عدا البلديات المختلطة Communes mixtes، وهي القاعدة العامة في التنظيم الإداري الاستعماري، أما البلديات فإنها تُسمى دوائر وملحقات فضلا عن مكاتب الشؤون

[1] – مُحَّد برشان، **التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري 1902–1960**، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون تيارت، ع 9، جوان 2016، ص 187.

[2] – بجاوي مُحَّد، **الثورة الجزائرية والقانون**، تر: علي الخش، مراجعة مُحَّد الفاضل، الطبعة الأولى، دار اليقظة المغربية للتأليف والترجمة والنشر، تونس،. 1961 ، ص ص356-359.

العربية، فالبلديات المختلطة في الجنوب يرأسها ضابط بخلاف بلديات الشمال التي يرأسها متصرف إداري، ومن ثمّ فقد وُجدت سبع بلديات مختلطة في الجنوب يرأسها ضابط[1].

4- تمتلك البلديات المختلطة بأقاليم الجنوب خصوصية تُميّزها عن البلديات الكاملة في الشمال الجزائري، حيث يترأسها إمّا ضابط أو إداري للشؤون المدنية، ومستشارو البلدية يُنتخبون لمدة ستّ سنوات، والأعضاء الآخرون يتشكلون من رؤساء الجماعة والقياد، وأمّا في البلديات الأهلية Communes Indigènes كان يترأس اللجنة البلدية قائد الملحقة، وهو عسكري، أمّا بالنسبة للمسلمين كانوا مُمثلين من قبل قياد وأعيان القبائل المكُوّنة لإقليم البلدية[2].

وعلى العموم فإنّ اللجان البلدية كانت مكونة من أعضاء أوروبيين منتخبين وأعضاء من الأهالي مُعيّنين لأنّ مرسوم 06 فيفري 1919 لم يطبق في أقاليم الجنوب، إذ حُرم السكان المسلمون في الأقاليم العسكرية من كلّ الحقوق المدنية، ومُنعوا من الترشح والانتخاب على الرغم من أنّ هذا المرسوم سمح للأهالي المسلمين المشاركة في الانتخابات المحلية واستمرت هذه الوضعية على الأقل إلى غاية سنة 1947 أي إلى غاية صدور القانون الأساسي للجزائر في 20 سبتمبر 1947.

5- يُضاف إلى ذلك كلّه فإنّ الإدارة العسكرية تسمح بدعم السلطة الشخصية لقادة العسكر وفرض الغرامات أو الأحكام لسجن بحسب رُتبهم العسكرية، وليس بمقتضى خطورة المخالفات، ومن ثمّ فقد استخدمت هذه الصلاحيات بشكل تعسفي تكرس القمع القضائي في إطار تلك الأحكام الاستثنائية، التي رزح تحتها سكان الجنوب .وكان الهدف الأساسي من ذلك إحكام القيد على المناطق الجنوبية للجزائر، والعمل على قهر سكانها باسم القانون، وكذا محاولة إحلال التصور الغربي الحدثي لنظام القضاء محل التصور المحلي المتشبع لثقافة الإسلامية.

6- ارتبط السكان الجزائريون في هذه الأقاليم بطغيان المحاكم الزجرية التي كانت تحت إشراف الإدارة العسكرية، وهي إدارة تتكون من مجالس عسكرية مهمتها النظر في المخالفات والجرائم العامة، وتتفرع عن هذه المجالس لجان الضبط التأديبية، يُضاف إلى ذلك الصلاحيات الواسعة التي خوّلها القانون للقادة العسكريين في توقيع العقوبات[3].

[1] - عبد المجيد شيخي، المرجع السابق، ص ص 213-222.

[2] - مُحَمَّد برشان، المرجع السابق، ص 189.

[3] - أندري نوشي وآخرون، المصدر السابق، ص 397.

وعلى الرّغم من أنّ الطبيعة القانونية لمجلس الحرب ولجان الضبط التأديبية التي حُدّدت صلاحياتها بمقتض منشور الحاكم العام للجزائر في 19 نوفمبر 1902 هي في الأصل محكمة استثنائية، إلاّ أنّ وجود نشاطها لأقاليم العسكرية يُكرّس الظلم، ويُفقد العدالة بين الجزائريين والأوروبيين، الأمر الذي جعلها تفقد اختصاصها بمعنى أنّ هذه المجالس كانت موّجهة لقمع الجزائريين في الأقاليم الجنوبية، وغالبا ما كانت أحكامها تتميز لتشدد والقسوة، وفي كثير من الحالات تنازل مجلس الحرب على الاختصاص لصالح اللجان التأديبية للبث في الجنح البسيطة، أو التنازل عن الانتصار للقادة العسكريين[1].

ومما تقدم يمكن القول:

أن التجارة الصحراوية قد دمرت، والاقتصاد الجزائري تراجع ويظهر هذا من خلال النقاط الآتية:

– توقف حركة القوافل التجارية نحو السودان، بسبب حروب التوسع الفرنسية، خاصة بعد تحول مسار القوافل إلى المغرب وليبيا وانفتاح التجارة على موانئ إفريقيا الغربية، بعد توقيع فرنسا وانجلترا معاهدة سنة 1890، إذ هيمنت فرنسا على إفريقيا الغربية شمال نهر النيجر وأصبحت سواحل القارة الإفريقية مفتوحة أمام التوسعات الأوروبية طبقا لقرارات مؤتمر برلين.

– تدهور المستوى المعيشي نتيجة مصادرة الأراضي والأملاك وقطع النخيل وتهديم القصور وتطبيق سياسة الإخلاء والقطع 1860-1864.

– تناقص الثروة الحيوانية من الإبل والأغنام نتيجة إبادتها عقابا للسكان أو استعمالها في احتلال المناطق الصحراوية، وفرض الضرائب الباهضة على السكان مثل: الضرائب العربية كالعشر على الغلات والحكور على أرض العرش والقبائل واللازمة المفروضة على كل بيت أو خيمة وقد صاحبت هذه الضرائب أزمة نقدية.

– الأزمات الطبيعية المختلفة مثل الجراد والجفاف التي زادت من مأساة السنوات العجاف في الصحراء، وقد أثرت هذه الأزمات الشديدة على كل الفئات الاجتماعية وانهارت الأسر القديمة والخيام

[1] – فارس رشيد، **التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين المبدأ العام والتميز**، الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 16 -17 مارس 2006 ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007 ص ص27-84.

الكبيرة واندثر الأجواد وأهل الميعاد، ومع هاته السنوات العجاف انقلبت الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكانت فرنسا تهدف إلى تجويع السكان وتطويعهم[1].

– منح قانون 19 ديسمبر 1900م للجزائر الشخصية المعنوية والاستقلالية المالية تحقيقا لمطالب وضغط المعمرين، أما قانون 24 ديسمبر 1902 المتعلق بتنظيم أقاليم الجنوب بالجزائر فقد أعطى استقلالية مالية وإدارية لأقاليم الجنوب عن الشمال، وجاء ليُكرّس بداية فكرة فصل جنوب الجزائر عن شمالها ولا نرى تفسيرا آخرا له.

– إنّ طبيعة الأحكام الاستثنائية والقوانين التعسفية التي طُبقت على السكان في الأقاليم العسكرية لجنوب الجزائري حرمتهم من كلّ الحقوق المدنية والسياسية، ومنعتهم من الترشح والانتخاب، وجعلتهم يعانون من تفاقم القمع الضريبي بمختلف أشكاله في الوقت الذي تم إلغاء الضرائب العربية بموجب مرسوم 01 ديسمبر 1918 لمناطق الشمالية .وبهذه الطريقة تمت مُعاقبة سكان الجنوب الجزائري بقانون الأهالي وقانون الحكم العسكري.

– إن المؤسسات القضائية الزجرية جاءت في مجملها كمحصلة للوضع الجديد الذي أفرزته سياسة الاستعمار لأقاليم العسكرية في الجنوب الجزائري، وسمحت للقادة العسكريين بممارسة التعسف على أوسع نطاق وهو ما نستشفه من الكلمة التي ألقاها الأمير خالد في محاضرة أمام اثني عشر ألف مهاجر في باريس شهر جويلية 1924، حيث قال: "إنّ أهالي مناطق الجنوب هم تحت رحمة حكامهم الطغاة في دوائرهم، فهؤلاء الضباط لهم صلاحيات مطلقة يمدّدونها ويقلصونها حسب هواهم، إنّ هذا النظام لهو أشنع من قانون الأهالي لا يخضع لرقابة ولا حدود له، إنّ البدوي الراحل قد دُمّر وحول إلى مُتسوّل" ويستمر هذا الحكم القهري في المنطقة، حيث بقي العمل بقانون الاندجينا ساري المفعول في الجنوب الجزائري مع إلغائه في الشمال سنة 1944[2].

[1] – مُحَمَّد عبد الحليم بيشي، **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، دار زهورة، الجزائر، ص 60. ينظر أيضا: مُحَمَّد حوتية، توات والأزواد، ج2، ص ص 463-475.

[2] - Nadia Bouzar Kasbadji, **La Situation des Musulmans D'Algérie par L'EMIR KHALED**, Première Edition, Offices des Publications Universitaires, Alger, 1987, P. 34.

الفصل الرابع: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاجتماعية والثقافية بالجنوب الجزائري

المبحث الأول: التركيبة السكانية للمدن الصحراوية

المبحث الثاني: تعداد سكان الجنوب الجزائري

المبحث الثالث: الوضع الصحي في الجنوب الجزائري

المبحث الرابع: وضعية التعليم في الجنوب الجزائري

المبحث الخامس: السياسة الاجتماعية الفرنسية في المناطق الجنوبية

تمهيد:

تجلت الحياة الاجتماعية والثقافية للفرد الصحراوي في كثير من كتابات الرحالة الفرنسيين سواء منهم الأنثربولوجيون والمؤرخون، وقبل الحديث عن الآثار السلبية التي مست المجتمع الجزائري في الجنوب نود الإشارة فقط إلى طبيعة هذا المجتمع، الذي هو الآخر يشكل لنا قطعة فسيفسائية ويظهر ذلك من خلال عديد التشكيلات الاجتماعية التي تشكل منها[1]، ومن تنوع مصادره الثقافية والدينية العريقة جدا والمتمثلة في تلك الجوانب التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي بلد أو منطقة جغرافية محدودة، وفي عمومه هو عبارة عن قبائل كثيرة منتشرة عبر أقاليم المناطق الصحراوية، وهما نوعان سكان القصور الذين يعتمدون على الزراعة والتجارة، سكان البدو والرحل يعتمدون على الرعي وتربية المواشي[2].

هذه القبائل لها نسيج اجتماعي راق جدا يبدأ من شيخ القبيلة وينتهي بأخر فرد في القبيلة والشيء الملفت للانتباه هو سيطرة الطابع الروحي على هذا المجتمع، الذي تعددت انتماءات أفراده الروحية إلى الطرق الصوفية والزوايا التي كانت منتشرة هناك[3]، ولم تستطع لا الحكومة العثمانية ولا الإدارة الفرنسية إخضاع قبائله، فقد كان عبارة عن مجموعة من الفرق والطوائف والقبائل المختلفة بعضها عن بعض في السلوك وطريقة التفكير والعادات والتقاليد وغيرها[4]، وقد قسم الفرنسيون القبائل الجزائرية إلى أنواع حسب طريقة ونمط حياتهم أو تاريخهم أو أصولهم، فهناك القبائل الدينية (Tribus religieuses) والقبائل النبيلة (Tribus nobles) والقبائل المهاجرة (Tribus colonies) والقبائل المحاربة (Tribus guerrieres)[5].

---

[1] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 144.

[2] – عاشور سرقمة، **تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، ع 15، 2011، ص 191.

[3] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 144.

[4] – أحسن دواس، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين "مقاربة سوسيو ثقافية"**، مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 43.

[5] – المرجع نفسه، ص 44.

المبحث الأول: التركيبة السكانية للمدن الصحراوية

تمكن الفرنسيون من دراسة التركيبة السكانية للمناطق والمدن الصحراوية، وقد ذكر "**كافينياك**" أن سكان هذه المناطق ينقسمون إلى عرب وبربر، وهما مختلفين عن بعضهما البعض وذلك من خلال الأصول والنمط المعيشي، إضافة إلى أن البربر هم سكان أهالي القصور، والعرب هم السكان الذين يقطنون بالخيام[1]، والقاسم المشترك بينهما هو عنصر الدين فقط، وعليه فقد حاول الفرنسيين استغلال هذا الانقسام وقد كتب بول بورد قائلا: **"من المفروض على السلطات الفرنسية الاستعمارية استغلال هذا الوضع وإشعال فتيل النزاع بينهما"**[2]، والآن سنوضح التركيبة السكانية لبعض المناطق الصحراوية.

1- سكان مدينة الأغواط[3]:

سكنت الأغواط العديد من القبائل، أشهرها بني لقواط وهم فخذ من مغراوة، انتشروا ما بين الزاب وجبل راشد، إلى جانب قبيلة زناتة التي تعتبر أكبر قبائل البربر حضارة وعمران، وهم منتشرون في نواحي تلمسان وريغة والأغواط والزاب[4]. أما العرب فقد نزحوا إلى المنطقة مع هجرات بني هلال وبني سليم القادمين من الحجاز ونجد، مثل أولاد سكحال وأولاد زياد التي كانت تعيش بمنطقة الزيبان، وأولاد سالم القادمون من القرارة، وأولاد بوزيان بقصر ندجال وقصر سيدي ميمون، وأولاد بوراس بقصر بومندال، وأولاد يوسف بقصبة بن فتوح في الجهة المقابلة لواد مزي، ظل هؤلاء العرب الرحل يمارسون تربية المواشي معتمدين على الترحال، كما أقاموا علاقات اجتماعية طيبة بالمصاهرة والمبادلات التجارية بينهم وبين سكان قصور منطقة الأغواط، وتفرع عنهم قبيلتين لأرباع الغرابة ولأرباع الشراقة[5].

---

[1] – فليكس جاكو، المصدر السابق، ص 267.

[2]- Paul Bourde, **A travers l'Algérie "Souvenir de L'excursion Parlementaire Septembre-Octobre 1879"**,G. Charpentier editeur, Paris, 2 ed, 1880, p159.

[3] – **الأغواط**: وهي جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين، ويرى ابن خلدون أنهم فخذ من قبيلة مغراوة في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصور مشهورة بهم، لهذا يطلق على سكان هذه المنطقة ببني الأغواط، مدينة تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 440 كلم، وهي مرتفعة بحوالي 780 مترا عن سطح البحر موجودة بالصحراء، وبنيت بين هضبتين في وسط رملي يعبر وادي مزي، محاطة بسور وبساتين مثل باقي الواحات في الصحراء ينظر: إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837**...، ص43.

[4] – عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، دار مكتبة الحياة، الجزائر، ط2، 2000، ص 57.

[5] – مُحَمَّد السويدي، **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 167.

كما كان للجانب الديني دور في تأسيس المدينة، حيث استطاع سيدي الحاج عيسى أن يجمع القبائل المتناثرة والمتنافرة تحت لوائه، ومن ذلك الوقت تأسست مجموعتين، المجموعة الأولى وهم الأحلاف وتضم أولاد زياد، أولاد سكحال، أولاد سالم، أولاد خريق، أولاد بوزيان، أولاد زعنون، أولاد عبد الله، المغاربة وقد سكنوا الجهة الشرقية من المدينة، أما المجموعة الثانية وهم أولاد سرغين وتضم البدارة، الجماني، أولاد بلعيز، الفليجات وسكنوا الجهة الغربية من المدينة[1].

2- سكان مدينة غرداية:

تعتبر مدينة غرداية كونفديرالية مكونة من سبعة قصور، تشكلت من اتحاد عرشان هما أولاد عمي عيسى، وأولاد باسليمان، فعرش أولاد عمي عيسى يضم كل من أولاد الحاج مسعود، أولاد بوسحابة، أولاد علوان، أما عرش أولاد باسليمان فيضم أولاد باحمد وأولاد بلحاج[2]. وأولى واحاتها من الشمال هي بريان يوجد بها حوالي 4 إلى 5 آلاف ساكن، تنتج أحسن أنواع التمور في كل مزاب، وعلى بعد 40 كلم بعد بريان تأتي مزاب ويوجد بها حوالي 30 ألف ساكن، ومقسمة على أربع قصور يبعد كل قصر عن الآخر بـ 4 إلى 6 كلم، وهي تشكل مربع ومبنية فوق رابية وهذه القصور هي[3]:

غرداية في الشمال بها حوالي 16 ألف ساكن، بني يزقن في الغرب بها حوالي 10 إلى 12 ألف ساكن كلهم مزابيين، عدد أعراشها ثلاثة وهم آل عنان، آل موسى وآل يدر، بنورة في الجنوب ومعناها (أب الضوء) وهي أهم مدينة في هذه الكونفديرالية ولكنها هدمت نتيجة فتنة وقعت بين السكان، لا يوجد بها أكثر من ألفين شخص أغلبهم من سكان القصور المجاورة، وهي تتشكل من عرش واحد وهو أولاد عبد الله. مليكة في الجنوب الغربي وهي المدينة المقدسة عند المزابيين وبها إقامة الشيخ بابا، أما السكان فهم حوالي أربعة آلاف إلى خمسة ألاف آلاف ساكن، وبها عرشان هما أولاد خفيان المتكون من أربع عشائر، وأولاد إبراهيم المتكونة من ثمان عشائر، وعدد قليل من الشعانبة أصولهم من متليلي[4].

في الجنوب الشرقي تقع واحة العطف، ويسكنها حوالي خمسة آلاف إلى ستة آلاف ساكن، وهي تتكون من عرشين أولاد خلفي بثلاث عشائر وأولاد عبد الله بأربع، وفي أقصى الجنوب وعلى بعد

---

[1] - Paul soleillet, Op-cit, p16.

[2] – ناصر بالحاج، **النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين 9 و13 هجريين، 15 و19 ميلاديين** أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2014، ص 21.

[3] - Paul soleillet, Op-cit, p69.

[4] – ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص 21.

حوالي 60 كلم من واحة العطف، تقع واحة القرارة في موقع ملفت للنظر ورائع سورها نصفه من الرمل، بها حوالي 7 آلاف ساكن[1].

هاته المدن تشكل التجمع السكاني لمزاب وغالبيتهم من البربر، وعددهم من خمسين إلى ستين ألف ساكن، وهي منغلقة ومحافظة من أي تأثير خارجي ولها نظام خاص بها، في القضاء والحكم بين الناس في المعاملات اليومية بواسطة الجماعة، وهذا التنظيم ما زال ساري المفعول في كل المدن، حيث أقبلوا على الإسلام مثل كل شعوب إفريقيا الشمالية[2].

وقد أورد صوليه تاريخهم منذ اعتناقهم للإسلام إلى غاية زيارته لهم، وعاداتهم وتقاليدهم في الزواج كما أشار إلى عدم تزوجهم من الأجانب، وإلى القضاء وكثرة أسفارهم، واشتغالهم بالتجارة، وعلاقاتهم التجارية الكثيرة بالشعانبة والتواتيين والسودانيين وغيرهم، كما أشار إلى اشتغال نسائهم بالنسيج لصناعة الحايك والبرنوس والسجادات، والتي تجدها منتشرة في كل مدن إفريقيا الشمالية والصحراء[3].

3- سكان مدينة متليلي:

تقطن بمدينة متليلي قبائل الشعانبة؛ وهي قبيلة كبيرة تمتد من ورقلة إلى القليعة ومتليلي وتنقسم إلى أربعة فروع شعانبة مخادمة، وشعانبة هب الريح بورقلة، شعانبة محادي في الشرق في القليعة وشعانبة برزقة في متليلي، وهم عرب ينحدرون على أرجح الروايات من علاق بن عوف، من سليم بن منصور، من العدنانية، وقد وفدوا إلى شمال إفريقيا إبان التغريبة الهلالية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري[4]. وأغلبية الشعانبة يعيشون في قصور محاطة بالبساتين، وهذا يعني أنهم يحسون بالآمان في التنقل والترحال، وكذلك هم قبيلة كثيرة العدد بحيث أنهم سيطروا على طريق الجزائر تيديكلت، وهم يجيبون الصحراء بحثا عن الكلأ لقطعانهم، لا يبتعدون عن المدينة التي يقطنها ولا يسكنون بيوتهم بل يجعلونها مخازن، وبالتالي فهم من البدو الرحل[5].

---

[1] - Paul soleillet,Op-Cit, p70.

[2] - Mercier Marcel, **La vie féminine au M'Zab**, R .A, N°69,Opu, Alger,1928, p42.

[3] - Paul soleillet, Op-cit, p71

[4] – سليمان مُحَمَّد الطيب، **موسوعة القبائل العربية**، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص 1007. نقلا عن لكحل الشيخ، **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851-1908**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018، ص 20.

[5] -Daumas Eugène, Chancel(A.), **Le grand Désert ou itinéraire d'une caravane,** Chaix, Paris, 1849, p 45.

ويأتي الشعانبة في كل عام ولفترات مختلفة للتخييم بالقرب من الواحات، مرة عند زج الأغنام والثانية عندما ينضج التمر، ثروتهم من البساتين، البيوت، قطعان الماعز والأغنام الإبل وبعض الأحصنة وبعض المهاري والأحمرة، وبعض النقود المخبأة في القصور، يعتمدون على إنتاج البساتين والقطعان والقليل من التجارة وأحيانا يقطعون الطرق ومع ذلك فهم طيبون فرسان لا يتعبون، صيادو النعام والغزلان مضيافين أوفياء لعهدهم، وقبيلة الشعانبة بمختلف فروعها عرفت سيطرة قبيلة أولاد سيدي الشيخ فكانت تعطي لهم الزيارة بانتظام، لأن صيت هذا المرابط ولد سيدي الشيخ كان يمتد من المغرب غربا حتى واد سوف شرقا وهو تأثير ديني أكثر منه تأثير قوة وسيطرة[1].

4- سكان منطقة ورقلة:

لقد كان بورقلة أجناس مختلفة، وهذا حسب ما ذكره المستكشف دوماس الذي زار المنطقة سنة 1842 ووصف سكانها بأنهم خليط من السود والبيض، وذلك راجع إلى اختلاط الأجناس بها، كما أن هناك بعض الدراسات تؤكد على وجود أربعة أصناف يتشكل منها هذا المجتمع خلال القرن التاسع عشر الميلادي وهم البربر والعرب واليهود والزنوج، حيث أن البربر والعرب كانوا أكثر عددا من اليهود والزنوج الذين تزايدوا خلال هذا القرن، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال المختلفة[2].

فاليهود يحترفون الصياغة حسبما ذكره دوماس في كتابه الصحراء الجزائرية، بأن فئة اليهود هي فئة كانت تعمل في الصياغة وذلك داخل مجموعة من ورشات النحاس، أما الزنوج فقد بلغ عدد عائلاتهم 1250 عائلة سنة 1877 حسبما أكده "دوني بيلي"[3]، كما زارها أدريان بربروجر (A.Berbrugger)[4] عام 1850 في إطار استكشاف الخط الصحراوي.

---

[1]- Daumas Eugène, Chancel(A.), Op-Cit, p 36.

[2] – دوماس، المصدر السابق، ص 105.

[3] – رضوان شافو، الجنوب الشرقي ...، ص ص 48-49.

[4] – **أدريان بربروجر**: هو عضو في لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر باعتباره مختصا في مجال التاريخ وعلم الآثار، اهتم منذ البداية بدراسة الآثار الرومانية ثم الإسلامية، من أبرز أعماله جمع المخطوطات من تلمسان وقسنطينة وغيرهما من المدن التي زارها، كما ساهم في تأسيس نواة المكتبة الوطنية في عهد كلوزيل 1835، كان أيضا مديرا لجريدة المونيتور، ومؤسسا للجمعية التاريخية الجزائرية، ورئيسا لتحرير المجلة الإفريقية، ومن أبرز كتاباته الأثرية: الجزائر التاريخية، والمصورة والتذكارية، توفي 1869. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج6، ص85.

أما ترومیلي (Trumelets)[1] من خلال زيارته لورقلة سنة 1853 استعرض قصبتها واصفا نمطها العمراني، وأعراشها الثلاثة "بني سيسين، بني وقين، بني إبراهيم وحدد أبواب المدينة وأشار إلى عدد السكان ونشاطاتهم وأوضاعهم الاجتماعية ومختلف القرى والقبائل فيها، وفي مطلع الستينات زار الرحالة هنري دوفيريي (H.Duveyrier) ورقلة وهو في طريقه إلى نحو بلاد الهقار قادما من تونس عن طريق وادي سوف ووادي ريغ، حيث مكث يوما واحدا استكشف فيه مدينة سدراتة الأثرية.

نظم صولييه رحلة إلى الجنوب، ليصل إلى مدينة ورقلة صباح يوم 09 فيفري 1873 على الساعة السابعة مستقبلا من طرف أغا المدينة، وأقام فيها لمدة ثلاث أيام تعرف حلالها على عادات وتقاليد السكان وأهم لهجاتهم اللغوية، وقد وصفها بأنها مدينة بنيت وسط غابة نخيل، وهي الأكثر من حيث النخيل في كل واحات الصحراء حوالي خمسة آلاف نخلة، يسكنها الزنوج الذين يلبسون القليل من الملابس و رؤوسهم عارية والبعض منهم يضع قبعات سيئة الصنع، وهم يحلقون رؤوسهم بشكل غريب، أطفالهم عراة تقريبا، كما يسكنها أيضا البيض وهم الشعامبة وبني مزاب، ولكنهم يغادرون المدينة خلال موسم الحر، فأغا الصبايحية ملزم للجوء إلى باب المنديل على بعد خمسة كلم في الشمال الشرقي للمدينة حيث يوجد برج كبير[2].

5- سكان منطقة تقرت ووادي ريغ:

توجد في منطقة وادي ريغ وتقرت قبائل ومجموعات كثيرة ومتداخلة في أنسابها وأصولها، أهمها **الحشاشنة (الرواغة)**، وهم يشكلون العدد الأكبر من السكان، وينحدرون من قبيلة زناتة البربرية تموقعت هذه المجموعة في القصور المجاورة لتقرت (النزلة، تبسبست، الزاوية العابدية)، أو قصور وادي ريغ من قوق وبلدة عمر جنوبا وحتى المغير شمالا، وهم يتميزون بالبشرة السوداء أو شديدة السمرة[3]، ويقول فيرو (Féraud) بأن عددهم بالقصور المجاورة لتقرت حوالي خمسة آلاف، ويؤكد أن تقرت مثل وادي ريغ

---

[1] - **ترومیلي**: عالم وضابط فرنسي من مواليد 1820 برايمس مارن (Reims Marne)، انخرط في صفوف كتيبة المشاة سنة 1839، وقد جاء إلى الجزائر سنة 1851، وبقي بها حوالي 25 سنة، كما أصبح عضوا بجمعية الشباب الأدبي سنة 1872، وتحصل على وسام الشرف من الحكومة الفرنسية، ينظر: Narcisse Faucon, Op-Cit, pp 603-609.

[2] - Paul Soleillet, Op-Cit, pp 185-186.

[3] - خليفة عبد القادر، **تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية "دراسة سوسيو-أنثربولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، 2011، ص 122.

هي ملتقى بين الزنوج والبربر نتيجة التهجين أخرجوا جيلا جديدا من المولدين ذوي ملامح البشرة السوداء[1].

أما المجموعة الثانية فهم العرب (المجاهرية) الذين وفدوا إلى المنطقة في شكل هجرات فردية في بداية الأمر من الزيبان والجريد التونسي والمغرب ومناطق التل وقت ازدهار حكم بني جلاب (1414-1854م) وحتى قبله، وهم منتشرون في كامل تراب الإقليم، ويتوزعون إلى قسمين القبائل الرحل واتصلوا بالمجال العمراني، وتمكنوا من الاستقرار ضمنه، أما القسم الثاني فهم القبائل البدوية، وهم يقومون بتربية الماشية والجمال ويزرعون النخيل [2]، وأهم بطونهم قبائل رحمان والسالمية والدارسية والعبادلية والفتايت وأولاد عبد القادر وأولاد مولات كما ذكر شارل فيرو[3].

المجموعة الثالثة وهم الزنوج الذين جاء بهم التجار إلى سوق تقرت، وهناك من وفد منهم من منطقة توات فارين من أسيادهم، وبعضهم ينتمي إلى أبناء الموالي الذين بقوا بالإقليم بعد رحيل الإباضيين، ومنهم من وفد عاملا ومشتغلا من بلاد السودان وربما صحراء النوبة جنوب مصر[4].

6- سكان منطقة واد سوف:

ينتمي سكان سوف إلى الجنس العربي، ولا يوجد أي اختلاط له تأثير كبير في أصولهم، ومع ذلك وفي النصف الأول من القرن العشرين الميلادي اختلطوا وهجنوا قليلا بالدم الأسود[5]، ويذكر دوفيريي أن أول من جاء لهذه المنطقة هم من العرب وهم أولاد أحمد وينحدرون من قبيلة قريش، حيث غادروا بلاد الشام في زمن سيدنا عثمان بن عفان، أما الطرود فهم الذين غادروا القاهرة بعد أن تمردوا عن حاكمهم ووصلوا تونس، لكن سلطان تونس طردهم وبهذا اتخذوا اسم الطرود[6]، أما العبايدية فهم أيضا من أوائل سكان المنطقة ويتكونون من قبائل رئيسية مثل الربايع والطرود حسبما ذكره لارجو، كما أن الطرود

[1] - Charles Féraud, Op-Cit, pp 59-60.

[2] – خليفة عبد القادر، المرجع السابق، ص 133.

[3] - Charles Feraud, **Les Ben-Djellab Sultans de Tougourt,** R A, N 23, 1879, Alger, p 353.

[4] – شويشي زهية، **مجتمع القصور دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصور مدينة تقرت**، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 95.

[5] – عثمان زقب، المرجع السابق، ص 133.

[6] - Henry Duverier,Op-Cit, p 23.

ينتمون إلى قبائل بني سليم بن منصور من الجزيرة العربية[1].

أما "**إدوارد كات**" فتحدث عن مجتمع وادي سوف، فذكر أن هناك اثنين أو ثلاث فصائل لهذا المجتمع وهم العدوانيين ويعتبرون من أقدم سكان هذه المنطقة، إضافة إلى الطرود الذين أتوا من تونس في القرن 14 وكذلك الشعانبة الذين أتوا من ورقلة قبل 100 سنة، ويمثل هؤلاء مجموعة أقل عددا من الطرود والعدوانيين، حيث تمركزوا في منطقة عميش، وامتهنوا حرفة قطاع الطرق[2].

أما المجموعة الأخرى، ومنهم أولاد سعود وهم يختلفون عن بقية سكان هذه المنطقة في طبيعة أعمالهم، حيث أنهم حضاريون ويسكنون واحات النخيل طيلة أيام السنة بخلاف الطرود فهم بدو يرتحلون كل تسعة أشهر ويملكون قطعان الماشية، وبعد الدخول الفرنسي انقسموا إلى قسمين، البعض انحاز إلى حزب بوعكاز، والبعض الآخر إلى مُحَّد بن قانة، وهم المصاعبة والأعشاش وجعلت فرنسا قائدا من بين هذه الفئات لخدمة مصالح فرنسا تحت القيادة في بسكرة[3].

7- سكان مدينة بسكرة:

كان مجتمع بسكرة أو الزاب يتشكل من مجموعة من السكان بمختلف حياتهم، فهناك من كان من البدو الرحل وهناك من كان من السكان الحضريين المستقرين، وكانت هذه التجمعات في كل من الزاب الشمالي والزاب الجنوبي والزاب الغربي، كما كان سكان هذه القرى حسب ما ذكره دوماس حضريين ولا يرجع أصلهم إلى الجنس العربي من خلال اختلافهم في عاداتهم السياسية والدينية والفلاحية[4].

كما تعيش بعض القبائل بالقرب من الزيبان، ومن بينهم أهل بني علي الذين كانوا يدينون بالمسيحية، وكانوا يعيشون في طبنة على المنحدر الجنوبي لجبل أولاد سلطان، كما كانت هذه القبيلة إلى جانب الفرنسيين أيام احتلال بسكرة، ويعتبرهم العرب خونة، أما قبيلة الشرفة فكان أجدادهم يعيشون في فاس، وهناك بقية من سكانهم استقروا في مدينة تافيلالت، وقبيلة قراميرا من أوائل المهاجرين إلى

[1] - عبد القادر ميهي، **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم**، دار الثقافة، الوادي، ط1، 2015، ص 63.

[2] - E. Cat, **A Travers le Désert,** Typographie Gaston, Paris, 1892, p 180.

[3] - E. Cat, Op-Cit, p 181.

[4] - دوماس، المصدر السابق، ص ص 145-156.

إفريقيا وكانوا يسكنون ضفاف الساقية الحمراء وعميرة، ثم عند انتقالهم سكنوا بلدة أولاد نايل تحت خيامهم[1].

أما اليهود، فكانوا بنسبة قليلة في واحة بسكرة عكس المناطق الشمالية تعج بهم، ووصل عددهم في الجزائر حوالي 50000 يهودي، وكان هذا النزوح راجعا إلى الامتيازات التي منحتها لهم فرنسا عند دخولها الجزائر، وكان هذا التشعب والتنوع قد أحدث صراعات داخلية حسب "لارجو" كان لا ينتهي إلا بتدخل الشرطة[2].

8- سكان منطقة توات[3]:

إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية، تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت، ومن الجنوب هضبة مويدير، ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات، وتقع المنطقة بين خطي طول 4° غربا إلى 1° شرقا، وبين خطي عرض 26°-30° شمالا، ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق متميزة هي تنجورارين، توات وتيديكلت[4].

ويقدم الشيخ مُحَمَّد الطاهري وصف عام لسكان توات فيقول: **"سكان توات هم أربعة أقسام الشرفاء، العرب، المرابطون والموالي، ولغتهم العربية والدارجة، ودينهم الإسلام، وعقيدتهم الأشعرية، ومذهبهم المالكي، وطريقتهم جنيدية، ويغلب على سكان توات سمرة البشرة وهذا يرجع لأشعة الشمس"[5]**. ويمكن أن نحصر أهم سكان إقليم توات **فيما يأتي:**

---

[1] – المصدر نفسه، ص 170.

[2] - Victor Largeau, **Le Sahara Algérien** … 1874, dessins inédit, 1881, p 05.

[3] – **توات:** اختلف المؤرخون حول أصل تسمية "توات" فحسب عبد الرحمن السعدي أن سلطان مالي كنكان موسى اتجه للحج رفقة جماعة من أهل بلده، ولما وصلوا لهذه المنطقة أصيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فسميت بذلك. ينظر: عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، طبعة هوداس، باريس، 1981، ص 07. أما أحمد العماري فيقول أن اسم توات بربري الأصل ويعني الواحات، خاصة وأن معظم قصور توات اسمها بربري الأصل مثل تمنطيط، تميمون. ينظر: أحمد العماري: **توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850م إلى 1902م**، منشورات كلية الأدب بفاس، المغرب، 1988، ص11.

[4] – مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، ج1، ص 28.

[5] – أحمد الطاهري، **نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين التقات**، مخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية بسالي أدرار، ص 24. نقلا عن: مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، ج1، ص 57.

البربر: من المتفق عليه أن أول من قدم إلى الإقليم بأعداد كبيرة هي القبائل البربرية، وخاصة من الفرع الزناتي، ولم تتوقف هجرة هذه القبائل إلى الإقليم، وخاصة في القرن الخامس الهجري، نظرا للصراع الذي نشب بين القبائل المغربية القديمة وبين قبائل بني هلال، التي وفدت إلى المغرب في ذلك الوقت بأعداد كبيرة. وكان من نتائج ذلك أن أرغم الكثير من البطون والعشائر من القبائل البربرية على اللجوء إلى الصحراء ثم أخذت تتوافد على الإقليم حتى نهاية القرن السابع الهجري[1].

الأشراف: جاؤوا من المغرب من تافيلالت عام (1121هـ/1709م)، وهم ينتسبون في الأصل إلى البيت العلوي، وقد وفدوا إلى توات حسب بعض المصادر من شمال المغرب العربي، وكانت غالبيتهم تملك البساتين و الحدائق التي يعمل فيها العبيد، وكان لهم نفوذ وسلطة قوية بصفتهم حماة الدين ولذلك حرص بقية السكان على اكتساب رضاهم والتبرك برؤياهم[2].

العرب: مع مطلع القرن السابع الهجري، الرابع عشر الميلادي، هاجرت إلى الإقليم قبائل عربية من بني هلال، وبني سليم وعرب المعقل، وهذا بعد أحداث القرامطة بالبحرين والفاطميين بمصر، ولعبوا دورا أساسيا في تثبيت الفتوح ونشر الإسلام، والعربية، تمثل هذه الطبقة طبقة الأحرار، وهم يمثلون غالبية السكان، ويعملون داخل الحوانيت في التجارة الخارجية، ويمتلكون البساتين والعبيد.[3]

المرابطون: في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي استوطن يوسف بن تاشفين سجلماسة وتوات وقورارة، ثم ما لبث أن انقض الموحدون عليها في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، إلى أن دخلها أبو علي ابن أبي سعيد المريني نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلاد بعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنوات.[4]

الحراطين: كان يطلق على الطبقة اسم (الحرثانيين)، أي أنصاف الأحرار، ونظرا لأن مكانتهم الاجتماعية كانت أقل من مكانة الطبقتين السابقتين بحكم مولدهم، فإن فرص العمل والنشاط كانت محدودة

[1]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص 33-34.

[2]- فرج محمود فرج، المرجع السابق ، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص34.

[4]- الحاج احمد الصديق، **التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 17م إلى القرن 20م**، مديرية الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، 2003، ص40.

أمامهم، فالأعمال التي يأنف من مزاولتها الأشراف والأحرار يزاولونها هم كبيع اللحوم ودبغ الجلود وتعليم الأطفال بالكتاتيب بجانب الزراعة وبناء المنازل وبعض الحرف اليدوية[1].

9- سكان منطقة الهقار:

وهم من التوارق ويسمون أنفسهم إيموهاق **(Imohag)** حسب آزجر، وايموشاح حسب الهقار وايليميدن، وايماجيرحن حسب الاير، واللغة التي تتحدثها تيماهاق **(Temahag)** أو تماشاق حسب اللهجات[2]، والعرب من أطلق هاته التسمية توارق وتارقية وتارقي، والتي تعني المتروكين أو المبعدين، ودوفيرييه يتحدث باسمهم فيقول: "نحن لم نتقبل منهم دينهم الجديد[3]، والمهم نسمي إيموهاق ومعناه "الحر" ونحن من الأدراسة من الأشراف، وجدَّنا قتل من طرف الملد أومرين"، وهذا الشريف هو مشترك بين شرفة آزجر وكرزاز[4] وشرفة وزان[5] ونفس الشيء لأشراف ايفوغاس وايمنان وهما من أكبر الأسر المغاربية، ويقسم التوارق إلى فئتين هما:

الفئة الأولى من القبائل الكبرى للتوارق هم قبائل آزجر **(Azger)** ولها فروعها على التوالي (حسب إبراهيم ولد سيدي وهو أحد التوارق الذين ساعدوا هنري دوفيرييه في رحلته) فيقول:

- إيمنان (السلاطين) هم أشراف حقا، نصفهم أدارسة التي حكمت فاس والنصف علويين[6].
- أوراغان: أبناء السلاطين من آبائهم ولكن فيلان (Vilains) من أمهاتهم وهم ليسوا نبلاء.
- إيمنغاستن :هم عرب الشرق ليسوا نبلاء وعددهم قليل[7].

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 34، 35.

[2] - إسماعيل العربي، الصحراء، مرجع سابق، ص 54 .

[3]- H. Duveyrier, **Les Touareg du nord,** p 58.

[4] - أشراف كرزاز مازالوا بتلبالت بين توات وتافيلالت، لهم زاوية لها دور كبير وهي ملاذ لكل الناس حسب قول الأهالي ينظر: Daumas Eugène ,et Chancel (A.),op cit, p 44

[5] - أشراف وزان يسكنون المغرب بين فاس وطنجة، وهم شيوخ طريقة مولاي الطيب. ينظر: Ibid,p 45 .

[6] - أسرة حكمت المغرب سنة 1070/1659هـ يرجع أصل العلويين إلى الحسن السبط (عن طريق محمد النفس الزكية) جاءوا حوالي القرن 13م إلى المغرب وسكنوا جنوب جبال الأطلس في واحة تافيلالت) بالقرب من سجلماسة بمساعدة من الفرق الصوفية، والتي كانت تنشط في المنطقة حينذاك، أصبح مولاي الرشيد 1664-1672م سيداً على منطقة تافيلالت والواحات، استطاع بعد ذلك أن يستولى عام 1666م على فاس على حساب السعديين. ينظر: . Larousse , Op-Cit, p 1099

[7] - G. Gabriel, Op -Cit, pp 49-50.

- إيفوغاس: قبيلة واحدة مع لوادالن، إقاوادران، أهل السوق، والسوق مدينة كبيرة مسكونة تقع بين عين صالح وقاقو وسكان السوق مختلطين مع دماء السود.

الفئة الثانية من القبائل الكبرى للتوارق وهي قبائل هقار **(Hoggar)**، وأشراف هقار عموما أولاد سيدي بن سيد مالك وهو جد لشريف اسمه أقاق وهو أمير مان سوقي[1].

- تايتوق:جزء من هذه القبيلة نفس إيمنان آزجر أي من أحفاد الأدارسة وجزء منهم أهل فدي اير.
- أهل البيت الأبيض وأهل البيت الأسود
- كل رحالة متكونة من أبناء هاتينا وأبناء ماحوك.
- إيكادين وهم من قبيلة السوق ولكنهم أسر بيضاء البشرة.
- إيرهاششمون: أصلا من السوق.
- تيدجهي آن أو سيدي وهم من قبيلة إيمنان آزجر.
- تيدجهي مالن أو أولاد مسعود[2].

وقد تكلم كل من ابن خلدون وجون ليون وهيردوت عنهم، ويسمى زعيم قبائل التوارق أمينوكال[3]، أمينوكال[3]، وهو يتزعم قبيلة إيهقارن التي كانت لها السيطرة على الحقوق السياسية، ويسمى تجمعهم بالتجمع أو الميعاد والتي تتنافس فيها المصالح المشتركة، وسيطرة النبلاء تعني تشكيل شرطة الإقليم للقبيلة لضمان أمن الطرقات، وحماية القوافل التجارية لزبائنهم، ومقارعة العدو، أو الخروج وعندها يتحد كل من النبلاء والخدام، كما يحظى المرابطون برتبة دينية، وقضائية، فهم الذين يراعون شؤونهم العامة والتنظيم، ويعلمون الدين الإسلامي للعامة، برغم من وجود مساجد أو أماكن التجمع، وهؤلاء القضاة يفصلون في النزاعات بين الأفراد والقبائل وبين التوارق والأجانب[4].

[1] – مُحَمَّد سعيد القشاط، **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، ص ص 20–46. ينظر أيضا: H. Duveyrier, Les Touareg, Op -Cit, p 60

[2] - E. Daumas, et A. Chancel, Op -Cit , p45.

[3] – وهي كلمة تارقية وتعني الشيخ أو السيد وهي الكلمة الغالبة، وأحيانا، نجدهم يسمونه اقليد وتعني الملك .

[4] - E. Daumas, et A. Chancel, Op -Cit , p47.

وتتكون قبائل التوارق من النبلاء والقبائل المختلطة، والخدم (أمرهيد) ويعني الرعايا بالعربية ولكنها من الناحية الاجتماعية (لا السياسية)، وكل ما يملك أمرهيد[1] هو ملك لسيده، لأنَّ قوة السيف تخلق قوة القانون، وما يهم السيد أنَّ خادمه غني يملك القطعان العبيد الأثاث، لأنه أثناء الحاجة يلجأ إليه السيد. وأما الخدام فإنهم لا يعملون أي عمل يدوي، ولكن اهتماماتهم تتمثل في ضمان أمن الطرق للتجارة وفي وقت الجني يتقربون للواحات التي يسكنها التجار، الذين يحمون مصالحهم ويأخذون جزء من ثمار البساتين، وفي وقت القوافل التجارية ومرورها يقبعون على قارعة الطريق ويستفيدون من ضيفة الرحالة، ويخصص الخدام للنبلاء كل عام جمل أي إناء زبدة، كما يحتفظون لهم بحليب لعشرة خرفان أو ماعز وحماية قطعانهم، ولا يثقلون كاهلهم بهذه الأمور، فهم نادرا ما يحتاجونهم، أما البطن التي تحوي الطفل أي الطفل عند التوارق يتبع دم أمه "فدم الطفل من أب عبد أو خادم وأمه نبيلة فهو نبيل، ابن نبيل وأمه خادمة فهو خادم، ابن نبيل وامه من العبيد فهو عبد"[2].

ما هو ملاحظ من وجود القبائل النبيلة والقبائل الخادمة، وفي مرحلة ثالثة فئة العبيد نجد أن سكان التوارق يعيشون هاته الفروق الطبقية، وذلك يعني أن لهم نمط معيشة خاص جدا فحسب هذا الترتيب يعني وجود مملكة أو إمارة، ولا يسعنا إلا أن نبحث في هاته التركيبات التي تشكل نموذجا منفردا، وقد اعتمد قويون (Gyon) في وصفه للتوارق على الجنرال دوماس ويقول توجد جنوب بسكرة الصحراء الكبرى، أين يسكن التوارق وهم شعب أبيض وتشبه لغتهم لغة الأوراس يوجد تشابه كبير بين اللهجات الجزائرية لكن لهجة التوارق مازالت لهجة محافظة على خصوصياتها لم تتأثر إلا بالشيء القليل نتيجة بعدها عن التأثيرات الخارجية[3].

المبحث الثاني: تعداد سكان الجنوب

إن تعداد السكان في أقاليم الجنوب تم في نفس الوقت مع تعداد سكان شمال الجزائر، إلا أن المعلومات التي جمعت حول سكان الجنوب كانت مجرد تقارير إدارية، ولم تكن هناك تقارير خاصة بالأهلي، لهذا قرر الحاكم العام أن يكون إحصاء تعداد السكان ليس عن طريق التقارير الفردية بل بكشوف رقمية، وأنشأو مراكز مختصة يقوم فيها رؤساء الأهالي بالتعداد تحت مراقبة السلطات المحلية،

[1] – كلمة تارقية، وتعني الفئة الثانية من التشكيل الاجتماعي للطوارق وهم الخدم .

[2] - E. Daumas, et A. Chancel, Op -Cit , p48.

[3] - M. Gyon, **Voyage d'Alger aux Ziban l'ancienne Zèbe en 1847**, impr du gouvernement, Alger, p443.

وهذه المراكز موزعة على الأقاليم ومن أهمها مركز القصور[1] ومن خلال بعض الإحصائيات من المصادر الفرنسية فإن سكان الصحراء الشرقية والوسطى قدر عددهم سنة 1865م بـ 450000 نسمة وهم يتوزعون كالآتي[2]:

النواحي	قرى	أعراش	السكان المستقرين	السكان الرحل
ورقلة	7	3	14200	12000
تماسين	16	2	9950	12600
واد ريغ	36	2	31080	2850
واد سوف	8	5	31170	1200
الزيبان	37	18	30340	55300
الوطاية	3	2	800	11850
الحضنة	6	11	11500	34650
الصحراء الوسطى	8	8	36100	17850
واد مزاب	8	3	7560	6000
القصور	12	31	2820	96480
أولاد نايل	2	7	800	9900
المجموع	**149**	**92**	**176320 أي %40.34**	**260680 أي %59.65**

فالإحصاء السكاني لمناطق أراضي الجنوب من عين الصفراء وغرداية وبسكرة وتقرت وعين صالح سنة 1906 كان 446000 منهم 2644 أوربي، كما أن عدد السكان في هاته المناطق زاد ما بين سنتي 1901 و1906 حوالي 81000 نسمة[3]، وفي مدينة سوف زاد عدد السكان من 21018 نسمة سنة 1887 إلى 32700 نسمة سنة 1900 ليصل سنة 1921 إلى 61518 نسمة، ويمكن تفسير هذه

[1] - M. Duclos, **Les territoires du sud de l'Algérie**, **gouvernement général de l'Algérie**, Alger, 1929, p 635.

[2] – الأزهاري عباز، **نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603–1884**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي، 2013–2014، ص 19.

[3] - Progress in the Algerian Sahara, Op-Cit, p 19.

الزيادة بحالة الهدوء والاستقرار السياسي للمجتمع بعد إحكام الإدارة الاستعمارية قبضتها على المنطقة وتحسن المعيشة نسبيا، وازدياد العناية الصحية ومحاربة الأمراض والأوبئة[1]. كما توضح الإحصائيات أن عددهم كان ثابتا تقريبا ما بين سنتي 1906 و1921 حيث سجل ارتفاعا طفيفا[2]، حسب ما سنراه في الجدول الآتي:

تعداد السكان/ السنوات	**1906**	**1911**	**1921**	**1926**
الكثافة السكانية للبلديات (دون حساب جزء من الجند والبدو والرحل)	437077	486585	542670	536306
الأوربيين	5333	5533	4828	4675
الأهالي	431744	481052	537842	531631
الكثافة التي كانت غير محسوبة من جند وبدو ورحل	5643	7721	5739	4179
الأوربيين	3371	3441	4783	2582
الأهالي	446091	4280	3956	2597
مجموع السكان	**446091**	**494306**	**548409**	**541285**
الأوربيين	10976	8974	6611	7257
الأهالي	435115	485332	541798	534228

نلاحظ من خلال الجدول أن الكثافة السكانية للبلديات تجاوزت سنة 1906 حوالي 437077 نسمة وحوالي 486585 نسمة سنة 1911، وارتفعت سنة 1921 بـ 542670 نسمة و536306 نسمة سنة 1921، كما كان هناك سكان غير محصيين مثل الجند والبدو والرحل، أما العنصر الأوربي كان ثابتا سنة 1911 حوالي 5533 نسمة وأنخفض سنة 1921 بـ 4828 نسمة و4675 نسمة سنة

[1] – علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 19**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 108.

[2] - M. Duclos, Op-Cit, p 636.

1926، وكان هذا الانخفاض خاصة في عين الصفراء لأنها كانت مليئة بالتجار والصناع الذين تركوها واتجهوا نحو المغرب واستقروا هناك والذين كان عددهم سنة 1906 حوالي 3275 نسمة[1].

وفي نفس الوقت فقد سجل "سباتي" (Spati) وهو أحد المختصين في شؤون المناطق الجنوبية تناقص في عدد سكان الواحات وقورارة وتوات الذين كانوا في حدود 100 ألف نسمة عند منتصف الثمانينات من القرن 19 ليصبح حسب تعداد سنة 1906 لا يتجاوز 60 ألف نسمة ومعظمهم لا يجدون ما يسد به رمقه، بسبب تدهور وضعية السكان المعيشية بشكل رهيب ودخول بعض المناطق الجنوبية تحت وطأة الفقر والمجاعة والأمراض والأوبئة الفتاكة، بعدما صدرت منهم كل ممتلكاتهم وتعرضهم لمختلف وسائل الاستعمار الفرنسي البشعة، كما يسجل لنا أندري نوشي بشأن هذا التراجع الذي استهدف سكان بعض الواحات الواقعة في الجنوب الغربي فيما يلي: "انخفض عدد سكان توات وقورارة وساورة واندثر منهم 4000 ساكن إلى 8700 ما بين سنة 1906 إلى سنة 1921"[2].

المبحث الثالث: الوضع الصحي للسكان في الجنوب الجزائري

خلقت كل هذه الظروف السيئة السابقة حالة يرثى لها في أحوال السكان الصحية فكثرت الأمراض والأوبئة وانتشرت الوفيات بشكل خطير جدا وارتفعت نسبة الوفيات[3]، نذكر على سبيل المثال معاناة سكان ورقلة سنة 1920 جراء الأزمة الاقتصادية التي نجمت عن الجفاف الذي أصاب المنطقة وأدى إلى هلاك المواشي، حيث قدرت الخسائر بنسبة 41% من الأغنام 68% من الماعز و30% من الخيول، ولم تسلم من هذه الكارثة سوى قطعان الإبل التي سجلت الوفيات بها نسبة قليلة قدرت بـ 8.5% وفي المقابل سجلت أسعار القمح ارتفاعا مذهلا عجزت أغلب الأسر على اقتنائه الأمر الذي أدى إلى تفشي أمراض أخرى كحمى المستشفيات والتفيس، وفي سنة 1931 عرفت انتشار رهيب لمرض السل بتقرت بتسجيل 68.7% بين سنتي 1931 و1932 م[4].

وعلى الرغم من كل ما وفرته فرنسا في الجانب الصحي من بناء المستشفيات والعيادات وإحضار الأطباء إلا أن عدد المرضى في أقاليم الجنوب كان في تزايد مستمر، قد يرجع إلى الظروف القاسية من

[1]- M. Duclos, Op-Cit, p 636.

[2] – جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ ...، ص 65.

[3] – يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة ...، ص 58.

[4] – قاموس الشهيد لولاية ورقلة منشورات جمعية الوفاء للشهيد ، الآمال للطباعة الجزائر 2006 ، ص506.

مجاعة وأمراض معدية أو إلى الحروب المستمرة وعدم تجهيز المستشفيات بالعتاد والأجهزة اللازمة رغم الدور الكبير الذي لعبه الأطباء في أداء مهامهم[1].

كما كشف تقرير فرنسي عن الوضع ما بين 1854 و1895م عن أهم الإجراءات التي استحدثتها السلطة الاستعمارية من أجل تطوير الصحة، ومما جاء فيه "... أن ماء منطقة تقرت وباقي وادي ريغ سيء للغاية، فقد صعب على الأجانب التأقلم معه، في حين تعود عليه أصحاب المنطقة ... وكان هناك تخوف من انتشار بعض الأمراض مثل مرض داء المفاصل ومرض الزهري والإسهال والجدري وفقر الدم وأمراض الكبد والالتهابات، وكان أغلب المصابين بهذه الأمراض الناس الذين يسكنون المنازل الظلمة وقليلة التهوية ودائمة الإهمال ... "[2].

حظي القطاع الصحي مثله مثل القطاعات الأخرى بالاهتمام من طرف الحكومة العامة والإداريين المحليين، الذين طرحوا فكرة تطوير هذا القطاع حيث خصصوا له جزءا من ميزانية أراضي الجنوب، وكانت النفقات تتم على أعمال الإسعافات الطبية والأطباء العسكريين وبناء المستشفيات والعيادات، وقد أعطيت للأطباء كل الصلاحيات حيث تعدوها إلى التبشير خاصة بعد كسبهم لثقة الأهالي، كما ساهم هؤلاء الأطباء في القضاء على عدة أمراض معدية كانت منتشرة في هذه المناطق[3].

وفي سنة 1918 تم تطبيق نظام جديد للصحة في الجنوب أصبحت من خلاله مناطق الجنوب خاضعة في خدماتها الصحية لمدير يتم تعيينه لهذه المهمة وليس للمديرين الفرعيين وحدد بذلك واجبات الطبيب المكلف بخدمات الرعاية الطبية للأهالي[4]، وقد حاولت الإدارة الفرنسية تشجيع الأطباء العسكريين العاملين في مناطق الجنوب بأن أقرت لهم منح مختلفة تحت نفقة ميزانية الجنوب، فالأولى لأجل مهمتهم العادية والثانية لاستقرارهم في المنطقة سميت بمنحة الشمس[5]، والجدول التالي يوضح المستخدمون في المرافق الصحية ببشار سنة 1943[6]:

---

[1] - M. Duclos, Op-Cit, p 174.

[2] - G. Rolland , Rapport, **Observation sur Les Conditions Sanitaires,** Imprimerie Nationale, Paris,1895 , p 469-474

[3] - M. Duclos, Op-Cit, p 174.

[4] – عثمان زقب، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918–1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2006/2005، ص 148.

[5] – المرجع نفسه، ص 148.

[6] – مُحَمَّد برشان، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903–1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012، ص 126.

المنطقة	طبيب عسكري	طبيب مدني	قابلة	ممرض رئيسي	ممرض
بشار	1	1	1	1	3
بني ونيف	1	-	-	1	2
تاغيت	1	-	-	-	2
القنادسة	1	-	-	-	3
مجموع الإقليم	7	5	3	6	53
النسبة	% 57	% 20	% 33	% 33	% 19

وكانت مصحة الأهالي في وادي سوف مثلا تضم 20 سريرا (12 للرجال و8 للنساء) تضمنت قاعات للفحوصات والتضميد وصيدلية وقاعة عمليات جراحية، أما الطاقم الطبي فتضمن طبيب عسكري وممرض رئيسي من الأهالي وممرض مساعد وممرض سكرتير وممرض زائر، وخارج الرعاية الطبية كان الطبيب يضمن معاينة لحم الجزر وفحص الأمهات والرضع، ولم تكن المصحة تمتلك سواء جزء من الوسائل التقنية الضرورية، ولم يكن في نفس هذه الفترة سوى ثلاث بيوت للعينين في قمار وكوينين والزقم وقاعة زيارات في عميش تقدم خدماتها للسكان، وأسست بمساهمة من زعيم الطريقة القادرية بعميش وهو عبارة عن محل يستقبل زيارات الطبيب من الوادي، والجدول التالي يبرز تطور نشاط المؤسسات الصحية في سوف لسنوات[1]:

السنوات	1925	1926	1927	1928	1938
عدد المستشفين	61	103	63	89	112
أيام الاستشفاء	1432	1840	1061	1441	2316
رجال	50	85	47	52	73
نساء	7	10	5	26	26
أطفال	4	8	11	11	13
عدد الفحوصات	3890	3511	8717	13353	56431

جدول تطور نشاط الصحة في وادي سوف (1925-1938)

[1] - عثمان زقب، المرجع السابق، ص 149.

أما بالنسبة لعدد المرضى في المستشفيات فهو أيضا في تزايد مستمر، وما يلاحظ أن عدد الرجال أكثر من النساء والأطفال في المستشفيات، كما أن عدد الأماكن المخصصة للعلاج (العيادات) يختلف من مقاطعة إلى أخرى، أما الأماكن المخصصة للعلاج فكانت في عين الصفراء حوالي 59 عيادة، وغرداية 28 عيادة في حين كان في تقرت 25 عيادة والواحات 22 عيادة[1]، والجدول الآتي يوضح عدد المرضى في المستشفيات:

عدد المرضى في المستشفيات الأقاليم	1925			1926			1927			1928		
	رجال	نساء	أطفال	رجال	نساء	أطفال	رجال	نساء	أطفال	رجال	نساء	أطفال
إقليم عين الصفراء	213	115	33	207	148	20	301	194	28	273	179	77
إقليم غرداية	159	70	32	176	69	28	164	69	29	205	76	23
إقليم تقرت	188	78	31	221	85	34	254	93	74	234	148	100
الواحات	46	69	75	56	57	16	71	45	24	78	49	50

أولا: أهم الأمراض المنتشرة عند سكان الجنوب

1- أمراض العيون:

أهمها الرمد الحبيبي (Trachome) ويشمل ذلك الالتهابات الملتحمة حتى أن 95% من المتمدرسين مصابين به في سوف، ويلاحظ أن المرضى يأتون أحيانا للعلاج بعد فوات الأوان عندما تكون العتامة قد تكونت من قبل وتصبح غير قابلة للعلاج والجدول الآتي يوضح نسبة المفحوصين من داء التراكوم بكولومب بشار سنة 1931[2]:

[1] - M. Duclos, Op-Cit, p 175.

[2] - محمد برشان، المرجع السابق، ص 119.

الجنس	العدد	عدد المصابين	النسبة
الذكور (الوحدة نسمة)	133	69	% 51.8
الإناث (الوحدة نسمة)	115	52	% 45.2

2- السل الرئوي (Tuberculose):

هو مرض خطير ومعدي، كان يخشى منه دائما السكان، ولا يحبذون الإعلان عن المصابين به ولفترة طويلة اعتبر كمرض محتشم لا يجب التكلم عليه، وهو كثير الانتشار في المناطق الصحراوية ونلاحظه بعدة أشكال، ويحدث أن يلاحظ سريان العدوى في العائلة، ومن عوامل انتشاره المناخ المتقلب أحيانا مما يؤثر على السكان خاصة أنهم غير قادرين على امتلاك اللباس الكافي وقلة النظافة وتعاطي الكحول[1] والجدول التالي يبين نتائج دراسة أجراها الدكتور سيار (Ceard) 1923 بمنطقة بشار عن أسباب انتشار هذا المرض[2]:

الأحياء	نتائج العلاج		نسبة الإصابة بـ TBC	
(الوحدة %)	السكان	عدد المراقبين	من 1 إلى 15 سنة	أكبر من 15 سنة
القصر	عرب-أمازيغ	380	% 23	% 49.3
المدينة الجديدة	حراطين	305	% 35.2	% 64.4
واكدة	أمازيغ	297	% 26.6	% 73.4
الملاح	يهود	500	% 13.9	% 48.1

يمكن أن نلاحظ من خلال المعطيات الواردة في الجدول بأن العنصر الأوربي في المنطقة لم يشمله الفحص، ويحتمل أن يعود ذلك إلى عدم ظهور إصابات بهذا المرض في الوسط الأوربي، أو أن عملية الفحص أجريت لهم على حدا.

[1] - عثمان زقب، المرجع السابق، ص 151.

[2] - Jacob Oleil, **Les Juifs de colomb-bechar et des villages de la Saoura 1903-1962,** Orléans, Paris, 2003, p 59.

3- الأمراض المعوية:

مثل الأسكريس وهو مرض مستوطن في المنطقة وأحيانا تصبح الحالات خطيرة جدا، إضافة لالتهاب المعي الطفولي وهو المرض الأكثر قتلا للرضع[1].

4- الروماتيزم:

وهو معروف جدا في الصحراء لأن النوم على الرمل البارد خلال الليل يفسر انتشار هذه الالتهابات[2].

5- الأمراض الجلدية:

ويشمل ذلك الأمراض الجلدية مثل الحصف وبثر المطاوي وهو التهاب جلدي ينمو في المطاوي، والأهالي لا يحبذون إظهار الأمراض الجلدية خاصة لما تكون صغيرة حيث ينظرون لها بنظرة معقدة مع تزامنها بتقيحات ثانوية، ويشمل ذلك أيضا التهابات فروة الشعر فهي منتشرة[3].

6- حمى المستنقعات (الملاريا Paludismes):

ينتقل هذا المرض عن طريق بعوضة الملاريا (L'Anophèle) خصوصا في الأوقات الحارة، وتعتبر ضفاف وادي بشار والآبار الخاصة بسكان القصر والواحات مأوى له، وعلى الرغم من أن الماء الشروب كان مؤمنا بواسطة الآبار المراقبة إلا أنها كانت تحدث إصابات مرضية لكنها محدودة، وقد أصيب به سكان وادي سوف في جويلية 1929 ويرجح أن هذا الوباء قدم إليهم من وادي ريغ[4].

7- مرض الحصبة (Rougeole):

ينتشر هذا المرض كثيرا بين فئة الأطفال بسبب نقص التغذية وتذكر بعض الوثائق بأن هذا المرض بقي تحت المراقبة الطبية، لكن عزوف بعض العائلات عن التلقيح أدى إلى ظهوره بين الفينة والأخرى، مثلا في ماي 1946 سجلت 07 حالات جديدة في منطقة بشار لوحدها، وقبلها في سنة 1941 سجلت حالات أخرى في مدينة بني ونيف[5].

---

[1] - Ahmed Nadjah, **Le Souf des oasis,** Edition la maison des libre, Alger, 1971, PP 102-103.

[2] - André Voisin, **Le Souf monographie,** Edition El Walid, El-oued, Alger, 2004, p 289.

[3] – عثمان زقب، المرجع السابق، ص 152.

[4] - Jacob Oleil, Op-Cit, p 59.

[5] – محمد برشان، المرجع السابق، ص 119.

8- الجذري (Variole):

وهو الأكثر انتشارا وتجذرا في المناطق الصحراوية وأكثر فتكا بالسكان، وقد ارتفعت عملية التلقيح ضده في مدينة بشار من 3403 نسمة سنة 1949 إلى 4500 نسمة سنة 1952 إضافة إلى أوبئة أخرى مثل التيفوئيد والتيفيس والذي تسبب في وفيات كثيرة في وادي سوف خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، لدرجة أن حفاري القبور في سوف ظلوا في عمل متواصل لضخامة تعداد الموتى بسبب المرض، حتى أن عائلات بأكملها فنت في وقت قصير وبيوت أغلقت لهلاك أفرادها[1].

ثانيا: أساليب الإدارة الاستعمارية في مكافحة الأوبئة والأمراض

حاولت الإدارة الفرنسية بالجنوب الاهتمام بالوضع الصحي للسكان من خلال دعم المؤسسات الصحية المتواجدة ورفع عدد الفحوصات لكنها ظلت محدودة من حيث العدد والتأطير والتجهيزات، ولم تكن تلبي حاجيات السكان باعتراف التقارير الفرنسية، ومن أساليب مكافحة الأمراض والأوبئة:

1- الرفع من قدرات الاستقبال والفحوصات للمؤسسات الصحية ومحاولة توسيعها في القرى من خلال فتح بيوت العينين والتي اهتمت بالتراكوم مع أنها لا تسمح سوى بتخفيف آثار المرض وليس القضاء عليه بالكامل[2].

2- تكثيف المعاينات الخارجية أو ما يعرف بالدورات الصحية في مختلف مدن وقرى الصحراء بمحلات التمريض وبيوت العينين.

3- المراقبة الطبية لأطفال المدارس إذ يعالجون بانتظام في مصحة الأهالي أما في المراكز الأخرى فيتحصلون فيها على عناية المعلمين وممرضي بيوت العينين وعلى التلقيح المضاد للفيروسات.

4- بناء محطات للتنقية من القمل خارج المدينة، وممارسة الحجر الصحي للمرضى إما في البيوت التي تشهد المرض بوضع حارس على البيت لمنع انتشار المرض في الحي والبلدة واستخدمت في فترة انتشار التيفيس أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكن عند توسع المرض تم تهيئة زرائب كملاجئ ومراكز حجر صحي في وادي سوف وغيرها لمرشات تستخدم لاغتسال المرضى وأجهزة لتطهير الملابس.

[1] - عثمان زقب، المرجع السابق، ص 153.

[2] - المرجع نفسه ، ص 153.

5- التلقيحات ضد الفيروسات المختلفة مثل الحصبة والجذري والتيفيس إضافة لمهام متنوعة كمراقبة الأمهات الرضع وكذا اللحوم، مع ذلك تظل هذه المجهودات المبذولة من ملحقات الصحراء غير كافية لتحسين الوضع الصحي ولا تستجيب لحاجيات سكان المنطقة مع نقص المؤسسات الصحية وتباعد المسافات بين قراها[1].

المبحث الرابع: وضعية التعليم في الجنوب الجزائري

بنت فرنسا سياستها التعليمية منذ البداية على القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومحو الشخصية الوطنية باعتبارها روح الأمة وعرقها النابض، وقد قامت بالعديد من الإجراءات والآليات لأجل قطع الجزائريين عن ثقافتهم الإسلامية من خلال سياسة خنق التعليم في الزوايا، بالإضافة إلى أن الكتابات الفرنسية والوطنية تفيد بأن الاستعمار مارس سياسة التجهيل ضد الأهالي (كان نصيب الجزائريين في مقاعد الدراسة يمثل واحد على خمسة عشر طفل أوروبي خارج مقاعد الدراسة)[2].

فشنت الإدارة الفرنسية حرب على الزوايا والمساجد والمدارس العربية، ومنذ الوهلة الأولى للاحتلال حاول الفرنسيون جر الجزائريين إلى إدخال أبنائهم في مدارس فرنسية في المدن وفي المرحلة الثانية أنشئوا ثلاث مدراس إقليمية لتمتص التلاميذ الذين كانوا من قبل يتوجهون إلى الزوايا الريفية وإلى المرابطين للتعلم أو يقصدون المساجد الإسلامية خارج الوطن، أما خلال المرحلة الثالثة فالفرنسيون قد أنشئوا المدرسة الابتدائية الفرنسية بجوار الزوايا وضيقوا على هذه الزوايا مجال النشاط وبهدف وضع الزوايا تحت أنظار الفرنسيين صدر مرسوم 18 أكتوبر 1892 فأدمج تعليم الزوايا في المدارس الابتدائية الفرنسية وأخضعها للمراقبة وتفتيش السلطات الأكاديمية المدنية والعسكرية[3].

---

[1] - عثمان زقب، المرجع السابق ، ص 154.

[2] - الهادي درواز، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954-1962** "سلسلة أوراق من الذاكرة"، دار هومة، الجزائر ، 2009، ص 27.

[3] - حدة بولافة، **واقع المجتمع المدني الجزائري إبان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ،تخصص السياسات العامة والحكومات المقارنة ،كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2010-2011، ص 35.

كتب ألكسي دي توكفيل (Alexis De Tocquville)[1] عام 1847 تقرير عن الجزائر فقال "... لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على مداخلها (أملاك الأوقاف)، وذلك بتحويلها إلى أشياء أخرى عكس الأشياء التي كانت قد خصصت لها، لقد أضعنا المراكز الخيرية، أهملنا المدارس شتتنا الزوايا، أطفئت الأنوار من حولنا، وقد انتهى انتقاء وتوظيف رجال الدين والقضاة، أي أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أكثر بؤساً وأكثر تشتتاً وأكثر جهلاً وهمجية، مما كان عليه من قبل أن يتعرف علينا ..."[2].

كان للزوايا والطرق الصوفية دور كبير في تعليم سكان الجنوب مثل الزاوية التجانية بتماسين، ولكن يجدر بنا التوضيح في هذه النقطة وهي أن الزاوية التجانية بتماسين قد مارست التعليم على خلاف التعليم بالطريقة التي سارت عليها الزوايا الأخرى، إذ أنها تبنت تعليما خاصا بأبناء الزاوية أنفسهم بدلا من التعليم الشعبي المفتوح، وبطبيعة الحال هذا لا يعني أنها لم تقدم شيئا للتعليم الجزائري، بل كان لها دور عظيم في بناء الثقافة الجزائرية والمحافظة على القيم الإسلامية والروح العربية وتوطيد الصلة الثقافة بين علماء تونس وأهل واحات تقرت.

بالإضافة إلى الزاوية الهاشمية القادرية بتقرت لمؤسسها مقدم الطريقة القادرية "**الشريف الهاشمي**"، والتي كانت مهتمة أيضا بالتعليم القرآني وكانت ترسل حفظة القرآن الكريم لإتمام تعليمهم بزاوية نفطة أو زاوية توزر والزاوية العابدية لمؤسسها "**سيدي العابد**"، وزاوية سيدي سالم بالوادي لمؤسسها "**سالم العايب**" مقدم الطريقة العزوزية، وقد كانت هذه الزوايا بمثابة الإشعاع العلمي الذي حافظ على اللغة العربية وآدابها، فبدأت بتعليم القرءان في المساجد والكتاتيب لأبناء البلدة شان أي مسجد أو كتاب قرآني(جمع كتاتيب) في أي قرية[3].

أما فيما يخص التعليم الفرنسي فيمكن القول أن الاستعمار الفرنسي لتقرت منذ البداية جاء لاستيعاب أكبر عدد ممكن من أبناء المنطقة وإعدادهم لوظائف يترفع عنها المعمر أكثر منها تثقيفا للأهالي من جهة، والتحكم في طبيعته ومستوياته لأنها تعتبر من أخطر التحديات من جهة أخرى وتشير

[1] – **ألكسي دي توكفيل**: ولد في فرنسا سنة 1805 من عائلة أرستقراطية بعد إنهائه دراسته الأولية انصرف إلى دراسة القانون عين قاضيا متدربا في محكمة فرساي، وفي عام 1827 عين وزيرا للخارجية وبقي في هذا المنصب عدة أشهر حتى أقال نابليون الوزارة، وضع ألكسي قبل وفاته عام 1859 كتابه الديمقراطية في أمريكا الذي يعتبر من أهم مؤلفات القرن التاسع عشر ينظر:
Toqueville Alexis, **œuvres complet**.T 2, Paris,1962, P.323

[2]- Charles Robert Ageron, **Histoire de l'Algérie Contemporaine,** Paris, P .U.F, 1974, p19.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 224.

المصادر الأجنبية أن أول مدرسة تم فتحها بمدينة تقرت،كانت خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر، وقد عين عليها (السيد جان لاقليز) وكان من بين معلميها عبد القادر بن الحاج سعيد[1].

أولا: المدارس التعليمية في الجنوب

1- التعليم العربي الإسلامي: يمثل هذا النمط من التعليم طرفين المدارس القرآنية ونشاط المثقفين المسلمين عبر المدارس والمساجد والزوايا.

2- التعليم القرآني:

كانت مسألة تعليم العربية وتحفيظ القرآن الكريم محل اهتمام الآباء في الصحراء، حتى أن المدارس القرآنية كانت تنتشر في كل مكان، وفي كل قرية أو حي نجد على الأقل مدرسة أو اثنين لتعليم القرآن، وكان حفظ الولد للقرآن يمثل شرفا لعائلته تتباهي به[2].

أما بالنسبة للوسائل المتوفرة في هذه المدارس أو المؤسسات التي تعلم القرآن بسيطة للغاية حيث يفترشون الأرض فوق الرمال والقليل من كان يمتلك حصائر مما يوحي ببساطة هذا التعليم وكان لمعلم القرآن هيبته لدى السكان، وعندما يتم الصبي حفظ القرآن يقام له احتفال فيشتروا له ملابس جديدة ويطاف به في البلدة لإشهاره بين الناس، غير أن الامتحان الحقيقي لحافظ القرآن وقيمة معلمه كانت تتضح من خلال صلاة التراويح بشهادة الناس على حفظه[3].

وحسب التقرير السنوي لملحقة الوادي لسنة 1938 كان يوجد بوادي سوف 84 مدرسة حرة لتعليم القرآن الكريم بها 1576 طفل، وكان مرخص لها بقرار من القائد العسكري يضاف لها 04 مدارس تابعة لزوايا من ضمنها اثنان لم تعد تشتغل منذ اعتقال شيخ الزاوية القادرية موجودتان في عميش والوادي، أما مدرسة الزاوية التجانية في قمار فكان بها 54 تلميذا ومدرسة زاوية سيدي سالم التابعة للطريقة الرحمانية وكان بها 60 تلميذا من بينهم 20 تلميذا من غير أهالي الملحقة، وما يلاحظ في تحفيظ القرآن غياب العنصر النسوي إلا نادرا، ويبرر ذلك بأسباب دينية وهو منع خروج المرأة إلا للضرورة[4].

[1] - رضوان شافو، المرجع السابق، ص 150.

[2] - Ahmed Nadjah, Op-Cit, p 108.

[3] - عثمان زقب، المرجع السابق، ص 170.

[4] - المرجع نفسه، ص 170.

مثلما كانت هناك مدارس في شمال الجزائر، كان أيضا مدارس في أراضي الجنوب ابتدائية خاصة بأطفال الأوربيين وأخرى خاصة بأطفال الأهالي.

3- تعليم الأوربيين:

بحلول 01 جانفي 1903 كانت هناك 06 مدارس ابتدائية خاصة بالأطفال الأوربيين موزعة كالتالي:

أ- مدرسة ذكور في عين الصفراء فيها قسم واحد.

ب- أربع مدارس للبنات في عين الصفراء (قسم واحد)، وفي جيريفيل قسم واحد والجلفة قسمين والأغواط قسمين.

ج- مدرسة إرسالية مختلطة في مشرية (قسم واحد).

د- مدرسة خاصة بالبنات في الأغواط تحوي قسما واحدا، وخلال سنة 1903 حدثت تطورات حيث زاد عدد البنات في مدرسة عين الصفراء وأصبحت تحوي قسمين، أما المدرسة المختلطة بمشرية استبدلت بمدرستين خاصتين واحدة للذكور وأخرى للبنات وتحوي كل مدرسة قسما واحدا[1].

أنشأت مدرسة للبنات في سنة 1904 تحوي قسما واحدا في بني ونيف، وفي سنة 1905 أضيف قسمين إلى مدرسة الذكور بعين الصفراء، وفي سنة 1906 فتحت مدرسة مختلطة في كولومب بشار، وفي سنة 1907 أضيف قسمين إلى مدرسة البنات في جيريفيل، وفي سنة 1908 أضيف قسمين للطفولة في مدرسة البنات بمشرية، لكن تم إلغاء القسمين الذين فتحا منذ 04 سنوات، أما في سنة 1909 تم فتح مدرسة مختلطة في بوكتوب (جيريفيل) وفي سنة 1911 ألغيت المدرسة المختلطة التي فتحت سنة 1906 في كولومب بشار واستبدلت بمدرسة للذكور وأخرى للبنات كل مدرسة تحوي قسما واحدا[2].

كان هناك في المناطق الجنوبية الغربية في 01 جانفي 1903 حوالي ستة مدارس تتشكل من ثمانية أقسام، لتصبح في سنة 1928 حوالي اثنا عشرة مدرسة فيها اثنان وعشرين قسم، وهو تطور جد ضئيل مما أثر على قلة تطور عدد الأوربيين في هذه المناطق، والملاحظ جليا هو تفوق عدد البنات على عدد الذكور تقريبا بنسبة مضاعفة وحسب إحصائيات السكان فإنها تثبت فعلا تفوق عدد الإناث على عدد

[1] - M. Duclos, Op-Cit,p 403.
[2]- Ibid,p 404.

الذكور خاصة بين سنتي 1916 و1922، أما الأهالي فقد ازداد عددهم بنسبة معتبرة في المدارس الأوربية[1].

4- التعليم الخاص بالأهالي:

لم يحرم الأهالي من التعليم في عهد الاستعمار بل كان لهم نصيب حيث أنه في 01 أكتوبر 1928 كانت هناك 47 مدرسة ابتدائية عامة خاصة بالأهالي ومدرسة إرسالية خاصة في غرداية.

بالنسبة للمدارس العامة توجد بها ثمانية أقسام في غرداية وسبعة أقسام في جيريفيل ومن اثنان إلى ستة أقسام في الأغواط وتقرت، وخمسة أقسام في الجلفة، واثنان إلى أربعة أقسام في الوادي ومن اثنان إلى ثلاث أقسام في أولاد جلال ومشرية، ومن اثنان إلى سبعة أقسام في بريان، جامعة، مسعد، عين ماضي، ورقلة، تميمون وسيدي عقبة، أما المناطق الأخرى لا توجد معطيات عنها، والإجمالي خمسة وتسعون قسم من بينها خمسة أقسام للبنات[2] .

والجدول التالي يمثل توزيع المدارس في المقاطعات المستقلة في أكتوبر 1928:

المقاطعات	المدارس			الأقسام		
	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
عين الصفراء	11	//	11	22	01	23
غرداية	19	02	21	33	03	36
تقرت	11	//	11	26	//	26
الواحات	03	01	04	04	01	05
المجموع	**44**	**03**	**47**	**88**	**05**	**90**

كما كان عدد الأوربيين المتمدرسين أكثر بكثير من عدد الأهالي رغم أن الأهالي هم السكان الأصليين، كما كان لليهود أيضا نصيب يفوق بكثير ما تحصل عليه الأهالي، والجدول الآتي يوضح عدد المتمدرسين ما بين سنة 1923 و1928[3]:

[1]- M. Duclos, Op-Cit, Op-Cit,p 407.
[2]- Ibid, p 409.
[3]- Ibid,p 410.

السنوات	الفرنسيين	اليهود	الأهالي	الأجانب	المجموع
1924/1923	195	284	183	58	720
1925/1924	145	310	206	68	729
1926/1925	197	296	138	35	666
1927/1926	180	288	158	66	692
1928/1927	185	316	175	66	742

ومنه فإن أراضي الجنوب كانت تحوي على مدرسة خاصة بالأوربيين فقط، ومدرسة إرسالية واحدة أيضا بقسم واحد في الأغواط، وحسب إحصائيات 05 نوفمبر 1928 كان في القسم 14 تلميذ منهم 06 فرنسيين 03 يهود و05 أهالي مسلمين، وابتداء من سنة 1902 أصبح عدد التلاميذ في تطور مستمر، حيث تراوح عدد المسجلين للتمدرس في ذلك العام 1578 تلميذ في المدارس العامة وفي سنة 1927 كان عددهم 3021 تلميذ ليصل عددهم إلى 3840 سنة 1927، فمعدل الزيادة السنوية طوال 25 سنة كان بمقدار90 تلميذ.

أما عن مناصب العمل في هذا القطاع فقد تضمن 58 منصبا للفرنسيين والفرنسيات و22 منصب للأهالي و03 مناصب للمستشارين ومنصبين للتعليم الابتدائي سنة 1928، كان المعلمون الفرنسيون الذين يدرسون في مدارس أراضي الجنوب جد أكفاء، جاءوا إلى الجزائر لبناء مستقبلهم والعمل في أي مجال، حيث أرسلوا من الشمال إلى الجنوب من أجل التعليم المهم أن لديهم إيمان بأن الجزائر فرنسية وأن يحسنوا المعاملة مع التلاميذ.

أما بالنسبة للمعلمين الأهالي بعضهم كان من سكان النواحي المجاورة مثل سكان التل خاصة منطقة القبائل، والبرامج الدراسية نفسها التي كانت في مدارس الشمال، وأهم ما تعلمه التلاميذ في المدارس النطق الصحيح للغة الفرنسية، ورغم قصر السنة الدراسية فإن النتائج المتحصل عليها كانت تقريبا نفسها في الشمال[1].

كما حصرت فرنسا تعليم الأهالي على مختلف الحرف والأعمال الفلاحية فقط، من زراعة الكروم والأشجار المثمرة، أما بالنسبة للبنات فاقتصر تعليمهن في مجال الصحة والتنظيف بصفة عامة فإن التعليم

[1] - M. Duclos, Op-Cit, p 412-413.

كان في أراضي الجنوب عرف تطورا وكان له إيجابيات خاصة على الأهالي رغم اقتصاره على مجالات معينة، وتم تعليم 5/1 من عدد التلاميذ في حين أن التعليم كان منعدما سابقا في هذه الأراضي[1].

المبحث الخامس: نتائج السياسة الاجتماعية الفرنسية في المناطق الجنوبية

كنتيجة للأوضاع الاقتصادية المزرية التي يعيشها سكان الجنوب انعكاس سلبي على الحياة الاجتماعية والتي نتج عنها:

1- تفكك النظام الاجتماعي بسبب القوانين التي كانت تصدرها فرنسا من حين إلى آخر دون أن تقوم بأدنى جهد لإعادة هذا التنظيم عن طريق المشروعات المخططة الهادفة في ميادين التعليم والصحة والاقتصاد، فعملت فرنسا على إنشاء ما يسمى (Société de Prévoyance) التي كانت تهدف إلى إيجاد حلول ومعايير وطرق لتطوير المنطقة والسكان، فكانوا يزيدون في عدد المدارس لكن الإمكانيات لم تكن كافية، وهدف الفرنسيين منها هو جعل التلاميذ معتادين على نظمهم وعاداتهم الاجتماعية وتعليمهم اللغة الفرنسية[2].

كما أن تركيبة المجتمع الجنوبي المتماسكة لم تكن في صالح عملية التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ساهمت إلى حد بعيد في تأخير هذه العملية عشرات السنين والدليل على ذلك هو عدم تمكن القوات الفرنسية من فرض سيطرتها المطلقة على الصحراء الجزائرية ونظرا لهذا التماسك والتضامن اتبعت عدة أساليب لتوسعها[3].

وفي 16 جوان 1851م صدر قانون يؤكد أن الملكية حق مصون للجميع بدون تمييز بين الملاك من الأهالي والملاك الفرنسيين وغيرهم، وينص كذلك على أن حقوق الملكية وحقوق التمتع العائدة للأفراد والعشائر وبطون العشائر معترف بها قطعا على ما هي عليه أثناء حرب الاحتلال أو بعد انتهائها، إلا أنه بعد مرور سنوات على صدور هذا القانون أتخذ قرار تعسفي سنة 1863 يقضي بحصر الأراضي وتحديدها، بهدف خدمة المصالح الاستعمارية وتسهيل عملية بسط النفوذ[4]، وهو السيناتوس كونسيلت أو ما يعرف بالقرار المشيخي صدر عن مجلس الشيوخ الفرنسي يعترف بالملكية الجماعية (القبيلة)

[1]- M. Duclos, Op-Cit, p 413-416.

[2] – مُحَمَّد السويدي، المرجع السابق، ص 142.

[3] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ص 346.

[4] – مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ص41.

للجزائريين، وترتب عليه تقسيم الأراضي على أفراد القبيلة تسهيلا لشرعية شرائها من قبل الفرنسيين، وإخراجها من أيدي أصحابها بطريقة قانونية ويتألف هذا القانون من سبع فقرات[1].

2- تفتيت المجتمع الجزائري إلى ثلاثة أقسام، قسم أعلن صراحة عن موالاته للفرنسيين وقسم أعلن مقاومته لها، وقسم هو قليل جدا ركن إلى الحياد، وقد ساهم القسم الأول بطريقة غير مباشرة في ترسيخ الوجود الفرنسي بالتراب الجزائري، لكن للأسف الشديد بعد أن تمكنت فرنسا من فرض وجودها تخلت عن هذه الفئة[2].

3- إثارة النزاع والشقاق بين الأسر الكبيرة كذلك النزاع الذي كان قائما بين عائلة بوعكاز وبن قانة في منطقة بسكرة والأوراس، وما حدث في جنوب وهران عند عائلة أولاد سيدي الشيخ، فإن هذا النزاع ساهم بشكل مباشر في تمزيق روابط هذه الأسرة والتمكين للاستعمار الفرنسي بالجنوب الجزائري، وليت البعض من هذه العائلات توقفت عند هذا الحد بل نجد بعضها الآخر عارض أصلا فكرة الجهاد في سبيل تحرير البلاد[3].

4- النفي والإبعاد الذي استهدف الكثير من زعماء المقاومة في الجنوب الجزائري وهذه النتيجة الحتمية في نظر الفرنسيين تأتي عقب كل ثورة أو انتفاضة شعبية، والغاية منها الزجر والردع لاحتواء حركة المقاومة، وهو ما حدث في واحة الزعاطشة سنة 1849، وها هو العقيد "بان" يكرر نفس المشهد في مدينة الأغواط سنة 1852 ويقول: "لقد كانت مذبحة شنيعة حقا كانت المساكن والخيام التي ساحة المدينة والشوارع والأزقة والميادين كانت كلها تغص بالجثث إن الإحصائيات التي أقيمت بعد الاستيلاء على المدينة وحسب المعلومات المستقاة من مصادر موثوقة أكدت عدد القتلى من النساء والأطفال والذي بلغ 2300 قتيل، أما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر بسبب بسيط هو أن جنودنا كانوا يهاجمون المنازل ويقتلون كل من وجدوه بلا شفقة ولا رحمة"[4].

5- مصادرة الممتلكات والأراضي ما أدى إلى تدهور أوضاع السكان المعيشية وإصابتهم بالفقر والمجاعة والأمراض الفتاكة، كما تناقص عدد السكان مثل ما حدث لسكان واحات قورارة وتوات

[1] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، ص 34-41.

[2] - المرجع نفسه، ص 346.

[3] - عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص 146.

[4] - أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص 406.

وتيديكلت الذين كانوا حوالي 400 ألف نسمة في منتصف الثمانينات ليصبح 60 ألف نسمة سنة 1906[1]، وكذا سكان الساورة الذي كان حوالي 8700 نسمة سنة 1906 ليصبح حوالي 4000 نسمة سنة 1921[2]، كما يرجع تناقص عدد السكان في أقاليم الجنوب إلى المشاركة في الحرب العالمية الأولى بعد صدور قانون التجنيد الإجباري في 05 مارس 1912 حيث طبق القرار على أهالي أراضي الجنوب.

6- تشتيت السكان وتوزيع العشائر وتحطيم البنى القبلية، وتثبيت قيادات محلية أو من المتعاونين لمحاصرة حركات التمرد والإبلاغ عنها، ومنع حركة الهجرات الموسمية للزوايا المركزية للطريقتين القادرية والرحمانية.

7- زرع الفتنة بين السكان المحليين بين القبائل البدوية وبين المذاهب الدينية وبين سكان القصر، فعمت حالة من العداء والفرقة والانفصام والانفصال داخل المجتمع السكاني الورقلي.

8- تسليط قيادات جديدة من المتعاونين مع الإدارة الفرنسية على رقاب الناس، وجعل هذه القيادات سيفا لقهر السكان والتعاون مع السلطة الاستعمارية لكسب مصالح سياسية وشخصية[3]

9- تدهور الحالة الصحية والغذائية للسكان بسبب الفقر والمجاعة مثل: مجاعة 1868-1870 وتدني نسب التعليم وشيوع الجهل والأمية والانحرافات والتعصب القبلي الجاهلي.

10- بدايات الحركة التبشيرية في المنطقة التي قادها الأب ريشارد Richard عام 1873 والذي قدم من بسكرة وأقام في ناحية بني وقين في منطقة باب الربيع[4] .

[1] - جمال قنان، المرجع السابق، ص 150.

[2] - أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص 406.

[3] - يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني مزاب "دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية"**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص ص 162-163.

[4] - أعزام، المصدر السابق ، ص191 .

مما تقدم يمكن القول:

إن فرنسا لم تكن صاحبة الفضل الكبير في تنظيم الشؤون العامة في الجنوب الجزائري، حيث كانت معظم مناطقه تتوفر بها جماعة محلية أو مجلس من الأعيان يدير شؤونها المختلفة تواجه معه الفرنسيون عند دخولهم للصحراء فسوف مثلا قبل إعادة تنظيمه من السلطات الاستعمارية كان فيه نمط واحد وهو القيادة المزدوجة فنجد في الوادي وكوينين وتاغزوت وقمار كبيران أو زعيمان غير رسميان. وبعد التوغل الفرنسي في الصحراء اضطر سكان هذه المناطق إلى الهروب والتخلي عن أراضيهم التي كانوا متمسكين بها ومتحدين كل الظروف الطبيعية القاسية، ووجدوا أنفسهم مخيرين بين الاستسلام والرضوخ أو الاعتراف بفرنسا.

خـــاتـمـة

توصلنا في ختام هذه الدراسة الموسومة بـ **السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م**، إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات، يمكن أن نوجزها فيما يأتي:

– استطاعت الرحلات والبعثات الاستكشافية الفرنسية جمع كم هائل من المعلومات حول الجوانب الإنسانية والعلمية عن الصحراء الجزائرية، غير أن تلك النتائج والمعلومات لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما كانت الغاية منها تنفيذ مشاريع اقتصادية وأخرى استعمارية وأن أغلب تلك الأبحاث والدراسات بقيت حبيسة الكتب والمجلات والأرشيف.

– أما عن أبرز النتائج التي حققتها هذه الرحلات والبعثات الاستكشافية المختلفة، هو تمكين فرنسا من التوغل في الجنوب الجزائري الأمر الذي يسر لها بعث الحملات الواحدة تلو الأخرى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ومكنها في الأخير من احتلال الصحراء الجزائرية في مطلع القرن العشرين الميلادي.

– شملت تقارير الرحالة والمستكشفين مختلف الجوانب الحضارية، وما لفت انتباهنا ونحن بصدد إنجاز هذا البحث أن هاته المصادر الأجنبية التي اخترناها للدراسة تعتمد على أفكار وكتابات الرحالة العرب نذكر منهم (الإدريسي والوزان والعياشي، والبكري، وابن خلدون، وابن بطوطة والتمقروتي، والحاج ابن الدين الأغواطي) ويشيرون إلى ذلك في كتاباتهم لمعرفة مختلف الجوانب الحضارية للمناطق المكتشفة، ومع ذلك فهناك دعوة صريحة لعدم الاعتماد عليها وعدم الثقة فيها أضيف إلى ذلك نظرة الاستعلاء والسخرية من السكان، ومع ذلك فمعظم هؤلاء الرحالة استعانوا بالأهالي لإتمام مهامهم أو رحلاتهم، ومنهم من أسمى نفسه بأسماء عربية والبعض من تنكر بالزي العربي.

– سهلت المصادر العربية على الرحالة والمستكشفين الأجانب عناء البحث والاستكشاف وأصبحت كتاباتهم مكملا للمصادر المحلية، فتناولت أحداث داخلية ونشاطات اقتصادية وعلاقات اجتماعية، ونجد أنفسنا أمام حتمية الاعتماد على هاته المصادر الأوروبية، نظرا لدقتها في تناول مختلف الجوانب الحضارية، وعلى هذا الأساس تم دراسة البيئة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن التاسع عشر،

لعدد لا بأس به من الرحالة، نظرا لتوفرهم وراعينا في ذلك الأهم منهم، في الاعتماد على الحقائق التاريخية والقدرة على تغطية مجمل الأحداث التي من شأنها أن تنقل لنا صورة حية عن الواقع في تلك الحقبة التاريخية.

– هناك بعض المشاريع أقيمت لأجلها الدراسات وسخرت لها البعثات والقوافل، إلا أنه لم يتم إنجازها مثل البحر الداخلي، ومشاريع أخرى أنجز جزء منها فقط، مثل مشروع السكة الحديدية، وحتى محاولات الظفر بالتجارة الصحراوية لم تنجح رغم الاتفاقيات التي أبرمت من أجل ذلك مع زعماء التوارق ومحاولة تأمين طرق القوافل.

– من الانعكاسات السيئة لتلك الاستكشافات هو تعرض الصحراء الجزائرية لحملات التنصير وإنشاء المدارس الحرة ومراكز جمعية الآباء البيض في العديد من مناطق الجنوب خلال القرن 19م لتضليل سكان الصحراء وتمسيحهم مستغلين في ذلك ظروفهم المادية السيئة.

ومن هنا يمكن القول بأن الاستكشافات الأوربية للصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر الميلادي لم تكن بريئة، وأنه ما كانت فرنسا قادرة على احتلال الجنوب الجزائري بذلك القدر المحدود من الجهد والوقت لو لم تشهد تلك الاستكشافات بهذا الحجم الكبير.

– محاولة مد النشاط التنصيري إلى الصحراء الجزائرية لأجل السيطرة على القبائل المسلمة المتواجدة في تلك النواحي والعمل بشكل متواصل لجلب أكبر عدد منهم، وعلى رأس المبشرين هناك المبشر "شارل دوفوكو" الذي تقمص شخصية يهودية، حيث تدرب على طريقة لبس وكلام اليهود ووصل إلى الجزائر كمبشر ديني في 1901م، وتعلم اللغة التارقية وأقام بمنطقة الهقار وحاول استمالة الناس، وكان أخطر مبشر في الصحراء، بالإضافة إلى عمله كجاسوس فرنسيّ، إن الحركة التنصيرية عامة فشلت أمام صمود الجزائريين وتمسكهم بالدين الإسلامي، وتجلىّ الرفض في محاربة كل أشكال الفرنسة والتجنيس والاندماج، ومهما يكن فإن ردة الفعل الجزائرية كانت قوية وأحيانا عنيفة لأنها عبرت بصدق وعفوية عن انتمائها الروحي وتمسكها بأصالة هذا الانتماء المنبعث من عمق الإسلام والحضارة العربية.

– تبين من خلال الدراسة، بأن شارل دوفوكو لم يبلغ شأن لافيجري في المنصب الديني الرسمي ولكنه بلغ درجته في الشهرة والخدمات التي أداها للكنيسة من جهة، والإدارة الاستعمارية من جهة أخرى، وحياة دوفوكو صورة للمغامر الرومانتيكي والجاسوس المخلص والفرنسي المضحي بالغالي والرخيس في سبيل بلاده، عاش حياة شبيهة في جزء منها بحياة لافيجري، سيما ما يتصل بالإخلاص للكنيسة وعلاقته بالشرق وبالإسلام، ولكنه كان يختلف عنه في المغامرة وتعلم اللغات والتنقل هنا وهناك والجمع بين الخدمة العسكرية والدينية، أما هدفها فيكاد يكون واحدا، وهو خدمة المسيحية ونشر التأثير الفرنسي في منطقة المغرب العربي وإفريقيا الغربية.

– تبين لنا من خلال الدراسة، بأن أحداث المقاومات الشعبية لم تكن انتفاضات عشوائية منطلقها الدفاع عن القبيلة أو المصالح الشخصية، أو دوافع اقتصادية بسبب الجوع والفقر كما يدعي الكتاب الفرنسيون، بل كانت مقاومة نابعة من وعي الأهالي والسكان بأصالتهم ورفضهم للاستعمار الفرنسي، ليتصدوا للهجمات الفرنسية الشرسة وأعوانهم الخونة الذين حاولوا السيطرة على الجزائر وخيراتها، كما نسجل التفاف الأهالي حول القيادات والزعامات التي حملت لواء الجهاد وعبرت عن رفضها المطلق للوجود الفرنسي بكل الأشكال، وعبرت عن رفضها لوجود قوة كافرة انتهكت الدين والعرض باسم نشر الحضارة والثقافة.

– تأكد من خلال الدراسة، بأن سياسة فرنسا التعسفية في المجال الاقتصادي، لم تترك أي مورد للرزق لأهالي الصحراء فاستولت على الأراضي الفلاحية مع السماح للمعمر بإقامة مؤسسات احتكارية والسيطرة على طرق المواصلات، كما وضعت السلطة الاستعمارية شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبريّة، وأسلاك الهاتف من أجل تنقل القوات العسكرية والمغامرين في ظروف آمنة بين أرجاء الصحراء المترامية، وعليه قاموا بدراسة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية، والمناخية لرصد المناطق الأكثر صلاحية لمد هذه الخطوط الحديدية، وشق الطرق البرية، مع تقديم دراسة حول محاسن وصعوبات عمليات الإنجاز، وإيجاد الحلول والاقتراحات، فكان للمستكشفين والدارسين المتخصّصين والمغامرين محاولات استغلوا من خلالها طرق القوافل الصحراوية للاستفادة منها في الغزو الاستعماري، كما فتحوا الطريق للتجارة

الفرنسية لاختراق قلب القارة، وهذا بالاستفادة أيضا من كتب الرحالين وكبار المؤرخين العرب، واستطاعوا أن يتعرفوا على شبكة الطرق الصحراوية فوضعوا لها رسوما وخرائط عديدة ومتنوعة.

– تبيّن لنا من خلال الدراسة، بأن السياسة الاجتماعية التي طبقها الاستعمار في الجنوب الجزائري لم تؤد إلى تحطيم سلطة القبيلة ككيان بقدر ما أدت إلى تعطيل فرض وصايتها على المجتمع، ومن ثم فقدت معها العائلات الكبرى التي كانت تمثل الرمز الروحي والمادي للمجتمع مراكزها الاجتماعية والدينية، خاصة تلك التي رفضت الإغراءات والمناصب الجديدة التي أقرتها السلطات الاستعمارية على رؤساء القبائل في إطار خلق جو من التعاون والتعايش، ومحاولة إفراغ مهامها من محتواها الحقيقي وتحوير أدوارهم ووظائفهم وجعلها في خدمة الاستعمار وسياسته. وعليه نخلص أن الاستعمار لم يهدف إلى إضعاف البنية القبلية في الصحراء بل على العكس من ذلك، فإنه عمل على تقويتها لاعتبارات إدارية وسياسية واقتصادية.

– كانت إستراتيجية الإدارة الفرنسية التوسع نحو الجنوب، اعتمادها على نظام عسكري طبقته في الشمال، ثم قامت بعد دخولها الجنوب بتعميمه، لأنها كانت تراه أنجع النظم للتوسع؛ باعتباره يعتمد على العسكريين وقادة الجيش في الحكم، مما سيمكنها من الاستيلاء على أكبر المناطق الصحراوية من أجل التوغل والتسيير الحسن لأراضي هذه الأقاليم، فالإدارة الفرنسية في الجنوب لا تختلف كثيرا عن الإدارة الفرنسية في الشمال، فإن اختلفت في الوسائل فهدفها واحد وهو التكريس للوجود الفرنسي في الجزائر والعمل على غرس جذوره، كما أنها اعتمدت على وسائل أكثر بطشا وطغيان على الجنوب.

آخراً وليس أخيرا، نأمل أن يكون هذا العمل المتواضع قد حقق بعض أهداف الدراسة، وأن يكون سلط الضوء ولو بالقدر القليل على التاريخ المحلي للجنوب الجزائري، خاصة فيما يتعلق بفترة الاحتلال الفرنسي وما رافقها من ردود فعل ومقاومة من سكان تلك المناطق، كتعبير عن رفضهم للاحتلال الفرنسي أسوة بباقي سكان المناطق الأخرى من الجزائر، الذين رفعوا راية الجهاد ضد الاستعمار الغاشم وأذنابه، ولا نزعم أننا قد آلمينا بكل جوانب الموضوع بل يبقى المجال مفتوح أمام الباحثين للمزيد من الدراسات والأبحاث.

الـــمـلاحـق

ملحق الخرائط

الخريطة رقم 01: توضح منافذ توغل الاستعمار الفرنسي في الصحراء خلال القرن 19م[1]

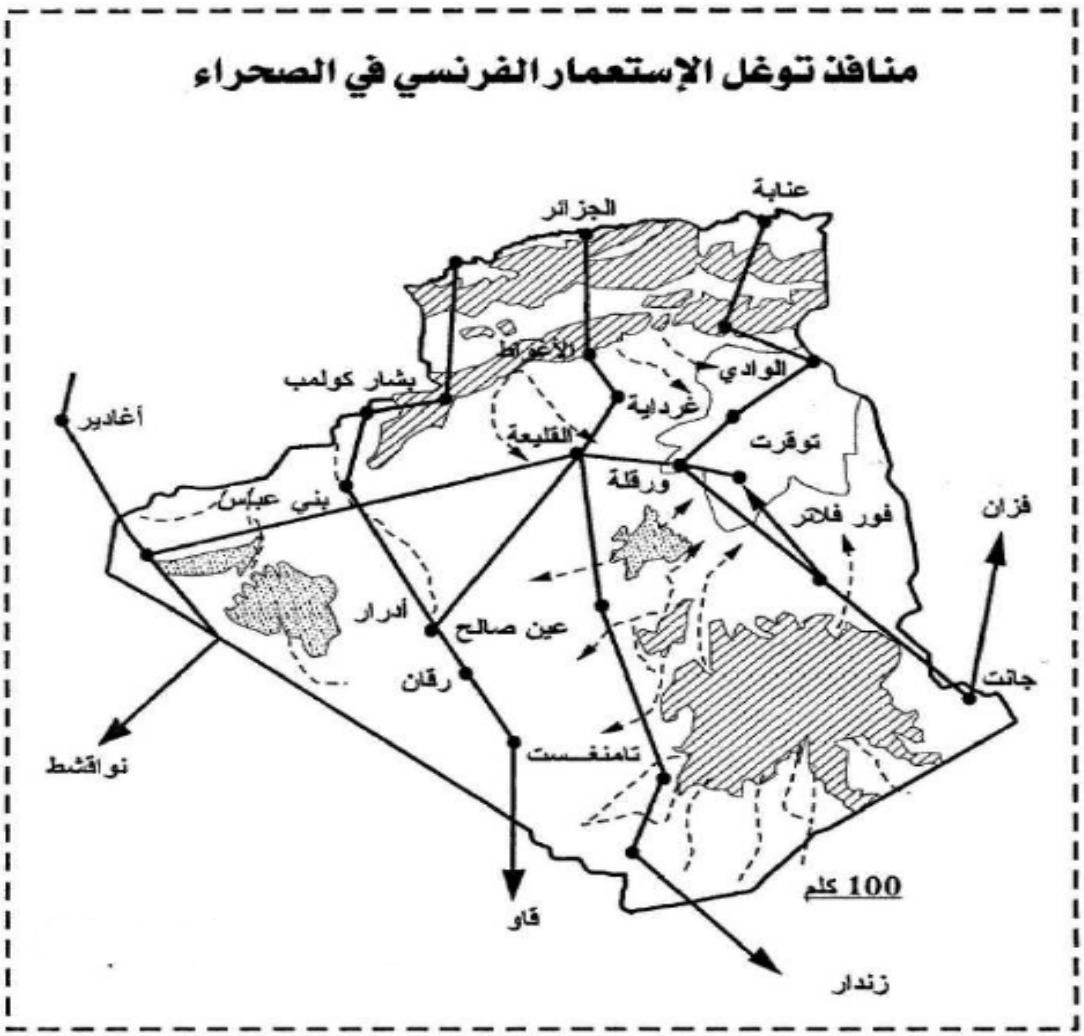

[1] – احميدة عميراوي، السياسة الاستعمارية الفرنسية ...، ص 156.

الخريطة رقم 02: تمثل امتداد السكة الحديدية نحو الصحراء خلال القرن 19م[1]

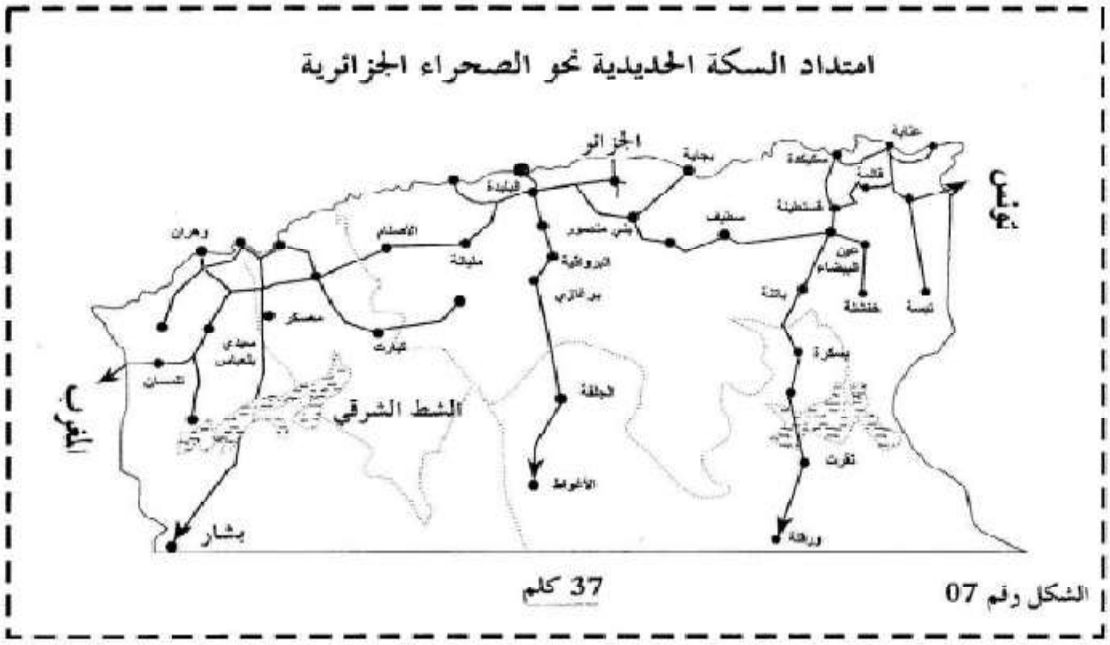

الخريطة رقم 03: توضح توزيع أهم المقاومات الشعبية في الجزائر خلال القرن 19م

[1] – احميدة عميراوي، السياسة الاستعمارية الفرنسية ...، ص 157.

الخريطة رقم 04: توضح أهم الرحلات الاستكشافية التي قام بها دوفيرييه في الجنوب الجزائري[1]

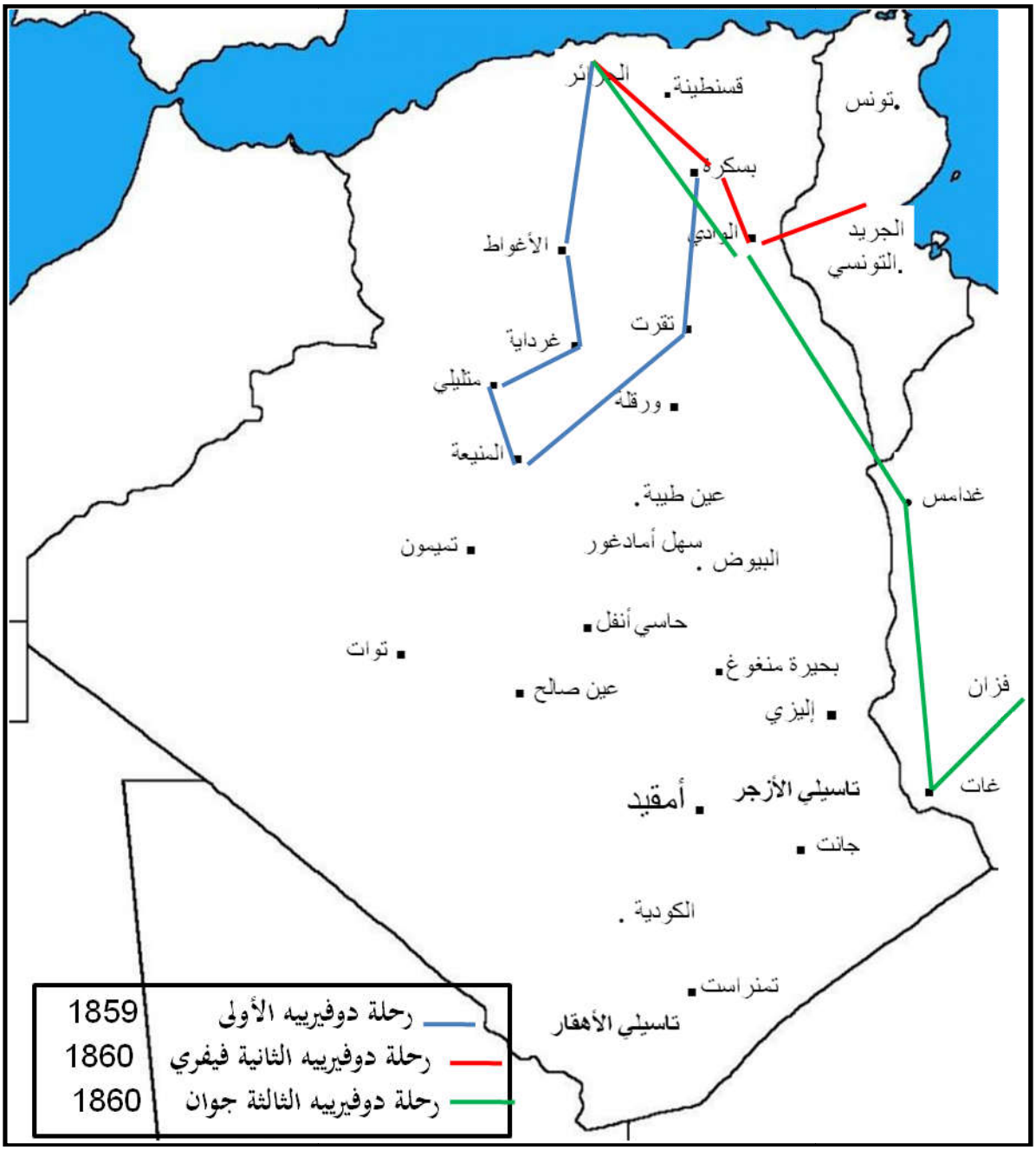

[1] – من إنجاز الطالب، وبالاعتماد على الكتب التي تناولت الطريق الذي سلكه الرحالة.

الخريطة رقم 05: توضح أهم الرحلات الاستكشافية التي قام بول صولييه في الجنوب الجزائري[1]

[1] – من إنجاز الطالب، وبالاعتماد على الكتب التي تناولت الطريق الذي سلكه الرحالة.

الخريطة رقم 06: توضح أهم الرحلات الاستكشافية التي قام بها فلاترز في الجنوب الجزائري[1]

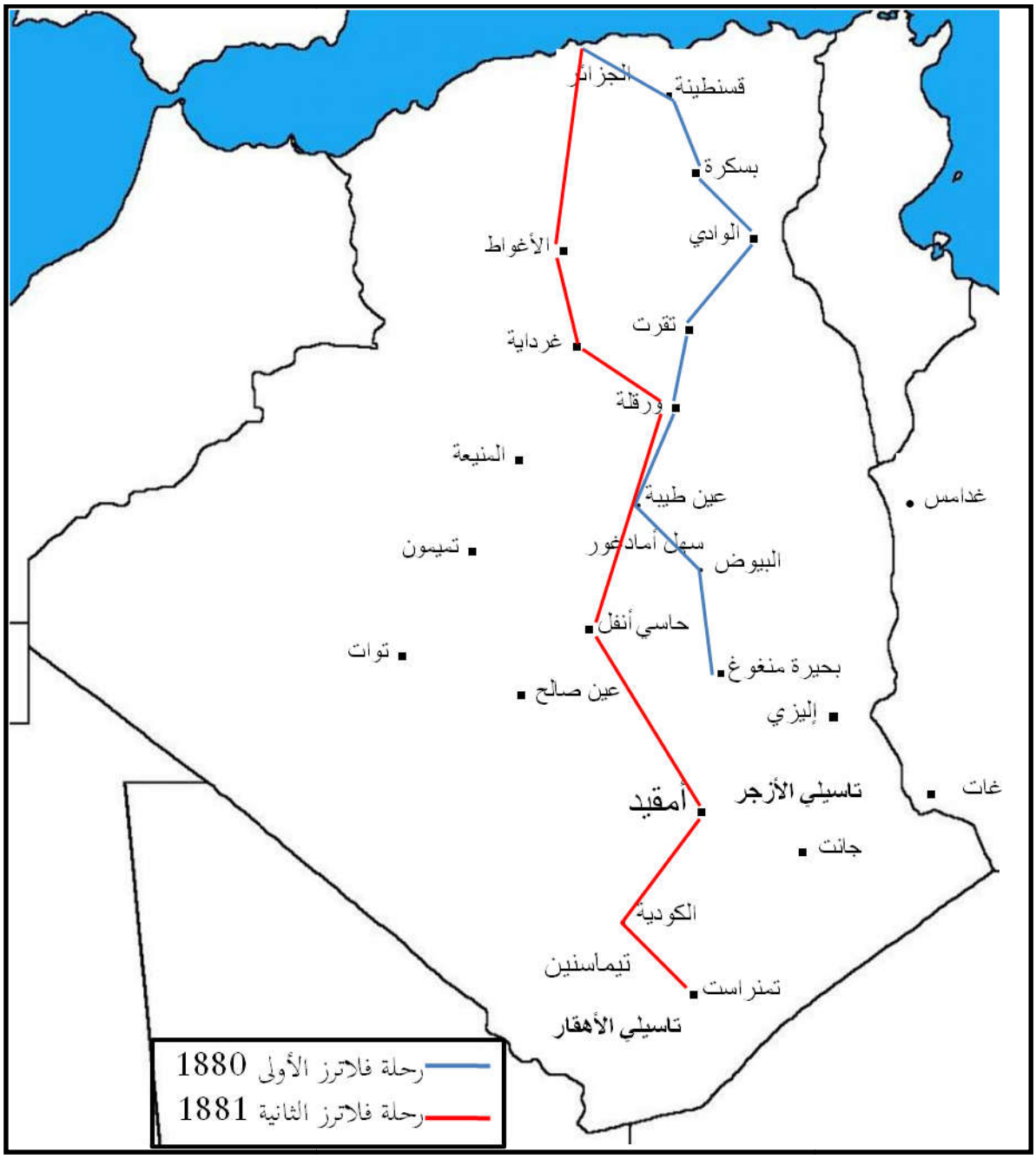

[1] – من إنجاز الطالب، وبالاعتماد على الكتب التي تناولت الطريق الذي سلكه الرحالة.

الخريطة رقم 07: تمثل طرق أهم المستكشفين الأوربيين للجنوب الجزائري خلال النصف الثاني من القرن 19م[1].

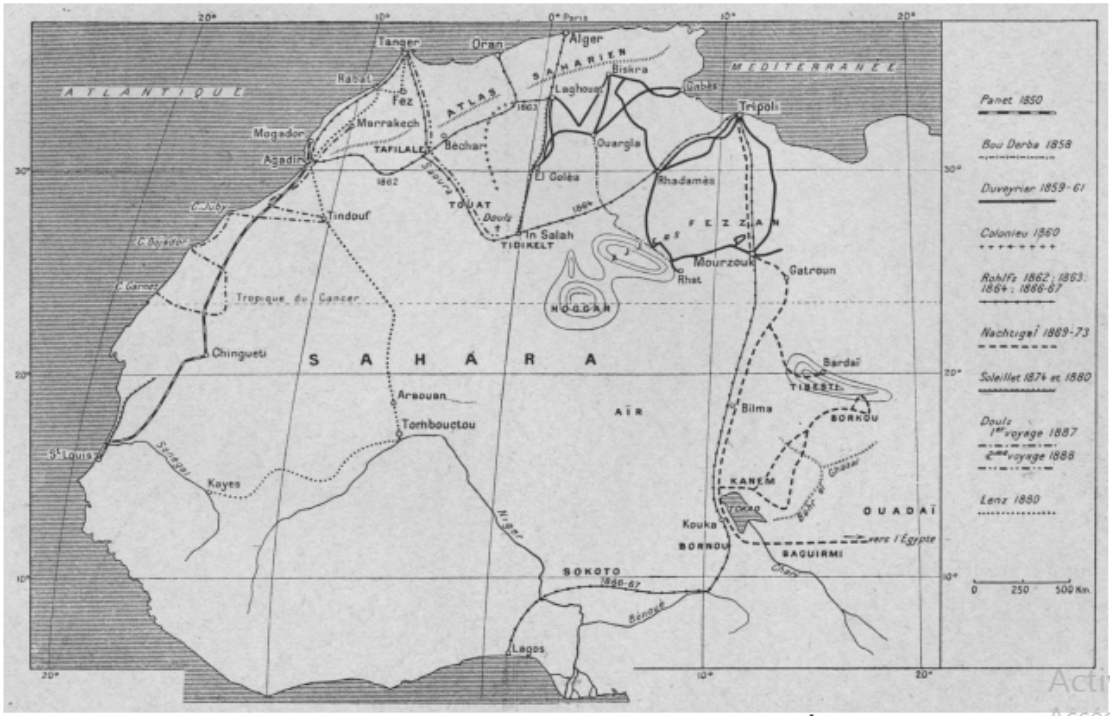

[1] - F. Demoulin , **L'exploration du Sahara**, Annales de Géographie, 40e Année, No. 226 (15 Juillet 1931), p 347.,

ملحق الجداول

الجدول رقم 01: يوضِّح أهم حكام أسرة آل بابية بنقوسة خلال الاستعمار الفرنسي[1]:

سنة تولي الحكم	الملك وأهم الأحداث التاريخية
1818	حكم الشيخ الغالي لمدة 24 سنة استأنف القتال ضد مشيخة ورقلة، حيث يلجأ أحياناً إلى قطع نخيلها ويلجأ في بعض الأوقات إلى الاستيلاء على القوافل التجارية التي تتجه صوب بلاد ميزاب.
1842	حكم الحاج أحمد لمدة 15 سنة ودخل في صراع مع مشيخة ورقلة بسبب الاستيلاء على قافلة قادمة من تونس، وذهب إلى عاصمة الجزائر حيث خضع إلى الحكم الفرنسي ونصبته الإدارة الفرنسية خليفة على ورقلة ودعمته بالأسلحة وكلفته بجمع الضرائب، مما أدى إلى إثارة عروش ورقلة فاستنجد بالإدارة الفرنسية.
1847	قام الابن البكر للحاج أحمد المدعو أحمد الحاج بالتعاون مع الثوار وألاد يوسف بطرد والده من الحكم، وفي نفس السنة يقتل أحمد الحاج ويستعيد أبوه الحكم بمساندة أولاده أبي حفص والطيب مدعومين بالرحبات والشعانبة.
20 نوفمبر 1849	نصب الفرنسيون الحاج أحمد بن بابية خليفة على نقوسة وورقلة.
19 جانفي 1851	توفي الحاج أحمد بن بابية وعين ابنه أبي حفص خلفاً له.
19 فيفري 1851	نصبت السلطات الفرنسية بصفة رسمية الحاج أبي حفص حاكما على نقوسة وورقلة رغم عدم تمكنه من السيطرة عليها، وذلك بعد قيام ثورة الشريف مُحَّد بن عبد الله.
1854	الحاج أبو حفص يستعيد حكمه بمساعدة الفرنسيين.
جويلية 1863	استولى السايح بن بابية على الحكم وفي عهده سيطرت السلطات الفرنسية على نقوسة.
1909	توفي الشيخ السايح آخر مشايخ بني بابية بنقوسة.

[1] – الأزهاري عباز، المرجع السابق، ص ص 48-49.

الجدول رقم 02: يوضِّح تواريخ احتلال بعض المدن والواحات الصحراوية[1]

المدينة (الواحة)	تاريخ احتلالها	ملاحظات
بسكرة	1844	//
واحة الزعاطشة	1849	تم تدميرها عن آخرها
بوسعادة	مطلع سنة 1850	تم احتلالها عقب ثورة الزعاطشة انتقاما من أهلها
المنيعة	1891	بالاقتحام العسكري
الأبيض سيدي الشيخ وجنين بورزق	1895	لم تراع قوات الاحتلال حرمة الأماكن المقدسة المتواجدة بها
تيميمون	12 ماي 1890	//
قصور زورة ودلدول	12 ماي 1890	//
إيغلي	05 أفريل 1900	//
تيط	23 مارس 1900	بعد معركة شديدة وحامية
أقابلي (تضم مجموعة قرى)	25 مارس 1900	//
تمنراست	1904	احتلالها شكر مركزا رئيسيا
عين صالح	1899	
إليزي	1908	
جانت	1909	
كولومب (بشار)	11 مارس 1904	
الأغواط	1852	احتلالها كان شبيها ببسكرة
أدرار	10 فيفري 1901	
الساورة	1901	
واحة تبلبالة	1910	
تقرت وواد سوف	1855-1854	احتلالها كان مهما جدا واستراتيجيا لفرنسا

[1] – داود شريفي، المرجع السابق، ص 156.

الجدول رقم 03: يوضِّح أهم المعارك التي خاضها أولاد سيدي الشيخ ضد الفرنسيين[1]

المعركة	تاريخها	ملاحظات
معركة عوينة بوبكر	08 أفريل 1864	استشهد فيها سي سليمان وقُتل العقيد بوبريتر
معركة غار سيدي الشيخ	04 فيفري 1865	استشهد فيها الزعيم الثاني للثورة سي مُحَمَّد
معركة حاسي بن عتاب	16 مارس 1866	
معركة غار القيفور	13 أفريل 1866	كانت لصالح الفرنسيين وعملائهم
معركة أم دبدب	01 أفريل 1869	
معركة ماقورة	17 أفريل 1871	كانت لصالح الفرنسيين
معركة المنقوب	23 ديسمبر 1871	جرح فيها قدور بن حمزة، كما جرح عمه سي الأعلى

[1] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص 131.

الجدول رقم 04: يوضِّح أهم البعثات الاستكشافية إلى الصحراء الجزائرية خلال القرن 19م[1]

الرحالة	بلد الأصل	تاريخ الرحلة	طريق الرحلة	ملاحظات
جيرهارد رولفس 1832-1896	ألمانيا	1862	طنجة-تافيلالت-القنادسة-عين الصفراء	
		1864	طنجة-تافيلالت-توات-أدرار — عين صالح-غدامس	
		1878	واحة الكفرة - ليبيا	
هنري دوفيرييه 1840-1890	فرنسا	1859	غرداية-متليلي-المنيعة- الأغواط-تقرت-بسكرة	
		فيفري 1860	بسكرة-وادي سوف-الجريد التونسي-قبيلي-نفزاوة-دوز قفصة-توزر	
		جوان 1860	بسكرة-وادي سوف- غدامس-غات-فزان	
كولونيو وبوران	فرنسا	1860	سعيدة-البيض-تيمون-توات	
بول صوليه 1842-1888	فرنسا	1867-1866	الجزائر — تونس	
		1874-1872	الأغواط-وادي ميزاب- متليلي-المنيعة- عين الصالح	
		1878	سيجو-النيجر-السنغال	
دورنو ودوبار وجوبار	فرنسا	1874	وادي سوف-تقرت-غدامس	
فلاترز 1832-1881	فرنسا	1880	بسكرة-ورقلة-الهقار-غات- وادي ميزاب-الأغواط	تم اغتياله
		1881	ورقلة- إيزامن- أمادقور- تيماسنين	
فيكتور لارجو 1842	فرنسا	1876-1875	غدامس	
		1877	عين صالح-بسكرة-زاوية تماسين-وادي اغرغار- حاسي العشية	
مرسال بلات	فرنسا	1835	البيض-المنيعة-قورارة-تيديكلت	تم اغتياله
كاميي دولس	فرنسا	1888-1887	تافيلالت-تندوف-توات واحة	تم اغتياله

[1] - من إعداد الطالب بناء على ما ورد في مضمون الدراسة.

			رقان-أولف- تنبكتو	
فرناند فورو 1850**-1914**	فرنسا	1883	غرداية-بحاسي الملح-حاسي تويزة -عين الطيبة-منطقة تادمايت- تقرت	
		1892	بسكرة-حاسي بلحيران-مويلح معطا الله-تابنكورت-تماسنين- حاسي المسقم	
		1893-1892	بسكرة-البيوض-تماسنين حاسي تابنكورت- حاسي إمولاي- غدامس	
		1894-1893	بسكرة-المنيعة- حاسي الحاج موسى-حمادة تادمايت-عين صالح-تماسنين-تاسيلي آزجار	
		1896-1895	بسكرة-العين الطيبة- البيوض- تيماسنين-عين الحجاج-بلاد توارق الآزجر-بئر منخور-حاسي تاسينجة	

الجدول رقم 05: يوضّح بعض الخسائر البشرية من الطرفين الجزائري والفرنسي[1]

تاريخ وقوع الخسائر	الطرف الجزائري	الطرف الفرنسي
أثناء وبعد حصار واحة الزعاطشة 1848-1849	300 شهيد وأكثر من 1000 قتيل ماتوا تحت الأنقاض	10 ضباط قتلى، و60 ضابط جريح، 156 جندي قتيل، 740 جريح
سبتمبر 1849	أكثر من 200 شهيد وعلى رأسهم القائد عبد الحفيظ الخنقي	عدم توفر الإحصائيات
03 جانفي 1850	عشرات القتلى والجرحى	08 قتلى و30 جريح
أكتوبر 1853	استشهاد الشريف عمار عمر وبمعية 500 شهيد	عشرات الجرحى
28 نوفمبر 1854	استشهاد أكثر من 500 جزائري	عدد هائل من القتلى والجرحى يتراوح بين 50 إلى 100 فرنسي
28 ديسمبر 1899	600 شهيد جزائري	ما بين 100 و200 قتيل فرنسي
19 مارس 1900	300 شهيد جزائري	100 قتيل فرنسي
جوان 1900	عدد قليل من الخسائر	مقتل الملازم فلاترز والملازم الأول ديانوس وبمعية 51 من رفقائهما وحوالي 78 جنديا
30 أوت 1859	----------	350 قتيل وعشرات الجرحى
19 ماي 1881	عدد محدود من الجرحى	قتل ضابط وأربعة من حرسه الشخصي في مولاق
19-25 مارس 1881	استشهاد أكثر من 400 شهيد	37 قتيلا و16 جريح و47 مفقود منهم القائد إينوسين

[1] – احميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء ...، ص ص 152-153.

ملحق الصور

الصورة رقم 01: للجنرال كافينياك[1]

الصورة رقم 02: للجنرال دوماس[2]

[1] – فليكس جاكو، المصدر السابق، صورة من غلاف الكتاب

[2] – أوجين دوماس، المصدر السابق. ص03.

الصورة رقم 03: للمستكشف هنري دوفيريي[1]

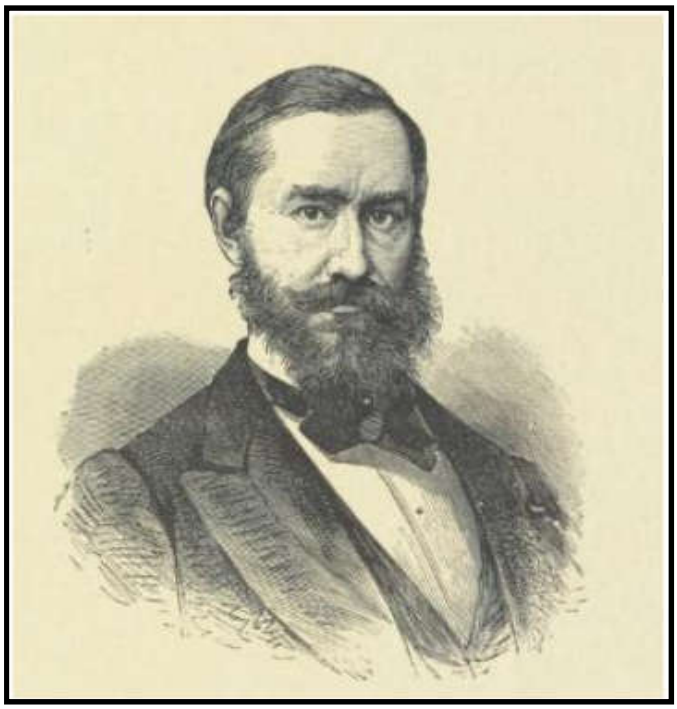

الصورة رقم 04: للمستكشف بول فلاترز[2]

[1] - Henri Duveyrier, E.cat Op-Cit, p 25.
[2] - Flatters Henry, Brosselarel Op-Cit, p 4.

الصورة رقم 05: للمنصر شارل دوفوكو[1] Charle De vocot

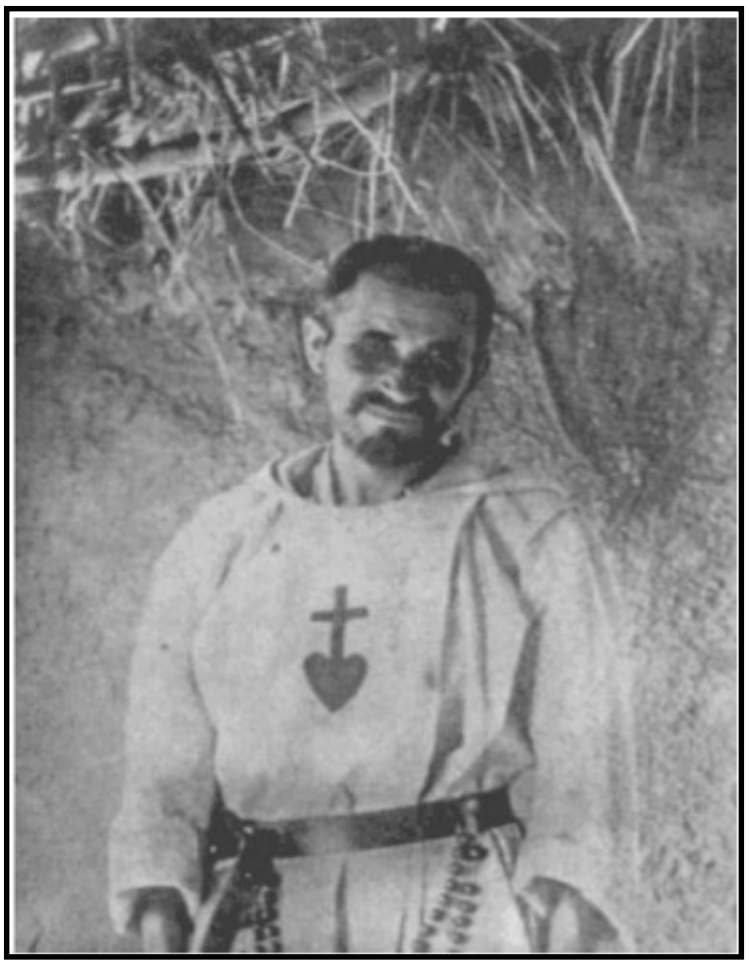

[1] - René Bazin, Op-Cit, p4.

بيبليوغرافيا الدراسة

1- المصادر العربية والمعرَّبة:

- جيد أندري، **رحلة إلى شمال إفريقيا**، تر: مُحَمَّد عبد الغني، دار المعرفة، ط1، 2012.

- ترومليي. س، **الفرنسيون في الصحراء "يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: مُحَمَّد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، غرناطة للنشر والتوزيع، 2013.

- إيزابيل إبرهاردت، **يوميات الطريق "عودة العاشق المنفي"**، تر: ميهي عبد القادر، مطبعة الوليد، الجزائر، 2006.

- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ج2، تر: مُحَمَّد حجي، مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.

- السعدي عبد الرحمن، **تاريخ السودان**، تر: هوداس، باريس، 1964.

2- المراجع العربية والمعرَّبة:

- إبراهيم عيسى علي، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، المصر، 2000.

- أبو عرجة تيسير، **دراسات في الصحافة والإعلام**، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

- إحدادن زهير، **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

- البوعبدلي المهدي، **آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده**، في ملتقى الفكر الإسلامي المجلد3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1973.

- التليلي مُحَمَّد الطاهر، **فذلكة عن منطقة سوف بالجزائر**، تح: أبو القاسم سعد الله، مجلة العرب، ج11، ع 37، المملكة العربية السعودية2002م.

- التميمي عبد الجليل، **من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19في الجزائر**، الملتقى التاسع للفكر الإسلامي، مج 3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،1972.

- الجابري مُحَمَّد عابد، **التراث والحداثة، "دراسة ومناقشات"**، مركز دراسات الوحدة العربية.

- الحاج سعيد يوسف بن بكير، **تاريخ بني ميزاب "دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية"**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

- الحاج سعيد يوسف، **تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين**، المطبعة العربية ، غرداية.

- الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، مطبعة دار الشعب، القاهرة، 1981.

- الزبيري مُحَمَّد العربي، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

- السايح عابد، **صفحات من تاريخ ورقلة**، دار هومة، الجزائر، 2010.

- السليماني أحمد، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.

- السويدي مُحَمَّد، **بدو الطوارق بين الثبات والمتغير "دراسة سوسيو أنثربولوجية في التغير الاجتماعي"**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- العربي إسماعبل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- العربي إسماعيل، **تاريخ الرحلة الاستكشافية في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

– العسلي بسام، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، بيروت، ط خ، 2010.

- المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر** "تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية، المطبعة العمبرية، الجزائر.

- المنصوري عثمان، **التجارة في المغرب في القرن السادس عشر (مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي)**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001.

- بجاوي مُحَمَّد، **الثورة الجزائرية والقانون**، تر: علي الخش، مراجعة مُحَمَّد الفاضل، ط 1، دار اليقظة المغربية للتأليف والترجمة والنشر، تونس، 1961.

- بدوي أحمد زكي، **معجم مصطلحات الإعلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.

- بدوي عبد الرحمان، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، 1993.

- برونو إتين، **الأمير عبد القادر الجزائري**، تر: ميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1998.

- بعيجي عمر، **صور وشواهد عن واحة سيدي خالد**، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013.

- بلاح بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

- بلاح بشير، **موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830–1989**، دار المعرفة، الجزائر، 2000.

- بلعالم مُحَمَّد باي، **الرحلة العلمية إلى منطقة توات**، دار هومة، الجزائر، 2005.

- بن صالح أعزام بابا حمو إبراهيم ، **غصن البان في تاريخ ورجلان**، تح: سليمان أبو معقل وإبراهيم بحاز، مطبعة العالمية، غرداية (الجزائر)، 2013.

- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

- بورنان سعيد، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)**، ج1، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2004.

- بوزواوي مُحَمَّد، **معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009**، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر 2009.

- بوشارب عبد السلام، **الهقار أمجاد وأنجاد**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، رويبة، 1995.

- بوعزيز يحي، **الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2009.

- بوعزيز يحي، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980.

- بوعزيز يحي، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البصائر، الجزائر، 2009.

- بوعزيز يحي، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

- بوعزيز يحي، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- بوعزيز يحي، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2009.

- بومعزة عبد القادر، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، ج1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)، ط1، 2016

- بومهلة تواتي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار المعرفة، الجزائر، ط1، 2012.

- بوية عبد القادر، **تيدكلت وثائق ومخطوطات**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2015.

- بيشي مُحَمَّد عبد الحليم، **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، دار زهورة، الجزائر.

- تشايجي عبد الرحمن، **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**، تر: علي اعزازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1982.

- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7، بغداد، ط2، 1993.

- جوليان شارل أندري، **إفريقيا الشمالية القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية**، تر: المنجي سليم الطيب وآخرون، الدار التونسية للنشر، الجزائر، 1976.

- حرز الله مُحَمَّد العربي، **أولاد جلال أصالة وحضارة وتاريخ**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، 2013.

– حسين مُحَمَّد فهيم، **أدب الرحلات**، الكويت، مؤسسة الرسالة، 1989.

- حلوش عبد القادر، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر.

- حوتية مُحَّد الصالح، **توات والأزواد**، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

- خالدي مصطفى، عمر فروخ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1973.

- خريوش عبد الرؤوف، **دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب**، جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين.

- داود عمر، **الحركة التبشيرية في الجزائر "نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجا" مقاربة سوسيو-تاريخية** دار نزهة الألباب، الجزائر، 2016.

- درواز الهادي، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954-1962** "سلسلة أوراق من الذاكرة"، دار هومة، الجزائر،2009 .

- دليو فضيل، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

- ريسلير كميل، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830-1962**، تر: نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الجزائر، ط1، 2016.

- زبادية عبد القادر، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء "في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- زكريا مفدي، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، جم وتح: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003.

- زكيري عبد الحميد، **الصحافة الجزائرية قبل وبعد الاستقلال**، متحف المجاهد العقيد مُحَّد شعباني، بسكرة، يوم 28 مارس 2018.

- زمام مُحَّد، **مُحَّد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية**، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة الجزائر، 2007 .

- زوزو عبد الحميد، **الأوراس إبان الفترة الاستعمار الفرنسي "التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية 1837-1939"**، ج1، دار هومه، الجزائر، 2009.

- زوزو عبد الحميد، **ثورة الأوراس**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- زوزو عبد الحميد، **ثورة بوعمامة 1881-1908**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- زوزو عبد الحميد، **محطات في تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2004.

- زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010.

- زيد أسامة وهبة الصيادي، **أهم الاختراعات والاكتشافات في تاريخ الإنسانية**، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011.

- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 .

- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية 1860-1900**، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، 2009.

- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2 وج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.

- سعدي عثمان، **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، 2013.

- سعيدوني ناصر الدين، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر، الجزائر 2009م.

- شرف عبد العزيز، **الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية**، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

- شريط عبد الله، مُحَمَّد مبارك الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- صاحب سلطان مُحَمَّد، **وسائل الإعلام والاتصال "دراسة في النشأة والتطور"**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2012.

- عبد العزيز أحمد، **صحراؤنا في مواجهة الاستعمار**، دار الرحاب، الجزائر.

- عميراوي احميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916**، دار الهدى، الجزائر، 2009.

- عميراوي احميده، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين مليلة، 2005. ص 49.

- عميراوي احميده، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2007.

- غرانميزون أوليفي لوكور، **الاستعمار الإبادة، تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية**، تر: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب الجزائر ،2007.

- فارس مُحَمَّد خير، **المسألة المغربية**، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1961.

- فركوس صالح، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1829-1850**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.

- فركوس صالح، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، دار البصائر الجديدة، الجزائر، ط1، 2013.

- فركوس صالح، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم، عنابة (الجزائر)، 2003.

- فركوس صالح، **تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم، الجزائر ،2005.

- فيرون ريمون، **الصحراء الكبرى**، تر: جمال الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963.

- قداش محفوظ، **جزائر الجزائريين "تاريخ الجزائر 1830-1954"**، تر: مُحَمَّد المعراجي، منشوراتanep، الجزائر، 2008.

- قنان جمال، **نصوص سياسية جزائرية في القوانين 1830-1914**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

- قنان جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

- كام جوزفين، **المستكشفون في إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، مر: مُحَمَّد على وقاد، دار المعارف، القاهرة، 1983.

- كعاك عثمان، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- لونيسي إبراهيم، **بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي**، دار هومة، الجزائر، 2013.

- مرموري حسن، **الطوراق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.

- مصمودي فوزي، **تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900-1956**، تص: أبو القاسم سعد الله، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

- مطمر مُحَّد العيد، **التنظيم الإداري في عهد الاحتلال الفرنسي الأوراس "حوز أريس" تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837م، 1959م**، دار الشهاب، باتنة، 1988.

- مقلاتي عبد الله، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011 .

- منور العربي، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19**، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

- موري أتيليو، **الرحلة والكشف الجغرافي في ليبيا**، تر: خليفة مُحَّد تليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1971.

- مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834-1934**، دار هومة، الجزائر، 2005.

- مياسي إبراهيم، **المقاومة الشعبية**، دار مدني، تصدير وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.

- مياسي إبراهيم، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

- مياسي إبراهيم، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2010.

- ميهي عبد القادر، **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم**، دار الثقافة، الوادي، ط1، 2015.

- نايلي عبد القادر، **المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية –انتفاضة الزعاطشة نموذجا–**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.

- نجاح عبد الحميد، **منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**، دار آمال، منشورات الوفاء للشهيد، الجزائر (تقرت)، 2003.

- نوشي أندري وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

- هوبكنز أ. ج، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تق: عبد الغني سعودي، تر: أحمد فؤاد بليع، المطابع الأميرية، القاهرة، 1998.

- واعلي مُحَّد الطاهر، **التعليم التبشيري في الجزائر من ،1904- 1830 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب**.

- ي. ساقلييف و ج. فاسلييف، **الموجز في تاريخ إفريقيا**، تعر: أمين الشريف، دار الطباعة الحديثة، مصر.

3- المذكرات والأطاريح الجامعية:

- التلمساني بن يوسف، **التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005.

- بتقه إبراهيم، **مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م)**، مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية "تاريخ وحضارة"، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2010.

- برشان مُحَّد، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903-1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.

- بلحاج صادق، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي 1919-1939 دراسة مقارنة**، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2010-2011.

- بن ساعد عائشة، **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004.

- بن موسى موسى، **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014-2015،

- بن موسى موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006.

- بوقرين عيسى، **انتفاضة بن ناصر بن شهرة 1851-1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2009-2010.

- بولافة حدة، **واقع المجتمع المدني الجزائري إبان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال**، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، تخصص السياسات العامة والحكومات المقارنة،كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2010-2011.

- بومزو عز الدين، **الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري (ارنست مرسيه انموذجا)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008.

- حباش فاطمة، **المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844-1870) "تيارت، سعيدة، جيرفيل، البيض نماذجا"**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،2014-2015.

- حباش فاطمة، **سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896)**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2004-2005.

- حساني عثمان، **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2006-2007.

- حمزة بن قيطون، **المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882-1914)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والعاصر، جامعة وهران، 2015-2016.

- دعاشي سميرة، **الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850-1945**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2014-2015.

- دواس أحسن، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين "مقاربة سوسيو ثقافية"**، مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، 2007-2008.

- زقب عثمان، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2005-2006.

- شافو رضوان، **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2012.

- شافو رضوان، **مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852-1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2006-2007.

- شلبي شهرزاد، **ثورة واحة العامري علاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن 19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة، 2008-2009.

- عباز الأزهاري، **نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603-1884**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2013-2014.

- عكاش عبد السلام، **نظرة الصحافة الاستعمارية لانتفاضة 08 ماي 1945 "دراسة تحليلية نقدية"**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.

- عليوان سعيد، **التنصير وموقفه من النهضة الحضارية في الجزائر**،أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2001-2000.

- غرينة عبد النور، **الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولنيالية 1840-1939**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010-2009.

- غنابزية علي، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 19**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001-2000.

- قشاشني علي، **مؤتمر برلين 1884-1885 وانعكاساته السياسية والاقتصادية على غرب إفريقيا**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2016-2015.

- قوبع عبد القادر، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920-1954**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008-2007.

- كحول عباس، **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011-2010.

- مبخوت بودواية، **مقاومة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري 1864-1908**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة عين شمس، مصر، 1992-1991.

- مزيان سعيدي، **النشاط التبشري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1999-1998.

- مسعودي زهرة، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م**، مذكرة ماجستير، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2010-2009.

- معريش مُحَمَّد العربي، **الإستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية 1822-1872**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2006.

- هواري مختار، **سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية تجاه بعض العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837-1870**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، 2009-2008.

4- المعاجم والقواميس:

- أبادي الشيخ مجد الدين بن مُحَمَّد الفيروز، **القاموس المحيط**، ج4، دار الفكر، بيروت، 1983.

- صايات سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 2000م.

- مصطفى إبراهيم، **المعجم الوسيط**، ج2، المكتبة العلمية، طهران، مادة كشف.

- مقلاتي عبد الله، **موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية**، وزارة الثقافة، الجزائر.

- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ج1، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، 2011.

5- الجرائد والمجلات:

- البشير إبراهيم العيد، **دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ع11، جوان 2013.

- التلمساني بن يوسف، **دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي**، مجلة الانتفاضة، الجزائر، فيفري 1999.

- الجنحاني الحبيب، **حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشرة**، مجلة الأصالة، الجزائر، ع16، 1974.

- الغربي غالي، **ملامح من مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية**، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع1، 1996.

- المبشر: عدد 104 بتاريخ 01 جانفي 1852.

- المبشر: عدد 98 بتاريخ 01 أكتوبر 1851.

- المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام، **كيف تحررت الجزائر (الذكرى 35 لثورة نوفمبر)**، الجزائر، 1989 .

- المكي قلوم، **الغزو العسكري الاستعماري لأقصى الجنوب والمقاومات المسلحة الشعبية لمنطقة توات وتيديكلت وتينجورارين في مجابهة هذا الغزو**، مجلة آفاق التنمية، أدرار، 1987.

- انساعد سميرة، **الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين 19 و20م "تسجيل فوتوغرافي أم تخيلي"**، مجلة الدراسات، ع2، ديسمبر 2012.

- برشان مُحَمَّد، **التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري 1902-1960**، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون تيارت، ع 9، جوان 2016.

- بقطاش خديجة، **أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف"**، مجلة الأصالة، ع 51 ، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977.

- بلعزوز العربي، **مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849 على ضوء الكتابات الأجنبية**، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، مج 8، ع 1، 2018.

- بلقاسمي بوعلام، **خصائص ومميزات ثورة أولاد سيدي الشيخ**، مجلة عصور، جامعة وهران، ع1، جوان 2002.

- بن صغير يمينة حضري، **سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، مج 7، ع 2، 2014.

- بن محمذن مُحَّدو، **الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع 20، ديسمبر 2003.

- بن معمر مُحَّد، **الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871 بالصحراء**، مجلة عصور، جامعة وهران، ع1، جوان 2002.

- بو الروايح مُحَّد، **الجدلية التاريخية بين التنصير والاستعمار الفرنسي في الجزائر**، من كتاب الندوة العلمية الأولى آليات الاستعمار الاستيطاني الأوربي في الجزائر وليبيا، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ماي 2008.

- بودواية مبخوت، **الاهتمام الفرنسي بالجنوب الغربي الجزائري وظروف احتلاله**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جمعة سيدي بلعباس، ع1، 2009.

- بوسليم صالح، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر وبداية المقاومة الشعبية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 21، ديسمبر 2014.

- بوسليم صالح، **جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية 1956-1962**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مج: 2، ع 25، 2015.

- بوقرين عيسى، **ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850-1875**، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، ع 17، 2016.

- بيرم كمال، **توسع الاحتلال والمقاومة الشعبية بالصحراء الشرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية (تقرير مخطوط الضابطان بورال وهيربيون)**، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، ع 1، مارس 2017.

- جريدة المجاهد، **مشاريع استعمارية في الصحراء**، ع 14، 15 سبتمبر 1957.

– حباش فاطمة، **رسالة شكوى سي سليمان بن حمزة إلى حاكم البيض الضابط بيران**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، ع 11، 2014.

– خامس سامية وآخرون، **الإدارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية قبل سنة 1947**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2009

– دعاشي سميرة، **التجارة الفرنسية عبر الصحراء ودورها في تراجع التجارة التقليدية 1900–1945**، مجلة المعارف، جامعة الوادي، ع 10، 2016.

– رشيد فارس، **التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين المبدأ العام والتميز**، الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 16 -17 مارس 2006 ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007 .

– رموم محفوظ، **الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية**، مجلة الحوار الفكري، أدرار.

– زروق جيجيك، **اهتمامات الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية (المجلة الإفريقية أنموذجا)**، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية أدرار، ع5، 2015.

– زوزو عبد الحميد، **الوضع في منطقة ورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي**، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، مج 16، 2011.

– سرقمة عاشور، **تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع 15، 2011.

– سعود دحدي، **ثورة الشريف مُحَّد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية**، مجلة الباحث، جامعة الوادي (الجزائر)، ع 1، 2011.-

– شيخي عبد المجيد، **الإدارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2009.

– صاحبي مُحَّد، **المجلة الإفريقية دراسة إحصائية ببليوغرافية للمخطوطات العربية**، مجلة الحوار المتوسطي، ع 5، 2013، دار الأصول للنشر، سيدي بلعباس (الجزائر).

– عميراوي احميدة، **صحيفة ورقة خبور الجزائر مصدر نادر في سياسة فرنسا الإعلام**، مجلة المصادر ، ع11، (م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن) ، الجزائر، 2005.

- عواريب لخضر، **بعض الحقائق عن مقاومة شريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية أملاها بوشوشة على سجانه**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ع 17، 2014.

- فواز مصطفى نجيب، **بدايات اهتمام الغرب بالمشرق العربي**، مجلة الفكر العربي، ع 88، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1997.

- قصيبة أحمد، **ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871**، مجلة الأصالة عدد ،06جانفي 1972.

- مبارك كديده مُحَّد، **النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب**، مجلة الباحث، جامعة الوادي، ع4، ديسمبر 2014.

- مريوش أحمد، **التوسع الاستعماري إلى الجنوب ودود سكان الهقار 1916م**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ع11، 2005.

- مطمر مُحَّد العيد، **الغزو والاحتلال الفرنسي" الأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة**

- مياسي إبراهيم، **أطماع فرنسا في الأغواط**، مجلة الرؤية، عدد .1996.

– مياسي إبراهيم، **دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ع1، 1990.

- نواصر عبد الرحمان، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873–1962 "منطقة المنيعة أنموذجا"**، مجلة روافد، غرداية، ع1، ديسمبر 2016.

- نيكلو عبد القادر، **المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي لتوات**، مجلة النخلة، بشار، ع 1، مارس 2005.

- هاشمي آمال، **التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار**، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ع: 18-19، 2012.

- يحياوي مسعودة، **الصحراء في تقارير الاستعمار الأوربي أثناء القرن 19م**، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18و19م،المركز الجامعي بالوادي، 25 جانفي 2012.

6– المراجع باللغة الأجنبية:

- Adolphe Duponchel, **Le chemin de fer Trans-saharien, Jonction Colonial entre l'Algérie et le Soudan**, études Préliminaires du Projet et Rapport de mission avec cartes générale et géologique, Topographie et Lithographier de Boehm, Paris, 1878.

- Ageron. R, **Les Algériens Musulmans et la France,** T 1, Paris, 1968..

- Ahmed Nadjah, **Le Souf des oasis,** Edition la maison des libre, Alger, 1971.

- Alain romey, **les said otba de Ngoussa l'harmattan** , paris, 1973 .

- Barbier. J, **Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie,** Librairie De L. Hachette,
Paris, 1855.

- Bernard. A et Lacroix. N, **la pénétration saharienne 1830-1906,** Alger, 1906.

- Bernard. M, **Deuxieme Mission Flaters, historique et raport,** rediges au service central des affaires indigenes, A. Jordan, Alger, 1882.

- Bissuel. H, **Le Sahara Français**, Imprimerie Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891.

- Boudichon, **Projet d'une exploration politique, commerciale et scientifique d'Alger à Tambouctou par le sahara**, 1849.

- Bounard. M, **le cardinal lavigerie**, T 1, de Gigord librairie poussielgues, Paris, 1898.

- Carette. E, **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algerie méridionale**, Paris, 1844 .

- Cat. E, **A Travers le Désert,** Typographie Gaston, Paris, 1892.

- CH Lutaud. M, **Situation générale des territoires du sud d'Algérie pendant l'année 1915**, Imprimerie libraire, ed Jordan, 1916.

- CH. Lutaud. M, **Situation générale des territoires du sud d'Algérie pendant l' Année 1910,** Imprimerie librairie, Edition Jordan, 1916.

-Charles André Julien, **Histoire De l'Algerie comtemporaine**, Paris, 1964.

- Charles Féraud, **Le Sahara de Constantine,** Notes et Souvenirs, Alger, 1887.

- Charles Robert Ageron, **Histoire de l'Algérie Contemporaine,** Paris, P .U.F, 1974 .

- Cheikh Bouamrane, Mohamed Djidjelli, **l'Algérie coloniale par les textes 1830-1962**, éditions anep 2008, p 96.

- Cussac. P, **Un géant de l'Apostat Le Cardinal Lavigerie**, Librairie Missionnaire, Paris.

- Damien lorcy,Sous **le régime du sabre,**in presse universitaire de rennes, 2011.

- Daumas, Duc De Dalmatie, **Le Sahara Algérien**, Langlois Et Leclercq, Fortin Masson Et Cie, Paris, 1845.

- Daumas. E, **le sahara Algérien "études géographiques, statistiques et historiques du sud"**, paris, 1845.

- Du Baril, **Mes Souvenirs**, T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris 1895.

- Duclos. M, **Les territoires du sud de l'Algérie, gouvernement général de l'Algérie,** Alger, 1929.

- Edmé François, Jomard, **Remarques et Recherches géographiques sur le voyage de Caillié dans l'Afrique centrale,** Imprimerie Royale, Paris, 1830 .

- Eugène Daumas, **Le Sahara Algérien "études Géographique, Statistique, et Historique sur la région au sud des établissements Français**, Langlois Leclercq, Paris, 1845.

- Eugène Fromentin, **" Un Eté dans le Sahara"** Présentation et Notes par Anne Marie Christine, Editions Le Sycomore(Appendice) .Paris. 1981.

- Félix Jacquot, **Expédition du Générale Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847,** Gide et J.Baudry, Libraires editeur, Paris, 1849.

- Fernand Foureau, **Mon Neuvième voyage au Sahara et au pays Touareg Mars-Juin 1897,** Librairie Maritime Coloniale, Paris, 1898.

- Fernand Foureau, **Rapport sur ma Mission au Sahara et chez les Touareg Azdjer Octobre 1893- Mars 1894**, Librairie Coloniale, Paris, 1894.

- Gabriel Gravier, **Voyage a Sègou « Rédige d'après Les Notes Et Journaux De Voyage De Soleillet**, Challamel Ainé, Paris, 1887.

- Gauchiront. M, **Bulletin De Société De Géographie Commercial De paris**, ,T xvlll, 1er Fascicule, 1896,Paris Au Siège De La Société ,8 Rue Du Tournon, 8.

- Geneviève Capot-Rey, **L'Eau et le sol a El-Goléa, Revue Travaux de de l'institut de Recherches Sahariennes,** université d'Alger, Tome XVII, 1er.2me semestre, 1958.

- George Rolland, **Le transahara rien un au après,** Alfred mame et fils éditeur, Paris, 1876.

- Godefroy. P, **Programme des chemines de fer Dans les Territoires du Sud,** Imprimeur- Libraire-éditeur, Place du gouvernement, Alger, 1916.

- Gouvernement Général De l'Algérie, **Notice sur le chemin de fer Algériens,** Mustapha, GIRALT ? Imprimerie Du Gouvernement Général rue des colons, 17, 1899.

- Gyon. M, **Voyage d'Alger aux Ziban l'ancienne Zèbe en 1847**, impr du gouvernement, Alger.

-Halim Cherfa, **l'héroique bataille de Zaatcha,** Imprimerie el maraaf, Alger, 2007, p 53.

- Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord**, Editeur Challamel Ainé, Paris, 1864.

- Henri masse, **les études arabes en Algérie (1830-1930),** Société historique, Alger.

- Henry de la Croix Castres, **Questions Saharienne et Transsahariennes,** Librairie Africaine colonial, Paris, 1902.

- Herbillon, **Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849**, siege de Zaatcha, Paris, 1863.

- Jacob Oleil, **Les Juifs de colomb-bechar et des villages de la Saoura 1903-1962,** Orléans, Paris, 2003.

- Jues, **Les Oasis de l'Oued Rir en 1856 et 1879**, suivies du Résumé de travaux de sondages executes dans le département de Constantine de 1878 à 1879, imprimerie de Lmarle, Paris,1879.

- Khalifa Chaouch, **Le commerce caravanier au Maghreb et ses mutations au cours de l' ère coloniale**,The Maghreb Review ,Volume 12,numéro 3-4(Mai – Aout 1987،

- Lelong M.H, **Le Sahara Aux Cent Visage,** Editions Alsatia, Paris, 1945.

- Léon Lehuraux**, Le Conquérant des Oasis, Colonel Théodore Pein**, Typographie Plon, Paris, 1935.

- leonard Roger, **Les territoire du sud d'Algérie (compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952),** Imprimerie officielle, Alger, 1945.

-Louis Baulard,**Un voyage en Afrique on description d'Alger**, Bibliothèque Royale Paris.

- Louis Engéne Lovet, **Les mission Catholique au 19 em sieclle si elle société de saint Auguste,** Paris.

- Mangin. E, **Note Sur L'Histoire de Laghouat,** Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895.

- Marie André, **le Pére de Foucould missionnaire,** Toulouse, Paris, 1937.

- Martin AGP, **Quatre Siècles d'histoire Marocaine au Sahara,** Libririe Lélix Alcan, Paris, 1923.

- Mercier Ernest, **Histoir De Costantine** , Biblioteque National De France , Paris.

- Mercier, Ernest, **L'Algérie en 1830, Le cinquanten asire de l'Algérie**, Paris, challamol ainé éditeur, 1880.

- Metois, **La Soumission des Touareg du Nord 1900-1904,** Editions Jacques Gandini, Paris, 1995.

-Nadia Bouzar Kasbadji, **La Situation des Musulmans D'Algérie par L'EMIR KHALED**, Première Edition, Offices des Publications Universitaires, Alger, 1987.

- Narcisse Faucon**, Livre d'Or De L'Algerie**, Paris, 1889.

- Paul Bourde, **A travers l'Algérie "Souvenir de L'excursion Parlementaire Septembre-Octobre 1879**",G. Charpentier editeur, Paris, 2 ed, 1880.

- Paul Gaffarel, **L'Algérie "Histoire, Conquête et Colonisation",** Edition Firmin-Didot et C^{ie}, Paris, 1883.

- Paul Soleillet, **L'Afrique de la France en Afrique,** Challanel Ainé libraire ED, Paris, 1876.

- Paul Soleillet, **Voyage de Paul Soleillet d'alger a l'oasis d'In Salah**, Rapport de Chambre commerce d'Alger, Alger, 1875.

- Philippe Antony, **Missions des péres blancs en Tunisie, Algérie, Kabylie et Sahara,** T1, Ed Dilen, Paris, 1930 .

- Pierre Lyautey, **Vers le Maroc "Lettre Du Sud Oranais (1903-1906)",** Librairie Armand Colin , Paris 1937.

- Pottier. R, **Le cardinal Lavigerrie, Apotre et civilisateur**, Les publications techniques et histoire, Paris, 1947.

- Pual Soleillet, **Exploration du sahara Centrale «Avenir De La France En Afrique**, Challamel Ainé, Librairé éditeur, Paris, 1876.

- Rinn. L, **Histoire De L' insurrection De 1871 en Algérie** ,Alger, 1891.

- Rolland. G, Rapport, **Observation sur Les Conditions Sanitaires,** Imprimerie Nationale, Paris,1895.

- Sautayra. E, **Législation de l'algérie,** Maisonneuve et G, Librairies éditeurs, Paris, 1883.

- Vallat Gustave, **A la conquête du continent noir**, Missions Militaires et Civiles de 1892.

- Voinot. L, **Le Tidikelt**, Ed imprimerie Typographique et Lithographique , Oran, 1909.

- Vuillot. P, **l'exploration du sahara**, etude historique et géographique, Augustin Chalamel edition, edition libriarie cloniale, Paris, 1895.

- Yovone Turin, **Affrontement culturel dans l'Algérie colonel**, Francois masperon, Paris, 1971.

- Zaccone C.P., **Le Commerce du sud,** 2 ème Edition, Constantine, Imp de l.Marle,1876.

-André Voisin, **Le Souf monographie,** Edition El Walid, El-oued, Alger, 2004.

-**Association Française pour l'avancement des Sciences, Congrès d'Oran 1888, Oran et l'Algérie en 1887,** Notice Historiques, scientifiques et economiques, T 2.

- Ch. A .Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine.** Paris , 1964.

-Conard Kilian, **Au Hoggar Mission de 1922**, société d'Editions Géographique, Maritimes et Coloniales Ancienne, Maison Challamel, Paris, 1925.

- Conseil Supérieur De Gouvernement, **Procès verbaux Des Délibérations Et Exposé De La Situation Générale De L'Algérie**, Imprimerie Administrative, Rue Bruce-2, Alger, Novembre 1899.

-Eugène Daumas, **Le grand désert ou itinéraire d'une caravane,** imprimerie et librairie centrales de napoléon chaix, paris, 1848.

- Eugène Fromentin, **Un été dans le Sahara,** 3ème édition, Librairie Plon, Paris, 1877.

-Eugène Mage, **Voyage dans le Soudan occidental (Sénégambie-Niger) 1863-1866**, Paris, Hachette, 1868.

-Georges Gorrée, **Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld**, B.Arthaud, Paris,T 1, 1946.

- Journal des marches de la colonne expéditionnaire du sud, G. Pélissier (siège et prise de Laghouat) A.M.G décembre 1852.

-Koyne, **Le Mzab**, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879 .

- Le Saint. L, E.Ardant, **Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne**, Limoge, 1873.

-Martin AGP, **Les Oasis Saharienne,** édition de l'imprimerie Algérienne, Alger, 1908.

-Mohamed korso, **Politique et religion; l' islah, ses structures, ses hommes**, T 1, these d'histoire, paris, 1989.

-Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie**, Biographie, Paris, Edition Challamel, 1889.

-Paul Soleillet, **L'Afrique Occidental e « Algarie, Mzab, Tidikelt »**, Avignon, Imprimerie De F Seguin Ainé, 1877 ،

-Peyronnet. R, **Livre d'Or des officiers des affaires indigènes 1830-1930,** T 1, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930.

-Tillion André, marie joseph, Roger Alfred, **Conquête Des Oasis sahariennes au Tidikelt, au Gourara au touât, dans la zouzfana et dans la Saoura en 1900 et 1901**, Henri Charles – lavauzlle Édition militaire, paris.

-Toqueville Alexis, **œuvres complet**.T 2, Paris,1962

-Trumlet C, **Les Français dans le désert,** 2 eme édition, Paris, 1885.

7- المقالات باللغة الأجنبية:

- Alfred Le chatelier, **Les Medaganat**, in **R.A**, N° 30, 1886.

- Beaussier, **Notice sommaire sur le Colonel Beauprêtre,** R A, N 14, 1870.

- Charle Féraud, **Notes historiques sur la province de constantine, les beni djeleb,sultans de Touggourt,** R A, N° 31, 1887.

- Charles de Foucould, **Le Charles de Foucould ermite au Sahara**, en l'Ami du chargé Paroissial Supplément à Ami du chargé, N° 35, Langens, 1931.

- Charles Feraud, **Les Ben-Djellab Sultans de Tougourt,** R A, N 23, 1879, Alger.

- Lehuraux, **Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens)** L'Armée D'Afrique, N° 54, 6 éme Année 1929 .

-Léon Lehuraux, **Le Statut Territorial Des Territoires Du Sud De l'Algérie**, R A, N° 81,1937.

- Mahmoud Faroua, **Le commerce caravanier de la Tunisie après la première guerre mondiale,** Revue Magrébine, Année 16, N° 55, Décembre 1989.

- Mangin. E, **Notes sur L´histoire de Lagouat**, **R.A**, Alger, N° 38 , 1894.

- Mercier Marcel, **La vie féminine au M'Zab**, R .A, N°69, Opu, Alger,1928.

- Voinot. L, **La situation sur la Frontiére Algérie-Marocaine du tell lors de l'insurrection des Oulads Sidi Cheikh dans le sud-Oranais 1864-1870**, Extrait de la R A, N 300, Alger, 1919.

-Sidi Hamza Boubakeur, **Origines de la gerre du sud-Oranais centre la France 1864-1900,** revue historique Maghribine, Tunis, N 6, 1976.

فهرس الأعلام والشخصيات

الأب أغسطين هاكار: 135
الأب باسكال: 131
الأب بوبلار: 132
الأب بوشارد: 131
الأب بوشان: 131
الأب بوليي: 131
الأب تولوت: 132-135
الأب ريتشارد: 131-132-137-218
الأب شالي: 125
الأب فيليب مينوري: 131
الأب كرامبون: 132-137
الأب مالفريت: 132
الأب مورات: 132
ابن خلدون: 299
أبو القاسم الحفناوي: 101
أبو القاسم سعد الله: 98-125-126-213
أبو حفص بن بابية: 88-186-187
أتيسي: 222-223
احمد القلي :78
أحمد المقراني: 179
أحمد باي بن شنوف: 82-85-182
أحمد بن الناصر: 85
أحمد بن بوعبد الله: 82
أحمد بن حمزة: 152-155-156-158
أحمد بن زرمة:47
أحمد بن سالم: 188-198-204
أحمد بن مُحَمَّد قانة: 86
أحمد زروق: 183
أحمدو: 28
أدريان بيربروجر: 103-105-107-114-115-118-292
إدريس الثاني:78
إدوارد كات: 295
ارنست مرسييه: 103-114
أرنو: 115
الأزرق بلحاج: 155
الأسقف باني: 125
إسماعيل بوضربة:47
الأغواطي: 108
افيزاك:58-61-108
ألفرد بيل: 116-117
ألكسي دي توكفيل: 311
أمود: 158-226-227-228-229-230-231-232
الأمير عبد القادر: 12-62-65-72-73-80-83-85-149-155-160-167-176-184
أهتيغال (مُحَمَّد أق سبكة): 221-231-232
أوغسطين برنارد: 267
أوليفيي: 115-130
إيتيكال أق مُحَمَّد: 222

إيخنوخن: 40-48-50-236
بارجيس:115
البارون بيشون: 98
بافي: 129
براكس: 16
برانجر:48
برنارد دتانو:48-52
برنييه:115
بروسلار:48-113
برونتيير: 164
بكاتي باجودة: 171
بلاشير: 109
بلوشي: 116
بن أحمد بلحاج: 80-81-85
بن إدريس بن قانة: 216
بن الناصر بن شهرة: 13-155-186-193-
195-197-198-199-200-202-
203-204-205-206-207-208-
209-214-215-216-217-232
بن بابية:75-87-88-185-186
بن عزوز: 180
بن قانة:75-78-79-81-82-83-84-
85-86-90-182
بوبغلة: 12
بوبكر بن حمزة: 152-197
بودفيل: 80
بوديشون: 241
بوران: 41
بورليي:52
بوعزيز بن قانة:79-80-82-176-179-182
بوعكاز:75-78-82-83-85-182-214
بول صولييه: 19-24-41-42-44-45-46-
240-255-256-290-293
بول ليروا بوليوا: 18
بولان: 163
بولينياك: 96-117
بومعزة: 12-75
بومقارتان:56
بويان: 258
بيجو: 16-62-66-70-83-91-115
بيرسفيل: 111
بيزان: 115
بيلان:49
بيليسي:62-77-107-150-151-189-
192-206-209
تاديو: 164
تروتاباسي: 116
ترومبلي: 292
تريزال:61
التلي بالأكحل: 204
توماس:81
جانين: 164
جايمس مالاركاي: 118
جلان: 112

جلول بن حمزة:76
جمال الدين الأفغاني: 161
الجنرال بوسكاران:71-189-206
الجنرال بيدو: 185
الجنرال دولاكروا: 216
الجنرال ديفو:71-182-203-238-266-
280-279
الجنرال كوينيون دانسي: 162
الجنرال لادميرول: 199-202-204
الجنرال ليوتي: 264
الجنرال يوسف: 93-188-189-204-205-
206
جوبار:47
جورج رولاند: 129-238
جورج هاردي: 117
جوزيف ديبارمي: 116
جول كارد: 276-283
جول كامبون: 110-127
جيرهارد رولفس: 13-264
الحاج أبي حفص: 152
الحاج أحمد باي: 29 -72-73-78-79-80-
113-168-176-181
الحاج المهدي باجودا: 56-161
الحاج المهدي ولد باجودا: 56-161-169-
170-171
الحاج المُحَّد بن يوسف أطفيش: 239
الحاج عبد الكريم: 152
الحاج موسى الدرقاوي: 181-182
حسن بن عزوز:80-85
حمدان بن عبد الرحمان:61
حمزة بن بوبكر: 150-151-152-154-
158-191-192-193-194-195-
196-198-202-
داربوفيل: 149
دامريمون:62
دو بونشال: 41-46-256-257-258-262
دو رفيقو:61
دوانو: 92
دوبار:47
دوتاسي: 96
دورنو:47
دورو دو لامال: 118
دوريان: 259
دوسلان: 103-112-115-120
دوفو: 16
دوفيرييه: 36-37-38-39-139-151-
293-294-298
دوكاستري: 264
دولس:52
دوماس: 18-33-34-62-64-67-91-
115-237-240-292-295-300
دومال:81
دونوفو: 79-81-115-178

دي برمون: 95-96
دي بوسيه: 115
دي ساسي: 109
دي غرامون: 115
دي ميلوزا: 156
ديانوس:51
ديبوسكيت: 86
ديبوك: 86
ديفيك مارسال: 238
ديلابورت:63-68
الدين يحي: 87-88-163-188-201
الرائد دوليني: 202
الرائد كولينيو: 188-259
رفاعة الطهطاوي: 110
روش:48
روشي: 130
رولان: 18
رونو:76-149
روني كاييه: 24
ريتشارد صون: 35
رينان: 109
رينود: 120
رينيه باصيه: 103-112-116
زويني: 164
سالم بن جلاب: 86
ساموري توري: 28
سباتيي: 274-303
ستيفان غزال: 114
السعيد بن بودواو المقراني: 216
سلطان عبد الحميد: 161
سليمان بن حمزة: 45-152-153-154-158-163
سليمان بن قدور: 155-156-157-164
سواييه: 160
سوتيل: 255
سوسييه: 165
سولت: 15-16-17-265-266-267
سي الأعلى 152-153-155-156-157-158
سي الزوبير: 152-153
سي الطيب بن بوعمامة: 167
سي النعيمي: 151-186
سي باحوس بن قدور: 163
سي بكاي: 39
سي عبد المجيد بن سي إسماعيل: 224
سي قدور: 75
سي مقران: 82-83
سيدي الشيخ بن الطيب:77
سيدي النعيمي:77
سيدي حمزة:76-77
شاربونو: 103-114-113-118
شارل العاشر: 96-97-126

شارل أندري جوليان: 265
شارل دوفوكو: 137-138-139-140-141-142-143-144-145-146
شارل ريتشارد:71
شارل فيرو: 17-114-293-294
شارموتان: 130
الشريف بن مُحَمَّد بن لحرش: 198-200-201-203
الشريف بوشوشة: 157-210-211-212-213-214-215-216-217-218-219-232
الشريف بوشوشة:44
الشريف مُحَمَّد بن عبد الله: 13-86-151-183-184-185-186-187-188-189-190-191-192-193-194-195-196-197-198-199-200-201-202-203-204-205-206-208-211-213-215-216-217-219-232
الشريف مولاي: 45
شوازي: 41-244-256
شوفاليي: 245
الشيح بن الطيب: 149-150-155
الشيخ أحمد:45
الشيخ الطيب بن بابية: 88
الشيخ بن الطيب: 202
الشيخ بوزيان: 13-175-176-177-179-180-181-182
الشيخ بوعمامة: 138-157-158-159-160-161-162-163-164-165-166-167-168-264
الشيخ دهينة:69
الشيخ عثمان: 40
الشيخ مُحَمَّد الصغير: 82-214
الشيخ مُحَمَّد الطاهري: 296
صالح باي: 85-113
الضابط سيروكا: 176-177
الضابط مينيي: 228-229
الطيب بن بابية: 187
عابدين الكنتي: 221
عبد الحفيظ الخنقي: 178
عبد الرحمان بن جلاب: 82-86
عبد الرحمن بن هشام: 150-152
عبد العزيز بن مُحَمَّد: 216
عبد القادر باجودة: 45-169
عبد القادر بن الحاج السعيد: 312
عبد القادر بن خالد:76
عبد القادر بن مُحَمَّد المجدوب: 152
العربي بن سيدي الشيخ بن الطيب: 155-157
العقيد إينوسنتي: 162
العقيد بوبريتر: 154
العقيد دوريو: 191
العقيد طومبور: 184

العقيد كاربوسيا: 176-177-178
العقيد لونوار: 177
علي باي بن فرحات: 86-87-279
علي بن أحمد بن سالم: 201
علي بن فرحات بن سعيد: 196
غارسيال: 17
غاسطون ميري:52
غوستاف مارسييه:114-115
غيارد:48
فارديناند دوليبس: 38
فالي:62-79-85-100
فانيان: 103
فايسات: 114
فايون:64
فرحات بن سعيد:79-80-81-82-83-85
فرحات بن عبد الله: 85
فرناند فورو:52-53-54
فرومنتان: 37-209
فلاترز: 41-47-48-49-50-51-53-55-163-170-222-262-263
فلامون: 14-18-55-56-169-170-222
فوانو: 157
فور بيقي: 121
فورو: 19
فيدارب: 27
فيرو:50
فيكتور لارجو: 40
فينيار: 113
فيوليت: 273
قاستون كوفي: 223-224
قالبوا: 79
قدور بن حمزة: 152-156-157-164-165
قدور ولد الحاج الصحراوي: 150-163
قويون: 300
قييو لوهان: 225
كاريت: 107-35-235
كافينياك: 35-36-289
كانروبير: 179-182
كروللي: 113
كريميو:44
كلوزيل:61-79-115
كليرمون تونير: 126
كليمون دوفرنو: 91
الكولونيل دوريان: 196
كولونيو: 41
كولينو: 203
لابرين: 140-222-225-226-228
لابي:58
لافرير:56-169-260
لافيجري: 124-126-127-128-129-130-131-133-134-135-136-140
لافيريان: 166
لاموريسيار:62

لامي:54-220-244
لوشاتولييه:48
لويس بولار: 125
لويس رين: 115-153-156-213
لويس فيليب: 101-255-264
ليكليرك: 116
مارسيل امريت:65
المارشال راندون: 14-66-75-103-114-
118-191-206-260-267
مارميي: 86
ماري مونج:61
ماسكري: 115
ماكس لوجون: 276
مُحَمَّد الشاذلي:72
مُحَمَّد الصغير:73
مُحَمَّد بن أبي شنب: 101-104
مُحَمَّد بن إدريس: 44
مُحَمَّد بن اسماعيل: 184
مُحَمَّد بن الأعرج: 151
مُحَمَّد بن الطيب: 82-169
مُحَمَّد بن بسيس: 223
مُحَمَّد بن بوعزيز بن قانة: 182-183
مُحَمَّد بن حمزة: 152-155-158
مُحَمَّد بن حمودة: 216
مُحَمَّد بن سليمان بن مرزيق: 224
مُحَمَّد بن سيدي الشيخ بن الطيب: 155-157
مُحَمَّد بن علي بن شبيرة: 182
مُحَمَّد بن مكي: 202
مُحَمَّد بن ملوك: 202
مُحَمَّد علي السنوسي: 183
مُحَمَّد علي باشا: 101
مختار بلحاج بوحفص: 224
مرشير: 256
مريبو: 114
معطا الله بن بوبكر: 212
المقراني: 13-28-29-209-215-217-
232
مكارثي: 115
مكماهون:66-150-205
الملازم بن احميدة: 205
الملازم بوران: 154
الملازم ديبوسكي: 176
الملازم كاروس: 199
الملازم كروز: 198
الملازم كوتيناست: 223-224
موتيلانسكي: 103
موسون: 48
موسى أق أمستان: 221-224-225-226
مولاي الشيخ علي: 184
مولاي عبد العزيز: 166
مولاي عبد القادر الإدريسي: 198
مولاي عبد الله الرقاني: 173

مولود بن عبد الله: 151
المولود بن عون الله:76
موليراس: 116
الميجور لانج: 39-43
ميرل: 97
نابليون الثالث: 27-39-64-156-267
النقيب بان: 55-56-169-170-203-
318-222-220
النقيب بواسوني:72
النقيب بيتي: 201
النقيب دوبراي: 209
النقيب سان جرمان: 55-56-81-82-83-
178-177-170
النقيب مارميي:80
نعمان بن دباح: 87
نيقربي: 91-164
هانوتو: 115
هربيون: 82-178-179-180
هنري بارث: 37-40-43
هيردوت: 299
وارنر: 256
وانبرونر: 161
ويل: 115
يحي بن سالم: 204
يحي بن مُحَمَّد: 188
يحي بن معمر: 204

فهرس الأماكن والبلدان

الأبيض سيدي الشيخ: 34-41-133-149-152-163-236-240

أرزيو: 92-246-261-262

الأزواد: 15

إسبانيا:27-264-270

الإسكندرية: 26

آسيا:25

الأغواط: 33-34-37-38-44-46-47-48-49-77-108-130-131-132-133-136-139-151-155-157-167-183-188-189-190-192-196-198-199-200-201-202-203-204-205-206-207-208-209-211-212-215-219-236-255-256-257-260-262-266-271-276-281-283-289-313-314-318

إفريقيا: 14-15-16-18-20-25-26-28-29-40-41-96-120-121-126-128-129-130-132-133-135-172

أفلو: 160-163-269

أقادز: 220

إقسطن: 169-170-171-172

ألمانيا:22-27-213-232-264-270

أمداغور: 49-50

أمقيد: 49-51

الأوراس: 37-82-157-158-179-317

أوربا:17-26-29-41

إيطاليا: 61-232

إيليزي: 227-228-229

باتنة: 38-80-120-176-177-238-203-266-278-281-281

باريس:33-49-96-108-110-119-127-131-138-165-222-223-265-266-279

بجاية: 62-79-158

برقة: 232

برلين: 37

بريان: 187-201-216-290-314

بريزينة: 34-157-191-192-195-202

بريطانيا:18-25-27-28-29-51-232-269

بريكة: 269

بسكرة: 12-16-17-18-20-33-38-39-46-47-48-52-53-54-69-70-79-80-81-82-86-89-90-131-133-134-135-136-137-151-176-177-178-181-188-200-203-205-208-214-219-220-

-283-276-271-269-259-236
318-317-295
بشار: 225-236-246-247-259-261-
313-309-308-307-306-304-271
بلبشير: 244-245
البليدة: 259-278-282
بماكو:28
بن حنجير: 245
بني بوزقر: 166
بني عباس: 140-141-225-259-271-
272
بني عباس:140-141
بني ونيف: 225-236-247-262-271-
313-308
بني يزقن: 201-215-290
بوخنيفيس: 211-212
بوسروال: 194
بوسعادة:18-33-157-177-182-201-
203-204-205-208-210-258-
269-266
بوسمغون: 34
بوشقرون: 180
بوعلام:34
بوغار: 44-155-157-198-199-201-
269-257-256-204
بوفاريك: 128
بوقطب: 247-262
بيروت: 209-233
البيض: 41-131-152-153-156-157-
160-161-162-163-164-165-
189-196-200-206-207-208-
210-211-235-236-260
البيوض: 52-53-54
تاجرونة: 190-202-215
تازروق: 221
تاسيلي: 226-228-230-231
تاغزوت: 319
تاغيت: 225-228
تافيلالت: 44-255-295-297
تامغزا: 38
تبسة: 18-78-93-200-269
تشاد:28-41-48
تقرت:16-17-18-33-34-47-52-53-
82-86-131-137-139-183-187-

-188-196-200-203-208-212-
213-214-215-216-217-219-
224-230-238-247-256-259-
260-271-276-278-279-281-
282-283-293-294-304-306-
311-314
تلمسان: 35-78-92-115-117-150-
158-185-259-289
تمنراست: 138-141-145-227-229-
231
تمنغاست: 227-229-231
تميمون: 34-41-217-259-314
تنبكتو: 14-15-28-34-39-40-43-
56-57-108-131-220-221-237-
240-241-257
توات :13-15-18-19-34-35-38-41-
44-166-169-172-196-210-211-
217-221-239-255-257-259-
265-271-272-274-294-296-
297-303-317
توزر: 38-198-311
تونس:12-27-29-38-41-117-127-
161-183-186-196-197-198-
199-209-211-213-215-233-
240-250-253-254-258-283-
293-294-295-311
تيديكلت: 14-34-45-168-169-171-
172-210-217-221-222-223-
259-271-272-274-291-296-318
تيماسنين: 48-50-52-53-54-86-203-
217-220-226-311
تينقورارين: 41
تيهرت (تيارت): 76-77-88-163-164-
187-191-200-258-259-269
تيوت: 34-35-160-161
جانت: 226-227-228-229-230-232
جبل أحمر خدو: 85
جبل العمور: 44-87-88-157-188-
190-201-202-204-207
جبل راشد: 289
جبل ششار: 85-88
جبل طارق: 25
جربة: 108
الجريد: 12-29-38-82
الجلفة: 44-136-203-204-205-256-
259-260-271-274-281-283-
313-314
جميلة: 108
جني:28

جيجل: 158
حاسي القارة: 244
الحضنة: 177-215-216
خنشلة: 269
خيثر: 164-261
الدغامشة: 56-172-173
دمشق: 209-233
دوز: 197
رأس الرجاء الصالح:26
رأس الماء: 164-258
الرباط:117
روسيا: 41
الرويسات: 187-192-203-214
الزاب الشرقي: 85-88-197
الزعاطشة:13-69-175-176-177-178-180-182-219
زلفانة: 215
الزيبان:29-33-47-69-79-80-81-83-84-175-178-183-188-245-248-289-294-295
زيندر: 15
سبدو: 18-35-155-159-160-259
ستراسبورغ: 137
ستيتن: 34-163-194-195-202
سجلماسة: 297
سريانة: 177
سطيف: 69-81-108-117-138-177
سعيدة:18-41-155-156-164-258-259-261-262-269
سفيسيفة: 34-35-162
سكيكدة: 38-108-260
السنغال:12-23-24-25-26-27-28-41-257-262
السودان الغربي (غرب إفريقيا): 12-14-15-23-125-129-134-139-172-191-19-26-28-29-43-48-50-52-124-125-129-130-131-132-134-191-222-236-237-240-241-242-254-255-263-267-275-285-294-296
سوريا:140
سوق أهراس: 117
سيجو: 41
سيدي بلعباس: 150-158
سيدي عقبة: 38
سيدي عيسى: 269
شرشال: 120
شلالة: 269

شلف: 129
شنقيط: 108
الشهبونية: 198-199
الضاية: 35-164
طرابلس الغرب: 15
طرابلس: 39-40-50-56-183-197-211-213-232-237-240-254-258
طولقة:176-179-260
طولون: 96
عدن:25
العرينة: 183
العسافية: 206-207
عسلة: 35-152
عقلة المقاديم: 201
عنابة: 71-115-116-138
عين الرق: 189
عين الصفراء: 14-34-35-136-163-164-208-225-236-237-245-247-261-262-270-271-274-276-278-282-283-306-313
عين تموشنت: 156-184
عين صالح: 14-16-17-34-41-42-43-44-45-46-53-54-55-56-168-169-171-172-173-200-210-211-212-213-214-217-218-220-222-223-224-225-227-229-230-237-240-241-255-256-257-258-259-262-271-299
عين ماضي:12-158-314
عيون سيدي ملوك:167
غات: 15-36-40-48-132-226-231-242
الغاسول: 34-184-191-202
غدامس: 15-19-34-36-39-40-47-53-58-132-151-225-240-242-254-255
غرداية:33-34-37-38-44-45-49-53-58-131-132-136-137-139-201-210-216-225-256-260-271-278-282-290-306-314
غليزان: 158
فاس: 34-295
فاشودة:29
فرفار:179
فرندة: 47-163-164-18-158
فزان: 40-226
فيقيق: 34-159-164-165-166-210-211-240-261-264
قابس: 38-139-240

قبرص:25
القرارة: 188-204-216-289
قسنطينة: 16-38-47-64-69-71-72-78-79-80-81-83-84-85-90-105-106-108-113-114-117-118-119-135-177-178-181-182-188-205-218-255-260-262
قصر الحيران: 33-188-198-203-204-206
قصر مليانة: 45
قفصة: 38
قمار: 214-250-260-319
قناة سويس:25
قنادسة: 246
قورارة: 150-157-166-241-243-257-261-271-272-274-297-303-317
الكاف: 197
كانو: 15
كرزاز: 217
الكونغو:27
كوينين: 319
لبنان: 98
لندن: 37
ليبيا: 186-191-226-228-230-253-254
ليشانة:179
مارسيليا: 44-61-96
مالطة:25
مالي:12-28-220-253
متليلي: 38-44-45-131-132-133-157-187-188-192-210-212-256
متيجة: 61-117-282-291
المدية: 189-200-204-258-259
مراكش:27-168
مرزوق: 255
مستغانم: 108-158-259
مسعد:33
المسيلة: 33-177
المشرية: 155-163-247-258-261-271-276-283-313-314
مصر: 98-109-112-161-183-191-294-297
معسكر: 62-77-158-191-198-278
المغرب الأقصى: 12-14-29-116-117-139-149-150-152-156-157-164-165-166-167-183-191-255-264-265-270-283-292-294-297

مكاليس: 247

المنيعة (القليعة): 38-44-45-46-47-54-
56-131-132-136-151-157-168-
169-201-207-208-212-213-
217-220-225-230-235-244-
245-256-257-259-271-291

موريتانيا : 12-161

موغادور: 237

ميلة: 108

نفزاوة: 38-183-197

نفطة:18-197-198-211-215

نقرين: 38-196

نقوسة: 87-88-187-192-193-195-
203-210

النيجر: 15-28-34-41-220-231-
242-253

الهقار: 34-36-48-140-141-145-
158-162-219-220-222-223-
224-225-226-229-230-231-
233-242-258-262-272-293-
298-299

الهند:25

وادي الساورة: 13-217-264-296-303-
318

وادي الشبكة:215

وادي الطويل: 45

وادي جدي: 201-202

وادي ريغ: 20-84-86-88-196-203-
211-214-237-238-242-245-
247-248-293-304-308

وادي زرقون: 202

وادي سبسب: 45-212

وادي سوف: 12-18-29-34-38-39-
42-44-47-86-149-196-197-214-
230-247-248-250-254-266-
271-279-292-293-294-295-
305-308-309-314

وادي لعقارب: 217

وادي مزاب:33-38-42-44-47-49-
130-139-187-215-242-255-
257-280

وادي مزي: 189-209-289

وجدة:167

ورقلة: 12-14-16-17-20-33-34-44-
45-46-47-48-49-50-51-52-53-
55-77-84-87-88-131-136-137-
151-152-155-169-183-185-
186-187-188-190-192-193-

-201-200-199-198-196-195
-212-211-210-207-204-203
-219-218-217-215-214-213
-258-253-232-231-230-227
-291-279-271-262-260-259
314-303-293-292
وهران: 14-64-71-72-88-92-105-
-149-139-135-116-108-106
-243-206-205-202-184-162
318-264-261-260-259-246

فهرس الشعوب والقبائل

الأحرار: 205
الأحلاف: 290
الأرباع: 163-191-193-199-200-212-289
أغواط الكسل: 151-157-163-191-202-205
آل السايح: 74
آل علاهم: 186
الألمان: 24-40
الإنجليز: 16-24-236
أولا صاولة: 82-182
أولاد السعيد عطية: 195
أولاد باحمو: 224
أولاد بوراس: 289
أولاد بوزيان: 289-290
أولاد بوعكاز: 82-83-84-85-86-87
أولاد جلال: 79-82-182
أولاد دحمان: 224
أولاد زكري: 79-214
أولاد زياد: 193-195
أولاد زياد: 289-290
أولاد سالم: 189
أولاد سالم: 289-290
أولاد سحنون: 177
أولاد سرغين: 290
أولاد سعد بن سالم: 201
أولاد سعود: 295
أولاد سكحال: 289-290
أولاد سيدي أحمد المجدوب: 161
أولاد سيدي الشيخ: 13-34-38-45-75-76-77-149-150-151-152-153-154-155-156-157-158-159-160-165-183-184-198-202-207-211-212-217-219-232
أولاد سيدي طيفور: 190
أولاد عزي: 171-224
أولاد عيسى: 210
أولاد ماضي: 69
أولاد مولات: 187-294
أولاد نايل: 16-18-33-177-182-187-188-189-190-193-200-201-204
أولاد يحي: 224
أولاد يعقوب الزرارة: 87-188
أولاد يعقوب: 201-202-217
أولاد يوسف: 289
الإيفوغاس: 229-231-298-299
البراهميين: 124
البربر: 37-40-114-289-291-292-294-297
بن جلاب: 75-86-187-294

بني ثور: 186
بني ثور: 212-213
بني سليم: 289-295-297
بني سناسن: 202
بني صالح: 81
بني عامر: 184
بني لقواط: 289
بني مزاب: 235-239
بني معطر: 202
بني ميزاب: 192
بني هلال: 289-297
بني هلال: 84
البوازيد: 80
البوذيين: 124
التكرور: 26
التوارق: 12-19-26-34-36-37-38-39-40-41-44-47-48-50-51-52-53-54-55-56-131-132-141-142-143-145-169-175-212-213-219-220-221-222-223-224-225-226-227-228-229-230-231-235-237-262-263-298-299-300
الحرازلة: 193
الحرازلية: 198
الحراكتة: 81
الحشاشنة: 293
حميان: 34-75-76-149-151-156-161-237
الحنانشة: 81
الدراقة: 195
الذواودة: 214
ذوي منيع: 34
الرومان: 39-120
الزريقات: 195
زناتة: 289
سعيد عتبة: 88-186-192-193-200-201-203
السود: 17-40-68-255-292-299
سيدي خالد: 79
الشرفة: 161
الشعانبة: 48-49-132-161-166-186-192-193-195-200-201-203-211-212-213-214-222-224-291-292-295
الصبايحية: 56-60-66-71
الطرود: 294-295
الظهرة: 158
العثمانيين: 70-124
العجلات: 189

العرب: 17-18-32-40-61-65-77-
78-79-81-82-86-91-92-110-
111-120-121-169-179-208-
289-292-294-295-296-297-
298-321-324
العمور: 161
العمور: 205
فليتة: 158
المالنكي: 26
المجاهرية: 294
المخادمة: 186-192-193-195-200-
211-213-214-291
المداقنة: 210-212
المزاريق: 183
المعامرة: 198
مغراوة: 289
الميزابيين: 17
النمامشة: 93
النوميديين: 120
الولوف: 26
اليهود: 17-44-73-99-139-143-
240-282-292-296-307-314-
315-321

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الشكر

الإهداء

مقدمة..... أ

الفصل التمهيدي: دوافع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري **12**

المبحث الأول: الدوافع العسكرية **12**

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية **14**

المبحث الثالث: الفضول المعرفي والتطور العلمي **19**

المبحث الرابع: دوافع خاصة بالرحالين والمستكشفين **23**

المبحث الخامس: تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية **25**

الباب الأول: السياسة الاستعمارية الفرنسية للتوغل في الجنوب الجزائري **30**

الفصل الأول: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري خلال القرن 19م **31**

المبحث الأول: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1830-1860 ..... **33**

المبحث الثاني: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1860-1881 ..... **41**

المبحث الثالث: البعثات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري 1881-1899 ..... **51**

الفصل الثاني: إنشاء المكاتب العربية ودورها في استمالة شيوخ القبائل والزعماء المحليين **59**

المبحث الأول: المكاتب العربية نشأتها وتطورها **60**

المبحث الثاني: تشكيل المكتب العربي ومهامه **66**

المبحث الثالث: المكاتب العربية والأسر الكبرى في الجنوب **74**

المبحث الرابع: اعتداءات وتجاوزات المكاتب العربية **90**

الفصل الثالث: إنشاء الصحف والدوريات وتكوين اللجان العلمية والجمعيات **94**

المبحث الأول: إنشاء الصحف والدوريات **95**

المبحث الثاني: إنشاء اللجان العلمية **106**

المبحث الثالث: تكوين الجمعيات **113**

المبحث الرابع: أهداف الاستكشاف والبحث العلمي 119
الفصل الرابع: الإرساليات التنصيرية إلى مدن الجنوب الجزائري 123
المبحث الأول: الاستعمار والتنصير بالصحراء 124
المبحث الثاني: الكاردينال لافيجري وسياسته الدينية في الصحراء 127
المبحث الثالث: الهيئات التبشيرية في الصحراء 133
المبحث الرابع: نشاط الأب دوفوكو (Charles de Foucould) 1858-1916 137
الباب الثاني: المقاومة الشعبية 1844-1916 وانعكاسات سياسة الاحتلال الفرنسي بالجنوب الجزائري 147
الفصل الأول: المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي للجزائر 148
المبحث الأول: مقاومة أولاد سيدي الشيخ 149
المبحث الثاني: مقاومة الشيخ بوعمامة 159
المبحث الثالث: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت 168
الفصل الثاني: المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي للجزائر 174
المبحث الأول: ثورة الزعاطشة 1849 175
المبحث الثاني: مقاومة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله 1851-1871 183
المبحث الثالث: مقاومة بن ناصر بن شهرة 1851-1875 197
المبحث الرابع: مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1874 210
المبحث الخامس: مقاومة الطوارق 1900-1916 219
الفصل الثالث: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية والإدارية بالجنوب الجزائري 234
المبحث الأول: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاقتصادية بالجنوب الجزائري 235
المبحث الثاني: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الإدارية بالجنوب الجزائري 263
الفصل الرابع: آثار سياسة الاحتلال الفرنسي الاجتماعية والثقافية بالجنوب الجزائري 287
المبحث الأول: التركيبة السكانية للمدن الصحراوية 289
المبحث الثاني: تعداد سكان الجنوب الجزائري 299
المبحث الثالث: الوضع الصحي في الجنوب الجزائري 302

المبحث الرابع: وضعية التعليم في الجنوب الجزائري 309
المبحث الخامس: السياسة الاجتماعية الفرنسية في المناطق الجنوبية 315
خـــاتـمـة **319**
الــمـلاحـق **324**
ملحق الخرائط **325**
ملحق الجداول **332**
ملحق الصور **339**
بيبلوغرافيا الدراسة **343**
فهرس الأعلام والشخصيات **366**
فهرس الأماكن والبلدان **375**
فهرس القبائل والشعوب **384**
فهرس الموضوعات..... **388**

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتهجة للتوغل في الجنوب الجزائري، فبعد الاحتلال الشبه التام للمناطق الشمالية وجهت فرنسا أنظارها نحو الجنوب بمناطقه السهبية والصحراوية، من أجل السيطرة عليه والاستحواذ على خيراته، معتمدة في ذلك على مجموعة من الطرق والأساليب التي تحقق لها ذلك، فأرسلت البعثات والرحلات الاستكشافية إلى الجنوب الجزائري، واستحدثت المكاتب العربية وفق المرسوم الوزاري الصادر في الفاتح من فيفري 1844م، وعينت قيادا وآغوات وباشغوات على كل عرش وقبيلة، وأعطتهم نوعا من القوة التي تسمح لهم بممارسة حكمهم، وأنشأت الصحف والدوريات، وكونت الجمعيات واللجان العلمية، وأرسلت الحملات التنصيرية إلى المدن الصحراوية، إلا أنها جوبهت بمقاومة شعبية مستميتة وشرسة كمقاومة أولاد سيدي الشيخ والشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي للجزائر، ومقاومة الشريف بوشوشة ومُحَّد الشريف بن عبد الله، وبن الناصر بن الشهرة في الجنوب الشرقي للجزائر، وقد كان لهذا التوغل العديد من الانعكاسات والآثار، فحدث تغير في التركيبة والبنية الاجتماعية للسكان، كما أن التجارة الصحراوية قد دمرت، والاقتصاد الجزائري تراجع وتوقفت حركة القوافل التجارية نحو السودان، وبعد أن كان جل الجزائريين يعرفون القراءة والكتابة أصبح التعليم مقتصرا على فئة دون الأخرى، وتم تنظيم أقاليم الجنوب بموجب قانون 24 ديسمبر 1902، والذي أعطى الاستقلالية المالية والإدارية للجنوب عن الشمال.

الكلمات المفتاحية:

الجزائر – الصحراء الجزائرية – الجنوب الجزائري – الاستعمار الفرنسي – السياسة الاستعمارية – المستكشفين الفرنسيين – المقاومة الشعبية – المكاتب العربية.

Résumé:

Cette étude a pour but de faire la lumière sur la politique coloniale française suivie de l'incursion dans le sud de l'Algérie. Après l'occupation quasi totale des régions du nord, la France a tourné son regard vers le sud dans ses steppes et ses zones désertiques afin de la contrôler et de saisir ses biens, en s'appuyant sur un ensemble de méthodes permettant de les atteindre. Elle a envoyé des expéditions dans le sud de l'Algérie, Elle a créé des bureaux dans les pays arabes conformément au décret ministériel publié le1^{er}février 1844 elle ànommer des dirigeants, Aguats et Bashguat à chaque trône et à chaque tribu, et leur attribuant une sorte de pouvoir leur permettant d'exercer leur autorité. Des journaux ont été créés, des sociétés et des comités scientifiques ont été formés et des campagnes missionnaires ont été envoyées dans des villes du désert, mais ils se sont heurtés à une résistance populaire désespérée et féroce, tels que les enfants de Sidi Cheikh et Cheikh Bouamama au sud-ouest de l'Algérie et la résistance de Chérif Bouchoucha et Mohamed Chérif Abdallah et Ben Nasser Al-Shahra au sud-est. Cette incursion a eu de nombreuses répercussions, il y a eu un changement dans la structure sociale de la population, le commerce du désert a été détruit, l'économie algérienne a reculé et le mouvement des caravanes commerciales vers le Soudan s'est arrêté. L'éducation est devenue limitée à la catégorie sans l'autre, la loi du 24 décembre 1902 a organisé les territoires du sud en donnant une indépendance financière et administrative au sud de l'Algérie.

Mots clés:

Algérie - Sahara Algérien - Sud de l'Algérie - Colonialisme français - Politique coloniale - Explorateurs français - Résistance populaire - Bureaux arabes.

Summary:

This study aims to shed light on the French colonial policy pursued the incursion in southern Algeria, after the near-total occupation of the northern regions, France turned its gaze towards the south in its steppe and desert areas, in order to control it and seize its goods, relying on a set of methods and ways to achieve this aim So,She sent expeditions and trips to southern Algeria, created Arab offices in accordance with the ministerial decree issued on February,1st 1844, and appointed leaders, Aguats and Bashguat to each throne and tribe, and gave them a kind of power that allows them to exercise their rule. Newspapers and periodicals were formed, scientific societies and committees were formed, and missionary campaigns were sent to desert cities, but they were met with desperate and fierce popular resistance such as reistance of the children of Sidi Cheikh and Cheikh Bouamama in the southwest of Algeria, and the resistance of Cherif Bouchoucha and Mohamed Cherif Ben Abdallah, and Ben Nasser Ben Shahra in the southeast. This incursion has had many repercussions and effects, there has been a change in the structure and social structure of the population, the desert trade has been destroyed, the Algerian economy has retreated and the movement of commercial caravans towards Sudan has stopped. Efficiency and writing education became limited to a category without an other, They organized the territories of the south under the law of December 24, 1902, which gave financial and administrative independence of the south from the north.

key words:

Algeria - Algerian Sahara - South of Algeria - French colonialism - colonial policy - French explorers - popular resistance - Arab offices.